

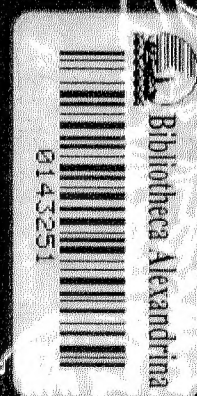
الحياة النبوية

بعد ظهور الاسلام

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي

دار الحديث

بيروت



الحياة الزوجية بعد ظهور الإسلام

Printed in Lebanon

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعيد بجامعة الأزهر

دار الجيـد
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلمة الاولى

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك ونشكرك ونسألك
التوفيق والرعاية والتوجيه وبعد .

فهذا سفر جديد في تاريخ الأدب العربي بعد ظهور الإسلام يشتمل
على تصوير واسع للحياة الأدبية . في عصر صدر الإسلام وعصر
بنى أمية وصدر العصر العباسي .

وقد توخيت فيه الدقة والتحليل والدراسة لشتى ألوان الأدب
ومظاهر نهضته في هذه المصور البعيدة ؛ مع الإشارة إلى شتى المصادر
والمراجع ؛ ومع تنظيم البحوث والاستقصاء فيها .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

محمد عبد المنعم غفامبى

الاستاذ بكلية اللغة العربية

منهج الدراسة بكلية اللغة العربية تاريخ الأدب

تاريخ الأدب في صدر الإسلام : آثار الإسلام في لغة العرب وحياتها الاجتماعية . القرآن الكريم : نزوله وأسلوبه وإيجازه وجمعه وروايته وأثره في اللغة والأدب . النثر وبمبذاته في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه . أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثرها في اللغة والأدب . الخطابة وأشهر الخطباء . الكتابة وأشهر الكتاب . الشعر وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه وأشهر الشعراء المخضرمين .

تاريخ الأدب في عهد بني أمية : انتشار اللغة وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة طرؤه اللحن ووضع النحو والنقط والشكل . بدء تدوين العلوم ، عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ، أشهر مجامع العلم والأدب .

النثر : الخطابة والخطباء ، الكتابة وأشهر الكتاب ، الأجوبة والمجاولات الشعر : مبذاته وما طرأ عليه من أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه وأخيلته ، صيرورته حرفة للتكسب ، طبقات الشعراء وطوائفهم كالعشاق والسياسيين والمجانين ، نحول الشعراء . النقد الكلامي وأمثلة منه ، الموازنة الأدبية وأمثلة منها . الرواية والرواة . الأغاني وأثرها في الشعر وأشهر المغنيين .

دراسة تاريخ واحد من كل من طائفة من الطوائف الأربع الآتية : دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما يستطاع من تفاصيل حياتهم الأدبية وكل ما له أثر فيها مع استنباط خصائص كل في أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ونقد ما هو خليق بالقد من ذلك مع الموازنة بينه وبين نظيره إن أمكن ومع الإبانة عن أثر كل في فنون الأدب ومنزلته من رجاله ، وهذه الطوائف :

— ٥ —

ا - عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

ب - حسان ، الخطيئة ، الخنساء .

ج - الحجاج ، زياد ، عبد الحميد الكاتب ، أبو حمزة ، قطرة بن الفجاءة ،

عبد الله بن الزبير ، قتيبة بن مسلم .

د - ج - رير ، الفرزدق ، الأخطل ، عمر بن أبي ربيعة ، جميل ،

ذو الرمة ، السكيت .

علي ألا بتكرر واحد في سائتين متتابعتين .

النصوص

١ - دراسة نصوص من القرآن الكريم

٢ - دراسة طائفة من جيد المنثور يختارها المدرس من الأحاديث النبوية ومن الخطب والرسائل والمحاورات في صدر الإسلام وعهد بني أمية دراسة فهم ونقد وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك مما دون في مثل صحيح البخاري ونهج البلاغة والعقد الفريد وأمالى القالى وكامل المبرد والبيان والتبيين على ألا يقل المقروء عن نحو ٦٠ صفحة وعلى أن يحفظ الطلبة من ذلك نحو ٢٠٠ سطر مع التعريف بكتاب من هذه الكتب وبيان منزلته في موضوعه ومنهج مؤلفه .

٣ - دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من شعر صدر الإسلام وعهد بني أمية قراءة وفهما ونقدا وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مجموعات الشعر ودواوين مثل: حسان، الخنساء، الحطيئة، جرير، الفرزدق الأخطل، عمر بن أبي ربيعة، وفي مثل أمالى القالى على ألا يقل المقروء عن نحو ٤٠٠ بيت وعلى أن يحفظ الطلبة منه نحو ٢٠٠ بيت .

الحياة الادبية

في عصر صدر الاسلام

من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام دولة بني أمية

١٢٠١ - ١٤١

عصر صدر الاسلام

يفتح العصر الثاني من عصور الأدب العربي وهو عصر صدر الاسلام، ببعثة محمد صلوات الله عليه، ودعوته وهو بمكة قريشاً والعرب والناس كافة إلى الاسلام عام ٦١٠ م؛ وينتظم ما بعد ذلك بما امتد من عهد الرسول بمكة والمدينة (١) وعهد أبي بكر (٢) وعمر (٣) وعثمان (٤) وعلي (٥) والحسن بن علي (٦) وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين وقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ، ومدته ثلاثة وخمسون عاماً هجرية.

وهو من أعظم العصور في التاريخ الاسلامي أثراً، وأكثرها في حياة العرب والمسلمين والعالم والانسانية خطراً؛ ففيه بدأت ونمت وازدهرت وانتشرت دعوة الاسلام دين البشرية الخالد، ومنقذها الكريم من ضلال الجمل والسفاهة والاستعباد والطغيان والرق الفكري والبشرى والاجتماعى، وهاديا الامين إلى شاطئ الأمن والاسلام والنور والحرية والمساواة، وقائدها البر إلى حياة المدنية والعلم والثقافة وحرية الإنسان من العبودية والخوف والفقر والجور.

وناهيك به بعد ذلك عصرأ ازدهرت فيه اللغة، ونه فيه شأن الأدب، وصار فيه للسان العربي والشعب العربي السيادة والفوز والغلبة في شتى الارجاء والأمصار،

(١) أى من عام ١٢ ق هـ إلى عام ١١ هـ [٦١٠ - ٦٣٢ م].

(٢) أى من ١١ - ١٣ هـ [٦٣٢ - ٦٣٤ م].

(٣) ١٣ - ٢٣ هـ [٦٣٤ - ٦٤٤ م].

(٤) ٢٤ - ٣٥ هـ [٦٤٤ - ٦٥٥ م].

(٥) ٣٥ - ٤٠ هـ [٦٥٥ - ٦٦٠ م].

(٦) ٤٠ - ٤١ هـ [٦٦٠ - ٦٦١ م].

وكيف لا وقد افتتح بأروع جهاد عرفته الإنسانية ، وبأعظم دعوة وصلت إلى الأرض من السماء ، وبثورة لم يعرف التاريخ قط لها نظيراً ، ثورة على الجمود البشري واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان وعبودية الطوائف والشعوب للأكثرين عدداً وعدداً ؛ ثورة فتحت صفحة جديدة في حياة الإنسانية ، وأحالت ظلام الحياة ضياءً ونوراً وظلمها عدلاً وأماناً وسلاماً وحرية ، بما شهد به أفذاذ المفكرين والمؤرخين ودعاة الإصلاح .

ومن أولى من محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بأن يرفع في العالم منارة السلام ، وراية المدنية ، وأن يصل الأرض بالسماء ، ويسعى بالإنسان ليلبغ ما ينتظره من حضارة باهرة ، وحرية نادرة ، وحياة زاهرة ، فيها الأمن والأمل والرجاء ؛

صلى الله عليه ، ورفعته إلى أعلى عليين ، وأكرمه في أمته كما أكرم أمته به ، إنه على ما يشاء قدير .

هذا وعصر صدر الإسلام مستقل عن العصر الأموي ، لاختلاف المؤثرات التي أثرت في الأدب العربي في هذا العصر ، منها في عصر بني أمية . وعلى ذلك سار كثير من الباحثين ومؤرخي الأدب ؛ وهو ما سرنا نحن عليه في هذا الكتاب . ولكن بعض الباحثين يجعل العصرين عصراً واحداً يتبدى بانثاق فجر الدعوة النبوية وينتهي بانتهاء عهد الدولة الأموية عام ١٩٣٢ هـ ، ومدته على ذلك ١٤٤ عاماً وعلى ذلك سار أصحاب الوسيط^(١) والزيات في كتابه^(٢) ، تاريخ الأدب العربي . وسواهما من الباحثين .

(١) ٩٤ الوسيط ط ١٩٢٥

(٢) ٧٨ المرجع ط ١٩٣٥

الجاهليون والمخضرمون والاسلاميون

والذين شهدوا هذا العصر العظيم من الشعراء^(١) يسمون المخضرمين ، يقول ابن رشيق :

« طبقات^(٢) الشعراء أربعة : جاهلي ، ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والاسلام ، وإسلامي ، ومحدث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج وهكذا في الهبوط إلى وقتنا الحاضر ،

أما الجاهليون فأمرهم مشهور ذائع ، وهم الذين نشأوا في جزيرة العرب قبل الاسلام من الشعراء والخطباء والبلغاء وأرباب الفصاحة واللسن والبيان ، وهذه الكلمة جمع لكلمة جاهلي من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم ، لما كان عليه العرب قبل الاسلام من أمية ظاهرة ، أو من الجهل ضد الحلم بمعنى السفه والطيش وسرعة الغضب لما كانوا عليه من الاسراع إلى الانتقام والاخذ بالثأر وشن الحرب لانتفه الأسباب

وأما المخضرمون^(٣) فاذا تركنا حديث الاشتقاق اللغوي فان الغالب على من

(١) وقل أن يطلق ذلك الاسم على البلغاء والادباء والخطباء مع أن مثل هذه الفنون الأدبية أخت الشعر وشبيهة به في كثير من خصائص الفن

(٢) ١/٧٢ العمدة لابن رشيق طبع عام ١٩٢٥

(٣) من المخضرمه يقال أذن مخضرمه أى مقطوعة فكان الشاعر انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام ، وقيل : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرمًا ؛ وزعم هذا القائل أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي وقد أدركه كبيرًا ولم يسلم ، قال ابن رشيق : وهذا عندي خطأ لأن النابغة الجعدي وليدا قد وقع عليهما هذا الاسم [١/٧٢ العمدة في ١٩٢٥ ، ٣٠٤ و ٢/٣٠٥ المزهرة طبع صبيح] . وقال أبو الحسن الأخفش هو من قولهم ماء خضرم إذا تنهى في الكثرة والسعة فنه سمى الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرمًا كأنه استوفى الأمرين [٢/٣٠٤ المزهرة ، =

عاش في هذا العصر أن يكون محضراً إذ يغلب أن يكون قد أدرك الجاهلية والاسلام ، أما الذين نشأوا في الاسلام وتأدبوا بأدابه وقالوا الشعر متأثرين بالعوامل الجديدة التي نشأت مع الحياة الاسلامية فهؤلاء إسلاميون يغلب عليهم أن يكونوا قد عاشوا في دولة بنى أمية واستظلوا بظلمها ، إذ من الثابت أن كثيراً من الشعراء الذين تأثروا بالاسلام ومبادئه قد بهرتهم بلاغة القرآن وفصاحته فانقطعوا عن قول الشعر وعمقت ألسنتهم وبلاغاتهم عن إنشاده ولم يستمر على صلة بينا بيعة الثرة إلا هؤلاء الذين بعدوا عن روح الاسلام ولم يتأثروا به وعاشوا في عزلتهم في البادية ، فلما سكنت عنهم هذه الروعة قليلاً بالفهم لهذه البلاغة المعجزة وبخضوعهم لآثار بيتهم وحياتهم الجديدة بدأوا في نظم الشعر ، ولم يعودوا إليه إلا وقد انتهى هذا العصر وبدأ عصر جديد هو العصر الأموي الخافل فكلمة الاسلاميون ، إذا تطلق على الشعراء الأمويين لأنهم عاشوا في ظلال الاسلام وتأثروا بمبادئه وصاغوا حياتهم وفق مبادئه الخالدة إلى حد كبير .

وهي جمع لكلمة إسلامي من الاسلام ، الذي اختير عليها لهذه العقيدة الجديدة بما تنطوي عليه من أمن وعدل وحق وخضوع مطلق له وتعاون ومسألة للناس ، وهي كلمة تشير إلى جميع خصائص الدعوة النبوية الجليلة التي عم أثرها الناس والحياة البشرية

== ١/١٧٢ العمدة] . وحكي كراعة علي بن الحسن : شاعر محضرم بالخاء مأخوذ من الحضرمة وهي الخلطة لأنه خلط الجاهلية والاسلام [٢/٢٠٥ المزهري ،
[١/٧٣ العمدة]

الاسلام

وأثره في حياة العرب الاجتماعية

جاء الاسلام والعرب قبائل موزعة ، وأحياء متخاصمة ، لا يجمعهم دين ، ولا يقرب بينهم نظام حكم واحد ، ولا يخضعون لرياسة موحدة ، ولا يركنون إلى شريعة اجتماعية منظمة .

فأبدلهم من ذلك كله نظاماً موحداً ، وحياة كريمة مهيبة في الاجتماع والسياسة والدين والدنيا ؛ ويظهر أثر الاسلام في حياتهم الاجتماعية فيما يلي :

١ - اعترف الاسلام للانسان بحريته واستقلاله الفكري والاجتماعي والمالي ، وجعله حراً طليقاً من كل قيد إلا من الخضوع لدين الله وللحكم الأعلى الذي يحكم بما أمر الله ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس ، ورفع من كرامة الانسان وجعله خليفة له في الأرض يعمرها ويمحو الظلام والجهل والفوضى والجنود منها بما وهبه الله من عقل وماحت عليه من العلم والتفكير والعمران التي هي أسباب وثيقة للدنية والحضارة .

٢ - نظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة ، فشرع الزواج ، وجعله رباطاً مقدساً بين المرأة والرجل ، وأباح للرجل في حالات خاصة حرية الجمع بين عدة أزواج لا يتجاوز في ذلك أربع زوجات مهما كان ، وأبطل كثيراً من العلاقات الأثيمة وحرم البغاء والزنا ، فحفظ الانساب ورفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحياة تقوم بشئون البيت وتربية الأولاد ، ويقوم هو بالسعي في الأرض في سبيل الرزق وكسب العيش له ولزوجه وأولاده ، وأباح للأرامل المتوفى عنهن أزواجهن الزواج بعد أن كان ولي المتوفى يعضلن عن الزواج ، وجعل للمرأة استقلالها المالي وجعل لها حظاً كبيراً من الميراث ، وفرض نفقتها هي وأولادها على الزوج ، وحتم عليها حسن التعهد للابناء والقيام بتربيتهم

وتهذيبهم والسهر على تعليمهم حتى يبلغوا مبلغ الشباب إلى سوى ذلك من مظاهر تشريع الاسلام للأسرة .

٣ - ودعا الاسلام إلى أن يكون الناس والمجتمع إخوة متعا بين متعاونين في الحياة ، وسوى بين الناس في الحقوق والواجبات ؛ وهدم ما كانوا عليه من نظام الجماعة الفاسد ، وحرم دعوة العصبية الجامحة واستبدل بها دعوة الدين ؛ والطاعة للحاكم واحد يلزم شريعة الله ، وشرع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التي تزيد في وحدة المجتمع كالزكاة والاحسان وصلاة الجماعة ، والحج ، وألقى عبء حفظ النظام والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الأكبر .

وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم وحررياتهم ، وأباح الطيبات من الرزق ومن سهل المعيشة الشريفة ؛ التي تتفق وروح الاسلام . وحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة والخرافات الكاذبة ، وأزال الفوارق الاجتماعية بين الناس والشعوب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالقوى .

أثره في الحياة العقلية للأمة العربية

١ - أول شيء للاسلام الكريم في هذا الميدان، أنه حارب الأديان الفاسدة والعقائد الضارة ، ووجه الناس كافة إلى الله وحده لا شريك له ، ورفع من كرامة الانسان وشخصيته في الحياة ، وحارب التقليد ، ودعا إلى استقلال الانسان بالتفكير ، ونبه من شأن العقل وحكمه في كل شيء ، وبذلك حارب الاسلام الجود والخنول والهرمان وبعث العقل البشرى قرياً فتياً يبحث في أسرار الوجود والحياة .

٢ - وحارب الاسلام الأوهام الفاسدة التي تصنف من شأن العقل وتدعوه إلى السكسل والخوف وتبعث فيه روح الإيمان الأعشى والتسليم المطاق ، وساب الناس ما كانوا يزعمون من القدرة على تسخير ما في الوجود من غيب ، وجعل كل ذلك مرده إلى الله يعلم الغيب وما هو أخفى ، فزال عن العقل ظلمات كثيفة كانت تحول بينه وبين الفهم والإدراك .

٣ - ودعا إلى العلم الصحيح والتفكير المستقل ؛ وبعث في الناس حب المعرفة والثقافة ، وفرض على العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه إلى غير ذلك من مقومات الحياة الصحيحة .

٤ - وبتشجيع الاسلام للمعرفة نشأت العلوم الاسلامية والفكرية وعكف العلماء على البحث والتنقيب مما كان أساس المدنية الاسلامية الباهرة الى غير ذلك من مظاهر الرقي العقلي والفكري البعيد

أثره في حياة العرب السياسية

وأثر الاسلام في حياة العرب السياسية واضح لا يحتاج الى بيان أو برهان

١ - فقد صار العرب يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله وخلفاؤه من بعده فتجمعت الأهواء المنفرقة ، وتآلفت القلوب المتنافرة ، وتوحدت الأنظار المتباينة في جزيرة العرب ، وأصبحت لهم وحدة سياسية واجتماعية كاملة فوق وحدتهم في الدم والعنصر واللسان والدين

٢ - وفتح المسلمون كثيرا من البلاد والشعوب وسكوها فتدبر المسلمون على فنون الحكم وصار منهم الولاة والأمراء والقضاة والقواد ورجال الشرطة ، وقد سجل الكثير منهم مجدا يفخر به الدهر وترويه الأيام ، وأحسنوا معاملة أهل الأديان الأخرى والشعوب المحكومة ؛ شعارهم الحق والعدل والإخاء والمساواة بين بنى الانسان كافة

٣ - وكسب الاسلام للعرب وحدتهم السياسية الكاملة فاستقامت بلاد العرب استقلالاً كاملاً ، بعد أن كانت البحرين والخيبر تخضع لنفوذ الفرس ، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس ، وعرب غسان لنفوذ الروم

الإسلام

وأثره في الحياة الأدبية

وقد أثر الإسلام في الحياة الأدبية تأثيرا كبيرا سواء في ألفاظ اللغة أم في أسلوبها أم في فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وخطابة وكتابة أم في أغراض كل فن منها ؛ مما سنبحثه باستقصاء في الفصول الآتية :

ولقد جاء الإسلام والبلاغة العربية كثيرة متعددة النواحي رائعة التأثير دقيقة الأداء والتصوير ؛ يجرى الشعر على ألسنة العرب شعورا وطبعًا وملحمة ، وتحفل نواديبهم الأدبية بالبليغ المأثور من جيد النثر خطابة ومحاوره ووصايا ونصائح وسواها ؛ والعرب يهزمهم البيان ، ويمسكهم بلاغة القول ، ولا يرون العبقريّة إلا في شعر يروى أو كلام بليغ يؤثر .

ومع ذلك فقد غير الإسلام من مجرى الحياة الأدبية تغييرا كبيرا واسعا . وليس يرجع ذلك إلى ما اقتبسهم المسلمون من البلاد المفتوحة من ثقافة وعلم وأدب وفن ؛ ولا إلى آثار مدنية وحضارة ، لأن العرب كانوا ما يزالون يؤثرون البداوة والحشونة ، ولم يسكنوا قد فرغوا بعد من قراع أعداء الدعوة ونضال خصوم الإسلام ؛ وإنما يرجع ذلك كله إلى المصدر الأول لثقافة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والأدبية ، وهو القرآن الكريم والكتاب المعجز ؛ الذي أحال خشونة الطباع عن ذنوبه وسلاسة وقوة ، وبذل حوشية الألسنة سهولة ووضوحا وبلاغة ، وأورث العرب وضوحا في التفكير ودقة في التعبير والتصوير وروعة في الحجة ورقة في الأسلوب .

مما سيأتى تفصيله ، وإنما نكتفي الآن بشرح أثر الإسلام في اللغة العربية .

الاسلام

وأثره في اللغة العربية

وحدة اللغة وذبوعها :

أثر الاسلام في اللغة جد خطير ؛ لا يمكن تفصيل القول فيه تفصيلا ، وإنما نكتفي بهذا الأجمال :

١ - جاء الاسلام والعرب لهجات مختلفة ، ولهجة قريش لها المنزلة الأولى بين هذه اللهجات بتأثير الاسواق ومواسم الحج ولنفوذ قريش الروحي والاقتصادي بين العرب وما كانوا عليه من ثقافة وخبرة وتجربة ، ونزل القرآن الكريم بلغة قريش فأيدت هذه اللغة وأصبح لها السيادة والغلبة ، وكان من قريش ومن السلالات المضربة أبناء عمومتهم رجالات الدعوة وزعماء الدولة وأمروها وقوادها وقضاتها وحكامها وعمالها ، فكان لذلك أثر كبير في انتحال العرب لغة قريش بعد قليل ، أما ماتو ورث من لغة حمير ، فلم يكن متميزا عن اللغة القرشية كثيرا سواء في التصريف أم الاعراب أم الاسلوب ، بل كان أكثره ظاهرا في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة فالكتع في اللغة الحميرية هو الذئب في لغة قريش وأنطى في لهجة حمير بمعنى أعطى عند قريش والشناتر في كلام الحميرين هي الاصابع في لسان قريش وسامدون لغة حميرية وهي في لهجة قريش الغناء ؛ وهكذا (١) الى غير ذلك مما له نظير في لهجات المضربين أنفسهم كالمسدة فهي الظلة عند تميم والضوء عند قيس :

ولغلة الخلاف بين الحميرية والقرشية فقد اندمجت لغة حمير كأخواتها في لغة قريش التي أصبحت لها السيادة والغلبة على جميع اللغات واللهجات

(١) فالأرائك لغة حمير ، وكذلك : المعاذير ، والوزر ، والخور ، واللهر

(وهو عندهم المرأة) ، الى غير ذلك مما تجد بعضه في الإتيان [ص ٢٢٨ وما بعدها

ج ١ ط ١٩٤١]

٢ - وهذه الفتوحات الاسلامية الباهرة أدت إلى انتشار العرب في شتى البلاد المفتوحة وإلى ذبوع اللغة العربية في أكثر هذه الأقطار ، وصارت هي اللغة الرسمية فيها ، وأصبح يلجج بها بعد قليل سكان سوريا ومصر وفلسطين وأفريقيا الشمالية وصارت لغة الدين والسياسة والثقافة في هذه البلاد وسواها

أغراض اللغة

وزادت أغراض اللغة بتأثير الدين الجديد وما نشأ عنه من نظام ومدنية وعمران وثقافة :

فقد استعملت في شرح العقيدة الاسلامية والدعوة إليها وحجاج خصومها وتبيين مراميها واستنباط أحكامها كما استعملت في حفظ نظام الملك ونشر الأمن والعدل بين الناس وفيما استدعته حياة الحضرة الجديدة وشئون الثقافة والمعرفة

وفي إرشاد الناس إلى أحكام دينهم ، وتذكيرهم بأوامره ونواهيه إلى ما سوى ذلك من شتى الأغراض الجديدة التي تناولتها اللغة في هذا العصر زيادة عما كانت عليه في عصر ما قبل الاسلام . وبعد أن كانت اللغة في الجاهلية تعبر عن عقول محدودة صارت تنطق عن عقول استضاءت بهدى القرآن وتأدبت بأدب الاسلام

معانيها وأسلوبها

وظهر في معاني اللغة الدقة والتفكير والفهم والعمق بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين ومن خبرة وتجربة وإدراك صحيح للحياة ؛ كما اتسعت مادة المعاني بالتساع المشاهدات والمنساطر والمعقولات والمعنويات ؛ وتعددت صور الخيال في روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد صور المشاهدات التي انتزع منها ، والتي كانت مادة له

أما أسلوب اللغة فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة في جزالة ، وأخذت بأطرافه القوة والجمال والوضوح وبروعة التأثير وقوة الحججة وتأجيج العاطفة والتهاب الشعور

ودقة الاحساس الادبي ، وذلك لتأثرهم بالقرآن وبلاغته ، مما رقق من نفوسهم القاسية فسلست طباعهم وأسننهم ولمسكاتهم فلم تقبل إلا السمع المذهب من الاساليب .

وبتأثير الاسلام بطل سجع الكهان وأضرابهم من يستنبثون الحصى ويزجرون الطير ، وبطل الفجر في الاسلوب فصار عفاكر ، سما ينطق عن عاطفة دينية قوية ويصور حياة روحية واسعة ، ويتم عن تأدب بأدب الاسلام وتأثر ببلاغة القرآن ولقد غلب عليهم الأيجاز بادی ذی بدء لعدم فراغهم من أعباء الدعوة والملك والفتوحات

ألفاظ الغمسة

وبتأثير الاسلام وبلاغة كتابه الحكيم جانب المتكلمون حوشية الألفاظ والغريب من المفردات ولم يستعملوا منها إلا ما وام الذوق وقبلة الطبع فلم نعد نرى مثل مستشزر وسجنجل ومسرهد وماشيهما ، إنما تجدنا لألفاظ العذبة الرشيدة اللطيفة التي تتم عن استحكام الطبع وقوة الذوق وغلبته وكذلك دخلت بعض الألفاظ الأعجمية في اللغة العربية وفي القرآن الكريم الكثير منها (١)

وهناك ألفاظ أخرى حور الاسلام في معانيها ، فأخرجها من معناها إلى معنى جديد يذنه وبين الارل مناسبة كالصلاة والاسلام والصيام والزكاة والمؤمن

(١) وقد عقد السيوط في كتاب الاتقان فصلا عما وقع في القرآن الكريم من ألفاظ أعجمية [٢٢١ وما بعدها ج ١ الاتقان] ومن ذلك . الابريق ، والديباج والدينار عن الفارسية ، والريون والاسفار عن البسريانية وهواه ، عن الحبشية وكذلك الطاغوت وددري ، وهوالحواريون ، عن النبطية ، والرقيم وفردوس والقسط عن الرومية إلى ماسوى ذلك من هذه الالفاظ .

والكافر والفاسق والمنافق وسوى ذلك ، مما لا يبعد عنك معانيها في اللغة ونقلها
الاسلام إلى معان جديدة .

وبعض الألفاظ منيع الاسلام استعمال مدلولاتها أو أعااض عنها غيرها فئات
فن الأول مثلا :

المرباع والنشيطه والفضول (١) : ومن الثاني : ثم صباحا وعم مساء
و أدبت اللعن ، الخ .

وقد أحدث الاسلام بعض الألفاظ الجديدة التي سميت دألفاظا اسلامية ،
ومنها : المصحف وقد أطلق على القرآن الكريم وأول من استعمل هذه اللفظة كما
يقولون هو أبو بكر الصديق بعد أن جمعت آيات الذكر الكريم وسوره في
الأوراق على عهدہ ؛ ومنها لفظ الجاهلية ، وقد ورد في القرآن الكريم وأحدثه
الاسلام للفترة التي كانت قبل بعثه محمد صلوات الله عليه .

(١) قال عبد الله بن عتبة يخاطب بسطام بن قيس :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
المرباع : ما كان يأخذ الرئيس من ربيع الغنيمه ، والفضول ما كان يأخذه
بما فضل من القسمة ولا يكن قسمته على الغزاة . والصفايا : ما كان يصطفيه
لنفسه من الغنيمه . والنشيطه : ما كانوا يغمونه عفرا في طريقهم إلى الغارة

القرآن الكريم

تمهيد

القرآن كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد.

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الأولى
والآخرة ، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة ، وقضت على هذه الاوهام الباطلة
والأساطير الكاذبة والعبادات الضلالة والأديان المنحرفة ؛ وأحالت الظلام ضياء
والشقاء سعادة واليأس أملا والفضلال هدى والهمجية مدنية والجهل علما ومعرفة
وفسا وأدبا وثقافة نبهت من معينها الزاخر كل من رغب فى الخير وطمع إلى
السلام والنور ؛ ونقلت الانسانية من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادئ
الطغيان والعبودية وسفك الدماء ونهب الأموال والأعراض إلى حياة فيها رضى
وأمن ، وطمأنينة وسلام ، وحرية وعدل وإخاء ، ومعرفة وعمران وحضارة ،
وحُدود محدودة وضعت لسعادة الناس والجماعات والشعوب والانسانية قاطبة

قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على سيد الخلق
وأكرم الرسل وأشرف من فى الوجود محمد صلوات الله عليه ، فبلغه الناس ،
وبشر بدعوته العرب والبشر كافة ، وأذاع مبادئه فى كل مكان ، لحملت إلى العالم
السلام والعدل والحرية ، وفتحت صفحة جديدة فى تاريخ الانسانية ، وأنقذت
الناس من ضلال الجاهلية الأولى فنبارك الله رب العالمين .

د ألقاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة
الآخرة . ومعان ينهاى عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم
الجنان ، إذا هى بعد ذلك لإطباق السحاب . توهموا السحر ماتوهموه فلما أنزل الله
كتاباه قالوا هو السحر المبين (١) ، . وتصوروا الشعر ماتصوروه فلما سمعوا آياته

البليث ، وبلاغته المتدفقة ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة ، ومافيه من روعة التصوير ودقة التعبير وشدة التأثير ؛ قالوا ، إى والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، كلا والقبر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لأحدى الكبر ، وما هو بقول بشر ، إن هو إلا وحى يوحى ؛ ومعجزة تتحدى ، وبلاغة تتلى وتروى ، أشرقت بنوره السماء والارض وأهتدت بهديه الملائكة والبشر أجمعون

نزول القرآن

وبينما كان الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يتهد في غار حراء من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان السنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم وسنة أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م^(١) ، إذ نزل عليه جبريل بالرسالة الالهية العظمى التى اصطفاها الله من بين الخلق لأدائها للبشر كافة هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور قال جبريل : يا محمد اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم^(٢)

(١) سار على ذلك كثير من الباحثين ومنهم المرحوم الخضرى بك فى الجزء الأول من تاريخ الأمم الإسلامية وإن كان الرافعى يقول أن ابتداء الوحي كان بمكة عام ٦١١ م [٣٤] [عجاز القرآن]

(٢) يروى السيوطى آراء أخرى لبعض العلماء ، فبعض يزعم أن د ن ، كانت أيضا أول ما نزل من القرآن ، وآخرون يقولون المدثر ، ، وآخرون يقولون إنها القائمة الخ [راجع ٢٩ وما بعدها ج ١ من الاتقان ط ١٩٤١]

وأول سورة أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم مكة هي « والنجم إذا هوى »
 وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هي « ويل للمطففين »
 استمر نزول القرآن بعد البعثة في مكة قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه ،
 ثم بعد الهجرة والرسول الأكرم بالمدينة حتى توفي إلى رحمة الله عام ١١هـ - ٦٣٢م
 كان القرآن الكريم ينزل منجما مفرقا وفق الوقائع ومسايرة للجواريح
 وتدرجا في التكليف وتنقلا بالتشريع حسب الطباع ومدى استعداد النفوس ؛
 وكانت آخر آية نزلت من القرآن الحكيم قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم
 وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) حيث نزلت في حجة الوداع
 ونزل قبلها بقليل سورة براءة .

وتم نزول القرآن الكريم قبل وفاة الرسول صلوات الله عليه في ثلاثة وعشرين
 عاما ما بين بعثته إلى وفاته ، كان في ثلاث عشرة سنة منها يقيم بمكة ، وطنه الذي
 ولد وربى ونشأ فيه ، وفي عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة بعد هجرته صلى الله
 عليه وسلم من مكة حيث نشر الدعوة وحماها وأيدها

وبمجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة ، منها الطويل والقصير ،
 ومنها ما نزل في الموعظة والهداية وما نزل في التوحيد ومحاربة الشرك والأهواء ،
 وما نزل في التشريع ونظم العبادات والمعاملات وقوانين الأسرة والجماعة
 والحكومة الإسلامية ، وما نزل في أمور الآخرة والغيب وشرح تطور الإنسانية
 وقصص الأمم الماضية وبغيتها ومصيرها المحتوم ، أو نزل في شرح أسرار الوجود

(١) وفي الاتفاق خلاف كثير حول آخر ما نزل من القرآن ، فقليل آخر
 آية نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » وآخر سورة نزلت « سورة
 براءة » ، وقليل آخر آية نزلت آية الربا ؛ وقليل « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ،
 وكان بين نزولها وبين موت الرسول أحد وثمانون يوما وقليل تسع ليال ، وقليل
 آخر براءة الخ [١/٤٤ ، الاتفاق وما بعدها]

ومظاهر الغيب وأمور الآخرة ؛ وقد تشتمل السور على كثير من هذه الأغراض الموحدة

والسور قسمان : مكى ومدنى

فالمكى منها على أرجح الآراء هو ما نزل قبل الهجرة ؛ والمدنى ما نزل بعدها^(١) والسور المدنية اثنتان وعشرون سورة تبلغ نحو ثلث القرآن الكريم وهى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتائبين والطلاق والتحريم والعصر وما عدا هذه السور وهى اثنتان وتسعون سورة فهو مكى

موضوعات السور المسكية والمدنية

أما السور المسكية فأظهر موضوعاتها هى :

- ١ - الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان
- ٢ - تأييد رسالة محمد صلوات الله عليه وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة ألا وهى القرآن الكريم
- ٣ - إثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر والرد على من ينكر ذلك فى إفاضة وقوة حجة وتأثير
- ٤ - قص قصص الأمم القديمة وعنادها وحججها مع الرسل والأنبياء وإصرارها على الضلال وما حل بها من المثلثات تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون
- ٥ - محاربة التقليد ودعوة العقل البشرى إلى الاستقلال بالتفكير واتباع الحق من العقائد والطاعات ونبد الأوهام والأساطير والخرافات والتفكير فى نواميس الله فى الكون

(١) راجع ١/١٣ الاتقان للسيوطى ، وقيل المسكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدنى ما نزل بالمدينة ، وقيل المسكى ما كان خطابا لأهل مكة والمدنى ما كان خطابا لأهل المدينة [١٢ و ١/١٤ الاتقان] . هذا وتسمى السورة مكية إذا كان أغلبها مكيا وتسمى مدنية إذا كان أكثرها مدنيا

وأما أهم موضوعات السور المدنية فهي مايلي :

١ - تشريع النظم والقوانين للفرد والأسرة والجماعة والأمة لتسير الانسانية الى حياة كريمة مهذبة تليق بكرامة الانسان خليفة الله في الارض ، الى الفضيلة والخير والعدل والحق والامن والسلم والبهمان والحضارة

٢ - الدعوة الى الفضائل ومحاربة الرذائل بكل سلاح وكل وسيلة

٣ - تقرير وحدة الانسانية والاخوة البشرية العامة وتعزيز الصلات الاجتماعية بين الانسان والانسان ، وإلغاء الفروق بين الطبقات والجماعات والشعوب ، ورفع كرامة الانسان الادبية في الحياة ، وتعزيز شخصية الانسان وإيضاح رسالته ورسم الاهداف الكريمة التي يجب أن يسير إليها ويعمل لها في الحياة

٤ - وضع شرائع الحرب والسلام التي تسير مع الانسانية العالية وتوافق مصالح البشر في الحياة الدنيا على اختلاف الزمان والمكان

وعلى العموم فالسور المدنية احتوت على أكثر التشريع الاسلامي وأودعت أعظم الآداب الاجتماعية والسياسية التي تؤلف القلوب وتحوط الملك وتصور الشعوب (١).

وقصارى الكلام أن القرآن كتاب هداية ونور ودين ودنيا وخير عام وهو دستور الانسانية المهذبة ووثيقة الحرية والمساواة والأخاء التي نالها الانسان على طول الأيام والاحقاب

أسلوب القرآن

وأسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والروعة وجلالة الروح وإشراق البيان وجمال الديباجة وقوة المنطق وعبقورية التصوير والتعبير

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعذوبة وحرارة الايمان وتدفق البلاغة ؛ فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين

(١) ١٧ الأدب العربي في صدر الاسلام اعبد الله عفيفي بك

لزل الذكر الحكيم في أسلوب لا يضارعه أسلوب فلا هو شعر ولا هو سجع ولا هو مزاجية ولا هو أثر مرسل ولا خطابة ، إنما هو نظم رائع وألفاظ عذبة ومعان سامية حصيفة ، وجلال وروعة ؛ جمع بلاغة جميع أساليب البيان . وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الإعجاز

تحدى الله به العرب فجزوا فتحداهم بسورة منه فجزوا ، فتحداهم بأقصر سورة ثم بعدة آيات فجزوا ؛ ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا لمخاشعين ؛ وما لئان عمر حين سمع دله ، وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله : « والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر »^(١) ، حين سمع « فصلت » ، وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى ، ما كل ذلك إلا دليل الإعجاز وعظمة البيان وجلال الأسلوب

ويقول أبو بكر الباقلاني المتوفى عام ٤٠٥ هـ في كتابه « إعجاز القرآن » ، في فصاحة الذكر الحكيم :

إن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المألوف من نظام كلام العرب ومباين للألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المتباد . وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة ، على هذا الطول وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكميمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعطل والتكلف ، والتجوز والتعسف . وقد جاء القرآن ، على كثرته وطوله ، متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تفشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » . « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ذلك إلى أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه ، لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها من ذكر قصص ومواعظ ، واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ؛ ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلح والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور ؛ فن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ ؛ دون التأبين ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل ؛ أو وصف الحرب ؛ أو وصف الروض ؛ أو وصف الخمر ، أو الغزل ؛ أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام . ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ؛ وزهير إذا رغب ؛ وهم لا خلاف في تقدمهم في صناعة الشعر ؛ ولا شك في تبريرهم في مذهب النظم .

ومنى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتى بالغاية في البراعة في معنى ، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه ، وبأن الاختلاف في شعره ، ثم نجد في الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ؛ ومنهم من يوجد بضد ذلك . وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف

وهناك شيء آخر وهو ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل الشريعة والأحكام والاحتياجات في أصل الدين ، والرد على الملحد ، بهذه الأساليب البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة ؛ مما يعذر على البشر ، وقد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل

وأقرب من تخير الالفاظ للامان مبشكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، وبراعة
اللفظ في المعنى البارع أعجب من براعته في المعنى المتداول المتكرر .

وللقرآن مزية أخرى غير ما تقدم ، وهى أنه من المقرر المعروف أن الكلام
يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف
ما بين شعر ، فتأخذ الالفاظ ، وتنشوف إليه النفوس ، ويرى وجه رونقه بإدبا
غامرا سائر ما يقرب به ، كالدرة التى ترى فى سلك من خرز ، وكالباقة وسط
العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يمثّل بها فى تضاعيف كلام كشيء فاذا هى
غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصّصه برونقه وجماله
وبعد فانك تجد فى كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك فى
منظر بهيج ومعرض رشيق ، ونظم أنيق غير متعاص على الالفاظ ، ولا ملو على
الافهام . ولا مستبكره فى اللفظ ؛ يمر كما يمر السهم ، ويضى كما يضى الفجر ؛
ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ؛ جموح على الطارق المنتاب ؛ كالروح
فى البدن ، والنور المسبّط فى الأفق ؛ والغيث الشامل ؛ والضياء الباهر . ولا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

جميع القرآن

١ - كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن - ابتداء أو بأمر الرسول
صلوات الله عليه - على ما يتفق لهم من العصب والالواح والرقاع واللخاف (١)
وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وكل ما صلح للكتابة
كان كل يكتب ما تيسر له كتابته ، وكان منهم بعض قليل كتبوا القرآن كله
والإجماع على : على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وزيد بن

(١) العصب : جمع عسيب وهو جريد النخل وكانوا يكتبون الخوص عنه
ويكتبون فى الطرف العريض . واللخاف جمع لحفة بفتح فسكون وهى
صفائح الحجارة .

ثابت (١) ؛ وقبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عرض زيد القرآن عرضة على رسول الله صلوات الله عليه ، ففي عهده صلوات الله عليه كان القرآن مرتب السور والآيات ولكنه غير مجموع في كتاب واحد وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة في عهده عليه الصلاة والسلام وتوفي الرسول صلى الله عليه والقرآن محفوظ في صدر الصحابة وفي الرقاع التي كانوا يكتبون آياته وسوره فيها .

٢ - وتقلد أبو بكر خلافة المسلمين ونهض بعبء الدعوة النبوية وأخذ يحارب أهل الردة في معارك كثيرة كان منها غزوة أهل اليمامة التي مات فيها كثير من الصحابة والقراء رضوان الله عليهم ، يقال إن عدد من قتل فيها سبعون قارئاً من الصحابة ، وخيف أن يسكثر موتهم في الغزوات والحروب .

ففزع أبو بكر وعمر عليهما رحمة الله من ذلك ، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والعصب والاكتاف ، ويروى أنه دخل على أبي بكر فقال له : يا خليفة رسول الله إن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهاقنون تهافت الفراش في النار ولما أخشى أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته (٢)

ف فكر أبو بكر في الأمر واستشار فيه الصحابة وكان يفزع من أن يضع شيئاً لم يأمر به الرسول الأعظم صلوات الله عليه ؛ ولذلك قال أبو بكر لعمر : أفعلم ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن يزيد يستشير في الأمر فذكره ذلك فقال عمر

(١) يروى أن زيد بن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى والرومية من حاجب النبي والحبشية من خادم النبي والقطبية من خادمه أيضاً [ص ٦٢٣٠٠ المقد] وكان كتاب الوحي حول رسول الله نحو الأربعين منهم جلة الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) راجع في ذلك الاتقان ١/٩٨ وما بعدها .

لهما : وما عليكما لو فعلتما ذلك حتى ألهمهما الله به فأمر أبو بكر زيد بن ثابت
بجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال ونسخه في قطع الأديم والاكتاف
والعصب وسمى أبو بكر هذه الألواح المكتوبة التي جمع فيها جميع القرآن
الكريم مصحفا وحفظت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر
طول حياته ثم حفصة بنت عمر صدرا من ولاية عثمان .

وهذا الجمع الأول ؛ وقد حدث في عهد أبي بكر علي بن زيد بن ثابت (١)
وبإشراف الخليفة وعمر وكبار الصحابة وكان الغرض منه جمع نص القرآن
الكريم في مجموعة واحدة حتى لا يضيع شيء منه بموت الصحابة والقراء في
الغزوات والحروب .

وفي عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء في الأمصار فكان ابن مسعود في
الكوفة وأبو موسى الأشعري في البصرة والمقداد بن الأسود في دمشق وأخذ
عنهم أهل تلك البلاد وجوه القراء والترتيل ؛ مما أدى إلى تعدد القراءات
واختلاف المسلمين في قراءة القرآن اختلافا كثيرا حتى كان الواحد منهم يقول
للآخر ؛ قرأتني خير من قرأتك والآخر يقول ؛ بل قرأتني ؛ واستمر الأمر
على ذلك إلى أن شهد حذيفة بن اليمان وهو صحابي جليل غزوة أذينة
وغزوة إرمينية وشاهد هذا الاختلاف الكثير فلما عاد أئذ عثمان بعاقبة
هذا الاختلاف الويل وحذره من سوء المصير إذا استمر هذا الاختلاف ؛

فأرسل عثمان إلى حفصة يستأذنها في أخذ الصحف التي جمع فيها أبو بكر
القرآن فأذنت له ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام وسعيد بن العاص بأن ينسخوها في المصاحف ، وأمرهم بأن يرجعوا فيها
اختلفوا فيه إلى زيد بن ثابت ، وما اختلفوا فيه جميعا أن يكتبوه بلسان قريش
فإن القرآن نزل بلسانهم ؛ فكتبوا مصحفا عرضوه على صحف حفصة فلم يختلف
في شيء فرد عثمان صحف حفصة إليها ، وفرح بما عمل فرحا شديدا ، وأمر الناس

(١) وكان يعاونه بعض كتاب الوحي وفيهم سالم مولى أبي حذيفة كما يروي

أن يكتبوا مصاحف ثم لما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمرو فأخذ منه
المصحف فغسلت غسلًا

وكانت عدد المصاحف التي كتبها عثمان خمسة وقيل ستة وقيل سبعة ، وبعث
عثمان إلى كل قطر مصحفًا ، فأرسل منها إلى السكوفة والبصرة ومكة والشام واليمن
والبحرين وأبقي واحدا بالمدينة وهو مصحفه الذي سمي « الإمام » ،

ويسمى عمل عثمان ذلك « جمعًا ثانيًا » ، للقرآن ، وقد قام به أربعة من جملة
حفظة الذكر الحكيم وكتابه ، وكان الغرض من هذا الجمع القضاء على اختلاف
المسلمين في قراءات القرآن ولهجاته حتى لا يتطرق إلى المصحف تصحيف أو تغيير
وصدق الله العظيم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » ،

فجمع أبي بكر لما كان كما يقول السيوطي في الاتفاق : « خشية أن يذهب
من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجعله في صحائف
مرتبة آيات سوره على ما وقفهم عليه رسول الله وجمع عثمان لما كثر
الاختلاف في وجوه القراءات حين قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك
إلى تخطئه بعض فخشى من تقاوم الأمر في ذلك فنسخ تلك المصحف في مصحف
واحد مرتباً سوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قریش محتجاً بأنه نزل
بلغتهم » (١) ، والله أعلم .

(١) والخلاصة أن القرآن :

- ١ — كان سوره مرتبة الآيات في عهد رسول الله صلى الله عليه
- ٢ — أما ترتيب سوره فلم يكن في عهد رسول الله بدليل أن مصحف
عثمان يخالف الترتيب المعروف اليوم لسور القرآن ، وما الخلاف بين مصحف
ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف عثمان إلا خلاف في ترتيب
سور القرآن
- ٣ — كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر عام ١١ هـ ، وكان الجمع الثاني
في عهد عثمان عام ٢٥ هـ .
- ٤ — كان تقسيم المصحف ثلاثين جزءاً زمن الحجاج

رواية القرآن أو قراءاته .

١ — عن النجاشي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » (١) .

المراد من الأحرف السبعة المذكورة غير القراءات السبع .

٢ — والمراد من الأحرف السبعة ورود بعض آياته على وجوه كثيرة :

ففي القاموس : « نزل القرآن على سبعة أحرف : سبعة لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر » وفي اللسان « أراد بالحرف اللغة » وهذه اللغات متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة هوازن أو هذيل ، والأرجح أن الأحرف في اللغات والقراءات هي اللهجات وقد سمي من اللغات ست وبقيت لغة قريش وهو الحرف الذي اختلفت القراءة فيه .

ومثال ذلك الاختلاف مارواه الفناري في حواشيه على « المواقف » عن

الامام ابن قتيبة الهمداني :

١ — ما يتغير فيه المعنى بسبب الزيادة : « وأنذر عشيرتلك الأقربين » ورهطك منهم المخلصين ، فهذه الجملة الأخيرة لم توجد في القراءات المذكورة ، ولكنها نقلت في حديث ابن عباس ، ولا يخفى أن لها معنى زائدا على قوله تعالى : « وأنذر عشيرتلك الأقربين » .

ومثال ما لا يتغير فيه المعنى قوله تعالى : « وما عملته أيديهم » وفي قراءة « وما عملت أيديهم » والمعنى واحد فيهما ، لأن حذف الضمير العائد إلى الموصوف جائز ، فهو كأنه مذكور . فهذان وجهان من الأوجه السبعة : ما لا يتغير فيه المعنى وما يتغير بسبب زيادة أو نقص .

(١) وورد أيضا « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف »

٢ . وقد يكون تغير المعنى بسبب تغير نفس الكلمة بدون زيادة عليها أو نقص ، وتحت هذا ثلاث صور :

أ - إحداها : أن تتغير الكلمتان بتغير الشكل مع بقاء مادة الكلمة على حالها مثل « الذين يبخلون ويأمررون الناس بالبخل » و « البخل » بفتح الباء والخاء في الكلمة الثانية ، فإن أحرف البخل والبخل واحد ، ومعناها واحد ، ولم يتغير سوى الشكل .

ب - ثانيها : أن تتغير الكلمتان بتغير مادتهما مع اتحاد معنهما كما « لصوف المنفوش » في موضع « العن المنفوش » فإن لفظهما مختلف ومعناها واحد . وقد قرأ كالصوف المنفوش ابن مسعود وسعيد بن جبير . ومن ذلك ما إذا تغيرت الكلمتان بتغير حرف واحد منهما « كقوله تعالى : « ثم ننشرها لحما » في قراءة . وفي أخرى « ثم ننشرها » بالزاي . وكذلك قوله : « حتى حين » وفي قراءة « عى حين » في لغة هذيل .

ج - ثالثها : أن تتغير الكلمتان في الشكل والمعنى مع اتحاد مادتهما ، كقوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بضم الهمة ، بمعنى أكتنمها ، وأخفيها بفتح الهزة بمعنى أظهرها . ومن ذلك تغير الفعل من أمر إلى ماض مع اختلاف المعنى ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » و « بعد بين أسفارنا » في قراءة ، فالاول فعل أمر ، والثاني فعل ماضى ، ومعناه على الاول ظاهر . فقد كان بينهم وبين الشام قرى ظاهرة منفاربة فطلبوا بعدها لتكون تجارتهم عزيزة غالية الثمن . أما قراءة بعد ففيها إخبار منهم بغير الواقع جحوداً لنعمة الله . فهذه ثلاثة أوجه تضم إلى الوجهتين السابقتين ، فيكون المجموع خمسة ، وبقي وجهان آخران :

٣ - وذلك بأن يكون التغير راجعاً إلى أمر عارض للفظ ، وتحت هذا صورتان :

أ - الصورة الاولى . أن يكون بسبب التقديم والتأخير ، كقوله تعالى . « وجاءت سكرة الحق بالموت ، بدل « وجاءت سكرة الموت بالحق » .

ثانيتهما . أن يكون بسبب الاعراب ، كقوله تعالى : « إن ترن أنا أقل منك ،
وفي رواية « أنا أقل » بالضم ، وقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، وفي
قراءة « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، بفتح الراء وضمها .
فبان أن التغير إما أن يكون راجعا الى زيادة كلمة أو نقص كلمة ، وإما
أن يكون راجعا الى نفس الكلمة في الشكل ، أو في إبدالها بمرادفها ، أو إبدال
فعل ماض بمضارع ؛ وإما أن يكون راجعا الى وصف الكلمة من تقديم
وتأخير وإعراب .

وسبب نزول القرآن على هذه الأوجه السبعة : أن العربي مجبول على لغته ،
فلو كلف بالقراءة على وجه واحد فانه يعسر عليه التحول ، وقد جاء النبي صلى الله
عليه وسلم للناس بشريعة سمحة ليس فيها على الناس من حرج ، قال تعالى : « وما جعل
عليكم في الدين من حرج » ، فلو نزل القرآن على حرف واحد لعسر على باقي
القبائل التحول عن لغتهم الى القراءة به . وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ
على هذه الأوجه ، بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قریش وهو معظمه ، وبعضه
بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، وبعضه بلغة اليمن الخ . فمن سمحاجة الدين أن
يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العرب في أول أمرهم ، فأنزله على الأوجه التي
ينطقون بها ، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعلمه في طباعهم من الخيبة والتعصب
للغاتهم . فلو كلفهم من أول الأمر النطق بلغة غير لغتهم لنفروا من تلاوة القرآن
وشق عليهم حفظه ، وذلك كان شأن التشريع الاسلامي في جميع أطواره ، فانه مبني
على مصالح الناس الصحيحة التي يترتب عليها سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ودفع
المضار التي تؤذيهم أديبا وماديا .

ومما ينبغي الالتفات اليه في هذا المقام أن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى
على هذه الأوجه التي ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه
الحكيم ، أو يقص شيء من بلاغته وفصاحته التي تحدى بها جميع معارضيه من
فحول البلاغة وأساطين البيان ، بل كان اختلافه في التعبير آية أخرى من آيات
إعجازه ، إذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين أن يحتجوا
(٣)

على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة المحتملة من أول الأمر . وأما ما روى عن عمر من أنه أنكر على ابن مسعود قراءته « حتى » : « حتى » ، بلغة هذيل وقال له : إن القرآن نزل بلغة قريش ، فقد اجابوا عنه بأن عمر قد راعى في ذلك نزوله في أول الأمر قبل أن يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه التخفيف عن الناس

وقد يكون عمر طاب من ابن مسعود أن يقرأ بلغة قريش ، لأن معظم القرآن قد نزل بلغة قريش ، وقد طال عهد الناس يومئذ بالاسلام ، فمن الحسن أن يهد عمر لحلمهم على قراءة القرآن بلغة واحدة ، ويمرنهم على ذلك ، دفعاً لما عساه أن يحدث من الاختلاف في كتاب الله تعالى . وأما قوله : فانه نزل بلغة قريش ؛ فانه يريد أن معظمه نزل بلغتهم . والحديث الذي معنا يدل على ذلك دلالة واضحة ، فإن القرآن نزل أولاً على وجه واحد ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه أن يزداد على ذلك الوجه ، ولم يزل يزداد له حتى انتهى الى هذه السبعة . وفي رواية مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن أمي لا تطيق ذلك . ومعنى هذا أنه لو نزل بلغة قريش خاصة لانصرف الآخرون عن تلاوته والنظر فيه . وهم حديثون عهد بالاسلام ، لم تذهب من صدورهم نزعة الجاهلية الأولى ، ولم يفارقهم التعصب الشديد للغتهم ؛ فعدا الله عنهم واستجاب لنبيه دعاءه في شأنهم . وأنزل عليه القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة .

وليس الغرض أن كل كلمة قد اجتمعت فيها اللغات السبع ، بل اللغات السبع مفرقة فيه كما ستعرفه . على أن معظمه نزل بلغة قريش كما ذكرنا آنفاً . ولا يرد أن لغات العرب أكثر من سبعة . لأن المراد أشهرها وأفصحها ،

أما علاقة هذه الأحرف السبعة بالقراءات السبع المعروفة . فهي أن القراءات السبع وغيرها بعض هذه الأحرف المذكورة في الحديث . بمعنى أن ما نقله أئمة القراء متواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعض الأحرف التي نزل بها القرآن . لما بيناه من أن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث تشمل لغة معظم القبائل العربية . فالقراءات السبع المتواترة وغيرها لا تخرج عن لغات

العرب الفصيحية - سبها ، ولذا كان من المتعذر نقل مفردات الأحرف السبعة المذكورة في الحديث كلها بطريق التواتر .
على أن عناية المسلمين الشديدة بكتاب الله تعالى . وحرصهم على تدوين كل ما يتعلق به ، حمل بعض جهابذة العلماء على جمع الروايات المختلفة ، سواء كانت متواترة أو غير متواترة ، في كتاب ضخم .

وبما لاختفاء فيه أن التواتر لم يتوقف عند القراءات السبع المعروفة ، بل قد تواتر غيرها أيضا . وقد وضع بعض المحققين ضابطا للقراءات المقبولة ، سواء كانت من السبع أو من غيرها وهو : « كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام ، فهو من القراءات المقبولة ، سواء كانت سبعة أو أكثر من ذلك . »

والحاصل : أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، وهي مختلفة في كثير من نواحي التكلم ، فاقترضت الحكمة أن ينزل القرآن على نبيه مشتملا على كل لغات العرب المشهورة ، كي لا تقوم لهم حجة على عجزهم عن محاكاة والإتيان بمثله ، وكان المسلمون يومئذ قد غلبت عليهم الأمية ، فكانوا يحرصون على حفظ كل ما ينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه ، فنقلوا إلينا ما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترا على الضبط المتواتر من القراءات .

وقد يقال : هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم كتبت في زمن النبي ؟ فنقول إن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والأحوال فلم يكن نزوله مرتبا على الحالة التي هو عليها الآن ومن البدهي أن ترتبه على هذه الحالة بأمر الله عز وجل كما يستعرفه ، فكانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر النبي كتبه الوحي الذين كانوا يعرفون الكتابة يومئذ فيكتبون ما يوحى إليه بنصه وشكله ، ويبلغه للناس فيحفظه القراء المشهورون بالحفظ كما أنزل بحسب لغاتهم المختلفة ، وهكذا ، حتى تم نزوله وترتيبه ، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كما هو على جبريل ، وبلغه للحفاظ مرتبا لحفظه على حالته التي تواتر بها إلينا .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباشر تحفيظ كبار الصحابة بنفسه زيادة على تعليم كسبة الوحي الذين كانوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والأمانة. ومن الذين علمهم الرسول مباشرة عبد الله بن مسعود ، فقد روى عنه البخارى أنه قال : « والله لقد أخذت من فى رسول الله بضعا وسبعين سورة » . وفى رواية لابن أبى داود أن ابن مسعود قال : « أخذت من فى رسول الله سبعين سورة » ، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان » . فهذا صريح فى أن ابن مسعود تلقى هذه السور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبيد الله بن عمر : كانت تنزل السورة فنحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم حلالها وحرامها الخ . فهذا صريح فى أنهم كانوا يحفظونه سويا كاملة مرتبة على هذه الحالة التى تواترت إلينا . وما هو واضح أن العرب يومئذ كانت لهم مقدرة شديدة على الحفظ ، حتى كانت بعضهم يحفظ كل ما يسمعه من أول مرة . وقد سمع ابن عباس قصيدة عمر بن أبى ربيعة وهى تبلغ سبعين بيتا تقريبا مرة واحدة حفظها حفظا جيدا وقرأها . فلم يعقم الحفظ متفرقا عن الحفظ جملة واحدة كما قد يتوهم

وبالجملة : إن الحفاظ الذين كانوا يتلقون القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على جانب عظيم من الضبط والذكاء والفطنة ، ومنهم أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب وغيرهم من خول الأذكىاء وأساطين الحفاظ ، هؤلاء هم الذين حفظوا القرآن مرتبا على ما هو عليه بعد أن تم نزوله ، ونقله عنهم غيرهم من القبائل ، بحيث نقلت كل قبيلة ما يوافق لغتها التى نزل بها .

ومن هنا تعلم أنه لم تكن هناك حاجة إلى كتابة القرآن مرتبا ، لأن الحفظ كان كافيا ، ولكنه كتب متفرقا ، وكانت الكتابة يومئذ على الجلود والأحجار الملساء ونحو ذلك ، فلما توفى الرسول صلوات الله عليه قتل كثير من القراء ، فكتبه عمر لذلك وقال لأبى بكر : أخشى أن يذهب القرآن بموت القراء فمن الصواب أن نجمع الآيات المتفرقة التى كتبت فى عهد الرسول مرتبة طبقا للمحفوظ لنا ، فوافق أبو بكر بعد تردد لأنه كان يحب الوقوف عند الحد الذى

تركهم عليه الرسول ، لجمعت آيات القرآن المتفرقة ورتبت وفقا للبحر والبدون تغيير في الرسم الذي كانت عليه ، لأنها كانت مشتملة على كثير من لغات العرب التي نزل بها القرآن ، فكل ما فعله أبو بكر رضي الله عنه أنه جعل كل آية بجوار صاحبها حتى كملت كل سورة على حدة ، ولكنه لم يرتب السور ، ولم يحدف شيئاً من اللغات المدونة فيه .

فلما شاع القرآن بين العرب وانتشر الاسلام في الامصار والاصقاع ، وقرأت كل قبيلة بلغتها ، دب الخلاف بين الناس ، وأخذ بعضهم يكفر صاحبه ويقول له : أنت تقرأ القرآن على غير ما أنزل ، لأن كل واحد كان يحفل ما نزل به القرآن من لغة الآخر فاستشار عثمان كبار الصحابة في أن يجمع الناس على قراءة واحدة كي لا تحدث بين المسلمين فرقة ، فوافقوه على رأيه . فجمع القراء المشهورين ، ومنهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم ، فكتبوا له المصحف باللغة قریش ، لأن معظم القرآن نزل بها ، وأقرهم على فعلهم سائر الصحابة يومئذ ، فبعث به الى الجهات المتفرقة ، وأمر بحرق ما عداه .

فعمل عثمان رضي الله عنه كان مشتملا على أمرين لم يعلمهما أبو بكر . أحدهما : أنه جعل الكتابة مقصورة على لغة واحدة بعد أن كانت بلغات متفرقة .

ثانيهما : أنه رتب سورة القرآن فجعل كل سورة عقب الأخرى على حسب الترتيب الذي تلقاه الحفاظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين ، وقد أحسن عثمان رضي الله عنه ومن وافقه من أئمة الدين بذلك العمل الجليل كل الاحسان ، فقد سد على الذين في قلوبهم مرض باب الاختلاق على كتاب الله المبين ، وحسم مادة التفرقة في أصل الدين ومنبعه المعين . وذلك بتوفيق الله الذي قال : وإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . فقد صدق وعده الذي وعد به ، فألم عثمان وباقي أصحاب رسول الله الاعلام وسيلة حفظه ، ولولا ذلك لكان اختلاف لهجات

الحرب الكبيرة المتشعبة من أكبر العوائل التي أتاحت لأعداء الدين الفرص
لتحريف ذلك الكتاب الكريم وتبديل عباراته كما بدل غيره من الكتب .

وقصارى القول أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه ،
فبعضه نزل بلغة قريش ، وهو معظمه ، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضا ،
وبعضه نزل بلغة هذيل ، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتهما ، وهكذا . ولا يخفى
أن القبائل التي نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة لأن في نزول
بعضه بلغتها ترخيصا لها في قراءته جميعه بهذه اللغة . فالذي حصل في زمن أبي بكر
رضي الله عنه هو أنه جمع الآيات المتفرقة سورا لجعل كل آية بجوار صاحبها طبقا
للحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا نقص ، لجعل كل
سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه في صدور الحفاظ ، على أنه لم يغير شيئا
من المكتوب بل أبقاه على حاله ، وأما عثمان رضي الله عنه فقد كتب مصحفا
بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ

ومن هذا تعلم أن الأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم ، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ في القبائل ، وأنها لم
يوجد منها شيء في مصحف عثمان ، لأنه كان مقصورا على لغة قريش .

أما السبب في اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة
واحدة ؟ فقد أجاب عنه بعضهم بأن القرآن قد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب على الوجه الذي تقدم ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة
على هذه الحالة ، فتواتر نقله بلغات متعددة ، فلما كتب المصحف العثماني وبعث به
إلى تلك الجهات التي كان بها بعض القراء من الصحابة ، عملوا بما يمكنهم العمل به
من ذلك المصحف ، فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة بما لا تدل عليه كتابة المصحف
ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف . وإليك نص عبارة الحافظ ابن حجر في
ذلك : إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت إليها

المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة . وكانت المصاحف غالية من النقط والشكل ، قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط . وتركوا ما يخالف الخط امثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار

وقد يكون عثمان رضي الله عنه لم يحرم قراءة القرآن باللغات التي تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين ، فكتب مصحفه ليكون مرجعاً يرجع إليه الناس عند الاختلاف ، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عابها الأخرى أمكنهم الرجوع إلى الأصل . وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصون عباراته من التبديل والتحريف ، وذلك يحصل حتماً بالاجتماع على التمسك بنص ما كتب في مصحفه ، أما غيره من المد والتسهيل والادغام والظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير في نص القرآن فذلك مالا ضرر فيه ألبتة ، وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : ، يا عمر : القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة .

وأخيراً نسوق إليك هذا الحديث الشريف ، وهو : روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فمكثت أساوره في الصلاة وتصبرت حتى سلم فلببته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فسمع مني وسمع منه وقال لكل منا . كذلك أنزلت : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه .

٢ - وبعد فقبايل العرب التي نزل القرآن بلمجأتها هي .
قريش - سعد - ثقيف - خزاعة - هذيل - كنانة - أسد - ضبة
- قيس وأحلافها . ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش .

والقراء السبعة الذين رَووا القراءات السبع هم .

نافع بن أبي نعيم م ١٦٩ هـ

عبد الله بن كثير م ١٢٠ هـ

أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ .

عبد الله بن عاصم اليحصبي م ١١٨ هـ

عاصم بن بهدلة الاسدي م ١٢٨ هـ

حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ هـ

علي بن حمزة الكسائي م ١٨٩ هـ

وهناك سبع روايات تم عليها الاجماع ، وثلاث قوية السند ولم تصل إلى الاجماع وأربع أخرى بين القوة والضعف لجملة ذلك كله أربع عشرة قراءة .

القرآن وأثره في اللغة والادب

القرآن كتاب العربية وناموس شريعة محمد صلوات الله .

تعبس به المسلمون منذ بدأ الاسلام حتى اليوم وحفظوه ورددوه وقرأوه بلغات قريش التي نزل بها .

وكان له أثر عظيم في اللغة العربية وآدابها مما يمكن تصويره فيما يلي :

١ - أثره في اللغة :

١ - وحدة اللغة واللهجات العربية في لغة قريش وهي أفصح لهجات العرب لفظاً وأبلغها أسلوباً وأعذبها نظاماً ، وكان ذلك من أسباب وحدة المسلمين كافة إذ اتخذوا هذه اللغة القرشية لغتهم فزادتهم وحدة في اللغة فوق وحدتهم في الدين

٢ - حفظ القرآن الكريم العربية من العفاء والانقراض كما انقضت من قبل لغات كثيرة أصبحت في عداد اللغات الاثرية .

فأصبحت العربية لغة القرآن الذي كفل الله بقاءه إلى يوم الدين .

٣ - القرآن أول عامل في ذبوع اللغة العربية وانتشارها في شتى البلاد

والأصقاع ، وأصبحت هي لغة الدين والسياسة والأدب والثقافة والقراءة والكتابة في شتى بلاد العالم الاسلامى الواسعة ، وكثير من البلاد التى فتحتها المسلمون هجر أهلها لغتهم الأصلية وتعلوا العربية واتخذوها لهم لسانا ليفهموا بها القرآن قانون الدين الخالد ، وليفتاهموا بها مع الحاكمين ومن يعاشرونهم ويخالطونهم من العرب .

٤ - رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده من بين سائر فنون الأدب

٥ - وقد ساعد القرآن على تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها فمجر المسلمون الكثير من الحوشى والغريب والمتنافر واختاروا العذوبة والسلاسة والسهولة والركة فى اللفظ والنظم

٦ - وسع القرآن الكريم نطاق اللغة باستحداث الألفاظ الاسلامية التى نقلت من معانيها إلى معان جديدة أتى بها القرآن الكريم كلفظ المؤمن والمنافق والاسلام والصلاة والصوم الخ

٧ - والقرآن هو الذى دفع المسلمين إلى العناية بشتى العلوم الدينية والعربية ووضعها بما كانت هى أساس صرح المدنية الاسلامية الباهرة

أثره فى الأدب العربى

وللقرآن أثر كبير فى الأدب العربى :

١ - فقد تأثر به المسلمون فى بلاغته وفصاحته وعذوبته ، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم ورقت طباعهم ، واقتبسوا منه فى شعرهم ونثرهم ، والحق أنه هو الذى خرج أعلام البلاغة وفنن البيان والأدب من قديم

٢ - أحيا القرآن الكريم فنونا أدبية جديدة ، كالفصص وأدب الزهد وأدب التاريخ وأبطل سجع السكهان والهجاء السكاذب والفخر بغير العمل الصالح والخلق الكريم إلى غير ذلك من شتى الفنون الأدبية المرذولة .

٣ - بتأثير القرآن عكف الادباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحكمها وبلاغتها وأمثالها ووصاياها وخطبتها بما كان مادة الثقافة الأدبية العربية على مر الأيام

٤ - وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم وكيف تحدى الله به العرب والناس كافة فملكتهم الأعياء والعجز والقصور ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها

ولقد عنى به الأوروبيون عناية كبيرة ، فطبع أول طبعة في أوروبا في فينيسيا عام ١٥٣٠ والثانية في غنبرغ عام ١٦٢٤ ثم في بادده عام ١٦٩٨ وفي بطرسبرج ١٨٨٧ وفي قازان عام ١٨٠٣ . كما ترجم إلى اللغات الأوروبية الحية وظهرت أول ترجمة له لبيلياندر باللغة اللاتينية عام ١٥٤٣م

خصائص القرآن

١ - وخصائص القرآن البيانية وما اشتمل عليه من رائع الحكم والأمثال وبلغ المجاز ودقيق التشبيه وجيد الاستعارة والكناية وساحر الطباق والجناس . وتحكم الإيجاز والإطناب المفيد ، كل ذلك كثير جدا . إلى حد يصعب بيان مداه إلا في مؤلفات ضخمة . وقد تناول بعض هذه الخصائص السيوطي في الاتقان والرافعي في إعجاز القرآن . وعلى ضوء السيوطي كتب ملخصا صغيرا لها الأستاذ محمود مصطفى في كتابه في الأدب الاسلامي

وسنترك نحن الحديث عن ذلك في هذا المجال

٢ - أما خصائص القرآن في :

١ - أغراضه ومقاصده . فان القرآن قد جال في كل غرض . وهو في كل موضوع يطرقة في الاجتماع والسياسة والدين والتشريع والحكمة والقصاص والزهد والتوجيه والأدب والتعليم والإرشاد والوعد والوعيد ، كتاب الله الحكيم المعجز الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ب - وأما أسلوب القرآن : فقد سبق أن فصلنا الكلام فيه وراجع ما كتبه الرافعي عن أسلوب القرآن في ص ٢٤٧ وما بعدها من كتابه « إيجاز القرآن » ج - وأما معانيه لحسبك ما تشتمل عليه من صدق وحق ووضوح وجلال ، وهي من غير معين العرب الذي ينهلون منه . لقرب تناولها وضوح صدقها واطمئنان النفوس إليها ولما تنتظمه من الحجة الباهرة والأدلة الساطعة والاحكام الصائبة والتشبيهات الرائعة ؛ وبحق إنه معجزة البيان وآية النبوة المحمدية

د - وأما ألفاظه لحسبك جزالتها وقوتها مع السلاسة والعدوية ومع البعد عن الوحش والغريب النافر والسوقى المبتذل والبعيد المعقد . وما فيها من سحر وجمال ورشاقة وخفة وما تنطوى عليه من أسرار الفصاحة وخصائص البيان والاعجاز ٣ - وأما بلاغة القرآن فهي حديث الدنيا ، والأمر الذي سلمته به فحول البلغاء وأساطين البيان على مر الأحقاب

أرأيت العرب وهم أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء كيف تخدام القرآن الكريم على أن يأتوا بمثله ثم بعشر سور منه ثم بسور ولو من أقصر سور ثم بآيتين أو آيات في مثل بلاغته فمعجزوا وقالوا شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين.

كلا وربى إن هو إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر ، والوحى الحق الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ثم أرأيت ما يقول الوليد بن المغيرة فى القرآن وقد تردد على محمد خفية وخيفة وسمع منه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى تقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى عليه

ثم اسمعت حديث اسلام عمر بعد أن سمع أخته وزوجها وهما يقرآن طه ، وحديث هذا الاعرابى الذى سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر فسجد » ، وقال : سجدت لفصاحته

لا وربك إنه السحر المبين ، والاعجاز البالغ والبلاغة النادرة ، وما هو بقول
البشر إن هو إلا وحى يوحى ، وكتاب نزل من السماء إلى الارض نورا وهدى
وخيرا وطمأنينة للقلوب والنفوس

إعجاز القرآن

وتحن لن نتناول الاعجاز من شتى جوانبه ونواحيه ؛ وإنما نوجز لك القول
إيجاراً ، وتركك لذوقك ونفسك ، حتى تعرف أسرار الاعجاز ، وتقف
على خصائصه .

- (١) جعل عبد الله عفيفي وجوه الاعجاز في :
 - ١ - اشتغال القرآن على الأسلوب المنطقي والأسلوب العلمى
 - ٢ - وما يشتمل عليه من قوة روحية خارقة .
 - ٣ - وما أفاض فيه مما يحفلون من أحداث التاريخ .
- [راجع كتابه تاريخ الأدب العربى فى أصدر الاسلام وبني أميه]
وجعل المرحوم الأستاذ محمود مصطفى وجوه الاعجاز في :
 - ١ - ما انطوى عليه القرآن من الأخبار بالمغيبات .
 - ٢ - وما نبأ به من أخبار الأمم الماضية .
 - ٣ - وما اشتمل عليه من حسن تأليف والثناء كلم وتخيير ألفاظ وحسن
مقاطع ومطابقة هذا النظام لمقتضيات الأحوال مضموماً إلى ذلك جلال الغرض
وسيمر المعاني وصفاء الحكم وانطباق المثل .
- ونفى أن يكون مرجع الاعجاز إلى ما ذهب إليه البعض من الصرفه وأن الرب
كانوا قادرين على معارضة القرآن لولا أن صرفهم الله عن ذلك كما نفى أن يكون
الاعجاز لما أخبر به القرآن من قصص التاريخ الماضية أو لما اشتمل على من
معان سامية ، كعملو حكمته ودقة تشريعه وظهور الفكرة فيه .
- وذهب الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد فى مقال له بمجلة الأزهر إلى خطأ =

ولعلك قد قرأت تحليل عبد القاهر وعلماء البلاغة للآية الكريمة : رب إنى
وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، أو شرحهم للآية الحكيمة : وقال اركبوا
فيها باسم الله بحريها ومرسها — اها ان ربى لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج
كالجبال ونادى نوح ابنه كان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين
قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ، وقيل يا أرض ابلعى ماءك وباسماء اقلعى
وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ،
ولعلك على ذكر من هذه الوجوه البلاغية التى يذكرونها فى الموازنة بين قوله

== من يذهب إلى أن أعجاز القرآن فى أسلوبه وبلاغته لحسب لافى مادته الفكرية
وما ينطوى عليه من مبادئ وقوانين ، لأن هناك جوانب للأعجاز تناول سائر
النشاط الانسانى . الاجتماعى منه والاقتصادى والسياسى والنفسى والعلمى إلى غير
ذلك من وجوه الرقى البشرى .

وكتب زميلنا الاستاذ أحمد الشرباصى بحثاً فى أسرار القرآن الكريم نشره
بمجلة الأزهر ، عدد منها : أنه كتاب عربى مبين — واستعماله الكلمة الحاوية
الكثير من المعانى ، والايجاز ، وأن الله تعالى لم يجعله أبواباً مستقلة وأنه يعرض
قصص الانبياء والمرسلين فى صور مختلفة .

وكتب الاستاذ الجليل « السيد القاياتى » فى مجلة الأزهر ينفى أن يكون لامية
الرسول شأن فى صدق النبوة وقيام الأعجاز وأن يكون العرب قد وقعت منهم
معارضة للقرآن .

وراجع الآراء القديمة فى إعجاز القرآن فى الاتقان ١٩٧ - ١١٢ ج ٢ ط ١٩٤١
وقد ألف كثير منهم فى الأعجاز ومن أشهرهم عبد القاهر والباقلانى ولكلهم
حاموا حول الأعجاز ولم يكتبوا فيه .

وراجع الكلام على الأعجاز فى إعجاز القرآن للرافعى ص ١٨٢ وما بعدها

تعالى ، ولحكم في القصاص حياة ، وقول اكثم بن صيفي : القتل أنفى للقتل .
ولملك قرأت ما كتبه الزمخشري في بلاغة كثير من الآيات القرآنية الحكيمية أو
ما كتبه في قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » الى قوله تعالى : « واشرق
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يظلمون » . أو ما دونه علماء البلاغة في بلاغة الآية الكريمة « خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین »

فكل ذلك لا يضيرك على أى حال في فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه وهو
من جهة أخرى وسيلة لتربية ذوقك وملكتك في النقد والبيان .

ولكننا نعود بك إلى فطرتك الأدبية وحدها فنطالبها بالفهم والنقد والحكم
في قضية الإعجاز ، وأنت تعلم أن الأمة العربية أمة تحب البلاغة وتعشقها وتجيدها
ويهزها البيان الجيد والفصاحة الرائعة ، وفيها مقال البلاغة وهصاقع الخطباء
وأعلام الشعراء ، لا ترى لأحد عليها نظرا ، ولا تحسب روعة البيان وسحر الكلام
إلا لها ؛ وكانت كما يقول الجاحظ . أكثر ما كانت شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت
لغة فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته وهو في ذلك يحتاج
عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة
واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريرا لعجزهم عنها تكشف
عن نقصهم ما كانوا مستورا وظهور منه ما كان خفيا ، حين لم يجدوا حيلة ولا حجة
قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ،
قال . فها توها مفتریات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه
أحد يتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه
ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ؛ فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم
وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجم منهم وعارض شعراء
وأصحابه وخطباء أمته ؛ والعرب لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب
الطوال البليغة والنمصار الموزنة ، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ، ثم

يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم
مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في
الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة .

وبعد فأى أثر أدب أعجبك : « كفافيك من ذكرى حبيب ومنزل ، لامرئ
القيس ، وكرثية ابن الرومي لولده :

بكاؤكا يشقى وإن كان لا يجدى لجودا فقد أودى نظيركا عندي
وكوصف البهتري لأيوان كسرى :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس (١)
وكرثية المعري للفقير الحنفى :

غير مجسد فى ملنى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد
وكقصيدة ابن زيدون :

أضحى التثنائى بدلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
وكقصيدة المتنبي فى سيف الدولة :

أتوك يحزون الجديد كأنما سروا بجياد ما لهم قوائم
وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كللى هزيمة ووجهك وضاح وفعرك باسم
أوقصيدته فى كافور :

عيد بأية حال عدت يا عيسد بما مضى أم لامر فيك تجديد
أوقصيدة أبى تمام فى المعتصم وفتح عمورية :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
أليس سر هذا الاعجاب هو خصائص هذا الأثر البيانية والأدبية ، وأليس
موجهه إلى صدق الشعور وحرارة العاطفة وروعة التصوير وجمال النظم
وإحكام البيان ؟

(١) الجدا : العطاء . الجبس : الجبان التثيم

فاذا لما وقفت أمام نهج البلاغة للأمام بن أبي طالب ، أو كليلة ودمنة لابن المقفع ، أو أمام البؤساء ترجمة حافظ بك ابراهيم أو حيال « ماجدولين » ، المنفلوطي أو مجنون ليلى لشوقي بك أو الأيام لطفه حسين ، أو « على هامش السيرة » ، له أو « عبقرية عمر » ، للعقاد . فأعجبك وراعتك ، وسحرك ماتجده في هذه الآثار الأدبية الكاملة من حذق وبراعة ولطف حيلة وبلاغة تصوير ، أفليس مرجع ذلك كله إلى خصائص هذا الأثر الأدبية وشخصية مؤلفة الأديب أو الشاعر أو الخطيب أو الكاتب واكتمال فنه الأدبي ، في أثره المعجب ؛ وألست تجد من ذلك الكثير من الآثار والنصوص

فاذا ما ترقى بك ذوقك في الحكم الأدبي ، فقلت : أن لا أستجيد من الآثار الأدبية إلا الآثار الخالدة على مر الأيام ؛ والتي تقرأها وتعيد قراءتها فتجد نفسك كما بدأت متلهفة مهيجة مأخوذة بجلال هذا البيان وعظمته وعبقرية صاحبه ، وتجد هذا الأثر الأدبي أمام ذوقك وطبعك عضوا ناضرا باهرا كما بما كتبه صاحبه لساعتك التي أنت فيها ، وتجد ما فيه من حديث عن النفس الإنسانية ، وعن الحياة وعبرها وعظمتها وأحداثها ، وعن البشر وأخلاقهم ومطامعهم وألوان تفكيرهم في الحياة ، وعن الأهداف المثلى للإنسانية كافة والمبادئ الشريفة التي يجب أن تكون دستور الأمم والجماعات والأفراد . تجد ما فيه من ذلك كله جديدا كأنه كتب لهذا العصر ووصف الحياة التي يحياها الناس وتحيها أنت معهم . فقل بربك هل تجد أثرا ترفعه في نفسك إلى هذه المنزلة وتراه مستوفيا لهذا الخصائص وتطمئن نفسك حين تقول هذا هو ضالتي المنشودة وطلبتى المأمولة وبغيتى المرتجاة ؛ وهل تجد أثرا سلم له ذلك كله وسلم من القصور والعيوب والمؤاخذة وسقطات الطبع والأسلوب والنظم والفكرة ، وهل تجده له ذلك كله مع طوله وإحكامه وروعته وجديده ونبل دعوته وأهدافه وجلال غايته ورسائله ، وبعد مرماه وعمق منزعه وأنه يتناول الإنسانية كافة والعصور قاطبة ويصلح لكل مكان وزمان ، ولا يلى مهما توالى الأيام والعصور .

لمى ورنى إن هذا هو الغاية البعيدة ، والأمل الخال ، والسر الدفين في ضمير

الأيام ، والسكنز المنجوه في جوف صحراء عرضها السماء والأرض .
ولن تجده مهما حاولت أن تجده إلا في كتاب واحد وأثر أدبي خالد ، وفي
هذا البيان ذى المجد الطريف والثالث ؛ إى وربى إنك لن تجده إلا في القرآن
الكريم والذكر الحكيم والكتاب المعجز والأثر الخالد ، وفي هذا البيان الكامل
والبلاغة الساحرة والفصاحة النادرة والآيات البينات الباهرة .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، أو هل ترى نظما
أحسن تأليفاً وأشد تشمكلاً وروعة من نظمه العجيب وأسلوبه الغريب
المخالف لأساليب كلام العرب في نظمها ونثرها ، أو هل تجد هذه الروعة التي
تجدها له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المصدق منهم والجاحد ، وتلك الجدة
التي تراها له على مر الأيام ونوالى العصور ؟ .

وإذا لم تصعد إلى هذه المرتبة البعيدة إلا بكتاب واحد هو القرآن الكريم ،
فم حاولت الموازنة بينه كله أو بعضه أو القليل الأقل منه وبين ما سواه من
الآثار الأدبية فلم تجد مجالاً للموازنة ولا موضعاً للمشابهة بعد ما بين الأثرين كبعد
ما بين السماء والأرض ؛ فهل ذلك إلا لأنه كتاب معجز وأنه آية الآيات والناطق
بصدق إعجازه وعظمة بلاغته .

وقد يقول معاند أو مكابر : أين أنت وآداب اللغات وأين أنت وما فيها من
آثار أدبية خالدة ، فلشكسبير وجوته وهوجو وغيرهم من أفذاذ الغرب الكثير
من الآثار الخالدة ، بل أين أنت من الكتب السماوية المقدسة ، وأين أنت من
« مزار داود » وحده ؛ أفلا يشبه أثر من هذه الآثار كلها القرآن الكريم في
مكانته وبلاغته وإعجازه . وأنا أقول لك أيها القارئ الكريم ، لعلك قد قرأت
بعض الآثار الأدبية لهؤلاء الأعلام الخالدين في الأدب ، ألسنت تجد شكسبير مثلاً
في أية قصة من قصصه وفي جميع آثاره مسترجعاً عن عواطف النفس الإنسانية
مهمراً عن آمالها وآلامها بجيدا الحديث عنها ولكن هل تجد له هذا السمو

والرفعة ونبل الدعوة وجلال الغاية ، وعظمة الهدف والرسالة ودقة التحليل عن
العواطف والمشاعر والنفوس الإنسانية كافة ، وهل تجد له هذا التوجيه الجسديد
لل بشرية جميعا ، وهذا الدعم القوي لمبادئ العدالة والحق والحرية والآخاء
والمساواة في الحياة ؛ كلا وربك وإن تجد لأعظم من شكسبير شيئا من ذلك
قليلا أو كثيرا ، فضلا عن خصائص الفن الأدبي الرائع السكامل التي إن
تجد ما يشبهها في غير القرآن الكريم .

وهاك أروع ما في الكتب السماوية المقدسة وهو مزامير داود نخذ أى قطعة
منها وليكن المزمور الأول ، وهو بنصه كما في الكتاب المقدس :

د طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف .
وفى مجلس المستترئين لم يجلس ؛ ولكن فى ناموس الرب مشورته ، وفى ناموسه
يلهج نهارا وليلا ، فيسكون كشجرة مغروسة عند بجارى المياه ، التي تعطى ثمرها
فى أوانه ، وورقها لا يذبل ؛ وكل ما يصنعه ينجح

ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالأصافى التي تديرها الريح ، لذلك لا تقوم
الأشجار فى الدين ، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار ؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار ،
أما طريق الأشرار فتملك ،

ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ومع علمنا بأنه مترجم نعود بك إلى
ناحية أخرى فى الموازنة وهى أنه شتان ما بين هذه الروح وروح القرآن الكريم
ومن المحال الموازنة بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : د قل إن صلاتى ونسكى
وحياى ومما تلى لله رب العالمين ، لأشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، ،
أو مثل قوله تعالى : د ولا تمش فى الأرض مراحا إنك لن تحرق الأرض ولن
تبلغ الجبال طولا ، ، أو مثل قوله تعالى : د قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم
خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلمون والذين هم
لفروجهم حافظون ، إلى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم

وبعد فإن القرآن كله معجز ، وهو نمط فريد رائع ومستوى رفيع شريف

من البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والسحر والأخذ بجامع القلوب ومشاعر النفوس فسلّم منهج واحد في النظم ودرجة واحدة في الفصاحة وقلّ لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لهم ضمير^(١) .

وأخيرا نقول لك إنك أيها الناقد الحصيف حين تحلل أثرا أدبيا ما ، تكشف عن كل ما يتصل به هذا الأثر من عوامل البيئة والعصر ومن شخصية صاحبه ، وتوازن بينه وبين ما يشبهه من الآثار ، وتبين خصائص فنه الأدبي وما يوجه إليه من أهداف وما يدعو إليه من آراء وأفكار ثم تضعه بهـد ذلك في منزله الصحيحة من البيان والأدب والتفكير الإنساني .

وهذا هو ما نكلفك به حين تبحث عن قضية الإعجاز :

١ - فإليك أن تبحث عن البيئة الأدبية التي نزل فيها القرآن الكريم ، وأن توضح أنه كلام الله لا كلام بشر وأن تثبت ذلك بالحجج الدامغة

٢ - ثم عليك أن تحلل خصائصه الأدبية والفنية تحليلا كاملا وتوازن بينه وبين شقى الآثار الأدبية الخالدة

٣ - ثم عليك أن تحلل معانيه وأفكاره وأهدافه ودعوته .

٤ - وبعد ذلك تنقد وتحكم وتناقش .

والضيق بحال النقد والبحث نقول لك أيها القارئ الكريم إن أظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم تتجلى فيما يلي :

١ - بلاغة القرآن النادرة التي لا يحيط بها وصف ولا يستطيع أن يكشف خصائصها باحث ، وبكفيك أن عاوم البلاغة والنقد والأعجاز قد وضعت

(١) وذهب بعض علماء البلاغة الى أن بلاغة القرآن تتفاوت مع الأعجاز [راجع تفصيل ذلك في كتب البلاغة وفي الاتقان للسيوطي ص ٢١٠ > ٢]

للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ثم هي الآن وبعد مضي أكثر من عشرة قرون من الزمان لاتزال في أول الغاية (١)

٢ — روعة القرآن وجدته وأخذه بالافتدة والاسماع والمشاعر والعواطف والنفوس

٣ — عظمة تصويره للحياة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وللنفس البشرية في سلمها وحررها ولهوها وجدها وأملها وألمها وكفرها وإيمانها وللشعور العليا في الحياة المهدبة الكريمة التي يعمل لها الانسان وتسير لشاغلها الامين الانسانية

٤ — سمو الروح في القرآن الكريم ، فهو ليس كتاب قصص أو تسلية أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو خلاصة لكل ما في الحياة من ثقافة وحقائق ويزيد على ذلك بأنه منهج كامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة ، وما أجدرنا بأن نقول إنه هو كتاب الانسانية كافة

٥ — جلال أثره الأدبي في لغة العرب وأدبهم وفي حياتهم بل وفي حياة المسلمين والعالم

٦ — خلوده على مر الايام والامكنة والعصور مع أنه تحدى ولا يزال يتحدى الناس كافة ، ومع ما يشتمل عليه تاريخ العالم من أفذاذ المفكرين والأدباء والبلغاء

٧ — بساطة أسلوب القرآن الكريم ووضوحه وجماله وقوته وجزالته وعدوبته .

(١) وبلاغة القرآن أوسع مدى من البحث عن استعاراته وكنائياته وتشبيهاته وأمثاله وحكمته وإيجازه وبجازه فهي تشمل كل خصائص الفن الأدبي والبياني في القرآن الكريم

- ٥٣ -

٨ - شرف معانيه ، وسمو حكمه ، وجلال دعوته ، وصدق حجته ، وعلو منزعه ، وعلو تصويره .

٩ - والدليل الآخر على الإعجاز هو عظمة أغراضه ومقاصده ورفعته مراميه ومناحيه ، وعبقريه غاياته ورسالته ، وتوجيهه البشرية كافه إلى حياة جديدة فيها الأمل والنعيم والسعادة ، وفيها الخير المطلق والأمن والسلام ، وفيها الرضاء والبشر والأخاء والحق والعدالة والحرية والمساواة بين الناس .

وصدق الله العظيم : تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً .

أحاديث رسول الله

وأثرها في اللغة والأدب

البلاغة النبوية:

كان صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب لساناً وأفصحهم بياناً وأعذبهم أسلوباً وأروعهم حكمة وأصدقهم قولاً وأوضحهم عبارة وأطبعهم على البلاغة والفصاحة والبيان

وبلاغته النبوية تلى في منزلها الأدبية الذكر الحكيم وهي هذه البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها وحسرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة عنوعة ، إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء (١)

ولقد أخذ البلغاء والأدباء والمصنفون بهذه البلاغة الباهرة حتى لقد قال له أبو بكر: لقد طففت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذي هو أفصح منك فن أدبك ؟ ، وحتى قال له صلى الله عليه وسلم سمعته يخاطب وفد بني نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال عليه الصلاة والسلام: أدنى ربي فأحسن تأدبي ، ويقول الجاسق في بلاغته صلى الله عليه وسلم:

كلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثير عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل

يا محمد : وما أنا من المتكلفين ، فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب استحباب
التقدير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقتدر في موضع القصر ، وهجر
الغريب الوحشي ، ورغب عن الطعنين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ،
ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة ، وشيد بالنأييد ، ويسر بالثوفيق ، وألقى
الله عليه المحبة ، وعشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحسلاوة ، وبين حسن
الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغناؤه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى
معاودته ، لم تسقط له كتابة ، ولا زالت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له
خصم ، ولا أئمه خطيب : بل يند الخطيب العلوال بالكلام القسري ، ولا يلتمس
إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ؛ ولا يحتاج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفالج إلا
بالحق ، ولا يستعين بالخلافة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهر ولا يلز ، ولا يبطئ
ولا يهيجل ، ولا يسهب ولا يحصر : وما سمع كلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ،
ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ،
ولا أسهل خرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه ، من كلامه صلى الله
عليه وسلم ،

وهل نجد أبلغ أو أروع أو أعظم من بلاغته صلى الله عليه وسلم . فأنث حين
تسمع خطبته النبوية الأولى في أهله وعشيرته لما أنزل الله تعالى قوله الكريم
: وأنذر عشيرتك الأقربين ، :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت
الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقا وإلى الناس
كافة والله لغوثكم كما تنامون ، ولتبعن كما تستيقظون ولتجزون بالأحسان إحسانا ،
وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبدا ، أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر بين يدي
عذاب شديد ،

لا نجد إلا بلاغة وسعرا وجلالا وصدقا وحقا وروعة وكيف لا وقد أيد الله
نبيه الكريم بمجزة البيان فاختاره من قریش أبلغ العرب لسانا واصطفاه من
أعلى بيوتها حيث البلاغة والفصاحة والبيان واللسن والحجة والمنطق ومقارعة

البلغاء ومحاوره الفصحاء . ثم أنشأه في بني سعد الذين خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم . « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر » . ثم عليه لغات جميع قبائل العرب وأقدره على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها

فلا جرم أن يكون المسأور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن يقتبس الأديب من لفظه ، وينتفع البليغ بصوغه ، ويستمد مفسر القرآن من أثره ، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه ، ويستظهر الحكيم بحكمته ؛ إذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلفو ، ولا يقصد إلى غير توضيح قرءان ، أو تقرير شرع ، أو هداية إلى حق ؛ أو تفسير من شر ، أو حكمة ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودينام .

ولن شئت فانظر إلى هذا الكلام البليغ الشريف الذى ينبع من منبع الحق والنبوة فستجد وربك بلاغة ليس فوقها بلاغة .

لما أعطى رسول الله ما أعطى من منافع حنين في قريش وقبائل العرب ولم يسكن في الأنصار منها شئ . وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة ، وحتى قال قائلهم : لى والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله . إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا النى الذى أصبت : قسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب . ولم يسكن فى هذا الحى من الأنصار شئ . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومى . قال : فأجمع لى قومك فى الحظيرة ^(١) فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردم ، فلما اجتمعوا إليه أناه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار . فأناهم رسول الله صلى الله عليه

(١) الحظيرة : أرض يضرب عليها سياج . وكانت حظيرة الأنصار إلى

جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لحمد الله وأنتى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يامعشر الأنصار ما قاله (١) قد بلغتني عنكم ، وموجسدة وجدتموها في أنفسكم ! ألم آتكم ضللا فهذا كم الله ؟ وعالة (٢) فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى لله ورسوله المن والفضل . فقال ألا تجيبوني . يامعشر الأنصار ! قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتهم . ولصدقتهم (٣) أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك . وعائلا فأسيناك وجدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار في لعاعة (٤) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلوا وولكلكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالككم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار . ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار (٥) اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . قال فبكى القوم حتى أخضلوا الحام (٦) وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا .

ذلك مثل صغير من أمثلة بلاغته التى تجتمع بين السمو الروحى الأعظم والجمال الفنى النادر وإن شئت فقف عند قوله صلى الله عليه وسلم : « إن قوما ركبوا في سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، ففقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ماشئت فان أخذوا على يده نجسا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » .

-
- (١) القالة : أحدوثة الشر ونقيضها القول (٢) عالة جمع عائل الكثير الميال مع قلة المال (٣) أدخلت اللام على صدقتم الثانية دون الأولى ، لأن الصدق أيسر (٤) اللعاعة : البقية اليسيرة ، يقال لم يبق إلا لمساءة أى بقية يسيرة (٥) الشعب بالكسر — ما انفرج بين جبلين ، أو الطريق فى الجبل ، وجمعة شعاب (٦) أخضل لحيته . بلها .

فستأخذك الرونة والاعجاب . وحسبك أن كلامه صلى الله عليه وسلم كله دين وتقوى وهداية ونور وروحية وحياة وقوة وجمال ، وكأنه هو ما يعنيه الرسول بقوله : إن من البيان لسحرا ،

جوامع كليمه صلى الله عليه :

١ - قال صلى الله عليه وسلم في دعائه ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ؛ ونفس لا تشبع

ومن دعائه : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتتم بها ثقتي ، وتصاح بها رغائبي وترفع بها شاهدي وترزق بها عملي ، وتلمنني بها رشدي ، وترد بها ألفتي ، وتعصمني من كل سوء .

وكان رسول الله في جنازة ، فسكى النساء فأنتهرن عمر ، فقال عليه الصلاة والسلام : دعمن ياعمر ، فإن النفس مصابة والعين دامة والعهد قريب

ومن جوامع كليمه قوله . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقوله . اليد العليا خير من اليد السفلى . وقوله . الصبر عند الصدقة الأولى . وقوله : ترك الشر صدقة

وقال صلى الله عليه وسلم . إذا أعطاك الله خيرا فليبن عليك (١) وأبدأ بن نعل وارتنخ من الفضل (٢) ولا تدم على الكفاف . ولا تعجز عن نفسك (٣)

(١) فليبن عليك أى فليظهر عليك بالصدقة والمعروف وحسن الحال . فأبدأ بن يلزمك أمرهم ، ومفهوم قوله . فأبدأ بن نعل لاتجعلهم في العطاء (٢) وارتنخ من الفضل أى اعط ما فضل من مالك شيئا فشيئا كما تفعل مرضخه . الزوى حين ترسخه . أى تسكره شيئا فشيئا .

(٣) لاتعجز عن نفسك . أى لاتجمع لغيرك وتبخل على نفسك .

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شحب وجهه ، وهزل جسمه ، وغارت عيناؤه لفرط صيامه وقيامه ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدين متين (١) فأوغل فيه برفق فأتى المنبت (٢) لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٣) قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث في روعي (٤) أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنوا الزكاة مغرما ومن رائع بلاغته صلوات الله عليه قوله : لا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه . وقوله : الناس كلهم سواء كاسان المشط . وقوله : المرء كمشير باخوانه . وقوله للأنصار : إنكم لتقانون عند الطمع وتكثرون عند الفزع . وقوله : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . وقوله : الناس بأزماتهم أشبه منهم بآبائهم . وقوله : لا تجن بمنك على شمالك . وقوله : علق سوطك حيث يراه أهلك ومن يبلغ حكمه صلى الله عليه وسلم قوله : لا يلدغ المؤمن من جحر من مرتين (٥)

(١) إن هذا الدين متين : أى قوى رصين ، ومن قوة الدين أن يروى النفس ولا يعتنها .

(٢) المنبت المنقطع في طريقه : سمي بذلك لانهبات ظهر ما يحمله . أى انقطاعه

(٣) الدمن جمع دمنة ، وهى الفضلات المتلبدة ، وقد نبث عليها النبات أخضر زاهيا ، وهو مر ونخيم ،

(٤) الروع بضم الراء : القلب

(٥) قاله صلى الله عليه وسلم لأبي عزة الشاعر وكان كثيرا ما يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال النبي فأفسر يوم بدر وحجبه به إلى النبي فشكا

وقوله : هذنة على دخن . والدخن دخان النار يريد أن الصالح لم يذهب بالاحقاد كما أن النار يبقى شيء منها تحت الرماد فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان . وقوله : إن من البيان لسحرا . وقوله لأبي تميمه الجهمي : إياك والخيلة . فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما الخيلة ؟ فقال عليه السلام سبل الأزار . وقوله : إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره . وقوله : المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وقوله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم ضيفه .

ومن حكمه قوله صلى الله عليه وسلم لا نجشة حادى إبله وفي هوادجها النساء : رفقا بالقواوير ، وهى كناية عن النساء . وقال صلى الله عليه وسلم . بعثت فى نفس الساعة . ومنها قوله : يا خيل الله اركبي ، وقوله : الآن حى الوطيس (١) وقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وقوله : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، وقوله : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، وقوله : الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله . وقوله : من لا يرحم لا يرحم ، وقوله . من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان

إليه الفقر والعيال فرق له وخلق سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعره فأمسك عنه مدة ثم عاد إلى حاله الأول فأسر يوم أحمد نفاطب النبي بمثل خطابه الأول فقال النبي : لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ثم قتله صبورا وقال لا يلسع المؤمن من حجر مرتين [٣٤ ج ١ العمدة لابن رشيى ط ١٩٢٥]

(١) الوطيس . التنور ويجمع النيران استعماره الرسول صلى الله عليه وسلم لأهوال الحرب .

خصائص البلاغة النبوية :

أما أسلوب الرسول صلوات الله وسلم عليه فهو سهل الممتنع والبلاغة القريبة البعيدة ، والفصاحة المعجزة الرائعة . والنمط الغريب والطريقة المحكمة والنظم العجيب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز غالباً ولذلك كانت كلماته حكم وجوهر ، وقال : « إنا معشر الأنبياء بكاء » ؛ وكان يكره الفضول والتشديق وخلاصة القول وإلباس الباطل ثوب الحق ؛ وربما أطال صلوات الله عليه في كلامه للإرشاد والوعظ وتبليغ الرسالة ، وإن كان الغالب أن يقل كلامه ويخرج قصداً في ألفاظه محيطاً بمعانيه

هذا إلى إحكام الأسلوب في غير تعقيد ولا تسكاف مع الوضوح والسلاسة ومع التخيير والرواق ومع العذوبة والجلالة ومع الأفرار الجيد والسبك المحكم ومع الجزالة والقوة والأشراق وجودة التصوير والتأثير ، وحسن الأفهام والمهابة والحلاوة والروعة والقبول ، ومع تجنب سجع السكمان ومن شابههم

أما ألفاظه صلى الله عليه فقد نفي منها الوحشي والغريب والمبتذل والساقط والمستكره ونزهت عن الخطأ واللحن والقصور ، واختيرت اختيار الطبع المتمكن والفطرة السليمة فهي رشيقة جليلة قوية بليغة مشرقة عذبة تنطق عن سلامة الملكة وقوتها

وأما معانيه صلوات الله عليه فهي الحكمة الصادقة والآداب الرفيع والحق المنزه عن الريب والهدى والنور والرأى الناصح والبصيرة النافذة والألهام الذي وهبه الله أبيه

وأما موضوع حديثه وكلام صلوات الله عليه فهو :

١ - تبليغ الدعوة وتأييد الرسالة والدعوة إلى الدين الحق الخالد الذي لا ريب فيه

٢ - شرح القرآن والإرشاد إلى أحكامه وعبره وعظاته

٣ - تشريع النظم الاجتماعية والسياسية والعبادات الدينية لخير الفرد والمجتمع
والأمة والانسانية

٤ - الدعى على المشركين وتقبيل ما هم فيه من عناد وضلال وهتان وتوجيه
عقولهم وأربابهم بأبلغ بيان وأقوم حجة إلى الدين الحق والمحنة الواضحة

٥ - تقرير الايمان بالانبياء والمرسلين والملائكة واليوم الآخر
إلى غير ذلك من شتى الموضوعات النبيلة والأغراض السامية التي دعا إليها
الرسول الكريم ، والتي هي من خصائص بلاغته صلى الله عليه وسلم
ولا بدع في كل ذلك ، فميلاده صلى الله عليه في بلاد العرب ونشأته في مكة ؛
وانحدره من قريش أبلغ العرب وأفصحهم ؛ وتربيته في بني سعد ، وخالطته
للرب في مواسم الحج ورحلات التجارة ؛

وتمكن البلاغة والطبع والمليكة من نفسه ؛ والمواقف الفذة الخالدة التي شهدتها
الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرب ومشاهد الدعوة والغزوات والخطابة في
في الوفود وفي أنصار الرسالة والمسامه باغات العرب وطهجاتهم إلى غير ذلك ،
كله من بواعث البلاغة واسباب الفصاحة في نفسه وحياته صلوات الله عليه
منزلة الحديث النبوى في البلاغة

وحديث رسول الله أفصح كلام العرب وأبلغ بيانهم وهو بلى في المنزلة
الأدبية كتاب الله الحكيم

وسمو الروح وجلال الغاية وعظمة النفس واكتمال الشخصية وحرارة العقيدة وقوة
المعاطفة وتأجيج الشعور وكهولة الرأى والتفكير والتجربة والفهم والادراك الصحيح
كل ذلك بعض أسباب هذه المنزلة الرفيعة السامية التي وضع فيها الحديث النبوى
الشريف ، والذي أصبح ميراثنا خالدا في البيان العربى بصنعتة المحكمة وطبعه
القرى وصقله البديع ولفظه الموثق وحكمته الناصعة ، بما بهر العرب ، فمعجزوا
عن الاتيان بمثل بلاغته صلوات الله عليه .

أثر الحديث في اللغة والأدب :

أما أثر الحديث النبوى في اللغة فيتلخص فيما يأتي

١ — أدخل الرسول صلى الله عليه كـثـيـراً من التراكيـب الـبـيـانية الجـسـدية في اللغة العربية مما سبق ذكره

٢ — وزاد فيها ألفاظاً جديدة ، كـتـسـمـيـته ، صـفـرا الأول ، محرماً ، وكلفظ الزمارة للزانية ، التي وردت في حديث أبي هريرة ، إن النبي نهى عن كسب الزمارة ، وكلمة الصير بمعنى الشق في قوله صلى الله عليه وسلم ، « من أطلع من صير باب فقد دمر »

وللحديث الشريف أثر في توسيع معاني بعض الألفاظ واشتقاق أخرى ، مما لا داعي للأفاضة فيه

٣ — وساعد على توحيد لهجات العربية وعلى ذبوعها وخلودها فهو متمم للقرآن الكريم في هذا السبيل .

٤ — وكان ثوراً لعلوم دينية وعربية كثيرة وضعت لدراسة الحديث النبوي الشريف .

أما أثر الحديث في الأدب فيمكننا إيجازه فيما يلي :

١ — ماعد الحديث الشريف على تهذيب الالسنه ، وتنقيف الطابع ، والقضاء على عهد الحوشية والغرابه والمعاظلة والتعقيد في البيان ؛ وأحل محل ذلك السلاسه والسهوله والرواق والوضوح وسلامه الالسلوب والبيان

٢ — قضى على تنجيع السكهان ، ورفع منزلة النثر ، وهذب أغراض الأدب وفنونه

٣ — وقد خلد الحديث على مر الالام والالجال وأصبح موردا عذبا من الثقافه الالديه على توالى العصور (١)

(١) راجع : أو ابد رسول الله وبلاغته في البيان والتبيين ص ٢٧ - ٢٠٧ وفي مصادر كتب الأدب والحديث ، وراجع أمثال رسول الله في العقد ص ٥٧ - ٢

وراجع ماقاله الزبير بن عبد المطلب في وصف ابن اخيه محمد صلوات الله في الالمالى ١١٥ / ٢

الرسول والشعر

- ١ - كان صلى الله عليه وسلم يعرف منزلة الشعر ومكانته عند العرب ويقدره فقرب إليه الشعراء وكافأهم وسمع لهم واستنشدهم ، بل اتخذ له شعراء يؤيدون الدعوة ويهجون خصومها وأمرهم بقول الشعر ودعاهم بتأييد الله . وذلك واضح مشهور
- ٢ - وكان صلى الله عليه وسلم عليا بالشعر وروايته ونقده ، ومن أولى منه بذلك وهو أفصح للعرب وأصحهم ملكة وفطرة ؟
- ٣ - ولا نغنى بهذا أنه كان يقول الشعر فإن الله عز وجل نزهه عن قوله ونفى عنه أن يكون قد علمه إياه
- ٤ - والروايات كثيرة في إعجاب الرسول بالشعر وفهمه له واستنشاده إياه وسماعه من الشعراء ومكافأته لهم ، وكان عصر الرسول صلى الله حافلا بالشعراء والبلغاء والخطباء والفصحاء
- يقول أنس بن مالك : قدم علينا الرسول المدينة وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر (١) . وكان شعراؤه (ص) : حسانا وكعبا وابن أبي رواحة (١) وقال المفضل . ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به (٢)
- ويقول الجاحظ : وكان لرسول الله شعراء يناخون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس خطيب رسول الله (٣)

(١) ٣٨٨ / ٣ العقد

(٢) ١٩ جهرة أشعار العرب

(٣) ١٤٧ / ١ البيان

وقال صلى الله عليه وسلم . إن من الشجر لحكمة وإن من البيان لسحرا (١).
وقال . الشعر كلام جزل تنسكلم به العرب في نواديها وتسسل به الضغائن
بينها (٢)

وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر والأعجاب به ومكافأة الشعراء
وحمدهم وتوجيههم كثير (٣)

وهو موقف الرسول صلوات الله عليه من حسان ودعاؤه له وهووف (٤)
وأنشده كعب بن زهير أمامه مدحته وغزله (٥) وكافأه الرسول حيث كساه
بردا (٦)

ومدحه عباس بن مرداس فسكاه الرسول حلة (٧)
واقرا قصة وفود النابتة الجمعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)
فغنيا تهوير لمدى إعجاب الرسول بالشعر وتقديره للشعراء
وأذن الرسول لحسان بهجاء قريش (٩) وسمع شعر عمرو بن سالم الخزاعى يمدح
فيه رسول الله ويستنصره على قريش الذين اعتدوا على خزاعة - حلفاء الرسول
بعد الهدنة بين قريش ورسول الله (١٠)

- (١) ١٤ الجهرة فى أشعار العرب ط ١٩٢٦
- (٢) ١٤ الجهرة ، ١٠ - ١١ المدة ط ١٩٢٥
- (٣) راجع ٣٨٢ - ٣٨٧ / ٣ العقد الفريد ، والجزء الأول من العمدة
- لابن رشيق ، ١٢ وما بعدها من دلائل الأعجاز
- (٤) راجع ٤/٩٠ العقد ، ٢/٣٨٤ أيضا و ١٤ الجهرة
- (٥) ٣/٣٩١ العقد (٦) ٣/٢٩٣ العقد ، ١٥ و ١٦ الجهرة
- (٧) ٣/٢٩٢ و ٤/٤٠١ العقد
- (٨) ١٨٦ - ١٨٧ العقد ، ١٦ الجهرة
- (٩) ٧/٣٩٥ العقد ، ٤/٩٠ أيضا ، و ١٤ جهرة أشعار العرب
- (١٠) ١٦ الجهرة

ووفد قرّة العامري على رسول الله وأسلم خبابه وكساه بردين وحمله على فرس واستعمله على قومه فذكر ذلك قرّة في قصيدة طويلة (١)

ووفد عليه صلى الله عليه قيس بن عاصم التميمي (٢)
واستشهد رسول الله (ص) الشريد من شعر أمية مائه قافية وهو يقول :
هيه ، استحسنانا لها (٣)

وأنشد الرسول بيت طرفه ، وابتدى لك الأيام ما كنت جاهلا ، فقال ،
هذا من كلام النبوة (٤)

وأنشدت عائشة أمام الرسول شعرا لزبير بن جنان فيه حكمة ، فقال لها (ص)
صدق (٥)

وأنشدت عائشة أمامه شعرا فيه حكمة (٦)
ولما سمع صلى الله عليه وسلم شعر قتيلة أخت النصر بن الحارث بن كعدة لما قتله
في غزوة بدر قال ، لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلت (٧)
ويذكر عبد القاهر في دلائل الإعجاز كثيرا من الرويات التي تدل على رعاية
الرسول صلى الله عليه للشعر وإعجابه به ومكافأته عليه
ولعبد القاهر في هذا المجال كلام كبير خلاصته :

- ١ - أن الرسول إذا كان قد روى عنه بعض الآثار في التنفير من الشعر فأنما
كان يعني بذلك الشعر الذي يخاصم الدعوة وينهج نهجا هو خلاف مبادئها العالمة
- ٢ - أن الرسول له مواقف كثيرة في استحسان الشعر والارتياح لسماعه
واستشاده والأمر به

(١) ١٧ البهجة (٢) ١٧ و ١٨ البهجة

(٣) ٩٠ ج ٤ المقدم الفرید لابن عبد ربّه

(٤) ٣٨٠ / ٣ المرجع

(٥) ٣٨٢ و ٣٨٣ / ٣ المرجع

(٦) ١٤١ ج ١ المقدم

(٧) ٩ و ١٠ / ١ الأغاني طبع

٣ — وكان عليه السلام ذا علم بالشعر وروايته، الى آخر ما كتبه عبد القاهر في هذا الباب

ولا ينقض من الشعر أن الله عز وجل يقول في نبيه : وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، لأن حكمة ذلك واضحة وهي .

١ — دفع الشبه عن القرآن وتنزيهه عن الشعر

٢ — أن الرسول كان في شغل بدظامم الأمور وهداية الإنسانية وبث كلمة الإسلام والسلام في الأرض

٣ — أنه لم يخلق شاعرا وإنما خلق مفكرا ومصلحا وزعيما روحيا للبشرية كافة

٤ — أن الشعر على ما كان عليه في عصر النبوة ووفق منهج الجاهلين فيه من الفجور والكذب والمبالغة والنفاق لا يليق بالنبى ولا ينبغي له

وهذا كله على أى حال لا يضيع من منزلة الشعر وليس معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن قوله

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهجون نهجه ويقفون موقفه حيال الشعر والأدلة على ذلك كثيرة

ويقول ابن رشتي : وليس من بنى المطلب رجلا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي ^(١) : ويقول في العباس بن عبد المطلب : وكان شاعرا مقلقا حسن التهدي ^(٢)

وتقول عائشة : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم ^(٣) . ويقول المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة ^(٣) وكانت تروى ألف بيت للبيد وهل أقل ما تروى لغيره ^(٣)

(١) ١ / ١٥ العمدة ط ١٩٢٥

(٢) ٩٠ / العقد

(٣) ٣ / ٣٨٢ المرجع

وكان أبو بكر ذاحق بالشعر ونقده روى عنه أنه قدم النابغة وقال : هو
أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا ^(١)
وكان على ناقدا ، روى عنه أنه فضل أمرا القيس وقال فيه :
رأيت أحسنهم نادرة وأسبغهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة (٢)
وعمر بن الخطاب وعلمه بالشعر ونقده له وبصره به وحكومتهم بين الشعراء ؛
كل ذلك مشهور وسيأتي

(١) ٢٩٧ / ٢ المزهر

(٢) ٢٩٧ / ٢ المزهر

النثر الفني في عصر صدر الاسلام نماذج له .

١ روى عن عبدالله بن عباس رضوان الله عليهم قال : وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان ^(١) بن بدر بن عمرو بن (١) الاهتم فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجانب منهم آخذ لهم بحقهم وأمنهم من الظلم وهذا بعلم ذلك : (يعنى عمرا) فقال عمرو : أجل يا رسول الله . إنه مانع لحوزته (٣) مطاع في عشيرته شديد العارضة ^(٤) فيهم . فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدى شرفي . فقال عمرو : أما إن قال ما قال فوالله ما علمه إلا ضيق العطن ^(٥) زمن ^(٦) المروءة أحق الأب لئيم الحسالة حديد الغنى ، فرأى الكراهة في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال : يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة .

- (١) الزبرقان هو حصين بن بدر التميمي ولله رسول الله صدقات قومه وأقره أبو بكر وعمر على ذلك وقد وهم صاحب لسان العرب فنسبه الى فزارة .
- (٢) عمرو بن الاهتم : سيد من سادات تميم وهو القائل :
ذريني فإن البيخل يأثم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق
لمعرك ماضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
- (٣) الحوزة : الناحية . وفلان مانع لحوزته . أى يحمي حماه .
- (٤) رجل شديد العارضة . ذو جلد وصرامة .
- (٥) العطن . مبرك الإبل حول الخوض . ورجل رطب العطن . كثير المال واسع القدرة وضيق العطن عكسه
- (٦) الزمن : المصائب بعامه لا يرجى زوالها ، ورواية المسداني زمر المروءة والزمر القليل المروءة

ورواه أبو القاسم الزجاجي : وإن من الشعر لحكماً . قال : ووجهه عندي أن من الشعر ما يلزم المقول فيه كزوم الحكم للحكم عليه إصابة للمعنى وقصدا للصواب .

٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أَدب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام : أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص ^(١) في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد ^(٢) في الغنى والفقر وأن أعفو عن ظلمي وأعطي من حرمي وأصيل من قطعتني وأن يسكون صمتي فكراً ^(٣) ونطقى ذكراً ^(٤) ونظري عبداً ^(٥)

٣ — ومن حكمه صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال ^(٦) وإضاعة المال وكثرة السؤال . وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى ^(٧) . المرء كثير بأخيه ^(٨) استمعينوا على حواريجكم بالكتمان ^(٩) أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك ^(١٠) . لو تسكشتم ما تدافتم وما هلك امرؤ عرف قدره ^(١١) . رحم الله عبداً قال خيراً فغفم أو سكت فسلم . حصنوا أموالكم بالزكاة ^(١٢) . العلماء ورثة الأنبياء ^(١٣) . الخمر مفتاح كل شر . اتقوا دعوة المظلوم فأنها لينة الحجاب ^(١٤) .

-
- (١) أن يكون باطنك كظاهرك (٢) الاقتصاد
(٣) لا أداع التفكير عند السكوت (٤) أتكلم بالحكمة والاعتبار
(٥) أعتبر بما أراه (٦) مالا طائل تحته من الكلام
(٧) المعطي خير من الآخذ (٨) الصحة قوة
(٩) لا تفش أمرك فيقضى (١٠) يعني يعينك على كل حال
(١١) لو علم بعضكم سريرة بعض لمسا كان هناك داع إلى التكاثر ومن عرف قدره جانيه الهلاك

(١٢) الزكاة صون للأموال

(١٣) لأنهم يرشدون الناس ويهدونهم الصراط المستقيم

(١٤) تبلغ إلى الله تعالى

جبلت القلوب على حب من أحسن لايها وبغض من أساء إليها . احذروا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ^(١) . زرغباً تردد حبا . ماعال من اقتصد ^(٢) . خير الأمور أوسطها . إياك وما يعتذر منه . كل ميسر لما خلق له . الوحدة خير . من جليس سوء . المستشير معان والمستشار مؤتمن ^(٣) . أنزلوا الناس منازلهم . إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

٤ - تأبين أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى (٤) بثوب فكشف عنه الثوب وقال : بأني أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فمظمت عن الصفرة وجللت عن البكاء وخصعت حتى صرت مالة وعممت حتى صرنا فيسك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس . ولولا أنك نهيت عن البكاء لانفذنا عليك ماء الشئون ^(٥) فأما ما لا نستطيع نفيه عنا ^(٦) فكمد وإذناف ينحالمان ولا يبرحان اللهم فأبلغه عنا السلام اذكركنا يا محمد عند ربك ولنسكن من بالك فالولا ما خلفت من السكينة لم نغم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

٥ - تأبين السيدة عائشة لايها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه وقفت السيدة عائشة على قبره وقالت . نضر

(١) فان ضرره متوقع على كل حال ولا خير فيه

(٢) من استعمل الاقتصاد لا يفتقر

(٣) الشورى يتقوى بها المستشير والمستشار لا ينبغي أن يغش

(٤) سعى الميت : غطاء .

(٥) الشؤون . جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين :

(٦) السكد . الحزن الشديد ، والاذناف : ثقل المرض

الله وجهك بأبوت وشكر لك صالح سميعك؛ فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا بأقبالك عليها ، واثن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأعظم المصائب بعدهم فقدك ، ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن الدواض عنك . وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر فيك واستغفره بالاستغفار لك .

٦ - الإخلف بين يدي عمر :

وقدم الإخلف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم وتكلم الإخلف فقال : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخسالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصرو بنى الأصفر^(١) ؛ فهم من الميساء العذبة والجنان المختلفة في مثل حواء السلي^(٢) وحديقة^(٣) البعير تأتيمهم ثمأهم غضة لم تحصر^(٤) . وإنا نزلنا أرضا طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة^(٥) لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب المساء من فرسخين وتخرج المرأة بمنزل ذلك ترقق^(٦) لولدها ترقيق العنز تخاف عليه العدو والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنهش^(٧) ركبتنا

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم .

(٢) السلي : غلاف رقيق يكون فيه المولود . والحولاء . جلدة خضراء مملوءة ماء . تخرج مع الولد ، وهذا يكون به عن الحصب وكثرة الماء والخضرة

(٣) قال في اللسان . وفي حديث الإخلف نزلوا في مثل حديقة البعير أى نزلوا في خصب وشبهه بحديقة البعير لانهاريا من الماء .

(٤) خصر : برد

(٥) أرض سبخة نشاشة . لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها

(٦) رقق الماء : صفاء

(٧) نهشه ، رفعه كأنه شه ، والركيسة . الضميمة

ونجبر فافتنا وتزد في عيالاً عيالاً وفي رجالنا رجالاً تصغر درهمنا وتأمر لنا بحفر
بئر نستعذب به الماء هلكنا ، فقال عمر : هذا والله السيد

٧ - اسلام أبي ذر *

قال أبو ذر (١) : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة
يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل وكله . وأتني بخبره ، فانطلق
فلقيه ، ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ،
وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني من الخبر ؟
فأخذت جراباً وعصاً ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن
أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأكون في المسجد ، فربى علي ، فقال :
كان الرجل غريباً ؟ قلت : نعم ، فانطلق إلى المنزل وانطقت معه لئلا يئسني عن
شيء ولا أخبره .

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأله ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ،
فربى علي ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا ، قال : انطلق
معي ، ثم قال : ما أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له : إن كنت علي
أخبرتك أقال . فاني أفعل ، قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه
نبي ، فأرسلت أخى ليكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه ،
فقال : أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فاني
إن رأيت أحداً أخافه عليك فمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلي ، وامض أنت
ففضي ومضيت معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرضه ، فأسلمت مكاني ، فقال لي : يا أبا ذر ،

* الزبدي ص ٤٤ ج ٢ ، وقصص العرب

(١) هو من غفار ، وهي قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرأ
ولا أحداً ولا الخندق ، لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه
المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالربذة سنة ٣٢ هـ

اكنتم هذا الامر ، وارجع إلى بلدك ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريش فيه ، فقال ، يامعشر قريش ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي^(١) فقاموا فضربت لأموت ، فأدركني العباس ، فأكب على ، ثم أقبل عليهم ، فقال ، ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجر كم وممر كم على غفار ! فأقلعوا عني فلما أن أصبحت في الغد رجعت فقلت مثل ماقلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ! وأدركني العباس ، فأكب على ، وقال مثل مقالته بالأمس !

٨ وفاة النبي (٢).

قال أبو ذؤيب (٣) الهذلي . بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فأرجس أهل الحى خيفة عليه ، فبت ليلة ثابثة النجوم ، طويلة الأناة ، لا ينجاب ديجورها^(٤) ، ولا يطلع نورها ! حتى إذا قرب السحر ، غفوت ، ففتفت لى هاتف يقول .

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام^(٥)
قبض النبي بمحمد فعيوننا ندرى الدموع عليه بالتسجام^(٦)
فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفأملت

- (١) صبا ، خرج من دين إلى دين ،
- (٢) بلوغ الأرب ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأدب ص ١٤٢ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ١٩٣ ج ١
- (٣) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله بن سعد حينما فتح إفريقيا وعاد إلى مصر ومات بها .
- (٤) الديجور : الظلام .
- (٥) الآطام : القصور وكل حصن مبنى ببجارة وكل بيت مربع السطح جمعه آطام
- (٦) سيم الدمع : قطر وسال قليلا أو كثيرا

به ذبحاً يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، أو هويت
عن علته .

فركبت ناقتي وسرت حتى أصبت فطلبت شيئاً أزجره ، فعن لي شيهم^(١) قد
أرم^(٢) على صل^(٣) ، وهو يتلوى ، والشيهيم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك
شيئاً مهماً ، فقلت : تلوى الصل : انفثال^(٤) الناس عن الحق على القائم بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهيم إياه : غلبة القائم على الأمر

فجئت ناقتي حتى إذا كنت بالعلية^(٥) زجرت الطير فأخبرني بوفاته ونعب^(٦)
غراب سانحاً بمثل ذلك : فتعوذت من شر ما عن لي في طريق ، ثم قدمت المدينة ،
ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، أهلوا جمعاً بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا :
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد فأصبت خالياً ، فأتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بأبه مرتجاً^(٧) ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين
الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة . صاروا إلى الانصار .

فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالمًا
وجماعة من قريش ، ورأيت الانصار فيهم سعد بن عباد ومعه شعراؤهم ،
وأمامهم حسان بن ثابت ، وكعب : في ملا منهم ، فأويت إلى الانصار ، فتكلموا
فأكثرُوا ، وتكلم أبو بكر ، فله من رجل لا يطيل الكلام ، ويعلم
مواضع الفصل .

(١) الشيهيم : ذكر العقافذ (٢) أرم عليه : عض

(٣) الصل ، الحية (٤) انفثال عن الشيء ، انصرف

(٥) علية القوم : حائهم

(٦) نعب الغراب : صاح . والسانح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر

أو غير ذلك . والعرب تختلف في العيافة ، فمنهم من يتيمن بالسانح ويتشام

بالبارح ومنهم من يخالف ذلك

(٧) أرتج الباب : أغلقه .

والله لقد تكلم بكلام لم يسمعه سامع إلا انقاد له ، ومال إليه . وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ، ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه !

٩ — وصف عمر :

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته ، عادلا في قضيته ، عاريا من الكبر ، قولا للعدر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريرا للرواب ، رفيقا بالضعيف ، غدير محاب للغيرب ، رلا جاف للغيرب

١٠ — وصف علي :

قال معاوية لضرار الصدائي : يا ضرار صف لي عليا ، قال : أعفني يا أمير المؤمنين قال : لتصفه قال : اما اذا لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى ^(١) شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتطلق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غدير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويتخاطب نفسه ، يهجه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن ، وكان فينا كأحد دنا ينجبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استبأناه ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيته ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطعم القوى في باطله ولا يئس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ^(٢) وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتملبل بالسليم ^(٣) ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غبرى . ألى تعرضت أم الى تشوقت ؟

(١) المدى ، الغاية (٢) السدول جمع سدل وهو الستر

(٣) السليم : الملسوع وانما سمي كذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سميت البيداء مفازة مع أنها مهلكة

هيات هيات اقد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فدمرك قصير ، وخطرك (١) حقير ؛
وخطبك (٢) يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فبكي معاوية حتى أخشنت (٣) دموعه لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان
كذلك فكيف حررك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدا في حوزها

١١ — ولله حسن بن علي رضى الله عنهما المتوفى سنة ٤٩ هـ

أيها الناس ناسوا في المسكارم وساروها في المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم
تعملوه (٤) ولا تكسبو بالمطل ذما (٥) واعلموا أن أجوامج الناس من نعم الله
عليكم فلا تمأوا النعم فتحول نقما ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وإن
أعفى (٦) الناس من عفا عن قدرة من أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين

١٢ — وقال :

لا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعتمد بما لا تقدر عليه
ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح
إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له

١٣ — وللإمام علي كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

أيها الناس احفظوا عني خمساً فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها (٧) لم تظفروا
بمثلها ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا
لم يعلم أن يتعلم وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ألا وإن الخامسة الصبر فإن
الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، من لا صبر له لا إيمان له ، ومن
لا رأس له لا جسد له ولا خير في قراءة إلا بتدبر ولا في عبادة إلا بتفكير ولا

(١) الخطر ، القدر والمنزلة (٢) الخطب ، الشأن

(٣) أخضله : به

(٤) أى لا تمدوا بمعروف صنعتموه متأخرا

(٥) أى لا تباطلوا فتذمروا

(٦) أعظمهم عفوا ٧٠ ، تنكروها

في حلم إلا يعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم من لم يزين لعباد الله معاصي الله ولم يؤمنهم مكره ولم يرسمهم من روحه (١)

١٤ - وله :

البشاشة جبل الوداد (٢) والاحتمال قبر العيوب (٣) احذروا صولة (٤) الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع ، من نصب نفسه إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه

١٥ - وله كرم الله وجهه إلى الحسن

يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستعجب من نفسك ما تستعجب من غيرك وارضى من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تغفل مالا تعلم وكل ما تعلم ولا تغفل مالا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما في يدك أحب إلى من طلب ما في يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حتى فيئس الطعام الحرام وجهد في تحصيل معاشك وإياك والاتكال على المني فانها بضائع الزوكر (٥)

١٦ - وله كرم الله وجهه في الحكم :

البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجه (٦) والمقل (٧) غريب في بلدته والعجزة آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة (٨) نعم القرين الرضا والعلم ورائة كريمة والآداب حلال بجددة (٩) والمفكر مرآة صافية (١٠)

(١) يقطع بأهلهم من رحمته

(٢) طلاقة الوجه تجذب المحبة

(٣) من احتمل المسكاره من غيره فقد دفن معايه (٤) بعشه

(٥) الحق (٦) أى بمعجزه عن اقامتها

(٧) الممدوم (٨) وقاية (٩) حلال لا تبلى

(١٠) يرى به الانسان عواقب الامور والقصد التفكير في الاشياء قبل مباشرتها

إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبت محاسن نفسه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ^(١) ما أضر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه إن ملاك العقل ومكارم الاخلاق صون العرض وأداء الفرض والوفاء بالعهد والانبجاز للوعد

١٧ — وله كرم الله وجهه ينصح عامله بالبصرة
دع الاسراف مقتصدًا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر
ضرورتك (٢) وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجوا أن يعطيك الله أجر المتواضعين
وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ في النعم تتمعه الضعيف والارملة (٣)
أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين وإنما المرء بحزى بما أسلف وقادم على
ما قدم والسلام
١٨ — ومن حكم الرسول :

رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم . التمسوا الرزق في خبايا
الأرض . ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت
فأبقيت . الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفهم له عياله . جمال الرجل فصاحة
لسانه . الجبان محروم . العالم والمتعلم شريكان في الخير .

ومن حكم سيد أبي بكر الصديق

صنائع المعروف نقي مصارع السوء . ليست مع العزاء مصيبة
ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنسك والمكر .

- (١) المقصود أن الانسان بعمله لا ينسبه
- (٢) بمعنى احفظ لنفسك من مالك ما تصرفه في حاجات معيشتك وتصدق بالباقي
ينفعك في المسأب يوم تحتاج فيه إلى ما يريد في حسناتك لتمحي سيئاتك
- (٣) المحتاجة المسكينة (٤) وذلك انما يكون بحرثا وتقليبها للزراعة

كثير القول ينسى بعضه وإيما لك ما وعى عنك .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

من كتم سره كان الخيـسار في يده . أشق الولاية من شقيت به رعيته .
لا يمكن حبك كلنا (١) ولا بغضك تلفاً من يعرف الشركان أجدر أن يقع
فيه . أعقل الناس أضرهم للناس ؛ لا تؤخر عمل يومك الى غـدك أبـت
الدرهم إلا أن تخرج أعناقها من يـس من شيء استغنى عنه

ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن (٢) أنتم الى إمام فعال
أحوج منكم الى إمام قوال يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك

ومن حكم سيدنا علي

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، الناس أعداء ما جهلوا ، الناس من خوف
الذل في الذل ، الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو ، اذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو عنه شكراً للقدرة عليه ، قيمة كل أمر ما يحسن ، المرء يخبوء تحت لسانه ،
استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من
شئت تكن أميره ، خير أموالك ما كفاك وخير أخوانك من واساك ، الناس بمنهم
أشبه منهم بآبائهم ، ما هلك أمرؤ عرف قدره ، من عذب لسانه كثر أخوانه ، بشر
مال البخيل بمحادث أو وارث . بالبر يستعبد الحر . إعادة الاعتذار تذكير الذنب .
إذا تم العقل نقص الكلام . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . من
أكثر فكره في العواقب لم يشجع . الشرف بالعقل والآدب ، لا بالأصل والنسب

(١) الكلف : فرط المحبة ،

(٢) يقول : ان الذين يردعون عن الشرور بواسطة القهر والحكم أكثر ممن
يردعون بواسطة الدين لأن الناس كما قيل عبيد العصا ، وإن الذين يؤثر فيهم
الوزاع الديني قليل جداً

أكثر مصارع العقول تحت بروق الاطباع . قلب اللاحق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه . يعيش البخيل في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . الولايات متنامية (١) الرجال . الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حسب أمه . من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . الحرمان خير من الامتنان .

١٩ — استمناع أعرابي لسيدنا علي :

يروى أن أعرابيا وقف على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال . إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له علي : خط (٢) حاجتك في الأرض فاني أرى النمر تراك . فكتب الأعرابي على الأرض : . إني فقير . فقال علي : يا قنبر (٣) ادفع إليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال . كسوتني حلة نبل عاينها فدوف أكسوك من حسن الثنا حالما إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالنيث يحيي نداء السهل والجبل لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبيد سيجزى بالذى فعلا فقال علي . يا قنبر أعطه خمسين دينارا ، أما الحلة فلدسانك وأما الدنانير فلا تدبك .

(١) المتنامية . جمع مضمار وهو الوقت أو الموضع الذي تضمر فيه الخيل لأجل السباق .

(١) إما دعاه إلى كتابة حاجته رفقا به وصيانة لماء وجهه وتلك كانت عادته ، فقد ذكر صاحب الدعاء أنه رضى الله عنه . كما يقول لأصحابه من كانت له إلى منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .

(٢) قنبر كجهمفر : مولى علي وخادمه .

٢٠ - وهذه كلبه أدبية موزونة الى أبي بكر وعمر بعثا بها الى علي :

روى عن أبي عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل شرها ورحض عرها ويسر خيرها وازاح ضيرها ورد كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابابكر الصديق رضى الله عنه عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه تلكه وشماس وتهمهم ونفاس وكره ان يتماذى الحال وتبدو السداوة وتنفرج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عاقل ذى دهاء او صاحب سلامة ضعیف القلب خوار العنان دعاني لخصرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيراً معه يستضيء برأيه ويستمل على لسانه ، فقال لى يا أبا عبيدة : ما ايمن ناصيتك وابين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسكان المحوط والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود : ابو عبيدة امين هذه الامة وطال ما اعز الله بك الاسلام واصلمح فساداه على يدك ولم تزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولا هلك ركناً ولا خوانك ردأقد اردت لك لاسر له ما بعده خطره غورف وصلاحه معروف واثن لم يندمل جرحه بمسبك ولم تستجب سعيته لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يدك فتأن له يا أبا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصابة غير آل جمدأ ولا قال جدأ والله كالكوكب وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق ، امض الى على واخضع جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابي طالب ومكانه من قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :

ه البحر مغرقة والبر مفرقة والجو اكلف والليل اغاف والسماء جلاء والارض صلاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق رؤف عطوف والباطل شغوف عنوف والمعجب قادح الشرار والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقعة

ثقوب العدواة وهذا الشيطان متكى، على شماله متجبل يمينه نافج حضيئه لاهله
 ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعدواة عناداً لله ولرسوله
 صلى الله عليه وسلم ولدنيته ثالبا يرسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى اهل
 الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل والزور دأباله مذ كان على عهد ابينا آدم صلى
 الله عليه وسلم وعاده منه منذ اهانته الله عز وجل في سالف الدهر لا ينجى منه
 الا بعض النواجد على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله وعدو
 الدين بالاشد فالاشد والاحد فالاحد واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه
 وجنب تنخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غيبه ، ولقد
 اودك من افاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من
 آثر البقاء معك ماهذا الذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك
 رأبك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظلمتك وبتراد معه نفسك وتكثر معه
 صعداؤك ولا يفيض به لسانك أعجمة بعد إفصاح أتليس بعد ايضاح أدين غير
 دين الله عز وجل أخلق غير خلق القرآن أهدى غير النبي صلى الله عليه وسلم أمثلى
 يدب له الضراء او يشى اليه الخمر أم مثلك ينقبض عليه القضاء او يكسف في عينه
 القمر ماهذه القمعة بالشنان وماهذه الوعرة باللسان انك جد عارف باستجابتنا
 لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن أوطاننا واموالنا واولادنا
 واحبتنا هجرة الى الله تعالى عز ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم في زمان انت
 فيه في كن الصبي وخدر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى ما يراد ويشاد
 ولا تحصل ما يساق ويقاد سوى ما انت جار عايشه الى غايته التى اليها عسى بك
 وعندها حسم رحلك غير مجهول القدر ولا بمحدود الفضل ونحن في اثناء ذلك نعانى
 احوالا تزيل الرواى ونفاسى احوالا تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين
 تيارها تتجرع صابها ونشرح عباها ونسوغ عباها ومحكم اساسها ونهرم امراسها
 والعيون تحسج بالحسد ، الانوف تهطس بالكبر والصدور تستدرك بالغيبظ
 والاعناق تنطاول بالفجر والشفار تشحن بالمسكرو الارض تميد بالخوف ولا تنتظر
 عند المساء صباحا ولا عند الصباح مساء ولا تدفع فى نحر امرنا الا بهمسد ان

نحسو الموت دونه ولا نبليخ الى شئ الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوم منآدأ
 الا بعد الياس من الحياة عنده فادين في كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالاب والام والخال والعلم والنشب والسبد واللبس والهللة والبللة بطيب نفس
 وقرووعين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة أوجه وذلافة السن
 هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلا ولولا حداثة سنك لم
 تكن عنها نا كلا كيف وفؤادك مشهور وعودك مهجوم وغيبك مخبور والقول
 فيك كثير والآن قد بلغ الله بك وارحص الخير لك وجعل مرادك بين يديك
 وعن علم أقول ما تسمع فارتقب زمانك وفلص اليه أردانك ودع التجسس
 والتعسس لمن لا يضلح اليك اذا خطا ولا يترحز عنك اذا عطا فالامرغض والنفوس
 فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا
 وماؤها العذب فلا تحمل اجاجا والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هـ ولمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه
 فيه ويجا حش عليه ولمن تضامل له لا لمن ينتفخ اليه ولمن
 يقول هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الصبر فذكر فيانا من قریش فقلت أين أنت من على فقال إني لأكره
 لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سنه فقلت له متى كنته يدك ورعته عينك حفت بهما
 البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عاك ورغبته فيك وما كنت
 عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك واجد
 رائحة سواك وكنت لك إذا ذاك خيراً منك الآن لي ولئن كان عرض بك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنتى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت
 عن سواك وان يختلج في نفسك شئ فسلم فالحكم مرضى والصواب مسموع
 والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل
 وهو عن هذه العصاة راض وعليها حذب يسره ما يسرها ويسكده ما كادها
 ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها ألم تعلم أنه لم يدع احداً من أصحابه
 وخطائانه واقاربته وشجراته الا أبانه بفنيلة وخصه بمكرمة وافرده بخلافة له

اضفقت الامة عليه لكان عنده أباتها وكفالتها وكرامتها وغزارتها أنظن أنه
صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشر اسدى بددا عدى عباهل مباهل طلاحاً مفتونة
بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا مساق ولا وافي ولا هادى ولا
حادى كلا والله ما اشتاق إلى ربه تعالى ولا سأله المصير إلى رضوانه حتى ضرب
الصوى واوضح الهدى وامن الممالك والمطامير وسهل المبارك والمهايع وشدخ
يا فوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جده وجدع
انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه وتفل في وجه الشيطان بعون الله جل ذكره
وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل وبعد فمؤلاء المهاجرون والأنصار
عندك ومعك في دار واحدة وبقعة جامعة إن استقالوني لك وأشاروا عندي بك
فانا واضع يدي في يدك وصائر إلى رأيهم فيك وإن تكن الأخرى فادخل فيما
دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفتاح لمغالقتهم والمرشد لضا لهم
والرادع لغاويهم فقد أمر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب إلى التناصر
على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله عز
وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمانية فارقهم بهم واحسن عليهم
ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر
واقعاً وباب الفتنة غلقاً فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على
ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لي عمر كن لدى الباب هنية فلي معك
نصيب من القول فوقف ولا أدري ما كان بعدي إلا أنه لحقني ووجهه يسدي
تهللاً وقال قل لعل :

والرقاد محله واللجاج ملحمه والهوى مفحمه وماننا أحد إلا وله مقام معلوم
وحق مشاع أو مقسوم ونبا ظاهر أو مكتوم وان اكيس الكيسى من منح
الشارد تألفاً وقارب البعيد تطفلاً ووزن كل أمرى بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه
ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خيريه مكان شره ولا خير في معرفة مشوبة بشكرة
ولا في علم معتمل في جهل ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجائب وبين الذنب

وكل صال فبناره وكل سميل فالى قراره وما كان سيكوت هذه العصابة إلى هذه
الغاية لى وشى وكلامها اليوم لفتق اوراق قد جدع الله بمحمد صلى
الله عليه وسلم انف كل ذى صبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب
فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخبزوانة التى فى فراش رأسك وما هذا الشجعا
المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحرة التى اكلت شمس سيفك والقذاة التى
اعشت ناظرك وما هذا الدخس والذس اللذان يدلان على ضيق البساع وخور
الطباع وما هذا الذى لبست بسببه جلدة الذر واشتمات عليه بالشحناء والنكر
لشد ما استسمعت اليها وسريت سري ابن انقد اليها ان العوان لا تعلم الخزى وان
الخصان لا تسلم خبيرة وما احوج الفرعاء الى قال وما افقر الصلحاء الى حال لقد
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر محبس ليس لاحد فيه ملبس . . ولم
يسير فيك قولاً ولم يستنزل فيك قرآناً ولم يجزم فى شأنك حكماً ولما فى كسروية
كسرى ولا فى قيصرية قيصر انما ذلك لاخذان فارس وابناء الاصفر قوم جهلهم جزراً
لسيوفنا وخزراً لراحنا ومرى لطعاننا وتبعنا لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة ضياء
رسالة وثمره حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهدية بالحق
والصدق مأمونة على الفتق والرتق لها من الله عز وجل قلب ابى وساعد قوى
ويد ناصرة وعين باصرة أنظن ان أبابكر الصديق وثب على هذا الامر مقتناً
على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أنراه امتلخ احلامها وأزاع ابصارها وحل
عقدها واحال عقولها واستل من صدورهم حيتها وانتزع من اكبادها عصبيتها
ونكث رشاءها وأنضب ماءها واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها
ليلاً ووزنها كيلاً وبفظها رقاداً وصلاحها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين
وان كيده لمتين كلا والله باى خيل ورجل وبأى سنان وانصل وبأى قوة ومنه
وبأى ايد وشدة وبأى عشيرة وامرة وبأى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما
وسمته منبع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فوطت اليه واطامن لها
فلصقت به ومال عنها فالت اليه واشتمل دونها فاشتمات عليه حبة حباه الله بها
وعاقبة بلغه الله ايها ونعمة سر به الله جمالها ويد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله

به لها ولطال ما حلقت فوقه في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
لفتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة
وانك بحيث لا يحفل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة
ولا يجد حقلك فيما آتاك ربك ولكن لك من يراحك بمنكب اضخم من منكبك
وقرب امس من قربك وسن اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها
رق من الجاهلية وفرع في الاسلام والشرعية وواقف ليس لك فيها من جهل ولا
ناقة ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقاة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا
تخرج ببازل ولا هبع ان عذرت نفسك فيما تهدر به شقة شقتك من صاغيتك فاعذرنا
فيما تسمع منا في اين وسكون بما لا تبعده منه ولا تاضله عليه ولئن حدثت بهذا
نفسك ليتنخشن عليك ما ينسبك الاولى ويلبيك عن الاخرى ولو علم من
عرضنا به بما في انفسنا له وعليه ولما سكنت ولا تخذلت انت وليجة الى بعض الارب.
فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة
همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفرج رآيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك
كله يحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه
ولعمري انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قرابة
والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وكذلك
صاروا اجمعين ومهما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل
الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدا والفظ من فيك ما تعلق
بلمهاتك وانفك سخيمة صدرك عن نفائك فان يكن في الامد طول وفي الاجل
فسحة فستأكله مريا او غير مري وستشر به هنيا او غير هني حين لا راد لقولك
الا من كان منك ولا نابع لك الا من كان طامعا فيك يعض إهابك ويفرى قدامتك
ويزرى على هديك هناك تفرع السن من ندم وتجرع الماء من وجع بدم وحينئذ
تأسى على ماضى من عمرك ودرج من قومك فتود ان لو سقيت بالكساسة التي
ابيتها ورددت لالحال التي استبريتها والله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو
شاهده وعاقبة هو المجور لضرائها وسرائها وهو الولي الحميد الغفور الودود

قال ابو عبيدة رضى الله عنه : فشيت متزماً أتوجى كما بما اخطو على أم رأسى
فرقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصات الى على فى خلاء فأبثته بشى كله
وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسريت فى اوصاله حمياها قال حلت
معلوطة وولت مخروطة حل لاحتلت التمس أدنى لها من ان اقول لها

احدى لياليك فهيسى هيسى لاننعمى الليلة بالنعريس

نعم يا ابا عبيدة أكل هذا فى انفس القوم يحتبون عليه ويضطبعون به قال ابو عبيدة
فقلت لاجواب لك عندي اىما أنا قاض حق الدين ورائق فتق الاسلام للمسلمين
وساد ثلثة الامة يعلم الله ذلك من جملان قلبي وقرارة نفسى قال على رضى الله
عنه والله ما كان قعودى فى كسر هذا البنت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف
ولا زراية على مسلم بل لما وقفتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه
واودعنى من الحزن بفقده وذلك انى لم اشهد بعده مشهداً الا جددلى حزننا وذكرنى
شجواً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فقد عكفت على عهد
الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب مود لمن اخاص عمله وسلم لعلمه
ومشيئة ربه على انى ما علمت ان التظاهر على واقع ولا عن الحق الذى سبق الى
دافع واذا قد أفهم الوادى بن وحشد البادى من اجلى فلا مرحباً بما ساء احداً من
المسلمين وفى النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بمنصرى
وبنصرى وخضت لجنته بأخصى ومفرقى لكفى ما جم الى ان ألقى الله عز وجل
وعنده احتسب ما نزل بنى وانا غاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءنى
وسركم ليقضى الله امراً كان مفعولاً وكان الله على كل شىء شهيداً . قال ابو عبيدة :
فعدت الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنصصت القول على غرة ولم اخترزل
شئاً من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وانى تفرق
الى أبى بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلاً وجلس زهيتاً وأستاذن للقيام ونهض
فشيعه عبر تكرمه له واستشارة لما عنده فقال له على ما فعدت عن صاحبكم كارهاً له
ولا اتيتته فرقاً منه وما اقول ما اقول لعلة وانى لاعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى
ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكى قد ازممت على فأسى ثقة بالله فى الالبالة فى الدنيا

والآخرة ، فقال له عمر ك فكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحاشها والدلاء
برشائها فانا من خلفها وورائها ان قدحنا اورينا وان متحنا اروينا وان جرحنا
ادمينا وان نصحننا اربينا ولقد سمعت اما ثيلك التي لغيت بها عن صدر أكل
بالجوى ولو شئت لقلت على مقاتلك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك
قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعز
من ذلك فان من حق مصابه ان لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا
يزرى على اخبارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله لو
تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في مساء وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف
عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده
ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن
العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقعة على خلقه وبذل ما يصلحون به
ويرشدون اليه وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذي
سبق إليك دافع فأي تظاهر وقع عليك وأي حق لك ليطردونك وقد علمت
ما قالت الانصار لك بالامس سرأ وجهرأ وما تقلبت عليه بطنأ وظهراً فهل
ذكرتك أو أشارت بك أو وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذي قال
بلسانه تصلح لهذا الأمر أو اوما بعينه أو مهمهم في نفسه اتظن أن الناس قد ضلوا
من أجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم تحاملاً عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنظر الوسى وتكف مناجاة
المملك لك ، ذلك أمر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الأمر
معهوداً بانشطة أو مشدوداً باطراف ليطه كلا والله أن الغيبة لحققة وان الشجرة
لمورقة ولا بجماء بعد حمد الله إلا وقد فصحت ولا بعفاء إلا وقد سميت ولا
بلهاء إلا وقد فطنت ولا شوكاء إلا وقد نقحت ومن أعجب شأنك فوالك لولا
سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي وهل ترك الدين لاحد من أهله أن يشفي
غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها واقلع

جرأوتها وهولها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت أنك ما جهم فلعمرى إن من اتقى الله عز وجل وأثر رضاه وطالب ماعنده أمسك لسانه وأطبق فاه وجعل سميه لما مرأاه. قال على رضى الله عنه: والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته ولا أقررت وأنا أريد حولا عنه وأن أخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من أثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل فى كل الحوادث أرجع يا ابا حفص نافع القلب فسيح البال مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمعته وقلته إلا ما يشد الازر ويخط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفه ويرفع الكفاه ويوقع الزافه بعونه الله عز وجل وحسن توفيقه

٢١ — كتاب على إلى الاشتر النخعي :

وكتب للاشتر النخعي لما ولاه على مصر واعمالها عهداً يجمع كثيراً من المحاسن وهو : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خرجها وجزاء دعواها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وإتباع طاعته وإتباع ما أمر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى لا يسعد احداً الا بإتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وإن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصره ونصره واعزاز من عزه . وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويضعها عند البهجات فإن النفس إمارة بالسوء الا مارحم الله . ثم أعلم يا مالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وإن الناس ينظرون من امورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السن عبادته فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فمالك هو اك وشيخ بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت او كرهت واشعر قلبك الرقة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكون عليهم سبباً ضارياً تغتصم اكلامهم فانهم صنفان اما أخ لك فى الدين او نظير لك فى الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العال ويؤتى على ايديهم فى العمد

والخطأ فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تمدن على عفوه ولا تبجن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقوان انى مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب ومنهك للدين وتقرب من الغير . واذا أحدث لك مانت فيه من سلطانك أهمة أو مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحتك ويكفيك عنك من غررك ويلى اليك بما عذب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويمين كل مختال . انصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادته ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شىء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إفاة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الامور اليك أوسطها فى الحق واعمها فى العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يصحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يفتفرع مع رضا العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسأل بالالخاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع وأضف صبراً عند ملات الدهر من أهل الخاصة وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صفوك لهم وميلك معهم ، وليكن أبعد رعيته منك وأشنانهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فان فى الناس عيوباً والى أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى نصدين ساع فان

الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين . ولا تدخان في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إلى أن قال : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعييتك في نفسك من لا تضيق به الأمور ولا تهكم الخصوم ولا يتبادى في الزلة ولا يحصر من النية إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه أو يفهم في الشبهات وآنذهم بالحجج وأقلمهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الأمور وأصرهم عند انضاح الحكم من لا يردديه أطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل عنه وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا .

ثم ختمه بقوله :

والواجب عليك أن تذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى دواها وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وإن ينحتم إليك بالسعادة والشهادة أيا إليه راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام

النثر

ومميزات في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيد :

١ - الادب قسمان : شعر ونثر ؛ فالشعر هو الكلام الموزون المقفى المعتمد على الخيال ، والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية . والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويثير الشعور والوجدان . والنثر غالبا ما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويعتمد إثارة العواطف ، ويصاغ في أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منثورا .

٢ - والنثر نوعان : أحدهما ما يدور في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم فيرسالونه إرسالا على سمعيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة ، وهذا ما نسميه لغة التخاطب ، وهذا لا يعنى به الادب وليس قسما منه ، فليس شعرا ، وهو في الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى ويتأدب به الذى هو أحد قسمي الادب ، وإنما هو كلام عاды لم يقصد أصحابه فيه غالبا إلى الاجادة ولا إلى جمال فني وإنما أرادوا تأديته ما في نفوسهم من المعاني وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض .

والثاني هو ما يسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفكارا منظمة ، في عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب ، وهذا هو الذى يعد قسما للشعر في باب الادب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية . والكتابة عند الاوربيين : وصف أو قصص ، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ .

٣ - ولكن هل الشعر هو السابق في النشأة الادبية أو النثر الفني ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعه مقلدين في ذلك بعض المستشرقين

كالمسيو مرسيه الفرنسى أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفنى ^(١) . ويستدلون على ذلك بما يأتي ^(٢) :

١ - الشعر في آداب الأمم الاوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هو ميروس تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فنى ، وفي الأدب الانكليزى ترى أن قدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التى تصف أعمال « بيولف » ، وهى ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادى . فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر .
ب - كثرة الشعراء في العهود الاول لادب أى أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

ج - ومن أقوى الأسباب التى قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر في رأيهم أن الأدب المنشور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة في تاريخ كل أمة فقصائد هو ميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تدبج الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربى القديم قبل أن تدبج الكتابة ، ومنشئ الأدب المنشور لابد له من تدوين ما يحظر له

د - الشعر يعتمد على الخيال في حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير في حياة الأفراد والجماعات
هـ - الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحا .

و - الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعرا قبل أن يغنوا نثرا لاهم يحدون في الشعر أوزانا تلائم تقطيع الغناء وانغامه

(١) راجع ص ٣٣ / ١ النثر الفنى لزكى مبارك

(٢) ص ١٠ ، ١٢ ، ١٧٣ وما بعدها التوجيه الادبى ط ١٩٤٠ . الباب السابع من كتاب أصول النقد الادبى للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلى لطله حسين . وراجع فى ذلك البحث : الطبع والصناعة للهيبارى و ١/٣٧ الجوان للجاحظ

أما الدلائل الأولى فلا يدل على شيء، بل هو إن دل فإنما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحفاظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يحذف عليها النسيان وهو السبب في كثرة الشعراء في العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة وفي زيادتهم على الكتابات ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثاني منها .

ولعدم وجود الكتابة في العصور القديمة التي هي وسيلة لتخليد النثر الفني ضاع أغلب ما لدى الأمم من نثر فني، فكيف إذا استدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنثور للكتابة في تدوينه، وبذلك تجد الدليل الثالث لا يكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة.

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح في الأول مبالغ فيه في الثاني فلم لا يكون النثر الفني في بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضاً كالشعر، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقلية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها في هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لا يؤدي إلى غاية .

وأما أن الأمم التي لم تصعد درجة في الحضارة لها شعر وليس لها نثر فني خطأ في الرأي، فإن هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب ما لديها من شعر نثر فني ملائم لعقلياتهم ومظاهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح، وذلك يشاهد كثيراً في بيئتنا المصرية العامة التي يمثل بها هؤلاء تأييداً لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لا يمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غني من قديم قبل أن يغنوا نثراً فنشأ ذلك أن الشعر أصلح للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته، فكيف يتركونه ويغنون بنثر فني لا يلائم الغناء.

والحق أن النثر وجد أولاً ثم تحول إلى النثر الفني، ثم نشأ بعد ذلك الشعر، ويؤيد هذا الرأي إجماع كبير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم .

ويؤيده أيضا وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الاجيال في الامم التي أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هي التي أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمان طويل .

ويؤيده أيضا إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر ^(١) .
٤ — وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما في سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلاته أو فواصله في الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما أتحدت فواصله في وزنها لافي الحرف الأخير منها بما

نسميه تقفيه . مثل قوله تعالى : وبمبارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة .

والمرسل هو ما خلعت فواصله من الاتحاد في الوزن والقافية معا مثل : ولا يلاف

قريش ، إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ،

شبهة للمستشرقين :

فالنثر الأدبي أو الفني إذا هو الكلام الذى يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن ولا قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن القرن الأول الهجرى لم يكن فيه نثر فنى يعتد به ، إنما كان الشأن للشعر ، والقرآن لا يصح عده نثرا ولا شعرا ^(٢) ، وقد احتذى الدكتور فى ذلك حذو الاستاذ مرسبه الفرنسى وهو أول من ذهب إلى ذلك ، إلى أن النثر الفنى فى الأدب العربى يتبدى بأبن المقفع ^(٣) ، وابن المقفع فى نظر هؤلاء ، أول مندل للتطورات

(١) راجع ١٧ تاريخ الأدب العربى للزيات وسواه

(٢) ١ / ٣٣ النثر الفنى (٣) ١ / ٣٨ المرجع

الجديدة في الانشاء للعربي^(١) ، و هو أول مؤلف للانشاء الأدبي في اللغة العربية ،^(٢) وقد آمن الدكتور طه بهذا الرأي وبأن الشعر أسبق من النثر الفني في آداب اللغة العربية ، وأذاع ذلك في كثير من مؤلفاته^(٣) ، وقد ثار بهض الباحثين في وجه هذه النظرية وهاجموها^(٤)

وهذه النظرية — وهي أن الشعر سبق النثر الفني في الوجود — نجد أصولها عند أرسطو في كتابه « الشعر » فهو يقول فيه : « والأقدم من الأشعار الأقصر ، والأولون كانوا يقرون الاعتقاد في النفوس بالتمثيل الشعري ثم نبخت الخطابة بعد ذلك لحاولوا تقرير الاعتقادات بالاعتناع »^(٥) ، فأرسطو يرى أن الشعر وجد قبل الخطابة وهي نوع من أنواع النثر ، وقد عمم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفني وجوداً ، وعلى أن بعض كبار المستشرقين من علماء الألمان كجلد زهر وبر وكليان على الرأي القائل بأن السجع كان المرحلة التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب^(٦) ، وهذا يهدم المذهب الجديد السابق .

ونحن لانميل إلى هذا المذهب الجديد ولا نؤيده ، فالقرآن أثر من آثار النثر

(١) مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بعنوان
مخاطر في الأدب العربي .

(٢) ص ٩ المرجع السابق

(٣) ١٢ التوجيه الأدبي ، ٣٦٤ — ٣٦٨ الأدب الجاهلي ، ١٥ و ١٦ المجمل
في تاريخ الأدب العربي ، و من حديث الشعر والنثر ،

(٤) راجع ٥٨ — ٦٦ تاريخ الأدب في العصر الجاهلي للأستاذ محمد هاشم ،
٣٣ / ١ النثر الفني .

(٥) راجع الفن التاسع من الشفاء ، وهو « الشعر » ،

(٦) ٦٢ الأدب الجاهلي لمحمد هاشم

الفنى ، وكذلك الكتنب الدينية والادبية القديمة التى يشير إليها القرآن الكريم ، وكثير من الأمم القديمة كان لها نثر فى الميلاد بكثير ، فليونيانيين آثار كبيرة فى الخطابة من قبل الميلاد بقرون عديدة ، ولليونانيين آثار فيها قبل الميلاد وبعده^(١) فلم لا يكون للعرب نثر فى بعد الميلاد بخمسة قرون ، على أن لعبد الحميد الكتائب آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال ، والقديما من النقاد يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول : « وكان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها فتوهوا أعادىض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا^(٢) » ، وكذلك كثير من الباحثين كالزهاوى^(٣) وسواه

وإذا فالتأثر الفنى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ، ثم نما وازدهر بعد عصر النبوة على يد كثير من أعلام النثر إلى أن نبغ فيه عبد الحميد الكتائب وابن المقفع وسواه

وصف للنثر الفنى فى صدر الاسلام :

وبعد فقد كان للعرب فى جاهليتهم نثر فنى^(٤) ، بقى فى ماروى لنا من أمالم

(١) راجع ٦٥ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٢) ١ / ٨ العمدة

(٣) راجع الجزء الأول من « سحر الشعر »

(١) هذا ويشكر طه حسين وجود نثر فنى فى الجاهلية لأن كل ما يضاف إلى عرب الجنوب من نثر بدليل عدم ظمور لهجاتهم فيه إذا جاء كله بلغة قریش التى لم يكن لهم بها علم ولا نهم كان لهم لغة مروفة كتبوا بها وتركوا لنافىها نصوصا منشورة كشفها المستشرقون وهى لاتوافق لغة قریش فى شيء . فكل ما يضاف إلى اليمانيين عنده من نثر مرسل أو مسجوع أو خطابة فى الجاهلية من نثر . أما عرب الشامية فبى رفض ما يضاف إلى ربيعة وغديرها من عرب العراق والبحرين والجزيرة ويتردد فيما ينسب إلى مصر . وهذا هو موقفه بالنسبة للشعر الجاهلى أيضا . [راجع الادب الجاهلى]

وحكمهم ووصاياهم وخطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم ومخاوراتهم ووثر كهانهم .
ثم نزل القرآن الكريم وجاءت الدعوة النبوية الكريمة واختلف العرب حيالها
بين مكذب ومصدق ، فكثرت دواعي الحجاج والكلام والخطابة ، واخذ النثر
ينمو ويزدهر ويسمو ويقوى ،

وتتلذذ على القرآن والحديث اعلام من البلغاء والخطباء والفصحاء فنهجوا
نهجهم في تأييد الدعوة ونشر الرسالة والإرشاد إلى الحق والخير والاسلام ،
وتحميس الجنود والتبشير بالنصر . فكان لذلك كله أثر في نهضة النثر الفني بعد
عصر النبوة .

ولقد كان في كلام الله وحديث رسول ألوان رائعة كثيرة من المعاني الشريفة
والأساليب الرفيعة والألفاظ الساحرة فاقتدى العرب بهما ، ونهلوا من هوردهما
وأخذوا يصوغون أدبهم على مثالها .

فاتسعت أغراض النثر واستحكمت أساليبه وعذبت ألفاظه ، وعمقت معانيه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف جعلوا
لنثر دولة ووضعاه في منزلة أسمى من منزلة الشعر ، فأصبح هو أهم ألوان الأدب
في ذلك العصر الكريم .

موضوعات النثر الفني :

شملت موضوعات النثر الفني في هذا العصر ما يأتي :

١ . الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وبيان مبادئها وغاياتها وأهدافها
انثلى الكريمة .

٢ - بيان السياسة الشرعية والاجتماعية في عهود الخلفاء الى ولاتهم وقضائهم
وقوادهم : كعهد علي رضي الله عنه الى الأشتر النخعي وعهد عمر إلى أبي
موسى الأشعري .

٣ - الخطابة في الأمور الجامعة والحوادث المفاجئة وفي المناسبات الكثيرة .

٤ - وكتبت به الرسائل الدينية والسياسية التي تصدر عن الخليفة أو عن ولاته

٥ — واصبح أداة الدعوة والدولة ولسان المدنية الاسلاميه كافة .
وهذه اغراض لم يكن للعرب من قبل إلف بها إنما هي أغراض جديدة
وجه الدين الجديد العرب إليها .

معاني النثر الاسلامي :

ومعاني النثر الاسلامي في هذا العصر كانت :

- ١ — تنبع من معين النبوة وأدب القرآن الكريم ، من الدعوة الى التوحيد
والخلق والفضيلة والحق والخير والأخاء الانساني وتقرير الايمان بالله وانبيائه
وكتبه وملائكته واليوم الآخر
- ٢ — وكانت تصدر عن عقل خصب وذهن متوقد وتفكير منظم ، وملكات
حسيفة تنفذت بثقافة الاسلام وكتبابه الحكيم
- ٣ — وصارت المعاني منظمة والأفكار مرتبة بعد الخلط الذي كانت عليه
في الجاهلية .

٤ — وتمتاز بظهور حرارة الايمان وقوة العقيدة فيها وبغلبة الروح
الديني عليها .

٥ — وهي فوق ذلك كله صورة للحياة الاسلامية في هذا العصر الكريم بما
اشتمل عليه من فتوح وانتصارات وأحداث سياسية وثورات فكرية واجتماعية
أسلوب النثر الاسلامي :

- ١ — ويمتاز أسلوب النثر الاسلامي بحسن سبك وجمال رصفه وقوة نظمه
وأحكام فصوله والنشام أجزائه وذلك من تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث
النبوي الجليل .
- ٢ — كما يمتاز ببعده عن الغرابة والاستكراه والسجع المتكافئ والخطأ في
مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال
- ٣ — وبكثرة ما فيه من اقتباس من القرآن وكلام الرسول صلوات الله عليه

٤ — وبقوته ووضوحه وجلاله وسلاسته ، مما تجده واضحا في الآثار الفنية الأدبية التي حفل بها هذا العصر
الفاظه :

وقد بعدت ألفاظ النثر الاسلامي عن الغرابة والوحشية والابتذال ، واختيرت اختيارا جيدا ، ووضعت في مواضعها الملائمة ووشيت بالبلاغة والعدوبة والسحر وبعدت عن الخطأ وسلمت من العيب والحن والقصور
وهذا كله من أثر بلاغة القرآن والحديث في ألسنة المسلمين في هذا العهد

موازنة بين النثر الجاهلي ونثر صدر الاسلام

كان الجاهليون لا يحفلون بانتقاء الالفاظ والتعمق في المعاني وترتيبها ، ولا يولعون بالتأنق في صوغ العبارات وسجع الكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرفي الجملة وبخاصة الحكمة والمثل ، على قصد منهم إلى الإيجاز في الالفاظ ، وتعهد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليقة المنفهم لسكلامهم ودقيق صكناياتهم . أما النثر الاسلامي فيمتاز بما يأتي :

١ — اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشعائر الدين .

٢ .. عناية أهل هذا العصر بعض العناية بهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرسوا على آخر ، وسعد من بين هذه الالفاظ بالاستعمال والرواج مادار في عبارات القرآن والسنة ، مع حفليهم بتوليد الحديث من القديم

٣ — تأنيقهم في صوغ عباراتهم ومحاكاةهم فيها لأساليب الكتاب والسنة ، واقتباسهم منها واستشهادهم بهما ، وبقائهم على اتباع خطة الإيجاز أول هذا العصر ، وميلهم إلى الاطناب أواخره ،

٤ — ترتيبهم للمعاني والأفكار بدون تغلل فيها ؛ ويظهر ذلك جلياً في الخطب التي كانوا يمدونها قبل القول ، وفي الرسائل التي كانت تدور بين الخلفاء والأمراء أخريات هذا العصر

أهم ألوان النشر الفني في صدر الاسلام

أولا — الخطابة

نماذج للخطابة في العصر :

١ — خطب رسول الله ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ، ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس إن لكم معالم ^(١) فانتبهوا لي معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين تخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن ديناه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

٢ — وخطب صلى الله عليه وسلم فقال :

أيها الناس كأن الموت فيهم — على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر ^(٣) ، عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداً ^(٤) ، ونأكل من ترائبهم ، كأننا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة ^(٥) .

(١) جمع معلم وهو ما يستدل به على الشيء

(٢) أى من استرضاء

(٣) سفر : مسافرون .

(٤) الاجداث جمع جدت (كسبب) : وهو القبر ، ونبوئهم : نزلهم .

(٥) الجائحة : المهلكة من الجوع : وهو الإهلاك والاستئصال

كالاجتياح .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا أكسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، ومخالط أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكّت وحسنت خليفته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم تستهوه البدعة (١) .

٣ . الخطبة المدنية الأولى :

لما كانت أول جمعة للنبي الكريم بالمدينة خطب المسلمين ، فقال : الحمد لله ، أحمدده واستغفره ، وأستغفره ، واستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى والنور والموعظة : على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ؛ من يطع الله ورسوله فقد رشده ، ومن يعصه فقد غوى وفرط (٢) . وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم : أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ، واحذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله يوقى مقته ، ويوقى عقوبته ، وإن تقوى الله يبيض الوجه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لسلككم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، جاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، وأكثروا من ذكر الله ، واعلموا لما بعد اليوم ؛ فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله .

(١) طوبى : مؤنث أطيّب .

(٢) فرط : ظلم واعتدى

٤ — خطبة الرداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله : أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير أما بعد أيها الناس : إسمعوا مني أبين لكم ، فاني لأدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ^(١) . وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعه وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعه غير السدانة والسقاية ^(٢) والعمد قود ^(٣) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، واسكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس :

-
- (١) وضع الدين أسقطه . وقد أسقط الرسول ربا الجاهلية فلا يؤدي فضله
 (٢) يريد بمآثر الجاهلية ما كان يستأثر به بعضهم على بعض كالحقوق التي كان يتوارثها سادات العرب . قال الشاعر :
- لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيط والفضول
 فالمر باع ما يأخذه الرئيس من النخلة وهو ربهما ، والفضول ما امتنع على القسمة لقلته وخص به .
- وسدانة الكعبة خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقها ، وفعلها سدن يسدن . كنصر . وقد كانت السدانة لبني عبد الدار ، فأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عليها والسقاية إرواء الحاج ، وقد كانت في أسر من قریش .
- (٣) القود : قتل النفس بالنفس أو القصاص عامة .

إنما النسى (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا (٢) عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض - إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ، واحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان (٣) ألا هل بلغت ، اللهم ، أشهد . إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً . لكم ألا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بأذنكم ، ولا يأتين بفاحشة (٤) ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن (٥) ، وتمجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان (٦) لا يمسكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً فاني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا . كتاب الله وأهل بيتي ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد أيها الناس إن ربكم

(١) النسى : شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها . فكانوا ينسئون المحرم ويؤجلونه إلى صفر .

(٢) ليواطئوا عدة ما حرم الله : أي ليوافقوا ويطابقوا عدة الشهور .

(٣) إنما حدد رجب ، لأن العرب كانت تؤخره من شهر إلى شهر كما نشاء أهواؤهم إذا أرادوا الحرب أو السلام .

(٤) كل قبيح من القول والفعل فهو فاحشه ، ومن الفاحشة خروج المرأة من دار زوجها بغير إذنه ، وتطاولها عليه بالهجر من القول .

(٥) عضل الزوج زوجته أساء عشرتها حتى تنزل له عن حقها عنده .

(٦) العوانى جمع عانية : أى أسيرة .

واحد وإن أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب اكرمكم عند الله أنتم
ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالقوى ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال . فليبلغ
الشاهد منكم الغائب، أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا
يجوز لوارث وصية في أكثر من الثالث والولد للفراش وللعاهر الحجر من دعى
إلى غير أبيه أو تولى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ - ولأمر المؤمنين أبي بكر رضى الله عنه المتوفى سنة ١٣ هـ

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن
رأيتهم على حق فأعينوني وإن رأيتهم على باطل فسدوني أطيعوني
ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن أفواكم عندي الضعيف
حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا
وأستغفر الله لى ولكم .

٦ - خطبة أبي بكر يوم السقيفة .

وخطب أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة (١) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهدنا على أمته ، ليعبدوا الله يوحده
وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما
هى من حجر منحوت ، وخشب منجور (٢) ، ثم قرأ : « ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » : وقالوا : ما نعبدهم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى (٣) ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخص

(١) هى سقيفة بنى ساعدة ، وفد اجتمع الأنصار فيها يوم قبض النبي صلى الله
الله عليه وسلم وقالوا نولى هذا . الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة
(٢) الحجر : نحت الخشب .
(٣) الزلفى . القرية .

الله المهاجرين الأولين من قومه بشهديته ، والإيمان به ، والمواصاة له ، والصبر معه على (١) شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم لإياهم ؛ وكل الناس لهم مخالف زار (٢) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (٣) الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض ، وأمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم .

وانتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ؛ رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة (٤) أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا تفتنونا بمشورة ، ولا تنقضى دونكم الأمور ؛

٧ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ووصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام فقال .
«إني قد وليتك لأبلوك (٥) وأجربك وأخرجك (٦) ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ؛ فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ؛ وقد وليتك عمل خالد (٧) ، فإياك وعيبة (٨) الجاهلية ، فإن الله يفضيها ويغض أهلها

(١) على بمعنى مع .

(٢) زرى عليه زراية : عابه .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره .

(٤) جلة ، جمع جليل .

(٥) بلاه يبلوه ، امتحنه واختبره

(٦) خرج ، دربه وعلمه

(٧) هو جالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيده إلى الشام وأولاهم عزله

(٨) العيبة ، بضم العين وكسر ها ، الكبر والفخر ، وفي الحديث : إن الله

قد وضع عنكم عيبة الجاهلية ، يعنى الكبر

وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وأبدأهم بالخير ، وعدم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها ، باتمام وكوعها وسجودها ، والتخشع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا ترثهم ^(١) فيروا خطلك ، ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة ^(٢) عسكرك ، وأمنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ؛ ولا تجعل سرك لعلانياتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تختزن عن المشير خبرك ، فتوثى من قبل نفسك

وأسر بالليل في أصحابك تأتلك الاخبار ، وتتكشف عندك الاستار ، وأكثر حرسك ، وبددهم في عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وعقب ^(٣) بينهم بالليل ، وأجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانما أيسرها لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجئ فيها ، ولا تسرع إليها ، ولا تغفلها مدة ^(٤) ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفنيهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم ، واكتف بعلايتهم ، ولا تجالس العباثين ^(٥) ، وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجن فيجبن الناس ، واجتنب

(١) من الريث ، وهو الإبطاء

(٢) انثوة : كثرة العدد من الناس

(٣) عقبه تعقيا : جاء بعقبه .

(٤) لا تغذ : من خذا يغذو كنصر ، وخذى يخذى كرضى : إذا استرخى

والمدقع : الملتصق بالدقعاء (وهى الأرض) أو الهارب أو أشد الهزلى هزالا ، أى ولا تضعف ولا تجسبن أمام تنفيذ العقوبة ، وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٥) من عبث كفرح ، أى لعب .

— ١٠٩ —

الغلول (١) ، فإنه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، ويستجدون قوما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

٨ - خطبة لعمر بن الخطاب :

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ولي الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إني ذاع فأمنوا ، اللهم إني غليظ فليبي لأهل طاعتك ، ووافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وأرزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة (٢) والنفاق ، من غير ظلم مني لهم ، ولا اعتداء عليهم .

اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف ، قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة .

اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للؤمنين .

اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين .

اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فأرزقني النشاط فيها ، والقدرة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وأرزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشهوات .

اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شئ قدير .

٩ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) الدعارة : الفجور .

ووصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص حين أمره على حرب العراق فقال .

يا سعد سعد بنى وهيب ، لا يفرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى (ص) عليه فالزمه فانه الأمر

١٠ — وخطب أيضاً فقال :

أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضع يغرقه فنهوه فقال : هو وضعى ولى أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلبوا وأن تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمتنا الله وإياكم

١١ — وخطب اذ ولي الخلافة

صعد المنبر بحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك وموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وأرزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعاية والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسحقى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سممة واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقنى خفض الجناح واين الجانب للدؤمين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكور الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند العمل اطاعتك فأرزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تسكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى واصلاح الساعات والحذر من الشهوات اللهم ارزقنى التفكير والتدبر بما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير .

١٢ - آخر خطبة خطبها عثمان :

وكانت آخر خطبة خطبها عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 « إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لنتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركتموها
 إليها ، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطل أنفسكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية
 فآثروا (١) ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله .
 اتقوا الله جل وعز ، فإن تقواه الجنة (٢) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا
 من الله الغير (٣) ، والزموا جماعتكم ، لاتصيروا أحزابا ، واذكروا نعمة الله
 عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ،

١٣ - خطبة أم الخير بنت الحريش في وقعة صفين

وكتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن
 سراقه البارقى برحلهما ، وأعلمه أنه يجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه .
 فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ، فقالت ، أما أنا فغير راضة عن طاعة
 ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر تختلج في صدرى فلما شيعها
 وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه يجازيني
 بقولك في الخير خيرا ، وبالشر شرا ، فإلى عندك ؟ قالت : يا هـذا لا يطعمك
 برك في أن أسر بباطل ، ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق .
 فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها
 في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
 الله وبركاته ، فقال لها . وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟
 قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة (٤) السلطان مدحضة (٥) لما يجب عليه ،

(١) آثروا : فضلوا وقدموا

(٢) جنة : وقاية

(٣) غير الدهر ، أحداثه المغيرة

(٤) البديهة ، أول كل شيء وما يفجأ منه

(٥) المدحضة ، المزلّة

ولكل أجل كتاب، قال: صدقت فكيف حالك يا حالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟
 قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أتيق،
 عند ملك رقيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم قالت: يا أمير المؤمنين،
 يعينك الله من دحض (١) المقال، وما تردى (٢) عاقبته، قال: ليس هذا أردنا،
 أخبرنا كيف كان كلامك إذ قتل عمار (٣) بن ياسر؟ قالت: لم أكن والله
 زورته (٤)، قبل، ولا رويته بعد، إنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن
 أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال،
 أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم، أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين
 قال: هات، قال كأتى بها بين بردين زهريين (٥) كثنى النسيج وهى على جمل
 ارمك (٦)، ويدها سوط منتشر الغشيرة، وهى كالفجل يهدر (٧) في شقة شقة تقول
 يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم، إن الله قد أوضح لكم
 الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدطمة (٨)،
 فأين تريدون، رحمتكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة
 عن الإسلام، أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثاؤه يقول: ولنبلونكم

-
- (١) دحضت الحاجة دحضاً من بات نفع: بطأت ودحضت رجله، زافت،
 ومكان دحض زلق
 (٢) تردى، تهلك
 (٣) عمار بن ياسر، من اصحاب الإمام على، قتل يوم صفين
 (٤) زور الشئ، حسنه وقومه وهذبه
 (٥) الزهري، ما يعلو الثوب الجديد كالذى تراه في القفطية، في رواية أخرى
 عليهما برد زبيدي نسبة الى زبيد، بفتح الزاى، بلد بالين
 (٦) وصف من الرمكة بالضم وهى لون الرماد.
 (٧) يهدر. بصوت، والشقة شقة. شئ يخرج البعير من فيه إذا هاج.
 (٨) أدلهم الظلام. كثف وأسود.

حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول :

اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبیدك يارب أزمة القلوب ، فأجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل (١) والرضى التقي ، والصدیق الأكبر ، إنها إحن بدرية (٢) وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية (٣) ، وثبها معاوية حين الغفلة ، ولیدرك ثارات بنی عبد شمس (٤) ، ثم قالت :

قاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا إيمان لهم لهمم يذتهون ، صبرا يامعشر المهاجرين والانصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فسكأني بكم غدا وقد لقيتم أهمل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة (٥) ، لاندرى أين يسلك بها من لجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حين تحمل بهم الدامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل .

(١) تعنى الامام عليا كرم الله وجهه .

(٢) الاحسن جمع إحنة وهي الضعيفة والحققد ، تسمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخا معاوية (حنظلة بن أبي سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وخاله (الوليد بن عتبة) .

(٣) تشير إلى ما كان من هند زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله ، وأخذت كبده فلا كتبها ثم أرسلتها .

(٤) هو الجد الثالث لمعاوية ، فهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

(٥) القسورة . الأسد

ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسمعوا لها ، فآله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون — رحمكم الله — عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره وأبي سبطيه (١) ، خلق من طينته ، وتفرع من نبعته (٢) وجعله باب دينه ، وأبان بيفضه المنافقين ، وها هو ذا معلق الهام (٣) ، ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن (٤) ، فبالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا ، وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا .

قد اجتهدت في القول ، وبالنسبة في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولوقتلنك ما حرجت (٥) في ذلك ، قالت : والله ما يسوؤني يا بن هند أن يجري قتلى على يدي من يسعدني الله بشقائه ، قال : هيات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت . وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون قال معاوية : يا أم الخير ، هذا تناؤك الذي

(١) هما الحسن والحسين رضي الله عنهما ، والسبط . ولد الابن والابنة

(٢) النبعة في الأصل واحدة النبع وهو شجر تنخذ منه القسي والسمام .

(٣) الهام جمع هامة . وهي الرأس .

(٤) كانت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد في السنة الثالثة ، وغزوة الأحزاب (غزوة الخندق) في الخامسة ، وغزوة خيبر في السابعة ، وغزوة هوازن (غزوة حنين) في الثامنة ، وفي كلها أبلى الإمام علي بلاء حسنا ، تفصل أنباء كتب التاريخ .

(٥) حرج : أثم .

تذنين ؟ قالت . لكن الله يشهد - وكفى بالله شهيدا . ما أردت به ثمان نقصا ،
واقدا كان سببا إلى الخسائر ، وإنه لرفيع الدرجة غدا ، قال . فماتوا في
طلحة (١) بن عبيد الله ؟ قالت . وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ،
وأنى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، قال .
فماتوا في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن (٢) عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحوايه (٣) وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق
الله يامعاوية - فان قريشا تحدث أنك أحلبها - أن تعفيني من هذه المسائل ،
وتسألني عما شئت من غيرها ، قال . نعم ، ونعمة عين (٤) ، قد أعفيتك منها ، ثم
أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة .

١٤ - خطبة الإمام على بعد التحكيم :

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد التحكيم فقال :
الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح (٥) ، والحدث (٦) الجلل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وآله .

أما بعد ، فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة
وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم محزون رأيى ،

(١) طلحة والزبير من كبار الصحابة ، خرجا مع السيدة عائشة بعد مقتل عثمان
إلى البصرة وقتلا في وقعة الجمل .

(٢) أم الزبير هى : صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(٤) أى افعل ذلك لإنعاما لعينك وإكراما .

(٥) من فدحه الدين أى أثقله

(٦) الحدث الحادث .

لو كان يطاع لقصير أمر^(١) ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفافة ، والمنايذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ، ورضى الزند بقسده ، فسكنت وإياكم كما قال أخو هوازن^(٢) :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا تخي الغد
١٥ — خطبة الإمام على وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر :

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان بن بشير الانصارى في ألفين فأتوا عين التمر^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلى في ثلاثائه ، فسكتب إلى على يستعده ، فأمر الناس أن يهضوا إليه فتشاقفوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« منيت^(٤) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ما تظنون بنصركم ربكم ؟ أما دين يجمعكم ، ولا حمية تجمشكم^(٥) ؟ أقوم فيكم مستصرخا ، وأنا دينكم متغوئا^(٦) ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساماة فما يدرك بكم ثأر ، ولا يبلغ بكم مرام ادعوتكم إلى نصر إخوانكم فجررتهم^(٧) جرجرة الجمل الأسر^(٨) ، وتناقلتم تناقل

(١) قصير . هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده ألا يأمن الزباء ملكة الجزيرة ، وقد دسبه إليها ليتزوجها ، فثأفه وقصد إليها فقتلته ، فقال قصير . لا يطاع لقصير أمر ، فذهبت مثلا

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) بلد على الفرات شمالي الكوفة .

(٤) منيت : بليت

(٥) حش كفرح : غضب ، وأحشاه : أغضبه .

(٦) قاتلا : واغوثاه .

(٧) الجرجرة : صوت برده البعير في حنجرتة ، وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب .

(٨) الجمل الأسر : المصاب بداء السرر (كسبب) وهو وجع في السكرورة (بكسر الكافين) وهي رحي زور البعير .

النضو الأدبر^(١) ، ثم خرج الى منكم جنيد متذائب ضعيف^(٢) ، كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون .

١٦ - خطبة الإمام علي : قد أنار الضحاك بن قيس على الحيرة : ووجهه مياوية الضحاك بن قيس فأغار على الحيرة^(٣) ، وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليا فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيبا فقال : وأيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم^(٤) الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت وكيت^(٥) ، فإذا جاء القتال قلتم حيدى حياذ^(٦) .

ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استتراع قلب من قاساكم ، أعاليل بأضاليل^(٧) ، دفاع ذى الدين المطول^(٨) ، هيات لا يمنع الضيم الذليل :

(١) النضو ، البعير المهزول ، والأدبر ، المجروح .

(٢) جنيد ، متضرع جند ، متذائب ، مضطرب ، من قولهم ، تذاببت الريح أى اضطرب هبوبها .

(٣) بلد شمال الكوفة .

(٤) يوهى ، يشق ويخرق ، والصم جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت

(٥) كيت وكيت بفتح آخرهما ، ويكسر ، أى كذا وكذا .

(٦) حيدى حياذ ، كلمة يقولها الهارب الفار ، من حاد حيدا أى مال

والحرف ، أى ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب وهى نظيرة قولهم ، فيحى فياح ، أى اتسعى .

(٧) الأضاليل جمع أضلولة بالضم ؛ وهى الضلال ؛ وفى كتب اللغة والعلا

بالضم والتعلة كتنجية والعلة بالفتح ؛ ما يتعمل به ، وليس فيها كلمة أعاليل ولا مفردا ؛ ولا بد أن تكون جمع أضلولة بالضم كأضاليل وأعاجيب وألأعيب ... الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعلل بأباطيل لا جدوى لها .

(٨) المطول ، مبالغة فى ما طل .

ولا يدرك الحق إلا بالجد ، أى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدنى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتوه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخيبي ، ومن رعى بكم فقد رعى بأفوق ناصل^(١) .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ؟ ما دوائكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق ؟

١٧ — ولما بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة يوم السقيفة بايعوه بعدها فى المسجد البية العامة ، وبعدها خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله .

أما بعد فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم : فان أحسنت فأعينون وإن أسأت فقومون .

الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .
قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله .

١٨ — ومن خطبة عثمان فى الوعظ قال بعد حمد الله والثناء عليه :
إنكم فى دار قلعة^(٢) وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه

(١) سهم أفوق ، مكسور الفوق ، يضم الفاء ، والفوق : مدخل الوتر من السهم والناصل ، العارى عن النصل .
(٢) لا دوام لها .

فلقد أتيتكم ؛ صبيحتم أو مسيتم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تُفرغكم الحياة الدنيا ولا يفرغكم بالله الغرور (١) : اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها (٢) ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا الدنيا حيث رمى بها الله ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لها مثلا ، فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه (٣) » الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً . المسال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً .

ومن خطبه رضى الله عنه :

أما بعد . فان الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها . إن الدنيا تفتى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم (٤) الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، إن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله عز وجل فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير (٥) ، والزموا جماعتكم ألا تصيروا أحزاباً واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

(١) الغرور (بالفتح) الدنيا أو ما غرك أو يخلص بالشیطان وهو أيضاً ما يتغرغر به . وبالضم مصدر غر أو جمع غار .

(٢) عمر الرجل المكان (كنصر) أقام به . والمارة (بالكسر) ما يمر به المكان وبالضم أجرة الإقامة به وبالفتح كل ما يلبس على الرأس .

(٣) ذراه فرقه في الهواء .

(٤) البطر . كفر النعمة .

(٥) أى أحداثه التى تغير حال الشيء ، قيل هو ملرد وجمعه أشبار ، وقيل جمع غيرة كعنب جمع عنبه .

١٩ - خطبة السيدة فاطمة الزهراء.

حين يبيع أبو بكر ومنعها ميراثها في فذلك :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، . فان تفردوه تجدوه أبنى
دون أنسائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم . فبلغ النذارة صادعا بالرسالة ، مائلا
على مدرجة المشركين (١) ضاربا للجهنم (٢) آخذنا بكظمهم (٣) يخذ الاصنام (٤)
ويشكت الهام (٥) حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق
عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شفاشقي الشياطين وكنتم على شفا حفرة من
النار مذقة الشارب (٦) ، ونهزة الطامع وقبسة العجلان ، وهو طيء الاقدام تشر بون
الطرق (٧) ، وتفتاتون الورق (٨) ، أذلة خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس
من حولكم ، فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد اللتيا والتي وبعد ما منى
بهم (٩) الرجال وذؤبان العرب ، كلها حشوا نارا . للحرب ونجم قرن لافضال ،
ففرت فاغرة من المشركين قذفت باخيه في هواتها فلا ينسكنى . حتى يطلا سماخها
باخصه ، ويخمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في
أولياء الله وأنتم في بلهية وادعون آمنون

حتى إذا اختار الله لنيبه دار أنبيائه ظهرت حسكة النفاق ، ونطق كاظم الغاوين ،

(١) مائلا على مدرجة المشركين أى معترضا طريقهم .

(٢) الشيع من الناس عليتهم وأشرفهم .

(٣) الكظم مخرج النفس .

(٤) الجذ : الكسر .

(٥) النسكت . الضرب بطرف القضيبي .

(٦) المذقة . الشربة من اللبن المخلوط .

(٧) الطارق الماء المشوب بأبوال الابل وأروائها .

(٨) تريد بالورق ورق الشجر .

(٩) جمع بهمة - بضم الباء - الشجاع الشديد البأس .

وينبغي حامل الآفاين ، وهدر فنيق (١) المبطلين يخطر في عرصاتهم وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، فاستهزئ بكم فوجدكم خفافاً ، وأحشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتموها غير شربكم . هذا والمهد قريب والسكم رحيب ، والجرح لما يندمل بدار ، أزعتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فبهات منكم وأنى بكم تؤفكون ، وهذا كتاب الله بين ظهركم ، زواجه بينة ، وشواهد لائحة ، وأوامره واضحة ، أرغبة . نه تدبرون ، أم بغيره تحكون ، بش للظالمين بدلاً ، ومن ينبغي غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تزيروا أختها (٢) إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتقاء (٣) ونهبر منكم على حز المدى وأنتم اللائى تزعمون أن لا إرث لنا ألكم الجاهلية يهون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، وبها معشر المهاجرة ، أفى ال كتاب أن ترث أباك ولا أرث أبيه ؟ لقد جئت شيئاً فرياً (٤) فدونسكم بخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فزعم الحكيم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة ؛ وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون .

٢. — وخطب أبو بكر رضى الله عنه حين أشار عليه الصحابة بترك المرتدين من العرب وشأنهم لأنه لا طاقة لمن بقى من المسلمين بالحرب أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله

(١) الفنيق : الجمل الفحل

(٢) تريد أنكم منعم ابن عم رسول الله حقه في الخلافة ثم اتبعتم هذه المظالم مظلمة أخرى من غير إهمال .

(٣) الارتقاء صوت الأبل أى تنهزون اضطراب الاصوات لتنتفعوا بما أردتم والحس وشرب الطائر

(٤) مخاطب أبا بكر رضى الله عنه .

حتى لا يموت ، أيها الناس أن كثير أعدائكم وفل عدوكم رغب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ، قوله الحق ووعد الصديق : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل » ، اتصفون — وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

أيها الناس ، والله لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في حق الله حق جهاده حتى أبلغ من نفسى عدوا أو أقتل مقتلا ، والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت بالله ، إنه خير معين .

٢١ - من خطبة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه في استنفار أهل الشام . فقال أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؛ وبالذل من العز خلفاً ، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ، ومن الذهول في سكرة ، يرتج عليكم حوارى فتعمهون ، فسكان قلوبكم مألوسة (١) فأنتم لاتعقلون ، ما أنتم لى بثقة سجيى الليالى (٢) وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر (٣) عز يفتقر إليكم ؛ ما أنتم إلا كأهل ضل رعاتها ، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبس لعمري الله شفر نار الحرب أنم ، تسكادون ولا تسكيدون وتنقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينأى عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وأيم الله إنى لأظن بكم أن لو حس الوغى واستجر الموت قد انفرجتكم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس ، والله أن امرأى بكم عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره .

(١) الألس والمؤاساة . الخداع والخيانة والغش والسرق

(٢) سجيى الليالى أى أبد الدهر

(٣) الزوافر جمع زافرة : الأنصار والعشيرة ، يقال جاءنا ومعه زافره أى

قومه ورهطه .

٢٢ - ومن كلام عائشة أم المؤمنين :

بلغها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أزفلة (١) من الناس فلما حضروا اسدات أستارها وعلت وسادها ، ثم قالت .

أبى وما أبىه !! أبى والله لانهطوه (٢) الأيدي ، ذلك طود منيف ، وظل مديد
هيات كذبت الظنون ، أنجح إذ أكديتم (٣) ، وسبق إذ ونيتم ، سبق الجواد إذا
استولى على الأمد ، فنى قریش ناشئاً ، وكمفها كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش (٤) ،
مملقها ، ويرأب شعها (٥) ، ويلم شعها ، حتى حليت قلبها ، ثم استشره (٦) فى دين
الله ، فما برحت شكيمته (٧) فى ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائهم سجداً يحى فيه
ما أمات البطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمة ، وقيند (٨) الجوانح شجى
النشيج (٩) ، فانهطت إليه أسوان مكة وولدائها يسخرون منه ويستزئون به
والله يستزى بهم ويدهم فى طغيانهم يعمهون ، فأكبرت ذلك رجالات قریش
لحنت قسيها ، وفوقت سهامها ، وامثلوه (١٠) غرضاً ، فافلواله صفاة ، ولاقصفا

١٠، الجماعة

٢، لا تتناولوه

٣، جبنتم

٤، يدهطى ويفضل من راى السهم إذا جعل فيه ريشاً ليكون أسد له وكذلك

المحسن يقوى الفقير على الحياة

٥، الشعب ؛ الصدع

٦، جد واجتهد .

٧، أنفته وحيمته

٨، عليل

٩، الشجى الحزين ، النشيج ، صوت البكاء

١٠، نصبروه

له قناة ، ومر على سيسائه (١) حتى إذا ضرب الدين بجرانه (٢) ، وألقى بركه ،
ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار
الله لنبيه ماعنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب الشيطان رواقه ،
ومد طيه ، ونصب حباله ، وأجلب بخيله ورجله ، واضطرب حبل الاسلام ،
ومرج (٣) عهده ، وماج أهله ، وبغى النوازل ، وظننت رجال أن قد أكتش
نهرها (٤) ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدیق بین أنظهم ؟ فقام حاسراً
مشمرا لجمع حاشيته ، ورفع قطريه ، فرد رسن الاسلام على غربه ، ولم يشهه
بطيه ا وأقام أوده بثقافه ، فابذر النفاق بوطئه ، وانتاش الدين فنعشه (٥) ، فلما
أراح الحق على أهله ، وقرر الروس على كواهلها ، وحقن الدماء في أهبا ، أتته
منيته ، فسد ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ، ذاك ابن الخطاب
الله أم حذلت له ، ودوت عليه ا لقد أر حدث به ، فنفع الكفرة ودينها (٦) وشم د
الشرك شذر منذر ، وبعج الأرض وبخعها (٧) ، فقأت أكلها ، ولفظت جنينها ، ترأمة
ويصدف عنها ، وتصدى له ويأبها ، ثم وزع فيها فيها وودعها كما يحبها . فأروني
ما تراتبون ، وأى يومى أبى تنعمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه
وقد نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت ، أنشدكم الله ، هل أنكرتم عما قلت
شيئاً ؟ قالوا : اللهم لا

١ ، شدته ، واليساء ، عظم الظفر ، والعرب تضربه مبالا للشدّة

٢ ، الجران ، الصدر وكذلك البرك

٣ ، اختلط

٤ ، أكتش ، قرب ، النهر ، اختلاس الشيء والظفر به مبادرة .

٥ ، رفعه

٦ ، صغرها

٧ ، بعج الأرض وبخعها شقها

وصف الخطابة في صدر الاسلام

تمهيد :

علمت أن القرآن رفع من منزلة النثر ، فاحتل المسكنة التي كانت للشعر من قبل . وذلك لأن الاسلام رفع من شأن العقل ، ولا يتذال الشعر بالتكسب به ، ولأن العقيدة الجديدة — وهي ما هي — تستلزم الخطابة وتستدعيها ؛ فضلا عن كثرة التنازع السياسي والديني بعد عصر عمر

وإذا كانت هذه هي منزلة النثر عامة فإن الخطابة احتلت الذروة من بين ألوان النثر خاصة في هذا العصر ، عصر صدر الاسلام . والخطابة هي كما تعلم فن إقناع الجماهير واستمالتهم والتأثير فيهم ؛ وقد كان هذا العصر أعظم العصور الأدبية خطرا وأكبرها أثرا في الخطابة ، فقد بلغت الغاية واستكملت عناصرها الفنية والأدبية ؛ وظهر الكثير من أعلام الخطباء ومصانع البيان ؛ وإمامهم هو الرسول الأعظم ، والخطيب الأول ، محمد صلوات الله عليه

أسباب رقي الخطابة

١ — النورة الروحية الكبرى التي قام بها قائد الإنسانية الأعظم وهاديها الكريم محمد صلوات الله عليه ؛ وماتحتاج إليه من فن الخطابة بين أنصار الدعوة وخصوصها ، فإن ذلك كان أهم سبب لرق الخطابة في هذا العهد

٢ — رفع الاسلام من شأن العقل وخفضه من غلواء العاطفة ، ودعوته إلى الاعتدال بالمنطق والحجة والقول الصادق المبين

٣ — ابتذال الشعر بالتكسب به رفع من منزلة الخطابة ونوه بها

٤ — الرقي السياسي والاجتماعي ، فقد أصبحت العرب أمة واحدة ، لها رئيس أعلى ، وانظمت شئونها الاجتماعية تنظيما استدعى الخطابة ، سواء كان من الخليفة أو قواده أو عماله أم من أفران الأمة وخطبائها ، أم في مجالس القضاء والشورى والفصل في الأمور

٥ — سلامة الملاحة وقوة الطبع وعدوبة الالسة ، والقدرة على

الارتجال، وذبوع آثار بلاغة القرآن والحديث في النفوس والمقول والأذواق (١)

٦ — كثرة الخلافات حول الخلافة بعد موت الرسول وبعد مقتل عمر، وما يستلزمه ذلك من كثرة فن الخطابة والحجاج بين الآراء والأفكار والأحزاب السياسية

٧ — كثرة الحاجة إليها في شئون الدين والاجتماع والسياسة إلى غير ذلك ذلك من أسباب رقي الخطابة ونهضتها وقوتها في هذا العصر الكريم

أغراض الخطابة

وأغراض الخطابة في هذا العصر كثيرة متنوعة، ومن أهمها:

١ — الدعوة إلى الدين وحجاج المشركين، ونضال المنكر بين بالحق والصدق والبيان المبين

٢ — الدفاع عن الرأي حين اختلف الأنصار والمهاجرون فيمن يلى الخلافة بعد الرسول، وحين اختلف المسلمون بعد عمر فيمن يختارونه لهذا المنصب الرفيع، وحين انقسم المسلمون بعد ذلك إلى شيعة وخوارج وإلى أنصار أعلى ومؤيدين لمعاوية وبني أمية

٣ — الحرض على قتال أعداء المسلمين، وتحسيس الجند وتشجيعهم حين ملاقات الأعداء، والتبشير بالنصر وسوى ذلك مما دعت إليه الفتوحات الإسلامية الكثيرة

١٠ — وإذا كان قدور دعن بعض الرجال في هذا العصر آثار قليلة جدا من العمى والهجز فهذا نادر ضئيل جدا، كما ورد في الكامل أن يزيد بن أبي سفيان ولاء أبو بكر ولاية في الشام فصعد على المنبر فتكلم فارتج عليه، فقطع الخطبة وقال: سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا، وأنتم إلى أمير فعال أخرج منكم إلى أمير قوال، فكان ذلك منه بلاغة ما بعدها بلاغة اعتذار، مما أشاد به عمرو بن العاص حين سمع هذه الكلمات،

٤ — الخطب في الشؤون الدينية من جماعة وصلاة عيدين وحج ومن وعظ وإرشاد وحض على الاستمسك بعروة الدين ومبادئ الإسلام
٥ — شرح خطبة سياسية أو رأى ديني أو منهج اجتماعي أو غير ذلك مما استلزمته الحياة الإسلامية في ذلك العهد البعيد
أسلوب الخطابة

١ — تمتاز الخطابة الإسلامية بصفاء الأسلوب ومتانتها وشدة وقوته وتأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس وأمنلاكه للشعور والوجدان
٢ — كما تمتاز بترك التكلف وهجران السجع المتعمد، وإثارة الطبع وماتليه الملكة الموهوبة الملهمة

٣ — كثرة الحكم وظهور العاطفة الدينية وذيق الاقتباس من أسلوب الذكر المبين ومحركاته في الاقتناع والتأثير وجمال التصوير وبلاغة التعبير
٤ — وكانت تبدأ بحمد الله والثناء عليه وتختتم بمثل : أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، وكان أبو بكر يختم خطبه بقوله ، اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك ، وكان عمر يلزم في آخر خطبه قوله اللهم لا تدعنى في غمرة ولا تأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين ،
٥ — وقد كانوا يسرون في خطبهم على طرفي الأبحاز والأطناب اتباعاً لمقتضيات الأحوال والمقامات

ألفاظها

وألفاظ الخطابة في هذا العصر ألفاظ القرآن في عذوبتها وجمالها وسهولتها والبعد عن الحوشى والغريب والمبتذل والمتنافر فيها فوق سلامتها من الخطأ والهيب والحن ، وفوق ما فيها من موسيقى وروعة وجلال وقوة تأثير

هيئة الخطيب :

وفد ظل الخطباء في هذا العصر على ما ألفوه من لبس العمامة والاشتغال بالرداء واختصار المخضرة وكان صلى الله عليه وسلم يعتمد على عصا في السلم وعلى قوس في الحرب إلى أن اتخذ المنبر وكانوا يقومون على شرف ويخطبون من

قيام إلى غير ذلك من المظاهر التي كانوا يحرصون عليها في الخطابة لنتم للخطيب روعة التأثير والاقناع

معاني الخطابة في صدر الإسلام :

ومعاني الخطابة في هذا العصر لا تخرج عما علمت من الحكمة والصدق والحق والخير والطهر .

وهي مع ذلك مرتبة منظمة صادرة عن عقيدة موهوبة مهذبة متقنة
فتمتلا عن دقتها وعمقها ووضوحها وجلالها وتأثيرها
وهذه الملامح التي كانوا ينهلون منه هذه الحكمة : هو القرآن الشريف والحديث
النبي الخالد .

وسمو الروح ، وعظمة الإيمان ، وقوة العقيدة وجلال الغاية ؛ كل هذه
خصائص ظاهرة لمعاني الخطابة في الإسلام

وهي مع ذلك مرتبطة بالأجزاء ، سليمة المتعلق ؛ مرتبة مهذبة واضحة
أشهر الخطباء

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلغاء كثرة رائعة عجيبة
وفي صدر الخطباء الخطيب الأول والامام الأكبر والزعيم الروحي الأعظم
محمد صلوات الله عليه ، وقد مر بك طرف من بلاغاته وخطابته صلى الله عليه
ومن الخطباء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وخالد وعبد الله بن عباس وعبد
الله بن الزبير ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاوية ؛ وسواهم من اعلام
الخطباء والبلغاء ، رضوان الله عليهم أجمعين
ومن الخطباء المشهورين ، عطاردين حاجب بن زراره وكان الخطيب عند
النبي صلى الله عليه كما يقول الجاحظ (١)

أعلام الخطباء في العصر الإسلامي

على بن أبي طالب

المتوفى عام ٤٠ هـ

أسرته :

هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جده عبد المطلب بن هاشم سيد قريش وزعيمها وعلماها المشهور والوالد أبو طالب ، كان شريفا عظيما ، اشتغل بالنجارة في الجاهلية ، ولما مات أبوه ورث عنه السقاية والرفادة . وهو الذي كفل ابن أخيه محمد صلوات الله عليه ، وشمله بالرعاية والعون والتأييد ، ولما تعاهدت قريش على : مقاطعة بني هاشم وبني المطلب قال :

ألا أبلغا عني - على ذات بيننا -	لويا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خط في أول السكتب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي	ويصبح من لم ين ذنباً كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتمقطعوا	أواصرنا بعبد المودة والفرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	أمر على من ذاقه حلب الحرب
فأسنا ورب البيت نسلم أحداً	لنزاء من عرض الزمان ولا كرب

وظل كذلك إلى أن توفاه الله عليه رحمته .

أما والدته فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا . أسلمت وهاجرت إلى المدينة وماتت في حياة الرسول .

وعلى خليفة المسلمين بعد عثمان ؛ وابن عم الرسول صلى الله عليه ، وزوج ابنته ، ووالد الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، ورابع الخلفاء الراشدين وإمام الخطباء من المسلمين بعد رسول الله

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمكة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة
(وقبل الهجرة بثمان سنين)

ونشأ بها النشأة العالية ، في كنفالة الرسول كما أحد أولاده . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان متزوجاً خديجة ، وكانت ذات مال كثير ، وكان الرسول يتجر فيه لحصل له ربح وفير ، فلما أصيبت قريش بالفحط والجحاعة ، قال الرسول لعمه العباس : « إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا فلنخفف من عياله : نأخذ أنت واحداً وأنا واحد » . وكان لأبي طالب من الذكور أربعة أولاد ، كل واحد بينه وبين الذي يليه عشر سنين ، وكان أسماهم طالبا ، فحقيلا ، فجعفر ، فعليا : فلما جاء الإسلام أسلم على الجعفر فعقيل ، أما طالب فمات على الكفر كما به . وكان لإسلام على وهو صغير في السنة الثامنة أو العاشرة من عمره قبل أن يتدنس بشيء من رجس الجاهلية ، ولذلك قيل فيه . « كرم الله وجهه » ، لأنه لم يسجد لصنم قط .

ولما علم أبوه بإسلامه وصلاته مع الرسول قال له : « أي بني : أي شيء الذي أنت عليه » ، قال : « يا أبت آمنت بالله ورسوله وصدق ما جاء به واتبعته » . فقال له : « أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه » .

وكان ذا منزلة سامية عند الرسول صلى الله عليه والصحابه والمسلمين كافة كان على جانب كبير من التقوى ، وكان أوفرهم نصيباً وأكرمهم مدداً من الرسول ، ولهذا كانت إليه الفتوى في حياة الرسول وبعده ، حتى ضرب به المثل بعد وفاة الرسول فقيل : « قضية ولا أبا حسن لها » . قال عبد الله بن عباس : « قسم علم الناس على خمسة أجزاء ، فكان أعلى منها أربعة ولناس جزء شاركهم فيه فكان أعلمهم به » . وقال عبد الله ابن مسعود : « كان على رضى الله عنه أفرض أهل المدينة وأقنأهم » . يريد أعلمهم بعلم الميراث والفصل في القضايا بين الناس . ومن دلائل عبقريته أنه كان يسأل عن الأمور المشككة فيجيب فيها على البديهية ويحل مشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، وكان بطلاً مقداماً ،

- ١٢١ -

وفارسا شجاعا ، وعلمنا من أعلام الاسلام ، كما كان خطيبيا مصقعا ، وبليغا مفوها ،
ومستشاراً مؤتمنا عند أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما .
ألوان من حياته :

١ - رجهاد على رضوان الله عليه في نشر الدعوة في حياة الرسول الكريم
ذائع مشهور

وتعلمون موقفه الخالد ليلة الهجرة ، وكيف نام في الموضع الذي ينام فيه
الرسول ليلة الهجرة ليفدى الرسول ، ويشمن نجاح هجرته مع أنه كان يعلم ما يترقبه
من قتل وتعذيب .

ثم هاجر على إلى المدينة وأقام فيها مع الرسول الكريم ، يكمل ثقافته الدينية
بما يتلقاه من الرسول ، وكان من كتاب الوحي ، واشترك في غزواته ومشاهدته
ماعداء غزوة تبوك .

٢ - وتوفي رسول الله صلوات الله وولى الخلافة أبو بكر بعده خلق كثير
من المسلمون ، ولكن عليا كان كريما رائع التضحية وما يضر به من المثل العظيمة ،
فوقف مع أبي بكر يشد أزره ؛ ويسند ظهره ، ويشير عليه في المشكلات ، وتوفي
أبو بكر وتولى الخلافة عمر ، فكان على له ظهراً مميّنا ، كان يشير عليه بالصواب
والرشد إذا تفاقمت الأمور واشتدت الخطوب .

ثم قام عثمان بعد عمر بالخلافة فبايعه على وظل يعاونه إلى أن تفاقمت الأمور
وقامت الثورة على عثمان ومات فيها قتيلاً ، ويروى أن عثمان كتب إلى علي وهو
محاصر في داره :
أما بعد :

فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطيين ، وطمع في من لا يدفع عن
نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب ، فأقبل إلى صديقاً كنت أوعدوا :

فان كنت ما كولا فكن خير آكل
ولا فأدركني ولما أمزق

فبعث إليه بابنيه : الحسن والحسين يدافعان عنه . ولكنهما لم يستطيعا مقاومة الجماهير النائرة فقتل عثمان

٣ — خلافته :

وبيع على بالخلافة بعد عثمان على كثره منه سنة ٣٥ هـ فأخذ معاوية بن أبي سفيان يؤلب بني أمية عليه لأنه لم يأخذ بدم عثمان ؛ وقد كان النوار يوم بيع لعلى مجتمعين ولم تغمد سيوفهم ، فرأى رضى الله عنه أن من الحكمة تركهم حتى تغمد نار الفتنة وتم البيعة ، ورأى معاوية أنه يجب الأخذ بدم عثمان قبل الشروع في البيعة ؛ وانضم إليه في هذا أهل الشام وطائفة من أهل مصر والعراق . قضى رحمه الله في الخلافة نحو خمس سنوات من ذى الحجة عام ٣٥ هـ الى رمضان عام ٤٠ هـ .

وقد كانت الأحداث التي وقعت في خلافته أحداثا عظيمة جعلته في كفاح دائم وحروب مستمرة

خرجت عليه عاتشة بالبصرة ومعها طلحة والزبير ، ومركة الجبل مشهورة ثم استمرت الحروب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سجلا ، ومنها موقعة صفين ثم كان أمر التحكيم الذي قبله على على كره منه ، وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري فيه .

ثم انتهى الأمر بقتل الخوارج لعلى بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، رحمة الله عليه بالكوفة في السابع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ ودفن بها وعمره ثلاثة وستون عاما وتولى بعده ابنه الحسن خلافة المسلمين ثم تنازل عنها لمعاوية عام ٤١ هـ .

نهج البلاغة للإمام على

وهو كتاب جليل ، وأثر أدبي خالد ، بعد كلام الله وكلام رسوله . جمع فيه الشريف الرضى م ٢٠٦ هـ كل ما ينسب للإمام على من خطبه

ووضاها ونصائح وحكم وأمثال ومواعظ وآراء ومجاورات ورسائل وعهود ، وقيل ان الذى قام بجمعه هو الشريف المرتضى م ٤٣٦ هـ

والشيعة على أن الكتاب بجملة وتفصيله لأمير المؤمنين على ، وذهب بعض الباحثين الى أنه منحول مقرئ عليه أما حجج الذين ينفون نسبته عن على فأهمها :

١ - أن فى الكتاب أقوالا شديدة اللهجة فى حق بعض الصحابة كما فى الخطبة الشقشقية السابقة ولكن بعض الباحثين يؤيدون نسبة هذه الخطبة اليه

٢ - ما فى الكتاب من أفكار عميقة واصطلاحات صوفية متأخرة . وأصطلاحات كلامية أيضا لم توجد فى عصره .

٣ - ما فى بعض رسائل الكتاب من طول كثير مما يدع للشك بجالا فى صحة نسبته الى الامام على كما فى عهد على الى الاثر النحوى .

٤ - خلو الكتب المؤلفة قبل الشريف الرضى من كثير مما فى نهج البلاغة وقد ذهب كثير من الباحثين الى نسبة الكتاب لعلى

ولكن بما لا ريب أن بعضا مما فى الكتاب متحل مدخول ، لا تصح نسبته الى الامام ، ولاداعى لتفصيل القول فى ذلك ، فلذا موضوع آخر غير هذا المكان هذا وقد تنقف بثقافة نهج البلاغة كثير من عاشق الأدب ودارسيه فى التقديم والحديث . ولا يزل الى اليوم من أهم كتب الأدب والثقافة الدينية والعربية

والكتاب على الاسلوب نظم العبارة مصقول البيان لطيف الروح ينحدر الى النفس بسهولة

وموضوعات الكتاب كما يقول الرضى ثلاثة : اولها الخطب والأوامر ، وثانيها . الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ .

وينازع ذلك بطوله وضخامته وبأهمية ما فيه من آراء فى الاخلاق والسياسة والذين والاجتماع وبأنه ثروة فكرية وأدبية واسعة .

بلاغة على

وعلى كريم الله وجهه في الذروة من البلاغة والفصاحة والبيان وهو أخطب الخطباء بعد رسول الله صلوات الله ولذلك أسباب :

- ١ — أمرته وبيئته ومكانهما في البلاغة
- ٢ — تأثره ببلاغة القرآن والرسول
- ٣ — كانت حياته كلها كفاح ونضال وجهاد وهذا من أهم ما يمد على الخطابة ويدعو إليها
- ٤ — نشأته وطبعه من صغره على البيان واللسن الفصاحة
- ٥ — قوة عارضته ، وحدة ذكائه وعبقريته ، وجليل شخصيته وجهه للصراحة والرأى الواضح . وكل ذلك مما يبعث الخطابة ويعين عليها
- وتمتاز خطابته بخصائص كثيرة من أهمها :
- ١ — تمثيلها لحياته وشخصيته وآرائه وعقيدته في الحياة
- ٢ — بلاغة أسلوبه وإحكامه وإثرائه واستمداده من أسلوب الذكر الحديث والبلاغة النبوية الشريفة
- ٣ — دقة معانيه وإحكامها وترتيبها وجلالها وعظمة الروح فيها وعلو الافق مما لا يكون إلا لمثل على كرم الله وجهه
- ٤ — جولة ألفاظه إذا استثنينا منها هذه الألفاظ الاصطلاحية الكثيرة ويقول فيه الرضى :

كان أمير المؤمنين على عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ؛ ومنه عليه السلام ظهرت مكنوناتها ، وعنه أخذت قوانينها ... من أجل هذا كان إذا خطب فهو أخطب العرب بعد رسول الله ، وإذا كتب كان أبلغ الناس قولاً وأصدقهم وصفاً وأسيرهم مثلاً رضى الله عنه

بعض آثار من كلام علي

١ - وما قاله عليه السلام قبل موته
أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبدة لكم ، وغدا مفارقكم ، إن أبق فائنا
ولم دمي ، وإن أفن فالفساء ميعادي ، وأن أغفر فالعفو لي قربة ؛ وهو لكم
حسنة . فاعفوا واصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله ما يخافني من الموت
وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقصارب ورد . وطالب وجد
وما عند الله خير للأبرار

ومن دعائه عليه السلام :

اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أضام في
سلطانك ، أو أضطهد في الأمر لك

٢ - وقال من وصية لولده محمد بن الحنفية حين أعطاه الراية يوم الجبل
« نزول الجبال ولا تزل . عض على ناجذك ^(١) أعر الله جمجمتك ^(٢) تدفن
الأرض قدمك ^(٣) . أرم ببصرك أقصى القوم ، وغض ببصرك ؛ واعلم أن النصر
بيده الله سبحانه »

٣ - ومن كلامه عليه السلام بصف بيئته بالخلافة ويرد على من زعم أن البيعة له
أخذت قسرا

بسطتم يدي فكشفتمها ؛ ومددتموها فقبضتمها ، ثم تداكسكم على تداك
الابل الهيم ^(١) على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النمل وسقط الرداء
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن أتهيج بها الصغير وهدج ^(٢) ، إليها الكبير ،
وتحامل نحوها العليسل وحسرت إليها السكعاب .

(١) أي احرص على أن يكون الأمر لك

(٢) أي لا تشعر نفسك أن رأسك الآن لك بل أعرها الله جل ذكره وهذا

آثر قول في الاستهانة بالنفس يوم الروح

(٣) تدفعل أمر من وند - نفتح التاء - الوتد ثبته

(٤) تداكسكم تراجتم والهيم جمع هيماء وهي التي برح بها العطش

(٥) هدج مشى مشية ضعف

٤ — ومن كلامه في التحريض على القتال لما أغار سفيان الاسدي على الانبار وقتل عامله عليها :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ^(١) ألبسه الله الذل ، وسياء ^(٢) الخسف ^(٣) وديث بالصغار ^(٤) . وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً ولم علاناً ، وقلت لكم أغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقر ^(٥) دارهم إلا ذلوا ؛ فتخاذلتم وتواكلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه ورامكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات ^(٦) .

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الانبار ، وقتل حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ^(٧) . وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينزع حجلاً وقلبا ورعائها ^(٨) ، ثم انصرفوا موفورين ^(٩) ، ما نال رجلاً منهم كلم ^(١٠) ولا أريق لهم دم . فلو أن رجلاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . يا عجباً كل العجب ! اعجب يميم القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحران ، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً ترمون ولا ترون ، ويغار عليكم ولا تغيرون ، ويعصى الله فيكم ^(١) . (١) رغب (كفرح) فيه أراد . وعنه كرهه . وإليه ابتل ، ورغب (كسكرم) اشتد نهمة .

(٢) علامة . (٣) الذل . (٤) ديث : وصم ، والصغار الذل .

(٥) عقر : وسط .

(٦) قال المبرد : قوله شنت عليكم الغارات يقول صبت . يقال شنت المساء وكذلك فسرها صاحب القاموس المحيط .

(٧) جمع مساحبة وهي النفر حيث يتخشى طروق العدو .

(٨) الحجول : الخلخال ، انقلاب السوار ، الرعاث جمع رعثة وهي القرط .

(٩) تأمين لم ينقص منهم أحد . (١٠) جرح .

وترضون ، إذا قلت أغزوهم في الشتاء قلتهم هذا أوان قروضر^(١) ، وإن قلت لكم أغزوهم في الصيف قلتهم هذه حمارة^(٢) القيظ . أنظرنا ينصرم الحر عنا ، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، وباطنهم^(٣) الاحلام ، وباعقول ربات الحجال^(٤) ، والله لقد أفسدتم على رأيي بالعصيان ، ولقد ملأتم جوفى غيظاً حتى قالت قريش : ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأى له في الحرب لله درهم^(٥) ١١ ومن ذا يكون أعلم بها مني وأشد لها مراساً ، فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع (يقولها ثلاثاً) ، فقام إليه رجل ومعه أخوه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى : رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فمرنا بأمرك ، فوالله لننتهين إليه ولو حال دونه جمر الغضى وشوك القتاد ، فدعا لها بخير ، ثم قال لهما وأين تقعان بما أريد .

٥ — الخطبة الشقشقية :

أما والله لقد تميمصها ابن أبي قحافة ، وأنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي ، ينحدر عنى السيل ، ولا يرقى إلى الطير ، فسدت دونها ثوبا وطويت

(١) القر بالضم : البرد ، ويوم قر بالفتح وليلة قره كذلك باردة والقرة

بالكسرة البرد والرجل مقرر . والصر : الريح الشديدة كالصرصر .

(٢) حمارة القيظ شدته ومثلها صبارة الشتاء .

(٣) الطغام : السفلة من الناس والواحد طغامة .

(٤) الحجال جمع حجلة وهي الستر : أى ذوات الخدور كناية عن النساء

أو جمع حجل بكسر فسكون وهو الخللخال .

(٥) الدر : النفس ، واللبن ، والعمل ، والمراد من نسبة الدر إلى الله بأحد

هذه المعاني هو تعظيمه لأن الشيء إذا نسب إلى العظيم كان عظيماً .

عنها كدحا ، وطفقت رثى به بين أن أصول بيد جنداء ^(١) أو أصبر على طخية عمياء ^(٢) يرم فيها السكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العيين قذى ، وفي الخلق شعجا ، أرى ترائي نها ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ، ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان ما يوى على كورها ويوم حيان أخنى جبار ^(٣)

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته ، اذ عدها لآخر بعد وفاته ، اشد ما تشظرا ضرعها فصيرها في حوزة خشناء بغلظ كلها ، ويغثن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ^(٤) ان أشتق لها خرم وأن أسلس لها تقم

ففى الناس . لعمر الله بخل وشماس ، وآتون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة ^(٥) زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى . متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرب إلى هذه النظائر ، لكنى أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، ففصحا رجلى منهم

(١) اليد الجنداء المقطوعة

(٢) الطخية قطعة من الغيم والسحاب

(٣) كان حيان ابن السمين نديماً للأعشى وهو في هذا البيت يشكو نفاروت ما بينه وبينه فهو يسير في الرضاء على كور ناقته بينا نديمه يقيم في رفاه العيش
(٤) الصعبة من النسيان التي لم تركب ولم ترض وأشتق الرجل ناقته إذا كدحها بالذمام ؛ وخرم أى قطع أنفها .

(٥) هؤلاء الجماعة أهل الشورى هم : على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف .

لصغته (١) ، ومال الآخر لصهره ، مسع هن وهن (٢) ، إلى أن قام ثالث القوم ،
 نالجا حضنيه بين ثثيله ومعتلفه (٣) ، وقام معه نبرأيه يخضمون مال الله خضمة
 الابل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما
 واعي إلا والناس كعرف الضبع إلى ، ينشالون على من كل جانب ، حتى لقد
 وطىء الحسنان ، وشق عطفائى ، مجتمعين حول كربيضة الغنم (٤) ، فلما نهضت
 بالامر نكثت طائفة ، ومرفت أخرى ، وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام
 الله حيث يقول :

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا
 والعاقبة للمتقين

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حلت الدنيا فى أعينهم وراقهم
 زبرجها ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقياس
 الحججة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظلة ظالم ولا
 سغب مظلوم ، لألقيت حبلى على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ،
 ولألفيتم دنياكم هذه عندى من عطفة عز .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد ، عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته
 فنأوله كئنا با فاقبل ينظر فيه ، فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ، يا أمير المؤمنين

(١) صفا : مال وهذا الذى يرى على رضى الله عنه أنه صفا لصغته هو طلحة
 ابن عبيد الله والذى مال لصهره هو عبيد الرحمن بن عوف وكان زوجا لأخت
 عثمان رضى الله عنه

(٢) هن من الالفاظ التى يكنى بها عن شىء يحب ستره

(٣) نالجا حضنيه أى رافبا لها ، والحضن ما بين الابط والكشح والثبل
 الروث والمعتلف موضع العلف

(٤) ربيضة الغنم القطعة الرابضة منها

لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت ا فقال هيات يا ابن عباس ا تلك شقشة (١)
هدرت ثم قرث ، قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسنى على هذا
الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

حول هذه الخطبة

ويتكرر كثيرون هذه الخطبة لما تشتمل عليه من اتهام للخلفاء الثلاثة رضوان
الله عليهم لما لا يصدر مثله عن أمير المؤمنين على رحمه الله مع جلاله وعفته وتسامحه
وفرط أدبه وفضله وكرمه

٦ — ومن الحكم لعلي بن أبي طالب :

إيمان المرء يعرف بإيمانه . أدب المرء خير من ذهبه . أداء الدين من الدين .
أحسن إلى المسيء تسد . إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب . أخوك من واصلك
بنسب لا من واصلك بنسب . بشر نفسك بالظفر بعد الصبر . بركة المال في أداء
الزكاة ، بيع الدنيا بالآخرة تربح . بكاء المرء من خشية الله تعالى قرة العين . باكر
تسعد . بطن المرء عدوه . بركة العمر حسن العمل . بلاء الإنسان من اللسان .
بشاشة الوجه عطية ثانية . توكل على الله يكفيك . تدارك في آخر العمر ما فاتك
في أوله . تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان . تغافل عن المكروه توفر .
ثمة الدين موت العلماء . ثبات الملك بالعدل . ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا .
ثناء الرجل على معطيه مستزيد . جد بما تجدد . جولة الباطل ساعة وجولة الحق
إلى قيام الساعة . جودة الكلام في الاختصار . جليس المرء مثله . جليس المرء
غنيمة . جالس الفقراء نزد شكرا . جل من لا يموت . حياء المرء ستره .
حموضات الطعام خير من حموضات الكلام . خف الله تأمن غيره . خلاف
نفسك تترح . خير الأصحاب من يدلك على الخير . خليل المرء دليل عقله .
خوف الله يجلو القلب . خلو القلب خير من ملء الكيس . خير المال ما أنفق في
سبيل الله . دليل عقل المرء فعله ودليل علمه قوله . دوام السرور برؤية الإخوان

(١) الشقشة ما يخرج البعير من فيه إذا هاج .

دولة الأردال آفة الرجال . دين الرجل حديثه . دولة الملوك في العدل . دار من جفاك تفجيلا . دم على كظم الغيظ محمد عواقبك . ذنب واحد كثير وذكر وألف طاعة قليل . ذكر الأولياء ينزل الرحمة . ذليل الخلق عزيز عند الله . ذكر الموت جلاء القلب . ذكر الشباب حسرة . رؤية الحبيب جلاء العين . رفاهية العيش في الأمن . رسول الموت الولادة . زيارة الحبيب إطراء المحبة . زوايا الدنيا مشحونة بالزبايا . زيارة الضعفاء من التواضع . زينة الباطن خير من زينة الظاهر . سيرة المرء تنبئ عن سريره . سمو المرء التواضع . شين العلم الصالح . شمروا في طلب الجنة . شريك ناعيك . شحيح غنى أفقر من فقير سخى صدق المرء نجاته . صحة البدن في الصوم . الصبر يورث الظفر . صلاة الليل بهاء النهار . صلاح الإنسان في حفظ اللسان . صاحب الاختيار تأمن الأشرار . صمت الجاهل ستره . صلاح الدين في الورع وفساده في الطمع . ضل سعى من رجا غير الله تعالى . ضرب الحبيب أوجع . ضل من ركن إلى الأشرار . طاب من وثق بالله . طلب الأدب أولى من طلب الذهب . ظلم المرء يصصره ظلامه المظلوم لاتضيع . ظمأ المال أشد من ظمأ الماء . ظل عمر الظالم قصير وظل عمر الكريم فسيح . عش قنعاً تكن ملكاً . عيب الكلام تطويله . عاقبة الظالم وخيمة . غدرك من ذلك على الاسامة . فاز من ظفر بالدين . فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله . فاز من سلم من شر نفسه . فسدت نعمة من كفرها . قبول الحق من الدين . كلام الله دواء القلب . كفران النعمة مزيلها . كفى بالشيب داء . كمال العلم في الحلم . لين الكلام قيد القلوب . من كثر كلامه كثر ملامه . مجلس العلم روضة من رياض الجنة . مصاحبة الأشرار ركوب البحر . نسيان الموت صدأ القلب . نيم آمننا تكن في أمهد الفرش . نضرة الوجه في الصدق . ولاية الأحق سريعة الزوال وحدة المرء خير من مجلس السوء . هم السعيد آخرته وهم الشقي ديناه . هلاك المرء في العجب . هربك من نفسك أنفع من هربك من الأسد . لادين لمن لا مروءة له . لا فقر للعاقل . يعمل النمام في ساعة فتنة أشهر . يسود المرء قومه بالأحسان إليهم

٧ - ومن روائع الحكم ودرر الكلام من كلام علي بن أبي طالب

الدين يعصم . الدنيا تسلم ، الصيانة رأس المروءة . الحق سيف قاطع . العجب عنوان الحماقة . البشاشة حبل المودة . الارتقاء إلى الفضائل صعب . الانحطاط إلى الرذائل سهل . السكوت عن الاتمق جوابه . إمام عادل خير من مطر وابل . المحسن حتى وإن نقل إلى منازل الاموات . العاقل إذا سكنت فبكر وإذا نطق ذكر وإذا نظر اعتبره الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر . إنجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله ، أحسن الجود عفو بعد مقدرة ، يركوب الاحوال تكسب الاموال ، بالسخاء يستر العيوب ، تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه ، ثوب التقى أشرف الملابس ، ثوب الآخرة ينسئ مشقة الدنيا ، ثروة العاقل في علمه وثروته الجاهل في ماله ، ثلاث يوجب المحبة الدين والتواضع والسخاء . جهاد النفس أفضل الجهاد . حسن الادب يستر قبح النسب . حملواؤه الظاهر تمحو مرارة الصبر . حد اللسان يقطع الاوصال . خير النعم ما جرى على السنة الاخيار . دوام الفتن من أعظم المحن رب سكون أبلغ من كلام . زلة العالم كانهكسار السفينة تفرق وتغرق معها غيرها . زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة . سلاح اللثام قبح الكلام . سمع الاذن لا ينفع مع غفلة القلب . شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً شيئاً أن لا يعرف فضلهما إلا من فقد هما الشباب والعافية سمك حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت . صوم النفس عن لذات الدنيا أفضل الصيام . صدر العاقل صندوق سره . ضع فبحرك وأحطط كبرك وكما تزرع تحصد وكما تدين تدان . ضعف البصر لا يضر مع استنارة البصيرة . طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه ومن ملك هواه ولم يملكه . طالب النماء بغير استحقاق خرق . ظن العاقل أصبح من يقين الجاهل . ظرف الرجل تنزهه عن الخوارم ومبادرته إلى المستحارم . عليك بالآخرة تأتاك الدنيا صاغرة . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . عجيب لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء . عجيب لمن يجعل نفسه كيف يعرف ربه . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . عبد المطامع أسير لا يفك أسره . عاشق أهل الفضائل تاهل . عداوة الاقارب أمس من لسع العقارب . غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . غنى المؤمن بالله . غنى العاقل في حكمته . غنى الجاهل في قيته . في الذكر حياة القلوب . في رضا الله نيل المطلوب في الدنيا عمل ولا حساب وفي الآخرة

الحساب ولا عمل . في الاستشارة عين الهداية . فقد البصر أهون من فقد البصيرة . قد يمد القريب . قد يلين الصليب . قلنا الأكل تمنع كثيرا من أعلال الجسم . قل الحق وإن كان عليك . قايل الحق يدفع كثير الباطل كما أن قليل النار يحرق كثير الخطب . كل طير يأوى إلى شكله ، كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا العلم فإنه يتسع ، كم يفتح بالصبر من غلق . كيف ينجو من الله هارب . كيف يسلم من الموت طالبه ، كن عالما ناطقا أو مستمعا واعيا ، كلام الرجل ميزان عقله ، كلما قاربت أجلا فأحسن عملا ، وليس من عادة الكرام تأخير الانعام ، للشدائد تذخر الرجال ، من توفر وقر ، ومن تسكبر سقر ، من استشار العاقل ملك ، من استبد برأيه هلك ، ما حقر نفسه إلا عاقل . ما أعجب برأيه إلا جاهل ، نعم الادم الجوع ، هدى من أطاع ربه ، وخاف ذنبه ، هلك أمرؤ لا يعرف قدره ، هانت عليه نفسه من أمر عليه لسانه ، وقرروا كباركم توفركم صغاركم ، وقار الشيب أجمل من نضارة الشباب ، لا تثقن بعمد من لا دين له ، لا تعد ما تعجز عن الوفاء به ، لا تثق بمن يذيع سرك ، لا يسترقك الطمع فقد جعلك الله حرا . يستدل على الكرم بحسن بشره وبذل خيره يستدل على إدارار الدول بأربع : تضيق الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأبدال وتأخير الأفاضل ، يبلغ الصادق بصدقه مالا يبلغه الكاذب باحتياله

٨ — وعن علي بن أبي رافع ، قال : كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكان به فحان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة فأرسلت إلى بنت علي بن أبي طالب فقالت لي : إنه قد بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهو في يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أنجمل به في يوم الاضحى ، فأرسلت إليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يابنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه . فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ، فقالت : استعرت من أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأنزين به في العيد ثم أردته ، فبعث إلى .

أمير المؤمنين فجئته فقال لي : أنخون المسلمين يا ابن أبي رافع ، فقلت معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بعير إذني ورضاهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنها بنتك وسأنتني أن أعيرها تزين به ، فأعرتهم — إياه عارية مضمونة مردودة عل أن ترده سالماً إلى موضعه . فقال : رده من يومك وإياك أن تعود إلى مثله فتنا لك عقوبتي إلى مثله . ثم قال ويل لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت إذن هاشمية قطعت يدها في سرقة . فبلغت مقاتله ابنته فقالت له يا أمير المؤمنين أنا بنتك وبضعة منك فمن أحق بابسه مني فقال لها : يا بنت ابن أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين والانصار يتزين في مثل هذا العيد بمثل هذا فقبضته منها ورددته إلى موضعه ٤٠ .

ووصف على رضى الله عنه الدنيا وقد سئل ذلك ، فقال .
وما أصف لك من دار أولها عناء وآخرها فناء ، من صبح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فتن ، حلالها حساب وحرامها عذاب (١)
وراجع وصف على رضى الله عنه لرسول الله (٢)
وراجع وصف ضرار الصدائي لعلى رضى الله عنه وقد طلب منه ذلك معاوية (٣)
ووصف الحسن البصري لعلى بن ابى طالب (٤)
وجواب على رضى الله عنه لمن سأله عن الإيمان (٥)
وصيغة صلاته على النبي صلى الله عليه وكان يعلمها أصحابه ٦
وقد سبق ذكر كثير من آثاره في نماذج الخطابة والنثر الفنى

(١) ٢/١٢٦ الأمالى

(٢) ٢/٦٩ الأمالى

(٣) ٢/١٤٧ الأمالى

(٤) ١٧٠ و ١٩٤ النوادر - الأمالى

(٥) ١٧١ النوادر

(٦) ١٧٣ النوادر

الامام على والشعر

وينسب لامسـير المؤمنين على رضى الله ديوان شعر كبير ، وهو مطبوع متداول ، ونسب إليه ابن رشيق شعراً فى الجزء الاول من العمدة .

والحق أن أكثر ما ينسب لعلى من الشعر منحل ، وأنه لم يفرغ للشعر ولم يؤثر عنه إلا القليل منه .

وليس بمعقول أن يكف لبعد عن الشعر ويخوض فيه مثل الامام على كرم الله إلى هذا الحد الذى يصوره لنا الديوان المنسوب إليه .

هذا وأكثر ما ينسب لعلى تصح نسبته لغيره ولادعى الأفاضلة فى ذلك كله ، وإن كان جل شعره فى الرهد والحكمة والموعظة ، وما نسب إليه قصيدة طويلة سموها القصيدة الزينية ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب
وما نسب اليه قوله يرثى النبى صلى الله عليه وسلم :

أمن بعد تكفينى النبى ودفنه	بأثوابه آسى على هالك ثوى
رزنا رسول الله فينا فلن نرى	بذاك عديلاً ما حيينا من الورى
لقد غشيتنا ظلمة بعد موته	نهاراً فقد زادت على ظلمة الدجى
وكنا برؤياه نرى النور والهدى	صباحاً مساء راح فينا أو اغتدى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا	ويا خير ميت ضم التراب والثرى
كان أمور الناس بعدك ضمنت	سفينة نوح حين فى البحر قد سما
وضاق فضاء الارض عنهم برحمته	لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
فقد نزلت بالمسلمين مصيبة	كصدع الصفا لشعب للصدع فى الصفا
فلن يستقل الناس تلك مصيبة	ولن يجبر العظم الذى منهم وهى
وفى كل وقت للصلاة يهيجها	بلال ويدعو باسمه كلما دعا
ويطلب أقوام مواريث هالك	وفينا موازيت النبوة والهدى

وقوله :

لقد خاب من غرته دنيا دنيئة	وما هي ان غرت قرونا بطائل
وقلت لها غري سواى فانتى	عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فان محمداً	رهين بقفر بين تلك الجنادل
وهيها أتتنا بالكنوز ودرها	وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعا للفناء مصيرها	وتطلب من خزانها بالطوائل
فغرى سواى اننى غنير راغب	لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسى بما قد رزقته	فشأنك يادنيا وأهل الغوائل
فانى أخاف الله يوم لقائه	واخشى عقاباً دائماً غير زائل

- ١٤٧ -

عمر بن الخطاب

نسبه وأسرته ونشأته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى ، وأمه بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم .

ولد لثلاث عشرة سنة مضت من ميلاد الرسول صلوات الله عليه -

عام ٥٨٤ -

ونشأ في مكة شجاعاً نبياً لا يرى فيما يعتقد أنه الحق هودة ولا بجمالة ، وكان يسفر بين قريش وقبائل العرب .

ثم بعث الرسول صلوات الله وسنة ٢٧ سنة ، وحارب الاسلام حرباً شديدة ثم أسلم وأعلن إسلامه في العام السادس من البعثة وهاجر بهد الرسول صلوات الله عليه في غير خيفة أو خفية . وحضر مع الرسول صلى الله عليه غزواته كلها . وكان يستمع لمشورته ورأيه ، وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزير لرسول الله . وقد صاهره الرسول فتزوج بنته حفصة ، ولما مات الرسول كان امر الفضل في إعلان البيعة لأبي بكر ، فكان لأبي بكر بمنزلة الوزير الأول يشير عليه ويعينه ، وكان أبو بكر يحيل عليه الفصل في القضايا والمشكلات .

خلافته :

وتوفي أبو بكر عام ١٣ هـ ، وكان قد عهد بالأمر بعده إلى عمر ، وكان بدء خلافته يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣ هـ = ٢٣ أغسطس ٦٣٤ م . وفي عهده زادت الفتوحات الاسلامية ، وانتشرت الدعوة الاسلاميه في الشرق والغرب ، وانتصر المسلمون على فارس والروم انتصارات ساحقة . ومصرت الكوفة والبصرة ودونت الدواوين .

وكان مثلاً أعلى في العدالة والديمقراطية والتفاني في إعزاز كلمة الاسلام

ورفع شأن المسلمين، وكان مثالا للرحمة والبر والعطف على الرعية والصرامة
في الحق والجد في نشر الاسلام .
وقتل عليه رضوان الله عام ٢٣ هـ

بلاغة عمر :

كان عمر أدبيا يتذوق الادب وينقد الشعر ، ويروي المأثور من
بلاغة الجاهليين .

وكانت له آراء دقيقة في نقد الشعر ، كما كانت له مواقف كريمة في رعاية
الشعراء وتوجيههم وتشجيعهم .

وله بعض المأثور من الشعر مما سجل صاحب العمدة وسواه آثاراً منه .
وله كثير من الخطب والرسائل والوصايا والنصائح ، والكلمات الحكيمة
والامثال الذائعة والآراء الحصيفة .

وكان رحمه الله خطيباً بليغاً ومفوهاً مؤثراً ، قوى الحجج شديداً العارضة رائع
الأسلوب والديباجة تنبع معانيه من ينابيع الحكمة والنبرة ، وتنوع موضوعات
خطابته بحسب المقامات والأحوال .

وقد مر بك الكثير من نماذج نثره في الخطب والوصايا والنصائح والحكم .
وهاك آثاراً قليلة أخرى لهذا العبقرى العظيم :

من خطبة له لما بلغه أن قوما بفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله ،
فوثب منضجاً حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال :

أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر : إنه لما توفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبغيرها ^(١) ، فأجمع رأيانا كلنا أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة ، يمد الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم
فأرزم بينك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر الصديق
أولئككم رأيته على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال والله لأن آخر ^(٢) من السماء ، فتخطفنى
الطير أحب إلى من أن يكون هذا رأي . ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها من كان يعبد محمداً
فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . أيها الناس : أن
كثير أعدائكم ، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله
هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعده الصديق . بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ^(٣) فإذا هو زاهق ^(٤) . وكمن فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين ، والله يأبى الناس لو أفردت من جميعكم
لجاهدتهم فى الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذراً ^(٥) أو أقتل قتلاً . والله أيها الناس

(١) أى منعت زكاتها .

(٢) أسقط .

(٣) دمه : أصاب دماغه .

(٤) زهق الشيء : هلك ، والباطل : اضمحل .

(٥) يقال أبلاء عذراً : قدمه إليه فقبله . والمعنى هنا فعل ما يعذر معه أى لم يقضه

- ١٥٠ -

لو منعوني عقالا لجاهدتهم (١) عليه، واستعنت الله عليهم وهو خير معين (٢)؛ ثم نزل:
لجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنن العرب بالحق .

وقد سبق لعمر كثير من الآثار في نماذج النثر الفني والخطابة (٣)

(١) عقال : زكاة عام من الابل والغنم وقيل العقال الحبل الذي تعقل به
الفريضة فكان يعطى معها .

(٢) وقد تقدمت هذه الخطبة لأبي بكر في صفحة ١٢١

(٣) راجع ص ٧٢ و ٧٦ و ٨٠ و ٨٥ و ١٠٩ و ١١٠ من هذا الكتاب

بعض مواقف عمر من الشعراء

١ - عمر وأبو كلاب بن أمية ٥

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر ابن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فأسألهما : أى الأعمال أفضل فى الاسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فآغراه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ، فأنهت أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قسات ؟ أبلان ريب المنون وهذان الجديدان (١)
إما ترى حجرى قد رك (٢) جانبه فقد يسرك صلبا غير كذان (٢)
إما ترى لا أمضى إلى سفر إلا معى واحد منكم أو اثنان
يا ابنى أمية ، إني عنكما غافى وما الغنى غير أى مرعش فافى
يا ابنى أمية ، إلا تشهدا كبرى فان نايكما والشكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى (٤) ثلاثتنا وإذا فراقكما والموت سيان
أصبحت هزا الراعى الضأن أعجبه ماذا يريك منى راعى الضأن ؟
انعق بضائك فى نجم (٥) تحفره من الأباطح واحببها بجمدان (٦)
إن ترع ضائنا فافى قد رعيتهم بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى
فلما طالت غيبة كلاب ٥ قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن رقب الكتابا

٥ المحاسن والمساوى ص ٥٨٨ طبع لبيزج ، ذيل الامالى ص ١٥٨ ،
(١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك . ضف (٣) الكذان : الرخو
(٤) الاحوى : الاسود (٥) النجم : ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان
جبل بطريق مكة وواد .

تنفض مـهـده شفقاً عليه ونجنيه أباعرنا^(١) الصعابا
 إذا هتفت حمامة بطن واد على بيضاتها دعوا كلابا
 تركت أباك مرعشة يداه وأملك ما تسبخ لها شرابا
 أناديه وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا
 فان مهاجرين تكنفاه ليترك شيخه ؛ خطئا وخابا
 ولان أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا^(٢) طرابا
 إذا بلغ الرسم^(٣) فكان شدا^(٤) يخر ، فخالط الذقن الترابا
 فبلغت أبياته عمر فلم يرد كلابا ، فاهتز أمبة واختلط^(٥) جزعا عليه ، وتغنت
 الركبان بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول .

لعمرك ما تركت أبا كلاب كبير السن مسكتئبا مصابا
 وأما لا يزال لها حزين تنادى بعد رقتها كلابا
 لكسب المال أو طالب المعالي ولسكنى رجوت به الثوابا
 ثم أتاه يوما وهو في مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والآنصار ، فوقف
 عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عدلت بغير علم ولا تدوين عاذل ما ألاق
 فاما كنت عاذلتى فردى كلابا إذ توجه للعراق
 ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق
 فلا والله ما باليت وجدى ولا شغقي عليك ولا اشتياقي

(١) جمع بعير ،

(٢) الشسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس ضمراً .

(٣) الرسم : سير الأبل

(٤) الشد . الحضر والعدو (٥) فسد عقله

سأستعدي على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتساق
وأدعو الله مجتهداً عليه بيطن الأخشبين^(١) إلى دفاق^(٢)
فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن رحل كلاباً ،
فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وأكفيه
أمره ، وكنت أعتد — إذا أردت أن أحلب لبناً — أغور ناقة في إبله وأسمها
فأسقيه .

فبعث عمر إلى أميه من جاء به إليه . فأدخله يتهادى ، وقد ضعف بصره والنحن
فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما ترائي يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك
من حاجة ؟ قال : نعم : أشتى أن أرى كلاباً ، فأشمه شمة ، وأضمه ضمة قبل أن
أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لآبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل ؛
فناوله عمر الإناء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه ، قال :
نعم والله يا أمير المؤمنين ، لاقى لأشتم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال :
هذا كلاب عندك حاضرأ قد جشاك به . فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل
عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب ألزم أباك لجاهد فيهما ما بقيا
٢ — عمر وأبو محجن الثقفي :

كان أبو محجن^(٣) الثقفي من المعاقرين للخصر ، المحدثين في شربها ، أقام

(١) الأخشبان ، جبلا مكة ، أبو قبيس والأحمر ، وجبلا منى

(٢) دفاق ، موضع أو واد .

• المذهب ص ٤٨ ج ٢ ، الخزانة ص ٥٥٣ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٨ ج ٢٠

السكامل لابن الأثير ص ٢٣٢ ج ٢ ، المسعودي ص ٤٢٣ ج ١

(٣) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وسمع من النبي صلى

الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان جواداً كريماً من الفرسان المشهورين

في الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ .

دليه عمر بن الخطاب الحارثي مراراً، ودو لا ياتهي، فنفاه إلى جزيرة في البحر،
وبعث معه حرسياً (١) فرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص، وهو في حربه مع
الفرس - وكانت حرب القادسية.

ولما بلغ عمر كتب إلى سعد بحبسه، فحبسه في القصر، وتطلع أبو عجين إلى
الحرب، فرأها مشتتة، فذهب إلى سلمى بنت أبي حفص زوج سعد، فقال لها:
هل لك في خير؟ قالت: وما ذاك أقال تخلين عني وتعين بني البلقاء (٢)، فله على
إن سلمى الله أن أرجع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي، فقالت: وما أنا وذاك
فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً على وثاقها
إذا قت عتاني الحديد وغلقت مصاريع من دوى تصم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شف جسمي أني كل شارق (٣) أعالج كبلاً (٤) مصتماً قد برانيا
فله دري يوم أترك مؤثقا وتذهل عني أسرقى ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس (٥) بعسده لئن فرجت ألا أزر الحوانيا (٦)
فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقتك:

فاقتاد أبو عجين الفرس؛ وأخرجها ثم وكسها، ودب عليها، وفي ذلك اليوم
أظهر من شجاعته عجباً. ولما تحاجز أهل العسكرين أقبل أبو عجين حتى دخل
القصر، ووضع نفسه عن دابته، وأعاد رجليه في القيد وقال:
لقد علمت ثقيف غير نحر بأنا نحن أكرمهم سيوفاً

(١) الحرسى، واحد حرس السلطان.

(٢) البلقاء، فرس سعد بن أبي وقاص.

(٣) أصل الشارق: اليوم الذى فيه الشمس، والمراد كل يوم.

(٤) السكيل القيد (٥) خاس بالعهد، غدر ونكث.

(٦) الحانية: الدكان.

وأكثرهم دروعا سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوف
فإن احبس فقد عرفوا بلأى وإن أطلق أجزعهم حتوفا
فقلت له سلى : يا أبا محجن ، في أى شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما
والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية
وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فينفذه أحيانا ، فحبسنى لأنى قلت :
إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقها .

ولا تدفنى بالفلاة (١) فأتى أخاف إذا مات أن لا أذوقها
فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبى محجن ، فدعاه وأطلقه ، وقال . اذهب فما
أنا مؤاخذ بك بشئ تقول حتى تفعله ، فقال . والله لا أجب لسانى إلى قبيح أبداً
٣ - عمرو الخطيئة والزبرقان بن بدر

قدم الزبرقان على عمر فى سنة مجذبة ، ليؤدى صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة
بقرقرى (٢) ، ومعه ابنه أوس وسواده وبناته وامراته ، فقال له الزبرقان - وقد
عرفه ولم يعرفه الخطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة ،
قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلا يكفينى مئونة عيالى ،
وأصفيه مدحى أبدا .

فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لنا وممرا ، ويجاورك
أحسن جوار وأكرم ؟ فقال الخطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو
هذا كله ، قال فقد أصبته ، قال : عند من ؟ قال : عندى ؛ قال ومن انت ؟
قال . الزبرقان بن بدر . قال . وأين محلك ؟ قال : أركب هذه الابل ، واستقبل
مطلع الشمس ، وسل عن القبر (٣) حتى تأتى منزلى .

(١) الفلاة . الأرض المملكة .

. الأغاني ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب

ص ٢٢٧ ، ابن أبى الحديد ص ١٠٣ ج ٣ ، الكامل ص ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١
(٢) قرقرى : أرض باليامة فيها قرى وزورع كثيرة وبخيل .

(٣) الزبرقان . البدر ، وسمى به الحصين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله
قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو يسكر ، توفى أيام معاوية
سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً .

ثم كتب إلى أمه ، وكان اسمها أم شذرة : أن أحسنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وكان الحطيثة دميما سبي الخلق ، لا تأخذه العين ، ومعه نبال كذلك ، فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها ، وقصرت ^(١) به .

ونظر بغيض ^(٢) وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن اختنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها ، فلما ألح عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره ، فإن تركت وجفيت تحوات اليكم ، فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً .

فلما لم يجهم دسوا إلى هنيذة زوجة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته ، ليسكة — وكانت جميلة كاملة — فظهرت من المرأة للحطيثة جفوة ، وهي في ذلك تداريه ، ثم أرادوا النجعة ^(٣) ، فقالت له أم شذرة : قد حضرت النجعة ، فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم رده إلينا حتى نلحقك ، فانه لا يسعنا جميعاً ، فأرسل إليها : بل تقدي أنت . فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وثأقلت عن رده إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه ، وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه أجابهم ، فقال : أما الآن فنعم أنا صائر معكم ، وتحمل معهم . فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طناب من أطناها جلة ^(٤) هجرية ، وأراحوا ^(٥) عليهم لبثهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لقاحاً ^(٦) وكسوة .

(١) قصرت به . لم تسكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

(٢) كانت بغيض وأنف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف ، وكانوا أشرف من الزبرقان إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه .

(٣) النجعة : طلب السكلا في موضعه .

(٤) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه .

(٥) لإراحة الابل : ردها في العشى .

(٦) اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فركب فرسه ، وأخذ ربحه ، وسار حتى وقف على نادى القرعيين ، فقال : ردوا على جارى أفعالوا : ما هو لك بجار ، وقد اطرحت وضيعته ، فألم (١) أن يكون بين الحيين حرب ؛ فحضرهم أهل الحجا من قومهم ، ولاموا بغیضا وقالوا : أردد على الرجل جاره ، فقال : لست بخرجه وقد آوئته ، وهو رجل حر مالك لأمره ، فخبیره ، فان اختارنى لم أخرجه ، وإن اختاره لم أكرهه .

فخبروا الخطيئة فاختار بغیضا ورهطه ، فجاء الزبرقان ووقف عليه ، وقال له : أبا مليكة ، أفا رقت جوارى عن سخط وذم ؟ قال : لا ، فانصرف وتركه . وجعل الخطيئة يمدح القرعيين من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول . لا ذنب للرجل عندى ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط فمجا بغیضا ، فقال .

أرى إلى بحرف الماء حلت	وأعوزها به الماء الرواء (٢)
وقد وردت مياه بنى قريع	فما وصلوا القرابة مذ أساءوا
تحلا (٣) يوم ورد الناس إلى	وتصدر وهى محنقة (٤) ظاء
ألم أك جار شماس بن لآى	فأسلنى وقد نزل البلاء
فقلت . تحولى يا أم بكر	إلى حيث المكارم والعلام
وجدنا بيت بهدلة بن عوف	تعالى سمكه ودحا الفناء (٥)
وما أضحى لشماس بن لآى	قديم فى الفعال (٦) ولا رباء (٧)
سوى أن الخطيئة قال قولا	فهذا من مقالته جزاء

(١) ألم . قرب (٢) الرواء . الكثير .

(٣) تحلا . تمنع (٤) محنقة . ضامرة

(٥) دحا الفناء . عظم واتسع

(٦) الفعال . اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه

(٧) الرباء . الطول والمنة والفضل

فحينئذ قال الخطيئة يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها :

والله مامعشر لاموا امرأ جنباً^(١) في آل لاي بن شماس بأكياس^(٢)
ما كان ذنب بغيض ، لا بأبالكم ، في بابس جاء يحذو آخر الناس
لقد مر يتسكم^(٣) لو أن درتكم^(٤) يوما يحى بها مسحى وإبساسي^(٥)
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كيما يكون لكم متجى^(٦) وإمراسي^(٧)
لما بدالى منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
أزمت ياسا ميينا من نوالكم وإن ترى طارداً للحجر كاليس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة حل في مستور شاسي^(٨)
جاراً قوم أطالوا هون منزه وجادوه مقيماً بين أرماس^(٩)
ملوا قراه وهرته^(١٠) كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتك واقمداً لك أنت الطاعم^(١١) والكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازه لا يذهب العرف بين الله والناس

(١) الجنب : القريب

(٢) جمع كيس : اللييب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه

(٣) مرى الناقة يريها : مسح ضرعها ، والمراد مدارانهم ومدحهم ليدروا عليه بالعطاء

(٤) الدرة اللبن

(٥) الإبساس : أن تدعو الناقة باسمها وتلاطفها لتدر

(٦) المتج : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو

(٧) الامراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزل منها

(٨) المستور : المسكان الوعر ، والشاسي : المسكان الغليظ المرتفع

(٩) الرمس : القبر وجمعه أرماس ، والهون : المذلة : أى تركوه كالميت

(١٠) هرته الكلاب : نبخته . وهو كناية عن أن كان غريباً مضطهداً بينهم

(١١) الطاعم المطعوم . والكاسي . المكسو

ما كان ذنبى أن فلت معاولكم من آل لاي صفاة^(١) أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كائنهم مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس^(٢)
فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمرا اليه واستنشد فأنشده ،
فقال عمر . ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروه في إلا
أن آكل وألبس ، فقال عمر . على بحسان ، لحي . به ، فسأله : فقال . أتراه هجاء ؟
قال . نعم وسليح عليه ا فحبسه عمر ، فقال في الحبس .

أعوذ بجدك إني امرؤ سقتني الأعداى اليك السجلا^(٣)
فأنك خير من الزبرقان أشد نكالا وأرجى نوالا
تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا
ولا تأخذنى بقول الوشاة فان لكل زمان رجلا
فان كان ما زعموا صادقا فسيقت اليك نسائي رجلا^(٤)
حواسر لى يشتكين الوجا^(٥) يخفضن آلا^(٦) ويرفعن آلا
فلم يلتفت عمر اليه ، حتى قال

ماذا تقول لأفراخ بذي^(٧) مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
أقيت كاسهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألفت إليك مقاليد النهى اليشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(٨)

(١) الصفاة . الحجر الصلد الضخم لا يذبت (٢) أنكاس . جمع نكس ، وهو
أضعف السهام ، ومعنى البيت . أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين
التخلىة ، وجز الناصية والأسر ، فان اختار جز الناصية جزوها له و دخلوا سبيله ،
ثم جعلوا ذلك الشعر في كائناتهم ، فاذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم
(٢) السجلا . جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة (٤) جمع رجلة ، أى راجله
(٥) الوجا . الحفا وقيل شدته (٦) الآل . عمد الخيمة (٧) ذو مرخ . واد بالحجاز
(٨) الأثر ، واحدها أثر ، ومعناها الاستئثار والمسكرمة

فأمنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر^(١)
أهلى فداوك^(٢) كم يبنى وبينهم من عرض داوية^(٣) يعمى بها البصر
فبكى عمر حين قال : ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ ، فقال عمرو بن العاص
ما أظلت الحضراء ، ولا أقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكى على تركه الحطية فقال
عمر : على بالكروى ، فأثى به ، فجلس عليه ، ثم قال ، أشيروا على فى الشاعر فانه
يقول الهجر ، وينسب بالحرم ، ويمدح الناس ويذمهم . بغير ما فيهم . ما أراى إلا
قاطما لسانه ، ثم قال ، على بالطست ، فأثى بها ثم قال ، على بالمخصف^(٤) ، على
بالسكين ، لابل على بالموسى فهو أوحى^(٥) ، ففضح الحطية وقال ، إنى والله يا أمير
المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامراتى ونفسى : ففتبهم عمر ، ثم قال . ما الذى
قلت ؟ قال ، قلت لأبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتى وأبا بنيك ففسأنى فى المجلس
وقلت لأبى خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى الممالى
وقلت لأمى خاصة

تنجى واجلسى منى بعيدياً أراح الله منك العالمينا
أغربا لا (٥) إذا استودعت سرا وكانوا (٦) على المتجدثينا ؟
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
وقلت لامراتى

أطوف ما أطوف ثم آتى إلى بيت قعيم دته لكاع
وقلت لنفسى

أبت شفتاى اليوم إلا تكلميا بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

(١) القرر . جمع قرة ، وهى البرد (٢) الداوية ، الفلاة الواسعة
(٣) المخصف ، مخز الاسكافى (٤) أوحى . أسرع (٥) الغربال . النام
(٦) الكانون . الثقل من الناس ، وقيل الكانون ، الذى يجلس حتى
يجهى الأخبار والأحاديث

فقالوا : لا يهود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه أن قل : لا أعرد ، فقال ،
لا أعرد يا أمير المؤمنين ، فقال له النجاء اثم قال له عمر : يا حطيئة كباأني بك عند
فقي من قریش ، قد بسط لك نمرقة (١) ، وكسر لك أخرى وقال غننا يا حطيئة ،
فطففت تغنيه بأعراض الناس (١٢)

قال ابن أسلم : لما أنقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد
بسط له نمرقة ، وكسر له أخرى بوقاية : غننا يا حطيئة ، نجعل يغنيه ، فقالت له :
يا حطيئة أتذكر قول عمر ؟ ففرع وقال - يرحم الله ذلك المرء أما أنه لو كان حياً
ما فعات !

عمر والشعر

وكان عمر رضى الله عنه :

- ١ - رواية للشعر يتمثل به في كثير من مواقفه
 - ٢ - بل كان شاعرا روى صاحب اللمعة والعقد بعض آثاره ، وروى عنه
« روى أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » (٣)
 - ٣ - وكان ذا بصر بالشعر ونقده وفهمه .
 - ٤ - وكان يحنو على الشعراء ويكافئهم ويوجههم إلى الخير ويرشدهم إلى حفظ
أعراض المسلمين وشرفهم وكرامتهم .
- وكتب الأدب مشحونة بكثير من الروايات الأدبية حول ذلك

(١) النمرقة الوسادة .

(٢) يروى أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة
فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة في ذلك

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتما يضر ولا مديحا ينفع
ومنعتني عرض اللثيم فلم يخف ذى وأصبح آمنا لا يفرع

(٣) ٢١٢ ج١ البيان والتبيين

قال عمر بن الخطاب :

امرو القيس سابق الشعراء ، خسف^(١) لهم عين شعر فافتقر^(٢) عن معان عور^(٣) أصبح يصر^(٤)

ويقول عمر : النابغة أشعر شعراء عطفان^(٥) وزهير أشعر الناس^(٦)

وأعجب بيت لزهير^(٧) وبيت لبدة بن الطيب^(٨)

وروى عنه أنه مدح زهيراً بأنه كان لا يعاقل في الكلام ولا يقول إلا الحق

وموقف عمر لما استعداه الزبرقان على الخطيئة معروف وقد سبق ذكره^(٩)

وكذلك موقفه من رهط تميم ابن مقبل لما استعدوه على النجاشي وقد هجاهم

وكان عمر شاعراً وكذلك أبو بكر وعلي ، وعلى أشعر الثلاثة^(١٠)

وقال عمر لابنه عبد الرحمن : يا بني احفظ بحسن الشعر يحسن أدبك . وقال :

أرووا من من الشعر أعفه^(١١)

وكان عمر أعلم الناس بالشعر^(١٢)

وراجع ذكر ما دار بين متمم بن نويرة وعمر وراثته متمم له بعد وفاته

في النوادر ، (١٣)

(١) من الخسف وهي البئر التي حفرت في حجارة نخرج عنها ماء كثير

(٢) أى فتح ، من الفقر وهو فم القناة .

(٣) يريد أن امرأ القيس من اليمن وأهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار

لجعل لهم معاني عورا فتح امرؤ القيس أصبح بصرها فانه يمانى النسب نزارى

الدار والمنشأ . (٤) ٢٩٦ ج ٢ المزهرة طبع صبيح .

(٥) ٢٧٩ ج ٣ العقد (٦) ٣٧٩ و ٣٨٠ ج ٣ المرجع (٨) ٣٨٦ ج ٣ العقد

(٧) ٣٨٧ ج ٣ العقد

(٩) وراجع في العقد ص ٤٠٨ ج ٣ و ٣٨٣ ج ٢ ، وفي البيان والتبيين ٢٢٤ ج ٢

وراجع رأيه في الشعر في العقد ص ٢٨٦ ج ٣

(١٠) ٣٨٨ ج ٣ العقد (١١) ١٨ الجهرة

(١٢) ١٦٩ و ١٧٠ ج ١ البيان وراجع تحكيمة في الشعر في ص ١٦٩ ج ١

(١٢) ١٧٨ النوادر ملحق بالأمالي

آثار أخرى لعمر

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه وهو غائب .

أما بعد فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ومن شكر زاده ومن أقرضه جزاه فأجعل التقوى جلاء بصرك وعماد ظهرك فإنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لا خلق له (١)

رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى اليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس (٣) بين الناس في وجهك وعدلك وبجسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك (٤) ، ولا يئس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ؛ فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج (٥) في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة (٦) . اعرف الأشباه والأمثال ، ففس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو يذنة أمدا ينتهي إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له

(١) ٢ / ٥٥ الأما

(٢) من رجال المسلمين الأعلام ، ولي قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف مشهور في التحكيم بين علي ومعاوية .

(٣) آس بين الناس : سويينهم . (٤) الحيف : الميل أي ميلك معه لشرفه .

(٥) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٦) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلدون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في جد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب (١) ؛ فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان (٢) . وإياك والقلق والضجر (٣) والتأذى بالخصوم والتسكير عند الخصومات ، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق (٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله (٥) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائنه رحمة ، والسلام (١) .

كتاب عمر الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ينصحانه .
بسم الله الرحمن الرحيم .

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام عليكما فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد جاءني كتابكما ترعمان أنه بلغكما أني وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها (١) يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع ؛ وكتبتما أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وأنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تحذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقد يما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس (٢) ، يقر بان كل بعيد ويبلغان كل

-
- (١) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة . (٢) درأ : دفع يريد منع الحدود . (٣) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر . (٤) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته . (٥) شأنه . ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه . (٦) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

- (٧) الآخر كناية عن العجم ، والأسود عن العرب والمراد جميع المسلمين . (٨) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمال .

- ١٦٥ -

جديد ، وبأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار ، ثم توفي كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . كتبنا ترعمان أن أمر هذه الأمة ، يرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ورغبة بعض الناس إصلاح دنياهم . وكتبنا توداني بالله أن أنزل كتابك منى سوى المنزل الذي نزل من قلوبك . وإنما كتبنا نصيحة لي ، وقد صدقتا . فتعبداني منك بكتاب ، فلا غنى في عنك . والسلام عليكما

ثانياً - الكتابة الفنية

في عصر صدر الاسلام

نماذج لها :

١ - كتاب الرسول الى المنذر بن ساوى

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى : سلام عليك ، فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ولانه من يطع رسله ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نههم فقد نصح لي . وأن رسله قد أثروا عليك خيراً ولاني قد شفعتك في قومك فترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم ، وإنما مهما تصلح فلن ندرلك ، ومن أقام على يهوديته أو نصرانيته فعليه الجزية .

٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . واسلم تسلم فان توليت فانما أثم المجوس عليك .

٣ - كتابه إلى النجاشي

بسم الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة إني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن تقبلي وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى

٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بالموادعة :

هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بأنهم آمنون على أولاهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من ناوهم ، وأن لا يجاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتقى .

٥ - صالح الحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سبيل بن عمرو : اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشا بمن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن يبيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنتك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عامنا قابلا خرجنا عنك فدخلنا بأصحابك فأقت بها ثلاثا وإن معك سلاح الركاب والسبوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا .

٦ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل يعزبه بإبن له مات

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول إلى معاذ بن جبل سلام غايكم فإن أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فحظم الله لك الاجر وأطعمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهليتنا ومواليينا من مواهب الله السانية وعوارفه المستودعة بمنع بها إلى أجل معدود وتقبض لوقت معلوم ، ثم المنرض علينا الشكر إننا أعلم بالصبر إذا ابتلى ، وكان ابتك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة فتعك به من غبطة وسرور وثبضه عنك بأجر كثير .

واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا . فأحسن الجزاء وتنبه الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد

٨ - من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم الأنصاري حين ولاه اليمن :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الحارث بن كعب عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه ، وأمر فيه بأمره . ومنه :
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عقد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

أمره بثوى الله في أمره كله ، فـ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويأمر الناس في الحق ، ويشهد عليهم في الظلم ، فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال . ، ألا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة ويعملها ، وينذر بالنار ويعملها ، ويستأنف الناس حتى يتفقهوا في الدين) .

٩ — كتاب أبي بكر إلى أهل الردة :

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة إحدى عشرة هجرية . كتابا واحدا ، ونصه .

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصّة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فاني أحمد (١) إليكم الله الذي لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به ، وأكفر من أبي وأجاهده . أما بعد ، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى الخلق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمره ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال : « إنك ميت وأنهم ميتون » وقال : « وما جعلنا البشر من قبلك الخلق أفان مات فهم الخالدون ، وقال للمؤمنين « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » فمن كان إيمانا يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان إيمانا يعبد الله وحده لا شريك له فان الله له بالمرصاد ، (٢) حتى قيوم (٣) لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بحربه .

(١) أي أحمدك مملك ، فأقام إلى مقام مع . وقيل معناه أحمد إليك نعمة الله وأحدثك بها .

(٢) المرصاد الطريق ، وفلان يرصد فلانا أي يقعد له على طريقه يترقبه ، والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يفوته منها شيء .

(٣) القيوم . الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(٤) السنة : فتور يتقدم النوم

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيكم من الله وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدِين الله ، فإن كل من لم يهتد الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه مخدول ، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا ، قال الله تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل »^(١) .

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر الإسلام وعمل به ، اغترارا بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جل ثناؤه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لسكم عدو بش للظالمين بدلا ، وقال جل ذكره : « إن الشيطان لسكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليسكونوا من أصحاب السعير » .

وإني أنفذت إليكم « فلانا » في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ، وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وعمل صالحا ، قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبي النساء والذراير ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله .

(١) الصرف . التوبة ، والدل . الفدية ، وقيل الصرف . القيمة ، والدل . المثل ، وأصله في الفدية ، يقال . لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أي لم يأخذوا منهم دية . ولم يهملوا بقتيلهم ، رجلا واحدا ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى سار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذي ينب عليه وألزم أكثر منه .

وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل جمع انكم ، والداعية الآذان ، فاذا
أذن المسلمون فأذنوا ، كُتبتوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم ، وإن أذنوا
سألوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقرؤوا قبل مناسبتهم وحملهم على ما
ينبغي لهم .

١٠ - كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص .

وكتب عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص والى مصر ، وقد
استبطل ورود الخراج من قبله :

من عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص :

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد عجبت
من كثرة كتبتى إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك الى بنيات (١) الطرق ، وقد
علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك الى مصر اجعلها لك
طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك
فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فى المسلمين ، وعندى من قد تعلم ،
قوم محصورون ، والسلام .

١١ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام
عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد . فقد أتانى كتاب أمير
المؤمنين يستبطنى فى الخراج ، ويزعم أنى أعند (٢) عن الحق ، وأنك (٣) عن
الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن مصالح ما ألقى ، ولكن أهل الأرض ينتظرونى

(١) بنيات الطرق : الإباطيل .

(٢) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عودا : مال .

(٣) نكبت عنه كنصر وفرح نكباً (كشعس رسيب) .

الى أن تدرك غلاتهم ، فنظارت للمسلمين ، فكان الرقيق بهم خيرا من أن يفرق (١)
بهم ، فيصيروا الى بيع ما لا غنى لهم عنه ، والسلام ،

١٢ — كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص :

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ، وقد أمره على حرب
الدراني .

أما بعد . فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن
تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المسكينة في الحرب ، وآرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا من المصاى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش اخوف
عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون : مصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن انا
بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عددنا كعددهم ، فإن استوينا في
المصية كان لهم الفضل (٢) علينا في القوة ، وإلا تنصر عليهم بفضلنا لم نعلمهم
بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفضة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم
ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فإن
يسلط علينا ، قرب قوم سلط عليهم ثم منهم كما سلط على بني اسرائيل — لما
عملوا بمساخط — كفار الجرس ، لجاءوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ،
وأسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله تعالى
ذلك لنا ولكم

وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن
منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم . والسفر لم ينقص قوتهم . فانهم سائرون
إلى عدوهم ، حامى الأنفس والكراع (٣) ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة
حتى تكون لهم راحة يحبون فيها أنفسهم ، ويرمون (٤) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح

(١) الخرق كقفل وسبب ضد الرقيق وفعله كفرح .

(٢) الفضل : الزيادة .

(٣) الكراع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل .

(٤) رمه كضرب ونصر : أصلحه .

منازلهم عن قرى أهل الصالح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ^(١) أحدا من أهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فاصبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصالح .

وإذا وطئت أرض العدو فاذك^(٢) العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدقت في بعضه ، والغاش عين عليك ، وايسر علينا لك .

وليكن ذلك عند ذكوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا^(٣) بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتقطع الطلائع عوراتهم ، وتثق^(٤) للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخبر لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، وأجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلال ، ولا تخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حاجيت به أهل خاصتك ، ولا تبثن طليعة ولا سرية في وجه تنخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكابة ، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تناجلهم المناجزة ، مالم يستكبرك القتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتضع بدوك كصنمته بك .

ثم أذك أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، انزهب به العدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان ، .

(١) رزأه ماله : أصاب منه شيئا .

(٢) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الجواسيس

(٣) السرايا جمع سرية كغنيه . وهى القطعة من الجيش .

(٤) تنقاه : اختاره .

١٣ - كتاب معاوية إلى علي .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب حين شجر بينهما الخلاف :
 وبسم الله الرحمن الرحيم : من معاوية بن سفيان إلى علي بن أبي طالب .
 أما بعد . فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت ترى من دم عثمان ،
 لكنت كآبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ولكنت أغريت بدم عثمان
 المهاجرين وخدأت عنه الانتصار : فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ؛
 وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت داء
 شورى بين المسلمين ، وإن تأكل الحزازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم
 فلما فارقه كان الحكام على الناس أهل الشام ولعمري ما حجتك عليهم كحجتك
 أطاحة والزينة ؛ لأنهم ما يبايعك ولم أبايعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك
 على أهل على البصرة ؛ لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام ؛ فأما شرفك
 في الإسلام ؛ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعك من قریش
 فليست أدفعه .

١٤ - رد علي على معاوية .

فكتب إليه الإمام علي :

وبسم الله الرحمن الرحيم : من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن سفيان .
 أما بعد . فقد أتاني كتابك كتبني ليس له بصري يهديه ، ولا قائد يرشده
 دعاه الهوى فاجابه ، وقاده فاتبعه ، زعمت أنك إنما أنشد عليك يبعثي خفري^(١)
 بعثان ، ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ،
 وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ،
 وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ؛ ولا قتلت فأخاف على نفسي قصاص القاتل .
 وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز . فهات رجلا من قریش الشام

(١) كانت أى الخلافة .

(٢) خفريه كضرب خفرا وخفورا : نقض عهده وغدره .

يقبل في الشورى ، أو تحمل له الخلافة ، فإن سميت كذبتك المهاجرون والأئمة ،
ونحن نأتيك به من قریش الجحاز .

١٥ — وصية أبي بكر إلى عمر رضي الله عنه :

إني مستخلك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، إن الله عملا بالليل لا يقبله
بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة فانما
ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وحق لميزان
لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه
يوم القيامة باتباعهم الباطل ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا
إب الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ونجوا عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم
قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ؛
ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر
آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبًا راهبًا ، ولا يتعنى على الله غير الحق
ولا ياقى بعبده إلى التهلكة . فإذا حفظت وصيتي فلا يسكن غائب أحب إليك من
الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يسكن غائب أبغض إليك من الموت
ولست بمعجز الله

١٦ — وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :

أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء
مجهولة وضغائن شمولية ، وأهواء متعبة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة
من نهار . وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فأثر نصيبك من
الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فإن الدنيا تعدد والآخرة تبتق ، وكن من
خشية الله على وجل ، وأخف الفساق وأجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وإذا
كانت بين القبائل نائرة وتداعرا بالفسلان فأنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم
بالسيف حتى يفيتوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الامام ، وقد بلغ
أمير المؤمنين أن ضبة تدعو بالضبة !! وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها
خيرًا قط ولا منع بها من سوء قط فإذا جاءك كتابي هذا فانهمكم عقوبة حتى

يفرقوا إن لم يفقهوا ، وعهد مرضى المسلمين واشهد جنازتهم ، واقتح بابك
وباشر أمرهم بنفسك ، فاعلم أنت أمرؤ منهم غير أن الله جعلك أنفاسهم حملا وقد بلغ
أمير المؤمنين أنه فشاك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك وركبك
ليس للمسلمين مثلهما فإياك يا عبد الله أن تكون البهيمة التي دبت بواد خصيب فلم
يكن لها همة إلا السمن ؛ وانمدا حتفما في السمن ، وأعلم أن للعامل رد إلى الله
فاذا زاع العامل زاعته رعيته وإن أشقى الناس من شقيقت به رعيته والسلام .

١٧ - وكتب على رضى الله عنه كتاب حلف بين ربيعة وأمين
هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبادها وربيعه حاضرها وبادها أنهم
على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويحجبون من دعا إليه وأمر به لا
يشتركون به ثمت ولا يرضون به بدلا وأنهم بدأ واحسده على من خالف ذلك .
لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستئلال قوم قوما
ولا لمسبة قوم قرما على ذلك شاهدهم وغائبهم ، وسفبههم وعالمهم ، وحليمهم
وجاهلهم ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه إن عهد الله كان مسؤلا ، وكتبه
على بن أبي طالب

١٨ - وكتب إلى عبد الله بن عباس يعظه

أما بعد فإن المرء قد يسره ذلك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن
ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . وليكن أسفك على ما فات منها
وما نلت من دنياك فلا تسكثر به فرحا ، وما نلت منها فلا تأمس عليه جزعا ،
وليكن همك فيما بعد الموت (١)

وصف السكتابة في صدر الاسلام

تمهيد :

١ - تعلمون أن السكتابة انتقلت من الأنبار والخيرة على يد بشر بن عبد الملك أخى أكيدر بن عبد الملك السكندى صاحب دومة الجندل ، وأن بشرا خرج إلى مكة وتزوج بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثرت من يسكتب بها من قريش

قال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يفتخر على قريش بذلك :
لا تعبدوا زهاء بشر عايكهو فقد كان ميمون النقية أزهره
أناكم بحول الجرم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فاجريتم الافلام عودا وبداة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وعرف خط أهل الحجاز بالحجازى ، ولما نشأت الكوفة أدخل عليه كتابها
شيئا من الزخرف والتحسين فسمى الخط الكوفى

٢ - والكتابة على أى حان أكد أسباب الحضارة ، وأوثق وسائل العمران
وكما ازدادت شئون الحضارة واتسمت مذاهب الملك ، وتعددت مناحى التفكير
ومناهج الثقافة ، ازدادت الحاجة إليها وازداد الكتاب إقبالا عليها وافتنانا فى مناحيها
وتجويدا فى لغتها ومعانيها وتنوعا فى موضوعاتها وأغراضها

حالة السكتابة فى عصر النبوة :

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمكة نفر من يحسنون السكتابة
ويبلغون نحو السبعة عشر ، ثم لما هاجر إلى المدينة ووقعت غزوة بدر وأسرا المسلم من
نحو سبعين رجلا من قريش وغيرهم ، جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء كل من
يعجز عن دفع المائتين تعليم السكتابة لعشرة من فتيان المدينة فلا يطلق سراحه الا بعد
تعليمهم فكثرت الكتابة فى المدينة ، وأخذت تنتشر فى كل ناحية دخلها الاسلام
فى حياة الرسول وبعده

وبلغ عدد كتابه عليه السلام ثلاثة وأربعين كتاباً منهم زبد ين ثابت ومساوية واختلاف في كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ؛ فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ويجديث البخاري انه عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية اخذ الكتاب ليكتب فكتب ؛ ومن قال إنه امي استدل ؛ بقوله تعالى وما كنت تاور من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، ويجديث البخاري نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب وليس ما يمنع من أن الرسول صلوات الله عليه كان أمياً قبل بعثته لئن لم المعجزة ثم بعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته ، تعلم الكتابة وعرفها وكان على كرم الله وجهه ، وعائشة وصفية من أمهات المؤمنين ، يحسنون الكتابة .

ولم يلاحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى إلا بقدر أناف الكتاب على خمسمائة ، بين رجل وامرأة وثق .
وفي العهد النبوي كتب القرآن الكريم ، ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأقوال والامراء والملوك ، وكتبته عمود الصلح بينه وبين قريش وغيرهم من دخل في ذمة المسلمين

وكان كتابه صلى الله عليه وسلم نوعين :
كتاب وحى ، وكتاب أعمال . ومن بين كتاب الأعمال :
الزبير بن العوام ؛ وجعل بن الصامت ، وكانا يكتبان الصدقات ، والمغيرة بن شعبة والخصين بن نمير وكانا يكتبان التداين والمعاملات ، وحديفة بن الجان ، وكان يكتب خرص النخل .
الكتابة بعد عهد النبوة :

ولما توفي رسول الله صلوات الله واتسعت الفتوحات الاسلامية ، كثرت الحاجة إلى الكتابة ؛ وقام الكتاب بأعمال الدعوة والدولة ، فكتبوا القرآن واستخدمهم الخلفاء في كتابة رسائلهم إلى العمال والولاة والقواد ، وفي وصاياهم إلى قضائهم ، ورسائلهم إلى أهل الامصار ، وفي كتابة وثائق الصلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته في الحرب والسلام .

وكان الخليفة أو الوالي يكتب بيده أو يملئ على بعض الكتاب ، ولم تكن قد صارت بعد صناعة فنية كما حدث في عهد بني أمية وبني العباس .

بواعث الكتابة الأدبية في هذا العصر :

وكانت الحاجة إلى الكتابة كثيرة :

١ — فقد كان المسلمون في حاجة إليها لتدوين القرآن ولكتابة رسائل الدعوه إلى الاسلام

٢ — كما كانوا في حاجة إليها في شئون الملك والسياسة ، والحرب والسلام وفي كتابة العمود والمصالحات والمنشورات والوصايا والنصائح

٣ — الحاجة إليها في تدوين الدواوين وتنظيمها

٤ — وساعد على ذلك معرفة الخط وانتشار الكتابة في مكة والمدينة وسواهما من الأمصار ، ويروي أن زيد بن أرقم بن يغوث والعلاء بن عقبه كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء

تدوين الدواوين :

لما اتسعت الفتوحات في عهد عمر وكثرت موارد الدولة ووفرت الغنائم احتاجت الدولة إلى انشاء الدواوين لضبط مواردها ومصارفها وضبط أعطيات المسلمين ويقول الفخري :

« كان المسلمون هم الجنود وكان قتالهم لأجل الدين لأجل الدنيا وكان لا يزال فيهم دائماً من يبذل شطراً صالحاً من ماله في وجوه البر والقربى وكانوا لا يريدون على نصرهم إسلامهم ونصرهم لنبيهم جزاء إلا أن عند الله تعالى ولم يفرض النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه عطاء مقرراً ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم قررته الشريعة لهم وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد أحضر إلى مسجد رسول الله وفرق فيهم حسب ما يراه وجرى الأمر على ذلك مدة خلافة أبي بكر فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالى وأن كنوز الأكاسرة قد

ملككت وأن الخول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد
تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم . ولم يكن يعرف
كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان بالمدينة بعض مرازمة الفرس فلما رأى
حمير: عمر قال له يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئا يسمونه ديونا ، جميع دخلهم
وخرجهم مضبوط فيه لا يشد منه شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يلاحظ
عليها خال فتنبه عمر وقال : صنفه لى . فوصفه المرزبان فعظمه عمر لذلك
ودون الدواوين ،

وقد عهد الخلفاء بالكتابة في الدواوين إلى العرب والموالي والمتعربين وظلت
كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل مصر ففي العراق وفارس بالفارسية
وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية حتى حذقها من العرب طائفة فحوت بعد
ذلك الكتابة في الدواوين إلى اللغة العربية وذلك في عصر بنى أمية وسيأتي
تفصيل ذلك لإنشاء الله

أسلوب الكتابة في صدر الاسلام :

ويمتاز أسلوب الكتابة في هذا العصر بما يأتي .

١ — سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغرض وبعدها عن التكلف وخلوها
من عبارات التفخيم

٢ — ميلها إلى الإيجاز . حتى لقد كتب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم
رسالة وهو محاصر بدرمة الجندل يقول فيها .
« من خالد إلى عياض : إياك أريد ،

٣ — وكانت الرسائل تبدأ باسمك اللهم ثم يقول من فلان إلى فلان ثم يلي
ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى ، ثم ينتون بقولهم
« إنى أحمد الله إليك ، ، ثم يأتي الكاتب غالبا بأما بعد ، ويذكر غرضه الذي
يكتب لأجله ، ويختتمها بقوله والسلام عليك ورحمة الله ،

— ١٨١ —

ومن مثل ذلك كتابه (ص) الى خالد بن الوليد وكان قد بعثه الى بنى الحارث
فأجابوه الى الاسلام وهالك نصه :

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد :

فاني كتابك جاءني مع رسولك يخبرني بأن بنى الحارث قد أسلموا قبل ان
تقاتلهم ، وأجابوا الى مآذوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا اله الا الله وان
محمد عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فيشرهم وانذرهم واقبل وليقبل
معك وفدهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

- ١٨٢ -

ثالثا - التوقيعات

نماذج للتوقيعات في هذا العصر

- توقيع لآبى بكر إلى خالد بن الوليد وقد استأذنه في ملاقة العدو :
ادن من الموت توهب لك الحياة
- عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وقد استأذنه في بناء دار الإمارة بالسكوفة :
- ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر
ووقع عمر على شكوى لأهل مصر من مروان بن الحكم :
فان عصوك فقل لى برى عما تعملون
- ووقع على في كتاب للحسين ضمن شيئا من أمر عثمان بن عفان :
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام
- ووقع في كتاب الحصين بن المنذر أحد قواده بصفين حين شكا إليه من
إسراع القتل في جيشه :
بقية السيف أنهى عددا
- ووقع عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : كن لرعتك كما تحب أن
يكون لك أميرك
- ووقع عثمان بن عفان في قصة رجل شكا عيلة : قد أمرناك بما يقيمك
وليس في مال الله فضل للسرف
- ووقع على بن أبى طالب كرم الله وجهه في كتاب جاءه من الاشترا النخعي
فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله . وفي كتاب صمصمة بن صوحان يسأله
في شيء : قيمة كل امرى ما يحسن

الشعر

في صدر الاسلام

نماذج من شعر المخضرمين

قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس من عباد بني النجار من الأنصار، ومن أول من أسلم عند قدوم رسول الله المدينة :

سبحوا الله شرق كل صبح -	طلعت شمسُه وكل هلال (١)
عالم السر والبيان لديننا -	ليس ما قال ربنا بفضلال (٢)
وله الطير تستريد وتأوى -	في وكور من آمناات الجبال (٣)
وله الوحش بالفسلة تراها -	في حقاف وفي ظلال الجبال (٤)
يا بني الأرحام لا تقطعوها -	وصلوها قصيرة من طوال
وانقروا الله في ضعيف يتسأى -	ربما يستحيل غير الحلال
وأعلموا إن اليتيم وليا -	عالمنا يمتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه -	إن مال اليتيم يرعاه والى
يا بني التخوم لا تخزلوها -	إن خزل التخوم ذو عقال (٥)

(١) يريد : سبحوا الله صباحا ومساء .

(٢) البيان هنا : الظهور ويريد به الدلالية ، أى أنه سبحانه يعلم السر والعلانية وله الطير ، أى له من الخلق الطير .

(٣) تستريد : تذهب وتجيء ، في طلب الرزق .

(٤) الحقاف جمع حقف وهو المعوج من الرمل .

(٥) التخوم : جمع تخم كفرح وهى حد الأرض بين الجارين ، والمعنى لا تقطعوا منها شيئا ليس لكم أو لا تقطعوا صلة الجوار بينكم وفي رواية لا تظلموها ، ويروى هذا البيت لأحيحة بن الجلاح - ومعنى « ذو عقال » ذو مرض صعب البرء وأصل العقال التواء في قوائم الدابة .

يا بني الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرها ومراليتالي
وأعدوا أن مرها لنفساد الـ بخلق ما كان من جديد وبالي
أجمعوا أركم عل البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال
وقال حسام بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله في انتصار المسايين على
المشركين في وقعة بدر :

عرفت ديار زينب بالكذيب كخط الوحى في الوردى القشيب (١)
تداولها الرياح وكل جون من الوسمى منهجر سكوب (٢)
فامسى رسمها خلقت وأمسيت يبابا بعد ساكنها الجيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكتيب
وشبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر لنا فى المشركين من النصيب (٤)
غداة كأن جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغروب (٥)
فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه على الأعداء فى لفتح الحروب
بأيديهم صوامر مرهفات وكل مجرب خاطى الكعوب (٦)

-
- (١) الوحى هنا الكتابة ، والراء الهـ . والقشيب الجديد
(٢) الجون : الأسود من السحاب لتراكبه والوسمى أول المطر .
(٣) اليباب : الخراب
(٤) أى شبر بما صنع الله لنا من النصيب ، أى بما أحسن لنا واختار لنا
(٥) حراء جبل قرب مكة وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه رسول الله قبل
نزول الوحى . والمعنى كأن جمع المشركين جبل حراء عند غروب الشمس
فيكون مسودا مدهاما ، وكذلك يكون الجيش المدجج بالحديد والدرع
(٦) خاطى الكعوب غليظها صلها يريد الرمح أى بأيديهم سيوف مرهفة
ورماح غليظة مكنتزة .

بنوا الآرس الغطارف وازرتها
فغادروا أبا جهل صريعا
وشية قد تركها في رجال
ينساديهم رسة... ول الله لها
الم يجدوا كلامي كان حقا
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
بنوا النجار في الدين الصليب (١)
وعقبة قد تركنا بالجبوب (٢)
ذوى حسب إذا نسبوا حسب
قذفناهم كباكب في القليب (٣)
وأر الله يأخذ بالقلوب
صدقت وكنت ذا رأى مصيب

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
يسعى الفتي لأمور ليس يدركها
فالمرء ما عاش ممدود له أمل
سعى الفتي وهو مخبوء له القدر
والنفوس واحدة والهم منتشر
لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرها
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها

وقال الأشتر النخعي من أصحاب علي رضي الله عنهما :

بقيت وفري وانحرقت عن الدلا
واقبت أضيافي بوجه عبوس (٤)

(١) الغطارف جمع غطريف وهو السيد الشجاع ، والصلب القوى، ويريد بالدين دين الإسلام .

(٢) الجبوب : موضع بيدر

(٣) القليب : البئر ، وقد قذف رسول الله بقتلى المشركين في بئر هناك وخاطبهم بعد دفنهم فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ والكباكب جمع كبكبة وهي جماعة من الناس .

(٤) أي بقيت مالى ولم أنفقه فيما يكسبني رفعة القدر .

إن لم أشن على ابن حرب غارة
خيلا كأمثال السعالى (٢) شربا
حتى الحسد يد عليهم فسكأهم
لم تخل يوما من نهاب نفوس (١)
تعدو ببيض في الكريمة شوس
ومضان برق أو شعاع شوس

وقال الخطيئة يمدح :

نزور امرأ يؤق على الحمد ماله
يري البخل لا يبق على المرم ماله
كسوب ومتلاف إذا ما سألته
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
ومن يؤت أثمان المحامد يحمده
ويعلم أن البخل غير مخلد
تهلل واهستر اهتزاز المهند
تجد خير نار عندها خير موقد (٣)

وقال معن بن أوس المازني في استصلاح ذي القربى :

وذى رحم قلت أظفار ضفائه
يحاول رغبى لا يحاول غيره
فان أعف عنه أغض عينا على قذى
وان انتصر منه أكن مثل رائش
بجلى عنه وهو ليس له حلم (٤)
وكالموت عندى أن يحل به الرغم (٥)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم
سهام عدو يستهاض بها العظم (٦)

(١) يريد بابن حرب معاوية .

(٢) السعالى : الغيلان ، والشرب جمع شارب وهو الضامر ، والشوس :
جمع أشوس وهو السيد المترفع أنفة .

(٣) تعشو : تقصد .

(٤) الضغن : الحقد (٥) الرغم : الدل

(٦) راش السهم : الزق عليه الريش ، وذلك أعون على تسديده وسرعته ،
واستهاض العظم وهاضه وهاضه : كسره بعد الجبور .

صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه النأي والمرء قادر
ويشتم عرضي في مغيب جهاد
إذا سمته وصل القرابة سامني
فإن أدعه للصف يأب ويعصني
فلولا اتقاء الله والرحم التي
إذن لعلاه بارقي وخطمته
ويسعى إذا أبني ليهدم صالحني
يود لو أني مدم ذو خصاصة
وبعد - مدغما في الحوادث نكبتني
فما زلت في ليني له وتعطيني
وخفض له مني الجناح تألفا
وقولي إذا أخشى عليه مائة
وصبري على أشياء منه تربيني
لاستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلا بيننا فرفعت
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداوته حتى أرفأت نفاره
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه

وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه مادام في كفه السهم
وليس له عسدي هوان ولا شتم
قطيعتها ، تلك السفاهة والاثم
ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
رعايتها حق وتعطيلها علم
بوسم شنار لا يشاكمه وسم^(١)
وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم
وأكره جهدي أن يخالطه العدم^(٢)
وما إن له فيها سناء ولا غم^(٣)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه مني القرابة والرحم
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم
وكظمي على غيظي وقد ينفع السكظم
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٤)
برفقي وأحيائي وقد يرفع التسلم
بحلي كما بشقي بالأدوية الكلام^(٥)
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

- (١) البارقي : السيف ، وخطمه : ضرب أنفه أو جعل عليه الخطام أو قهره
الوسم : أثر الكي ، وشاكمه : شابهه
(٢) الخصاصة : الفقر . (٣) السناء : الرفعة .
(٤) الجرم : الخلق . (٥) الكلام : الجرح .
(٦) أرفأت : سكن بعد نفار .

والامام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

في النصائح

صن النفس واحملها على ما يزينها^(١) توش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تتجمللا نبابك دهر أوجفاك خليل^(٢)
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس إن قسل ماله ويعنى غنى المسال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متسلون إذا الريح مالت مال حيث تميل^(٣)
جواد إذا استغثت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النابات^(٤) قليل

وللغنى سوء المتوفاة سنة ٣٤ هـ

أعنى جودا ولا تتجملدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجواد الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد^(٥) رفيع العما دساد^(٦) عشيرته أمردا^(٧)

(١) يعنى احفظ النفس عما يشينها واجبرها على ما يزينها . (٢) يعنى ولا تظهر للناس إلا ما تتجمل به ومعنى نبابك دهر أنه لم يساعدك وجفاك هجر . (٣) متلون متقلب ومعنى ميله حيث تميل الريح أنه غير ثابت . (٤) النابات الشدائد وعندها تعرف الإخوان .

(٥) النجاد ككتاب حائل السيف وطولها كناية عن طول الجسم الدال على الشجاعة .

(٦) العماد الابنية الرفيعه جمع عماد وهى كناية عن السيادة والشرف .

(٧) يعنى أن سيادته ابتدأت من صغره .

إذ القوم سدوا أياديهم إلى المجد مد إليه يدا (١)
 فنسال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا (٢)
 يحمله القوم ما عاظم وإن كان أصغرهم مولدا (٣)
 وإن ذكر المجد ألفيته تآزر بالمجد ثم ارتدى (٤)

وللهباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ

ترى الرجل النحيف فنزدريه (٥) وفى أبوابه أسد مزير (٦)
 ويمجيك الطير فتنبلسيه فيخلف ظنك الرجل الطير (٧)
 فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير (٨)
 بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصفر مقلات نزور (٩)

- (١) معنى يد واحدة منه تغنى عن أيد كثيرة .
- (٢) معنى ينال على هيئة ما يتعب فيه الاقوام وزيادة .
- (٣) معنى يكلفوا ما يحتاجون إليه على صغر سنه عنهم .
- (٤) معنى وجدته منفردا بالمجد
- (٥) فنزدريه تحتقره
- (٦) المزير الشديد القلب القوى الظاهر المزارة .
- (٧) الطير ذو المناظر والرواء فتنبليه تختبره فيخلف ظنك تلقاه على خلاف ما كنت تعتقده فيه .
- (٨) الخيز بكسر الخاء الكرم والشرف .
- (٩) بغاث الطير شرارها والمقلات التي لا تفرخ إلا واحدا والنزور القليلة الفراخ .

— ١٩٠ —

ضعاف الطير أطولها جسوما
لقد عظم البعير^(٢) بغير لب
يصرفه الصبي بكل وجه^(٣)
وتضربه الوليدة بالهراوى
فإن ألك فى شراركم قليلا
ولم تطل البزاة^(١) ولا الصقور
فلم يتغن بالعظم البعير
ويحبسه على الخسف الجريز^(٤)
فلا غير لديه ولا نكير^(٥)
فانى فى خيباركم كغير

ولا فى الاسود الدولى م ٦٥ هـ

أترك بحجارة السفينة^(٦) فانها
يايها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء الذى السقام وذى الضنا^(٨)
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
لأبدأ بنفسك فانها عن غيرها^(١٠)
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى
لاتنه عن خلق وتأتى مثله
ندم وشب بعد ذاك وخيم^(٧)
هلا لثغاك كان ذا التعليم
كيا يصح به وأنت مستقيم
أبدأ وأنت من الرشاد^(٩) عديم
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فوات عظيم

ولحسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ

وهو شاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى بيان أوصافه

(١) البزاة جمع باز وهو طائر صيد . (٢) البعير الجمل . (٣) يعنى يتوجه به
أين شاء ومتى أراد وكيف شاء . (٤) الخسف حبس الدابة بالإغلف والجريز حبل
يكلم به الجمل ليحبس عن الأكل . (٥) الوليدة الصبية والهراوة هى العصا وغير
مصدر غاريغار والنكير الإنكار .

(٦) بحجارة السفينة محاكاته فى السفعة . (٧) الغب العاقبة والوخيم السيء .

(٨) السقام المرض . (٩) الرشاد الهدى . (١٠) الغنى الضلال .

لساني وسيفي صارمان كلاهما (١) ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذبذبي (٢)
 وإن أك ذا مال كثير أجد به (٣) وإن يهتصر عودي على الجهد يحمدي (٣)
 فلا المسال ينسبني حيانى وعفتي (٤) ولا واقعات الدهر يفلن مبردي (٥)
 وإني لمط ما وجدت وقائل (٦) ماوقد نارى ليلة الريح أوقد (٦)
 وإني لقوال لذى البث (٧) مرحبا وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد
 وإني لحلو تعتربنى مرارة (٨) وإني لنراك لما أعود

وكان النضر بن الحارث شديد العداوة لله ولرسوله فلما أسري يوم بدر أمر
 النبي صلى الله عليه وسلم فقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه صبرا (٩) . فعرضت
 للنبي أخوته قتيلة بيت الحارث فأنشده :

يا راكبا ان الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (١٠)

(١) صارمان قاطعان . (٢) يعنى أن لساني يدرك به مالا يدرك بالسيف
 (٣) الاهتصار الادناء وأمانة نحو الاغصان والجهد النفاقة والحاجة يعنى وإن
 تطاب منى حاجة أفضها وإن كنت معدما
 (٤) يعنى لا أظنى عند الاستثناء
 (٥) واقعات الدهر تصرفاته وحوادثه والفل النلم والمبرد الحديدية يسجل بها
 الحديد وغيره والمعنى أن حوادث الدهر لا تقعد من همى .
 (٦) يعنى ليلة البرد والريح التى يصعب فيها إيقاد النيران .
 (٧) البث الشكوى من حاجة ومن غير مرصد من غير انتظار ولا وعد .
 (٨) يعنى حلو للفسكاهة هو الجد.

(٩) الصبر : الحبس ، وصبر الانسان على القتل : نصبه ليقتل .
 (١٠) الأثيل . واد بنواحي المدينة قرب بدر، تقول أنك ستدرك الأثيل صبح
 الليلة الخامسة إذا لم يعقك عاتق .

أبلغ به ميتا بان تحية ما إن تزال بها النجائب تخفق (١)
 منى إليه وعبرة مسفوحة جادت بواكفها وأخرى تخفق (٢)
 هل يسمعن النظر إن ناديته ؟ إن كان يسمع ميت لا ينطق
 ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشفق (٣)
 قسرا يقاد الى المنية متعبا رغب المقيد وهو عان موثق (٤)
 أمحمد هانت ضنه كريمة فى قومها والفعل فحل معرق (٥)
 ما كان ضرك لو منلت وربما من الفقى وهو المغيظ المحقق (٦)
 فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحتمهم ان كان عتق يعتق
 لو كنت قابل فدية لغديته بأعر ما ينسلى به من ينفق (٧)
 فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر :
 لو كنت سمعت شمرها ما قتلته .

وقالت الخنساء وهى مخضرمة

قذى بعينك أم بالعين عوار أم زرقت اذ دخلت من أهلها الدار
 كأن عيني لذكراه اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
 تبكى لصخرهى العبرى وقد ولعت ودونه من جديد الترب أستار

- (١) خفق السهم أسرع رناقة خيفق سريعة جدا .
- (٢) وكف الدمع : سال (٣) ناشه إذا تناول .
- (٤) الرسف والرسيف : مشى المقيد ، والعانى الأسير .
- (٥) رواية اللسان : ولانت ضنه نجبية وهى أقوم لأن ها التنبيه إذا دخلت
 على الضمير وجب أن يتبع بإشارة ، والفتنه : النسل ، ورجل معرق أى أصيل
- (٦) الحنق : شدة الاغتياظ وأحقة غيره فهو محقق .
- (٧) أغلى بالشئ وغالى به . طلب فيه ثمنا ثاليا أو اشتراه بهن غال .

تبكى خناس على صخر وحق لها
لا بد من ميتة في صرفها عبر
قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم
صلب التحيزة وهاب اذا منعوا
يا صخر وراد ماء قد تناذره
مشى السبتي الى هيجاء معضلة
وما عجزول على بو تطيف به
ترنع ما رتعت حتى اذا ادكرت
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت
يوماً بأوجسد منى يوم فارقتي
وإن صخرأ لوالينا وسيدنا
وإن صخرأ لمقدام إذا ركبوا
وإن صخرأ لتأتم الهداة به
جلد جميل المحيا كامل ورع
حمال ألوية هباط أودية
فقلت لما رأيت الدهر ليس له
لقد نعى ابن نبيك لى أخائقة
فبت ساهرة للنجم أرقبه
لم تره جارة يمشى بساحتها
ولا تراه وما في البيت يأكله
ومطعم القوم شحها عند مسخهم
قد كان خالصتي من كل دى نسب
مثل الرديني لم تنفسد شيبته
جهم المحيا تضى الليل صورته
مورث المجد ميمون نقيتته

إذ راها الدهر إن الدهر ضرار
والدهر في صرفه حول وأطوار
نعم المعجم للداعين نصار
وفي الحروب جرى الصدر مهصار
أهل الوارد ما في ورده عار
له سلاحان أنياب وأظفار
لها حنينان إعلان وإسرار
فانما هي أقبال وأدبار
فانما هي تخمان وتسجار
صخر وللدهر إلهاء وإسرار
وإن صخرأ إذا نشئتو لنحار
وإن صخرأ إذا جاءوا لعقار
كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروع مسعار
شهاد أندية للجيش جرار
معاتب وحده يسدى ونيار
كانت ترجم عنه قبل أخبار
حتى أتى دون غور النجم أمتار
لريبة حين يخلى بيته الجمار
لكنه بارز بالصحن مہمار
وفي الجدوب كريم الجدد ميسار
فقد أصيب فما للعيش أوطار
كانت تحت طى البرد أسوار
أباؤه من طوال السمك أحرار
ضخم الدسيعة في العزاء مغوار

فرع لفرع كريم غير مؤثب جلد المريرة عند الجمع فخير
 طلق اليدن لفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
 ليكه مقتر أفنى حريته دهر وحالفه بؤس وإقتار
 ورفقة حار حاديهم بهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار
 لا يمنع القوم أن سألوه خلة ولا يتجاوز بالليل بالليل مرار

وقال الحاميئة يمدح آل لآي

ألا هبت أمامه بعد هذه تفتني وما قضت كراها
 فقلت لها أمام ذرى عتاي فان النفس مبدية ثاها
 وليس لها من الحدثن بد اذا ما الدهر من كتب رساها
 فمل ابصرت أو سخرت نفساً اتاها في تمنيا مناها
 كافي ساورتني ذات سم نقيع لا يلائمها رقاها
 لعمر الرافصات بسكل فبح من الركيان ووعدها مناها
 لقد شدت حبال آل لآي حبالي بعد ما ضعفت قواها
 ومن يطلب مساعي آل لآي تصعده الأمور إلى علاها
 كرام يفضلون قروم سعد أولى إحسانها وأولى نهاها
 وهم فرع الذرى من آل سعد اذا ما عد من سعد ذراها
 وشطة ما جد في آل لآي اذا ما قام قائمها قضاها
 إذا أعوجت قناه الأمر يوماً أقاموها انبلنغ منهاها
 ويبنى المجد راحل آل لآي على العوجاء مضطراً حشاها
 وتسمى للسياسة آل لآي فتدركها وما اتصلت لحاها
 لعمرك إن جارة آل لآي لعف جيبها حسن ثاها

وقال أبو ذؤيب الهذلي وكان له أولاد سبعة فأتوا كلهم إلا طفلاً بريهم .
 أمن المنون وريبه يتفجع والدهر ليس بعتب من يجمع

قالت أمانة ما لجسمك شاحبا
أو ما لجسمك لا يلامم مهنجا
فاجتنبها أما الجسمى أنه
أودى بنى وأعقبون حسرة
سبقوا هوى وأعقبوا لهوهم
فبقيت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
فالعين بعدهم كأن حداقها
حتى كأنى للحوادث مروة
وتجسلى للشامتين أريهم
والنفس رغبة إذا رغبها

منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
إلا أقض عليك ذاك المضجع
أودى بنى من البلاد فودعوا
بعد الرقاد وعبرة ما تفلح
فتخرموا ولكل جنب مصرع
وإخال لى لا حق مستتبغ
وإذا المنية أقبلت لا تدفع
الفيت كل تميمه لا تنفع
سملت بشوك فى عورة تدمع
بصفا المشرق كل يوم تفرع
أنى لريب الدهر لا اتضعضع
وإذا ترد إلى قسيل تقنع

وصلى متم بن نورة الصبح مع أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
ثم أنشد :

نعم الفتيل إذا الرياح تناوحت
أدعوته بالله ثم قتلته
لا يضمر الفحشاء تحت رداءه
تحت البيوت قتلت يا ابن الأزور
لو هو دهاك بذمة لم يغدر
حلو شمائله عفيف المأزور

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ، قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتلته ، فقال
متم يرثى أخاه مالكاً وهى التى تسمى أم المرائى .

لعمري وما دهرى بتأبين مالك
لقد غيب المنال تحت درائه
ولا برما يمدى النساء لعرسه
تراه كظل السيف يستز للندى
فعمى هلا تبيكين لملك
وأرملة تدعو بأشعث محمل

ولا جزعا بما ألم فأوجعا
ففى غير مبطان العشيات أروعا
إذا القشع من رد العشاء تقهقعا
إذا لم تجد عند امرئ سوء مطعمعا
إذا هزت الريح الكتيب المرعا
كفرخ الجبارى ريشه قد تمزعا

وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت
ولا بكهام سيفه من عـددوه
أبى الصبر آيات أراها وأنى
ولمى متى ما أدع باسمك لم تجب
تحيته منى وإن كان نائما
فإن تسكن الأيام فـقن بيننا
فمشنا بخير فى الحياة وقبلا
وكنا كـدما فى جذيمة حقة
فلما تفرقنا كـأنى ومالك
فما شارب حنت حنيننا ورجعت
ولا ذات أظفار ثلاث روائم
بأوجد متى يوم قام بمالك
مضى الله أرضا حلما قبر مالك

ولا طالبا من خشية الموت مفزعا
إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وكنى حريا أن نجيب وتسمعا
وأسى ترابا فوقه الأرض بلمعا
فقد بان محمودا أخى حين ودعا
أصاب المنايا رهط كسرى وتبا
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معسا
أنيذا أبكى شجوها الترك أجمعا
رأى من مجرا من حوار ومصرعا
مناد فصيح بالعراق فأسمعا
رهام الغواذى المزجيات فأمرعا

وقال أبو سفيان يذكر موقفه وبلاءه يوم أحد :

ولو شئت نجتنى كميت طمرة
فما زال مهرى مزجر السكب منهم
أقاتلهم وأدعى يـآل غالب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل
أباك وإخوانا له قد تتابعوا

وسلى الذى قد كان فى النفس لانى
ومن هاشم قرماً بجيباً ومصقماً
فآبوا وقد أودى الحلائب منهم
أصابعهم من لم يكن لدمائهم

ولم أحمل النعماء لابن شعوب
لدى غدوة حتى دنت لغروب
وأدفعهم عنى بركن صليب
ولا تسأى من عبدة ونجيب
وحق لهم من عبدة بنصيب

قتلت من الجبار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيب
لهم خدب من مقبض وكثيب
كفيا ولا فى خطة بضرب

فاجابه كعب بن مالك

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجياً وقد سميت بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشية والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العصا عاليا فسراعه بضربة عصب به بخضيب

ولما كان يوم فتح مكة دخل أبو سفيان بن حرب على الرسول صلى الله عليه وسلم فأنشده .

لعمري انى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمديح الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
وهاد هدانى غير نفسى ونالى مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهدا عن محمد وأدعى ولو لم أنتسب من محمد
هم مامم من لم يقل بهوهم وان كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بسلائط مع القوم مالم أهدى كل مقعد
فقل لتغيب لا أريد قتالها وقل لتغيب تلك غيرى أوعدى
وما كنت فى الجيش الذى نال عامرا وما كان من جرى لسانى ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسرد
وقال الخطيئة (١) .

وطاوى ثلاث (٢) عاصب البطن مرمل (٣) ببيداء لم (٤) يعرف لسكانها رسما (٥)

(١) هو أبو مليكة جروم بن أوس بن مالك نشأ منبوذا لا يعرف له أهل ولا وطن وقد انتسب الى قبائل مختلفة وشعره فى الطبقة الأولى من القوة والجزالة لولا أنه أكثر من قبيح الهجاء ،

(٢) أى مقيم ثلاث ليالى على الطوى : أى الجوع .

(٣) المرمل : الذى نفذ زاده . (٤) صحراء .

(٥) رسم الدار ما كان من آثارها لاصقا بالأرض .

أخى جفوة^(١) فيه من الانس وحشة
وأفرد في شعب^(٢) عجوزا ازاها
حفاة عراة ما اغتذوا خبر ملة^(٤)
رأى شبحا وسط الظلام فراعته
فقال هيا رباه ضيف ولا قري
فقال ابنه لما رآه بحسيرة
ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرا
فروى قليلا ثم أحجم برهة
فبيناهما عنت على البعد عانة
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
فأمهلها حتى تروى عطاشها
فخرت نحو ص ذاب جمحش سمينة
فيابشره إذ جرها نحو قدمه
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم

يرى البؤس فيها من شرسته نعى
ثلاثة أشبال تخالهم بهما^(٣)
ولا عرفوا للبرمذ خلقتوا طعما
فلما رأى ضيفا تشمر واهتما
بحقك لا نحرمة تا اللييلة اللحما
أيا أبت اذبحنى ويسر لهم طعما
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
وان هو لم يذبح فتاه فقدهما
قد انتظمت من خلف مسجلها انظما
على أنه منها إلى دمها أظما
فأرسل فيها من كنانته سهما
قد اكنزت شجها وقد طبقت لثما
ويا بشرهم لما رأوا كلها يدمى
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما

وقال مالك بن الربيع المازنى : برئ نفسه ويصف قبره وكان يخرج مع سعيد
ابن عفان أخى عفان لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد
أن يلبس خفه فلذغته أفعى فلما أحس بالموت أنشأ يقول :
دعاني الهوى من أهل أود وصحبتى بذى الطبيين فالتفت ورائيا
فما راعنى إلا سوابق عيبتى تقنعت منها إن ألأم ردائيا

(١) الجفوة : الوحشة .

(٢) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٣) جمع بهمة : الصغير من أولاد الضأن والمعز

(٤) الملة : الرماد الحار

ألم نرى بعث الضلالة بالهدى وأصبحت في جيش بن عفان غازيا (١)
فله دري حسين انك طائعا بنى بأعلى الرقتين وما ليا
تقول ابنتي لما رأت وشك رحلتى سفارك هذا تاركى لا أباليا
ألا ليت شعري هل بكيت أم مالك كما كنت لو غادى نعيمك باكيا
إذا مت فاعتادى القبور وسلمى عليهم اسقين السحاب الغواديا
ترى جدنا قد جرت الريح فوقه ترابا كلون القسطلاني هاييا (٢)
في صاحبي رحلي دنا الموت فاحفرا براية انى مقيم لياليا
وخطا بأطراف الاسنة مدهجى وردا على عيني فضل رداييا
ولا تحسداني بارك الله فيسكا من الأرض ذات العرض ان توسعاليا
خسذاني لجراني بهردى اليسكا فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
تفقدت من يكي على فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وادم غريب يجر لجامه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
وبالرمل لو يعلمن علمي نسوة بكنين وفدين الطبيب المداويا
عجوزى وأختاى اللتان أصيبتا بموتى وينت لى تهيج البواكيا
لعمري لئن غالت خراسان هامى لقد كنت عن بابي خراسان ناويا
تحمل أصحابي عشاءا وغادروا أخائقة فى عرصة الدار ناويا

(١) مالك شاعر فانك كان يقطع الطريق، وكان من أحسن الناس وجها وأرقهم حديثا، فمر به سعيد في طريقه الى خراسان وتألفه واتخذته في خاصته.

(٢) القسطلاني نسبة الى قسطلان، وهو النجار الساطع، والهابي التراب الدقيق.

يقولون لا تبعدهم يدفوننى وأين مكان البعد إلا مكانيا (١)

ومن الداء قول أم حكيم زوج عبيد الله بن العباس أمير اليمن
من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان معاوية قد أرسل قائده الطاغية
بسر بن أرطاة إلى اليمن ، ففر من وجهه عبيد الله ، فعمد بسر إلى طفليه الصغيرين
فذبهما بمديّة فقالت ترثيهما :

يامن أحسن بابي اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحسن بابي اللذين هما	نخ العظام فنبقى اليوم محتطف
نبتت بسر أو ما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الأفك الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة	مشحودة وكذلك الاثم يقترب
حقى لقيت رجالا من أرومته	سم الأنوف لهم فى قومهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته	هذا لعمر أبى بسر هو السرف
من دل والهة حيرى مدلهة	على صبيين حلا اذ غدا السلف
وقالت فيهما وهو ما يتغنى به :	

ألا يامن رأى الأخوين	أهبا هى الشكى
تسائل : من رأى ابنيا ؟	وتستقى فلا تسقى
فلما استياست رجعت	بمبرة واله حيرى
تتابع بين ولولة	وبين مدامع ترى

وكان كعب بن مالك الأنصارى أحد من عاون عثمان على النافرين وشهر سلاحه
فلما ناشد عثمان الناس أن يغمسوا سيوفهم النصر ولم ير أن الأمر يخص اليه
ولا يجترئ القوم على قتله فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار
فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدهم :

من مبلغ الأنصار عن آية	رسلا قصص عليهم التبيان
ان قد فعاتم فعلة مذكرة	كست الفضوح وأبدت الشنائنا
بقهودكم فى داركم وأميركم	يعشى ضواحي داره النيرانا

بيننا يرجى دفعكم عن داره
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه
يعلون قلته السيوف وأنتم
الله يعلم أنني لم أرضه
بالهف نفسي إذا قول ولا أرى
والله لو شهد ابن قيس ثابت
وأبو دجاجة وابن أكرم ثابت
ورفاعة العمرى وابن معاذهم
قوم يرون الحق نصر أميرهم
ملئت حريقا كاييا ودخانا
دخلوا عليه صائما عطشانا
مثلثون مكانكم رضوانا
أكم صنيعا يوم ذاك وشانا
نفرا من الانصار لي أعوانا
ومعاشر كانوا له أخوانا
وأخو المشاهد من بني عجلانا
وأخو معاوى لم يخف خذلانا
ويرون طاعة أمره إيمانا

وكان ورقة بن نوفل يمر ببلال بن رباح وهو يعانى العذاب الاليم من قريش
لإيمانه بالله وكان يحتمل هذا العذاب صابرا محتسبا وهو يقول : أحد أحد
فكان ورقة يقون أحد أحد يا بلال ا والله أئن قتلتموه لاتخذنه حنانا - أى
قديسا - وقال فى ذلك :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم
لا تعبدن إلها غير خالقكم
سبحان ذى العرش سبحانا نعوذ به
مسنخر كل ماتحت السماء له
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته
لم تنف عن هرمز يوما خزانته
ولا سليمان اذ دان الشموب به
وقال زيد بن عمرو بن نفيل
عزلت الجن والجنان عني
فلا المزى أدين ولا لئنتها
ولاعسا أدين وكانت ربا
أربا واحد أم ألف رب
أنا النذير فلا يفرركم أحد
فان دعوكم فقولوا بيننا جدد
وقبل قد سبيح الجودى والحمد
لا ينبغي أن يباوى ملكه أحد
يبقى الا لهو يودى المال والولد
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
والجن والانس يجرى بينها البرد

كذلك يفعل الجلد الصبور
ولا صنمى بنى طسم ادير
لناني الدهر اذ جلسى صنمير
أدين إذا قسمت الامور
عزلت الجن والجنان عني
فلا المزى أدين ولا لئنتها
ولاعسا أدين وكانت ربا
أربا واحد أم ألف رب

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالا كان شأنهم الفجور
 رأينا المسرء يعثر ذات يوم كما يتروح الغصن النضير
 وقال عبد الله بن الزبير حين أسلم يعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بما هجاه
 به وهو مشرك :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور
 إذا جارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مشبور
 آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسى القدا وأنت النذير
 وقال

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
 بما أثنانى أن أحمد لا منى فيه فبت كائننى محموم
 ياخير من حملت على أوصالها عسيرة سرح اليمين رسوم
 لى المعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
 أيام تأمرنى بأغوى خطة سهم وتأمرنى به مخزوم
 فاغفر فدا لك والداى كلاهما ذنبى فانك راحم مرحوم
 وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء ونخاتم مخموم
 مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وحلوم

وقال أبو دهل الجهمى يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
 إن البيوت معادن فتجاره ذهب وكل بيوته ضخم^(١)
 عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
 متلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفى والعدم^(٢)

(١) البيوت المراد بها القبائل المعادن جمع معدن وهو منبت الجوهر ، النجار :
 الأصل ، وكل بيوته ضخم أى أن القبائل التى اكتشفت من أسواله وأعمامه شريفة
 عظيمة مثل هاشم وأمية ومخزوم .

(٢) متلل بنعم : أى فرح بقول نعم . بلا متباعد : أى بعيد من قول لا ،
 وسيان : مثلان ، الوفى : المال الكثير ، العدم : قلة المال :

وقال متمم بن نويرة^(١)

لقد لامني عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك^(٢)
فقال أتبكي كل قبر رأيت به لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك^(٣)
فقلت له : إن الشجا يبعث الشسجا فدعني فهذا كله قبر مالك^(٤)

-
- (١) شاعر مخضرم صحابي قتل أخوه مالك في خلافة أبي بكر أيام الردة فحزن عليه ورثاه بمراث بليغة منها هذه الأبيات
- (٢) التذراف : جريان الدموع ، السوافك : المراد منها المسفوك .
- (٣) ثوى : أقام . اللوى والدكادك : اسما موضعين .
- (٤) الشجا : الحزن .

الشعر

وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيد :

١ — كان الشعر في الجاهلية ميدان البلاغة ومجال الفصاحة ، وشغل العرب الشاغل ، وسجل أيامهم الخالدة ومفاخرهم التليدة ، والناسط بقآثرهم ، والمعبر عن آمالهم ، والذائد عن أعراضهم وأحسابهم .
وكان للشعر أثره في نفوسهم وحياتهم ، وللشعراء منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة ، وكان يقوله الصغير والكبير والرجل والمرأة والفتى والفتاة ، والبهطل الممجد في معارك الصحراء ، والصلوك الفقير في وصف حياته ونفسيته ومطامحه ؛ وأنتم تملكون الكثير عن منزلة الشعر والشاعر في الجاهلية مما سبق تفصيله لكم في الأدب الجاهلي .

ب — وكان يذكر الشعر في نفوس العرب في الجاهلية بواعث كثيرة أهمها :

١ — هذه البلاغة والملكات القوية السليمة العالية .

٢ — ما كان فيه العرب من حرية ومن فراغ .

٣ — كثرة الحروب والخلافات بينهم ، مما كان يوجب روح الشاعرية فيهم ، ويشعل ملكات البيان في نفوسهم .

٤ — انقيادهم للعصبية وانتصارهم لها وسيرهم وراءها وتحكمها في نفوسهم وحياتهم ، والعصبية تثير الفخر وتدعو الى الهجاء وتحمل على الحاسه . مما يستدعي الشعر ويستطلبه . الى غير ذلك من الاسباب .

الشعر في صدر الاسلام :

١ — جاء الاسلام بهذه الدعوة الروحية العظمى ، وتلك الثورة الانسانية الكبرى .

نزل يهدى النفوس، ويوقظ العقل، ويهذب الخلق، وينظم حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة والانسانية كافة تنظيماً يوائم أسس مبادئ العدالة والحرية والاخاء الانسلي المنشود.

واختلف الناس حيال هذه الدعوة الكبرى في بدء النبوة، فمن مصديق ومكذب، مؤمن وجاحد، وانصر المسلمون لدينهم المجيد، وشبهت خصومات وخلافات كثيرة، بدأت بالاحتجاج والحوار والنضال باللسان، ثم انتقلت إلى السيف والرمح والسنان فبكترت الحروب والغزوات بين الرسول والمشركين بعد الهجرة.

وهذه الخلافات وتلك الثورة الكبرى من أعظم ما يبعث على الشعر ويستدعيه واتخذ رسول الله شعراء يؤيدون الدعوة ويدافعون عنها ويهجون خصومها وهم: حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. أما شعراء المشركين فهم عمرو بن العاص وأبر سفیان وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزهري. وكثرت المنافرات والمفاخرات الأدبية بين أنصار الرسول وأنصار المشركين من الشعراء، وسجل التاريخ الأدبي طائفة كبيرة من هذه المحاورات والمفاخرات وكان لحسان في ذلك المجال الحظ الأوفى.

وقد ساعد شعراء الرسول في هذه المعركة الأدبية إيمانهم الثابت وتأجج عواطفهم وامتلاؤها بالرغبة في الذود عن الاسلام والرسول بكل ما يستطيعون ويملكون، وبلاغاتهم وطبائعهم الأدبية الاصلية، ثم تأثرهم ببلاغة القرآن والرسول واحتذاؤهم لها، فوق تأييد الله ورسوله في دفاعهم الجبار عن دينه وكتابه وشريعته الخالدة المقدسة.

٢ - ثم انتهى الصراع الحربي في جزيرة العرب وألقى المشركون كافة السلاح أمام المسلمين ودخلوا في الدين الجديد وآمنوا بمحمد ودينه، فسكنت الأمور واطمأنت النفوس وهدأت الخواطر وأخذ الناس يتأدبون بأداب الدين ويرعون أحكامه في عباداتهم ومعاملاتهم وحياتهم. فتركوا كثيراً من مفاخر جاهليتهم الباطلة، وتقاليدها وادابهم الزائفة،

وتحاكموا إلى الله ورسوله فيما شجر بينهم من خلاف، فأعرضوا عن الخير والزنا والقمار والكذب والزور، وتركوا الهجاء الكاذب والفخر الباطل والغزل الفاحش، وهجروا حب الانتقام والأخذ بالثأر وشن الحروب لأوهى الأسباب، وأصاخوا إلى داعى الله ونداء الحق، وأعرضوا عن اللغو والفجور والتشبيب بالنساء

هنالك ضعف الشعر، وبطلت أغراضه أو الكثير منها، وقد الداعى إليه، بتأثير هذا الوازع الدينى القوى، ولما أعجبهم من بلاغة القرآن وروعته وعظمته وسموه، وحسان وحديث ضعف شعره فى الإسلام مشهور، حتى تعجب النقاد من ذلك، وقال الأعالي: «كان حسان يقول الشعر فى الجاهلية، فى جيد جدا، ويغير فى نواحيه الفصول، ويدعى أن له شيطانا يقول الشعر على أسانه كمعادة الشعراء فى ذلك؟ ويقول مثل قوله فى بنى جفنة ملوك غسان

أولاد جفنة حول قدير أبيهم قبر ابن ماوية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ثم الأنوف من الطراز الأول
فلما أدرك الإسلام، وتبدل الشيطان ملوكا تراجع شعره وكاد يرك فى قوله،
ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك،^(١)
٣ أما الشعراء فكانوا إزاء ذلك، وحيل تأثرهم بالإسلام الكريم،
طوائف ثلاثا:

١ - طائفة تركت الشعر جملة، حيث بهرها هذا الدين الخالد، وتلك البلاغة الرائعة بلاغة القرآن الكريم، ومن هذه الطائفة: لبيد الذى لم يؤثر عنه فى الإسلام إلا بيت واحد كما يقولون وهو:
الحمد لله إذ لم يأتنى أجل

حتى تبدلت من الإسلام سربالا
ب - وطائفة مع تأثرها بالإسلام والقرآن كالطائفة السابقة غيرت نهجها فى الشعر فنظمته متأثرة بآداب الدين وروحه وعقائده وأهدافه، ولكن ظهر

عليها الضعف وبأن في شعرها العجز الفنى الذى تحدث عنه النعالجى فى شعر حسان ج وطائفة نائلة ، خالفت الطائفتين السابقتين فى أنها عاشت بعيدا فى البادية وضعفت فيها النزعة الدينية القوية مع أنها فى عصر النبوة ، وظلت على نهج حياتها السابقة فى الجاهلية ، ومن هذه الطائفة : الخطيئة ولقيف من الشعراء سواء كصانين البرجى وأبو محجن الثقفى وسواهما :

٤ - وبعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزهه الله عن الشعر فلم ينظم منه شيئا أما أسرته فكان فيها لحول من الشعراء (١) ، وأما أكثر أصحابه فنظم الشعر وأنشده ورواه ، وأما خلفاؤه رحمة الله عليهم فقد كانوا ذوى بصر بالشعر ومعرفة به وقد له وإعجاب به وحب وأريحية ورغبة لسماعه وإنشاده كما عرفت سواء فى ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلى .

وكان عمر بن الخطاب وغيره يأمرون بتعلم الشعر ، وقد سبق فى ذلك روايات كثيرة ، ولا بأس بأن نعيد بعضها عليك . قالت عائشة : « روى أولادكم الشعر تعذب أنفسكم » وقال ابن عباس : « إذا قرأتم شيئا فى كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه من أشعار العرب » وقال عمر : « روى أولادكم ما سار من المثل وخسن من الشعر » إلى غير ذلك مما تجده فى أول العمدة وجهرة أشعار العرب وسواهما من مصادر الأدب والبيان .

وكان رسول الله يأمر شعراءه بقول الشعر ، فأمر حسان بهجاء المشركين ، وقال له : اهجمهم وروح القدس معك ، وبعث لابن رواحة فأنطلق إليه مسرعا فسلم ، فجلس بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم كأنه يتمعجب من شعره : كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ قال : أنظر فى ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين (٢) .

(١) يقول ابن سلام فى طبقات الشعراء : كان أبو طالب شاعرا جيدا الكلام [٩٨ المرجع طبع المطبعة المحمودية] . ويقول : وأجمع الناس على أن الزبير ابن عبد المطلب شاعر (٩٩ المرجع)

(٢) راجع ص ٨٨ طبقات الشعر لابن سلام عبيد المحمودية .

وقال صلى الله عليه وسلم لكتب بن مالك : أترى الله نسي قولك :
 دعت سخيئة أن تستغلب ربها و ليغالب مغالب (١) الغلاب
 وكان ابن الزبيري يحارب رسول الله بشعره ثم أسلم وهدى النبي واعتذر إليه
 فقال :

لني لمتذر اليك من الذي أسديت لذنبي في الضلال أهيم
 أيام تأمرني بأغوى خطية دسهم ، وتأمرني بها دغزوم ،
 فاغفر فديك والداي كلاهما ذنبي فانك راحم مرحوم
 وعليك من أثر المليك علامة نور أضياء وغاتم مختوم
 مهنت العداوة فانهضت أسابها ودعت أو اصرينتنا (٢) وحلوم

وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عزة الجمعي الشاعر ، لأن المسلمين
 أسروه يوم بدر فرحمه الرسول وأطلق سراحه بعد أن عاهده أن لا يمين عليه بشعر
 ولكنته خان العهد وهجا الرسول فأسر يوم أحد فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم
 صبرا (٣) .

وكان هبيرة بن أبي وهب شاعراً من رجال قريش الممدودين وكان شديد
 العداوة لله ولرسوله فأخذه الله (٤)
 أغراض الشعر في صدر الإسلام

١ - هجر الشعراء الأغراض التي تتنافى والدين وأعمالهم الإسلام : كالغزل
 الفاحش ، والفخر الكاذب ، والهجاء المقذع ومن استمر منهم على الهجاء كالحطيئة
 حبس وزجر من الخلفاء الراشدين ووقف عمر من الحطيئة معروف ، كذلك
 بطل الكلام في الخمر ووصفها والميسر وفتيانه والجزور التي ينحرونها عليه ، وفي

(١) ٨٨ طبقات الشعراء

(٢) ٩٦ و ٩٧ المرجع

(٣) راجع ١٠٤ و ١٠٥ طبقات الشعراء لابن سلام

(٤) ١٠٦ و ١٠٨ المرجع

تملق الناس بالمدح؛ وفي صيد الوحش وطرده مما كان يعده المسلم المتأثر
بالعقيدة الإسلامية عبثاً وهواً

وكان كثير من هذه الأغراض شديد الصلة بحياتهم في الجاهلية كالخمر والميسر
وحياة البطولة والصراع والاختد بالنار والرغبة في الانتقام والديب والاستتار
والفجور في الحب، ومن أجل ذلك كان فيها أجود أشعارهم وأماؤها بالقوة
والروعة والعاطفة؛ وهذا يفسر لك بعض الحق فيما يقال من أن الشعر ضعيف في
صدر الإسلام

ب — واقتصروا في نظم الشعر في هذه الأغراض الآتية :

١ — الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومناضلة خصومه .

٢ — هجاء أعداء الدعوة في عصر النبوة ، وهجاء أصحاب الديانات الرائعة
بعد عصر النبوة .

٣ — رثاء من استشهدوا في غزوات الرسول وفي الفتوحات الإسلامية الكثيرة،
ومن قتل ظلماً من خلفائه وكبار أصحابه .

٤ — شيوعه على السنة الشعراء زمن الخلفاء الراشدين في الفخر والتباهي
بالانتصار على جيوش الفرس والروم والمدح بشجاعة المسلمين وأبطالهم ووصف
المعاقل والحصون وآلات القتال والحصار التي لم يكونوا عرفوها وأنواع
الحيوان الذي لم يشاهدوه ، ومنه الفيلة التي حارب الفرس عليها العرب ،
ووصف جبال الثلج والأنهار العظام وسفائن البحر ذلك مما ملئت به كتب
المغازي والفتوح . ويكثر في هذا النوع الأراجيز .

٥ — الحكمة ، وقد كثرت في الشعر في هذا العصر بتأثير ثقافة القرآن
والدين وللتجارب الكثيرة التي أفادوها في الحياة ، يقول حسان أو حفيده سعيد :
وإن أمراً يسمى ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

— ٢١٠ —

ويقول الخطيئة :

لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول كعب بن زهير .

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٦ — المدح وأشهر شعرائه حسان والناطقة الجعدى وكعب بن زهير والخطيئة
وفي هذا الفريد أثر الإسلام في معانيه وألفاظه.

٧ — كما نفاه في الوعظ والتزهيد في الدنيا والدعوة الى تقوى الله ، متأثرين
في ذلك بالإسلام ،

معاني الشعر في صدر الإسلام

وقد تأثرت معاني الشعر في هذا العصر تأثرا واضحا بالإسلام والقرآن الكريم
فغلب على معانيه :

١ — العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعاني والأفكار .

٢ — ظهور المعاني الإسلامية في الشعر وغلبيتها عليه .

٣ . الصدق والحق وترك المبالغة والغلو .

٤ . الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار والخيالات والبيئات .

٥ — توليد المعاني من العقائد الإسلامية كالصلاة والصيام والجنة والنار الخ .

٦ — ظهور العاطفة الدينية وغلبيتها على معاني الشعر في هذا العصر

أسلوب الشعر .

تأثر الشعراء في عصر النبوة وبعده بالقرآن الكريم وحديث رسول الله
تأثرا ظاهرا في الأسلوب والأداء مما أحدث تغييرا واضحا في الأسلوب في هذا
العصر :

١ — فقد هجروا الخوشى والغريب والمبتذل والساقط والممحون

٢ — وامنعوا في جمال السبك وعدوبته وإحكامه وتلاؤمه

٣ — كثير في شعرهم الاقتباس من القرآن الكريم . كما يقول معن بن أرس :
فما ذات في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له مني الجناح تألفا لتدنيه مني القرابة والرحم
٤ — جزالة الأسلوب وقوته وكثرة روائحه وصوره الأدبية والبيانية .

٥ — هذا^(١) ويقسم الأقدمون الشعراء المخضرمين طائفتين متميزتين : شعراء
الور من أعراب نجد واليمامة وبواديها ، وشعراء المدر وهم أهل القرى بالمدينة
ومكة والطائف ، وقرى عبد القيس في البحرين ، والحيرة بسواد العراق . ورون
أن شعراء نجد واليمامة والبوادي أقل من شعر أهل القرى وأجزل لفظا وأضخم
أداء وأوسع مذهبا في تنويع أساليب الكلام ولكن شعرهم لا يخلو من حوشية
في العبارة ، ومنهم كان فحول الشعراء .

ورون أن شعراء المدر ألين شعرا وأرق لفظا وألطف كناية وأدبت أسلوبا
وأن أشعرهم جميعا أهل المدينة ، ومنهم كان شعراء التي الذين نافحوا عنه الشعراء
الناشئين في قریش بعد أن لم يكن لها شعر يذكر ، وأن شعر الأنصار من الأوس
والخزرج في هذا العصر لان في اللفظ وهان في المعنى عما كان عليه في الجاهلية
وعلاوا ذلك بأن الاسلام نسخ كثيرا من بواعث الشر التي تثير النفوس وتشعل
الاحتقاد : كالاصبية الجاهلية ، وحب الانتقام ، والاختلاف بالنار ، والنشوة بالخمر
والهجاء والكاذب ، واكثر ما ينجش بالخواطر عند احتدام الشرور وتسكن اليه
النفوس عند الرضا والسرور . وأمر آخر ذكره ، وهو أن كثرة تفهيم آيات هذا
القرآن المعجز ونزوله بينهم كل حين بما يهرم ويأخذ بمجامع قلوبهم صغر قيمة
شعرهم في أعينهم ، واستخسوا معانيهم وأسلوبهم بالاضافة إلى معانيه وأسلوبه ،
فهبطت قوة شعرهم عما كانت عايد ، ومنلوا لذلك بقوة شعر حسان في الجاهلية
ولينه في الاسلام وشموخ شعر أمية بن أبي الصلت في الجاهلية واستخذائه في
الاسلام : لمكان حسده لرسول الله وأكبر من ذلك أن ليذا العامري وهو من

— ٢١٢ —

أخلى شعراء الجاهلية ، عند ما انقطع إلى حفظ القرآن ومدارسته انقطع عن قول الشعر في الاسلام وية ولون : إن من لم يتعرض لهذا الإلغام والانبهار من أعراب البوادي بق شعره إلا قليلا على غرار شعر الجاهلية من أمثال الحطيئة وكعب بن زهير . وكل هذا كلام مقبول في جملة ، ولكن كثيرا من أهل العلم والنقد من المتقدمين والمتأخرين يرون أن بعض ما يستضعف من شعر شعراء مكة والمدينة والطائف مدسوس عليهم .

أماط الشعر :

وأماط الشعر عامة في هذا العصر يغلب عليها الذوق والخفة وترك الحوشية والتنافر والغربة . ويتردد فيها كثير من الألفاظ الاسلامية كالصيام والصلاة والزكاة والحج والايان والاسلام .

وبعد فقد كان المسلمون والخلفاء يرعون الشعر والشعراء . وكان أبرز عمل قاموا به هو الدعوة إلى المحافظة على الشعر الجاهلي وروايته وكتابته خوفاً من أن يندثر بكثرة من قتل من العرب في الفتوحات ولما شاهدوه من قلة الرغبة في الشعر عند الناس بتأثير الشعور الديني الجديد ، ومحافظة على لغة القرآن وفهم بلاغته وإعجازه ولهذا قال عمر بن الخطاب :

عليكم بديوانكم لا تضلوا ، فقالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

أشهر الشعراء المخضرمين

١ - عبد الله بن رواحة

المتوفى سنة ٨٩

شاعر عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية . كان في حروب أهل المدينة في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم
نشأ بالمدينة وشب شاعرا يفهم الشعراء ولما هاجر الرسول صلوات الله عليه أسلم . وشهد بدرًا وكان في الاسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دافع عن الرسول بشعره وجادل مشركي مكة وكانت له روائع كثيرة في تأييد الاسلام . ولذلك كان الرسول يحبه ويدعو له . وأشد الرسول قصيدته :

نجالد الناس عرض فأناسهم	فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأننا ليس بفلبننا	حتى من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم	على البرية فضلا ما له غير
إن تفرست فيك الخير أعرفه	فراصة خالفتم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم	في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن	تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فأقبل عليه بوجهه مبتسما ثم قال وإياك فثبت الله

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موقعة ثلث ثلاثة أمراء : زيد بن حارثة . وجعفر بن أبي طالب . وابن رواحة . فلما قتل أصحابه كانه كره الأقدام فقال :

— ٢١٤ —

أقسمت يا نفس لنزله طائفة أو لشكره
وطالما قد كنت مطمنة ما لي أراك تسكرهن الجنة
فقتل يومئذ . ويقول قبيل نازرة مؤنة :

إذا أدبني وجملت رحلي مسيرة أربع بعد (الحساء)
فشأنك فأنعمي وسلاك ذم ولا أرنو إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون ويتأدروني بأرض الشام مشهور الأنواء
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

ومن شعره :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تغذف الزبداء
أو طعنة يبدى حران بجهرة بحربة تنفذ الأحشاء والكبداء
وقال في معركة مؤنة ،

يا نفس إلا تقتلى تموتى
هذى حياض الموت قد صليت
وما تمنيت ففقد لقيت
إن تقبلى ففعلها هديت
وإن تأخرت ففقد شقيت

* * *

ومن شعر عبد الله بن رواحة هذه القصيدة .

تذكر بعد ما شطت نجوداً وكانت تيمت قلبي وليداً (١)
كذى داء غدا في الناس يمشى ويحكم داه زماناً عميداً (٢)

(١) شطت : بعدت — والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض —
وتيمت : فتننت ودهلت — والوليد : المولود وهو يعنى أنه أحبها منذ الصغر
(٢) كذى داء الخ : يعنى أنه كصاحب الداء الذى كتم الناس ما به —
والعميد : المديد

تصيد عورة الفتيان حتى تصيدهم وتشنا أن تصيدا (١)
فقد صادت فؤادك يوم أبدت أسبلا خدها صلتاً وجيدا (٢)
تزين معقد اللبات منها شرف في القلائد — والفريدا (٣)
فان تضنن عليك بما لديها وتقلب وصل نائلها — جديدا (٤)
لعمرك ما يوافقني خليل إذا ما كان ذا خلف كنودا (٥)

وقد علم القبال — غير نخر — إذا لم تلف مائلة ركودا (٦)
— بأنا نخرج الشتوات منا
إذا ما استحكمت ، حسبها وجودا (٧)

(١) تصيد : تصيد — والعورة : موضع الضعف وما اختفى — والفتيان :
الرجال — وتصيدهم تجلبهم وتخضمهم — وتشنا : شكره وتأيي — أن تصيدا
يعنى تصيدهم عن غير عمد
(٢) صادت : ملكت — وأبدت : كشفت — أسبلا : وجهاً أسبلا
والاسبيل الطويل ، — والصلت ، الطويل أيضا — والجيد ، العنق
(٣) معاقد اللبات : الاعناق والرقاب — والشرف : الاقراط وما تدلى
من العقد — القلائد : العقد المزدوج
(٤) تضنن ، تبخل — لديها عندها — وتقلب وصل ألخ ، تتجاهله وتكره
— ونائلها : مواصلها والمعنى أنها تزعم أنها لم تصله قبل اليوم
(٥) ما يوافقني ، لا يعجبني — والخليل ، الصديق — والكنود ، الجحود
(٦) أقول بغير نخر إن الناس يعملون أنا إذا لم ننخر جزوراً توجد راكدة
فلا أقل من أن نخرج الشتوات وحسبها وجودا منصوبان على أنها مفعول لاجله
(٧) والشتوات ، طعام الشتاء مما يصنع من البر ولحم الغنم والشيء — إذا
ما استحكمت ألخ إذا حصل ضيق — وذلك حفظاً لمراثنا — والجود بالموجود
ليس بخلا

قدور تفرق الاوصال فيها خضيب لونها : بيضاً وسوداً (١)
 متى ما تأت يثرب أو ترها نجدنا نحن أكرمها وجوداً (٢)
 وأغلظها على الأعداء ركنا وألينها لباغى الخير عوداً (٣)
 وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر واقصدها وأوقاها عمرودا (٤)
 إذا ندعى لأر أو لجار فتحن الاكثرون بها عديداً (٥)
 متى ما ندع في جشم بن عوف تجدنى لا أغم ولا وحيديداً (٦)
 وحولى جميع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديدداً (٧)
 زعمتم أنما نلتم ملوكاً ونزعم أنما نلنا عبيداً (٨)

(١) قدور : آنية طهى الطعام - تفرق الاوصال : عميقة فيها طعام كثير -
 والخضيب : متعددة الألوان - بيضاً وسوداً : حال ووصف للقدور
 (٢) يثرب : المدينة المنورة هي ساكنها أفضل الصلاة والسلام - أو ترها وفي
 رواية أو تردها

(٣) أغلظها : أشدها وأقواها - وألينها : أسهلها - لباغى الخير : لطالب
 الجود والاحسان ، والمعنى أنهم مهاجون مرجون .
 (٤) أخطبها : أفصحها لساناً ، وأرشدنا رأياً - واقصدها : أكثرها قصداً
 (٥) ندعى : ننادى - لأر أو لجار : للحرب أخذاً للثار ، أو إغاثة للجار -
 ليننا الدعوة بفرسان لاعداد لهم وبها : ييثررب

(٦) تدع : تنادى وتنشدنى - وجشم بن عوف : قبيلة الشاعر - لا أغم :
 لست بمجهولاً - ووحيد : لا أخ له ولا نفر

(٧) بل تجدنى كثير النفر كبير الشهرة لأن أنصار آل ساعدة بن عمرو ، وهم
 هم في الحرب والسلام - وتيم اللات : عبدها ، وهو اسم قبيلة - لبسوا الحديد
 تقلدوا السلاح وأدروع الدروع

(٨) زعمتم : ادعيتهم - أنما : الذى - نلتم : ملكتم . ملوكاً : أقبالا
 وشجعاناً - ونحن بدورنا لا ندعى دعواكم ، بل نقول إن أسراننا من العبيد

وما نبغى من الأخلاف ونرا وقد نلنا المسود والمسودا (١)
وكان نساؤكم في كل دار يمرشن المعاصم والخدودا (٢)
تركنا جمجمي كبشات فقع وغوغا في مجالسها قعودا (٣)
ورمط أبي أمية قد أبجنا وأوس الله أتبعنا ثمودا (٤)

٢ - كعب بن مالك

من شعراء المدينة من بني سلمة . نشأ بها وأسلم بعد الهجرة ودافع عن الرسول
بشعره ولسانه فحمده وأثنى عليه . وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك فتاب الله
عليهم كما قص في سورة براءة

وكان شاعرا مجيدا . قال يوم أحد من قصيدة .

لجئنا إلى موج من البحر وسطه أحاييش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا أو أربع
فراحوا سراعا مرجعين كأنهم جهام هراقت ماء الريح مقلع
ورحنا وأخوانا بطاء كأنه أسود على لحم بيشته ظلع

(١) نبئ . نريد - والأخلاف . الأحزاب المتحالفون - والوتر . الانتقام
وفي الأساس أن الوتر والوتيرة . التوائ - وقد نلنا الخ . ملكنا ناصية الجميع
(٢) وكان نساؤكم سبايا مأسورات يقاسين الذل والفاقة عليهن ثياب بالية
قدرة أجتسامهن ، وهذه أوصاف الأسرى ، وقيل يتخذن ملهاة - من المهارشة
وهي المداعبة قال في الأساس . اتهارشت الكلاب واهترشت : هارش بعضها بعضا
وهارشت يذنها مهارشة وهراشا ، وهما كلبا هراش ، وقيل . هرش الزمان اشتد
وقسى ، والهرش المحنة والذل

(٣) جمجمي . قبيلة هزما الشاعر وقومه - وبشات فقع : مثل يضرب في الذلة
عند العرب - والغوغاء : الطبة لدنيا من الناس - وأوس قبيلة بيثرب - اتبعنا ثمودا
أبدناهم حتى أمسو في الغابرين .

وقال كعب في أيام الخندق .

من سره ضرب يرعبل بعينه
فلبأت مأسدة تسن سيوفها
بعضاً كعمعة الآباء المحرق
بين المزاد وبين جزع الخندق
وقال بعد ذلك في كلمة أيضاً .

قضيها من تهامة كل وتر
نخيرها ولو نطقت لالت
فلمست بحاضن إن لم تروها
فنتزع العروش ببطن وج
ونهدم ما بنات اللات منكم
ونخير ثم أغمدنا السيوف
قواطعهم دوساً أو ثقيفاً
بساحة داركم منا الرفا
وتترك داركم منا خلوفاً
ونسلبها القلائد والشنوفاً

٣٠ - كعب بن زهير

المتوفى عام ٢٤ هـ

وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ، وصاحب دبانة
سعاد ، الجيدة المشهورة

ومن شعراء الرسول صلى الله عليه

أسرته شاعرة فهو ابن زهير صاحب المعلقة . قال الشعر في حدائنه ، فكان
والده ينهيه عنه مخافة أن يقول مالا خير فيه فيروى عنه ، فيلزمه عاره الدهر فلم
ينته ، فآذاه فلم يرتدع ، فامتحنه امتحاناً شديداً ، فكان يقول على البديهة
ما يحب زهير ، فأجازه له ففضى ونبغ فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الاسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم
فغضب كعب لإسلامه ، ونهاه عن الاسلام وهجاء وهجا رسول الله وأصحابه ،
فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجي
إلى النبي مسلماً تائباً ، فقام كعب يتراعى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد ،
وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض في وجهه ؛ جاء أبا بكر
رضي الله عنه بالمدينة وتوسل به إلى الرسول ، وعاذ به وآمن ، وأنشد
قصيدته المشهورة بمطلعها رسول الله وهي من جيد شعره ، ومطلعها :

بانث^(١) سعاد فقلبي اليوم متبول^(٢) متيم^(٣) إثرها لم يفد مكبول^(٤) فخلع عليه النبي بردته فبقيت في أهل بيته ، حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم ، وبيعت للنصور العباسي بأربعين ألفاً وكان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر ، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد لزهير ما فضلت على ابنه كعب ، وكفاه فصلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاء أن ينوه به في شعره فقال :

فمن للقوافي شأنها من يحوكها^(٥) إذا ما منى كعب وفوز جرجول^(٦) وكان يكثر من غريب الالفاظ على جودة في الوصف ، وسهولة في العبارة في بعض المواضع ، وصعوبة في بعضها الآخر . ومن شعره قوله في قصيدته بانث سعاد :

وقال كل خليل كنت آله لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قد در الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدهاء^(٧) محمول
أنبت أن رسول الله أرعدني والعفو عند رسول الله مأمول
ملا هداك الذي أعطاك نافلة^(٨) ال قرمان فيم أ مواعيط وتفصيل
لاناخذني باقوال الوشاة ولم أذهب وقد كثرت في الأفاويل
ومن قوله أيضا :

(١) فارقت (٢) تبلة الحب أسقمه وأضناه

(٣) معبد ومذال (٤) مقيد

(٥) شان ضد زان ، وشاك الثوب نسجه ، والقصيد نظامها

(٦) فوزمات ، وجرجول اسم الخطيئة الشاعر

(٧) بريد النعش ، وقيل الآلة ، والجدباء العصبية الشديدة

(٨) كل عطية تبرع بها معطيها

— ٢٢٠ —

ان كنت لا ترهب ذى لما تعرف من صمعى عن الجاهل
فاخشسكوتى إذ أنا منصت فيك لمسدوح خنا (١) القائل
فالسامع الذم شريك له ومطعم الماكول كالاكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منجدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٤ — الخنساء الشاعرة

المتوفاة عام ٢٤ هـ

هي تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلبية الشاعرة المشهورة . نشأت
وحاشت بين قومها بنى سليم ، وسليم قبيلة عربية قوية من قبائل البدو وهي من أهم
قبائل قيس ، وقيس أشهر مضر على الاطلاق . عرفت سليم بكثرة غزوها من
حولها من القبائل وخصوصاً غطفان ثم عرفت بعد الهجرة بمناة الرسول أيام
إقامته في المدينة ، ولكنها ما لبثت أن وفد عليه معلنة إسلامها مؤيدة لإيمانها بدفاع
مجيد عن الرسول ورسالة في ثروة حنين المشهورة . وليس من العسير تصور
معيشة قبيلة بدوية قبيلا الاسلام لخال بدو العرب لم تتغير كثيراً على مدى الايام
والاعوام ولكن بدواة سليم لم تكن خالصة وإنما كان يشوبها القليل من الحضارة
فقرها من مكة يسرها الاتصال بها ويسرها شهود موسم الحج كل عام وما يتبع
موسم الحج من أسواق تجارية واجتماعيه وأدبية ، ثم قربها من المدينة يسرها الاتصال
بها وبمدينتها وأخيراً وقوعها بالقرب أو على الطريق التجارية بين مكة والشام
يسرها الاتصال التجاري وما يتبعه من اتصال اجتماعي . كل هذا كان ولا شك له
أثر في خلط بدواة تلك القبيلة بشيء من الحضارة مهما يكن يسيراً

ولم تكن أسرة عمرو بن الشريد ابى تماضر أو الخنساء أسرة ضعيفة الشأن بين بنى سليم، فنحن نعلم أن العرب ما اعتدت برجال في حياتها الاجتماعية قدر ما اعتدت بفرسانها، ولقد كان صخر ومعاوية ابنا الشريد أشهر فرسان بنى سليم، بل من أشهر فرسان مضر، ويروى الرواة أن أباهما عمرو بن الشريد، كان يأخذ بيد ولديه في موسم الحج ويقول: أنا أبر خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد وكان يقول من أتى بهما فلما آخرين فله حكمه فتقر له العرب بذلك.

هذه قبيلة الخنساء وتلك أسرتهما.. أحباها دريد بن الصمة فارس جشم وشاعرهما المشهور، قالوا إن دريدا رآها يوما وهي تنهال الأبل فهويها وقال في هواه هذا شعرا منه.

حيوا تماضر وأربعوا حمي وقنوا فان وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم واعناده دام من الحب

ثم خطبها دريد إلى أبيها فقال له أبوها، ولكن هذه المرأة في نفسها ما ليس غيرها وأنا ذا كرك لها وهي فاعلة، ثم دخل إليها وقال يا خنساء أنك فارس هوازن وسيد جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين، قالت يا ابت أناني تاركه بنى عمى مثل عوالى الرماح ومتوجة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد، وكان دريد يسميها فلما خرج إليه أبوها وقال له أنها امتنعت وقد تجيب انصرف دريد وهو متيقن من رفضها، ولقد صعب هذا الرفض على دريد فهجاها بشعر يقول فيه:

وتزعم اننى شيخ كبير وهل خبرتها انى ابن خمس
فلما أبلغوها هجاء دريد وقالوا لها ألا تجيبينه قالت لا أجمع عليه أن أردده وأن أهجوه.

قتل شقيقهما معاوية ميم أخوها لأبيها صخر، وكان قتل معاوية في يوم حورة الأول أما يوم حورة الثانى فقد أثاره صخر للاخذ بثأر أخيه، وفي يوم ذات الأئيل طعن صخر طعنه أمهاته عاما وتوفى في آخره، وكانت الخنساء تقول المقطعات

الصغيرة فلما قتل أخوها جوعاً ، عليهما جوعاً شديداً وبكتهما بكاء مراراً ، وكان أشد وجدهما على صخر ، لأنه شاطرهما هي وزوجها أمواله مراراً ، فمأج حزنهما الشعر في نفسيهما ، فقالت المراثي المطولات ، وفاقت النساء والرجال فيها وأطالت عليهما البكاء العويل حتى تقرحت مآقيهما ، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء .

ولعل أصدق صورة وأقواها لبر صخرهما تلك التي رسمتها هي لعائشة أم المؤمنين ، قالوا أقبات الخنساء الى المدينة حاجة نأنت عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على العصا ، وبعد أن ناقشتها عائشة في لبس الصدر ، قالت لها : ما دعائك الى هذا إلا صنائع من جميله ، قالت نعم إن لشعاري سبباً وذلك أن زوجي كان رجلاً مئلافاً للأموال يقامر بالفساد فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخى صخر فإله ، فأتيته وشكوت اليه حالنا فشاورني ماله ، فأنطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت إليه في العام المقبل أشكو إليه حالنا فعدادى بمثل ذلك فأتلغه زوجي ، فلما كان في الثالث أو الرابعة خلت بصخر امرأته فعدله ثم قالت إن زجهما مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء فإن كان لا بد من صلتها فاعطها أخس مال لك فانما هو متلف والخيار فيه والشرار سيان فانثأ يقول لامرأته :

والله لا أمنعها شيء — اردا وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت قد دنت خمارها واتخذت من شعر صدرها

ثم شطر ماله فاعطاني أفصل شطرين ، فلما ملك اتخذت هذا الصدر ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت .

صبغت حياة الخنساء بصبغة سوداء قائمة وبانت تعرف بجسدها رثائها وعميق حزنها الذي لم تنصفه السنين شدر تفرج به عن نفسها وعزاء تعلقها من كل من يلقاها ويسمى صغيراً كان أم كبيراً حقيراً كان أم عظيماً .

أصبحت الخنساء تشهد موسم الحج وقد سومت هودجها تنشد شعرها في رثاء

أخويها وأبيها وتعاضلهم العرب بمصبيتها بل تعاضلهم العرب بمجيد شعرها في الرثاء .
لم تزل الخنساء وحدها تعاضلهم العرب بمصبيتها حتى أتتها هند بنت عتبة بن
ربيعة تقرن جملها إليها وقد سومت هودجها هي أيضاً تعاضلهم العرب بمصبيتها في
في شهداء بدر أبيها وعمها وأخيها . وفي هذا الموسم أنشدت كل منهما شعراً في
مصبيتها وأنشدت الخنساء قصيدتها .

من حسلى الآخرين كالغصين أو من رآهما
أخوين كالصقيرين لم ير ناظر شسروهما
وبينا كانت الخنساء تدب أخويها كانت رسالة النبي تنتشر ويشيع نورها على
الحجاز وما جاوره .

وما لبثت أن توافدت إليه الوفود معلنة إسلامها . وكان بين هذه الوفود
وفد بني سليم وفيهم الخنساء وأنشدت النبي شعرها فاعجب به وكان يستزيدها ويقول
لها هيه يا خنساء .

وقالوا قدم عدى بن هاشم على رسول الله وقال له أن فينا أشعر الناس
وأفهمهم وأستخاهم أما أمخاهم فحاتم بن سعد وأما أفرسهم فعمر بن معدى
كرب قال الرسول ليس كما قلت يا عدى فان أشعر الناس الخنساء بنت عمرو .
أسامت الخنساء مع قومه ولكن الإسلام لم ينسها مصبيتها فكان الحاج
لا يستعرب منظر امرأة حليقة الرأس لابسة الصدار تدب على عصا من السكبر
وقد قوح البكاء عينيها حتى عميت تطوف في مكة والمدينة منشدة .

بأعين جودى بالدموع المستهلل السوافح
فيضاً كما فاض الغروب المترغات من النواضح
إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

فتمت عاتقة أم المؤمنين عن إفسال الصدار ونهاها عمر بن الخطاب عن حزنها
ولكن حزنها صمد لكل شيء ولم يضعف . وقالوا أقبلت الخنساء حاجة
فرت بالمدينة ومعهما ناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه الخنساء
نزلت المدينة بزي الجاهلية نازرة وعظمتها يا أبا عبد الله المؤمنين فلقد طال بكأؤها في

الجاهلية والاسلام فقام عمر فاتاهما فقال : يا خنساء فرفعت رأسها وقالت :
ما تشاء ، قال ما الذى قرع عنيك ، قالت البكاء على السادات من مضر قال إنهم
هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاء اللهب وح : و جهنم . قالت فذاك الذى زادنى وجعاً ،
قال فأنشدنى مما قلت قالت أما إني لا أنشدك بما قلت اليوم ، ولكن أنشدك بما
قلت الساعة ، فقالت :

سقى جدنا أكلاف غمرة دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله
فقال عمر دعوها فانها لا تزال حزينة أبداً ، .

واشترك بنوها الاربعة فى معركة القادسية ، فكان كلامها يريدنهم نشاطا واستهتارا
بالموت : يا بنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتنم مختارين . يقول الله عز وجل :
يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا
رأيتن الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سباقها وجللت نارا على
أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفرو بالمغنم
والكرامة فى دار الخلود والمقامة ، .

قتل بنوها الاربعة فى حبيب القادسية وكلنا نعلم كيف تلقت خبر موت بليها
بقلب عامر بالإيمان قوى بالقيادة الراسخة التى تستمر بأجل شئ فى سبيلها ، قالت
لما نعوهم إليها : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى
مستقر رحمته ، .

الخنساء لدى عائشة أم المؤمنين :

دخلت (١) الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدر (٢) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدتها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما لبسته !
قالت : إن له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيد قومى ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف فى ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع فى مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأثيناها ، فقسم ماله شطرين (٣) ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .
ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ، قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه ، فقسم ماله ، وخيرنا فى أفضل الشطرين .
فقالت له زوجته : ألا ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ، فقال :

والله لا أمنحها شرارها فلو ملكت قددت (٤) خمارها

واتخذت من شعر صدرها

فآليت ألا يفارق الصدر جسدى ما بقيت !

-
- (١) العقد ص ٢٢ ج ١ ، سرح العيون ص ٢٩٩
(٢) الصدر : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت حميمها فأحدثت عليه ليست صدراراً من صوف
(٣) شطر الشيء : نصفه
(٤) قددت : قدت

الخنساء تعاظم بمصائبها :

لما (١) كانت وقعة بدر ، قتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثهم ، وبلغها آ. ويم (٢) الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيباتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند (٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ — وكانت سوقا يجتمع فيها العرب فقالت : اقرنوا جملي بحمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت ، أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فم تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء بعمرو بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبهم تماظمينهم أنت ؟ قالت ، بابي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء ، أو سواء هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول .

أبسكى أبي عمراً بعين غزيرة قايـل إذا نام الخـلى هـودها
وصنوى لا أنسى معارفة الذي له من سـراة الحـرتين (٤) وفودها
وصخرأ ، ومن ذا مثل صخر إذ غدا بساهمة الآطال (٥) قبا يقودها

(١) الأغانى ص ٢١٠ ج ٤ ، معاهد التنصيص ص ١١٧

(٢) سوم الشيء ، جعل له سومة وعلامة يعرف ويتميز

(٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود والمراد حرة بني سليم ، وحرة بني هلال بالحجاز . أي هو مقصد الأشراف تأنيه وفودها فيما يلم بها .

(٥) الساهمة : الدققة ، والآطال : جمع إطل وهو الحاصرة ، والقب : جمع

أقب ، وهي الفرس الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن .

فذلك يا هند الرزقة فأعلى ونيران حرب حين شب وقودها
فقلت هند تحبها :

أبسكى عميد الأبطحين (١) كلمها وحاميهما من كل باغ يريدھا
أنى عتبة الخيرات ويحك فأعلى وشيبة والحامى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفى العز منها حين ينمى عديدها (٢)
ثم قالت :

من حس لى الأخوين كالـخصنين أو من راهما (٣)
قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حاهما
ويلى على الأخوين والـمقبر الذى واراها
لا مثل كلى فى الكمر ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتدللا ن ولا يرام حاهما
رمحين خطيين فى كسبد السماء سناهما
ما خلفا إذ ودعا فى سودد شرواهما (٤)
سادا بغير تكلف عـفـروا يفيض ندهما

ومن رثاء الخنساء :

أعبنى هلا تبكيان على صخر بدمع خثيث لا بكى ولا نزر
فقتفرغان الدمع أو تذر يانه على ذى الندى والباع والسيد الغمر
فسالكا عن ذى اليمين فابسكيا عليه من الباكى المسلب من صبر

(١) الأبطحان : تريد بطحاء مكة وسهل تهامة .

(٢) عديدها : جوعها

(٣) راهما . أصله رآهما .

(٤) شرواهما : مثلهما .

كأن لم يقل اهلا لطالب حاجة بوجه بشير الامر منشرح الصدر
ولم ينفد في خييل مجنبة القنا ليروى أطراف الردينية السمر
فشان المنايا اذ اصابك ربهها لتغدو على الفتيان بعدك أو تأسرى
فن يضمن المعروف في صلب ماله

ضمانك أو يقرى الضيوف كما تقرى
ومبثوثة مثل الجراد وزعتها لها زجل يملأ القلوب من الذعر
صحبتهم بالخيل تردى كأنها جراد زفته ريح نجد الى البحر
وقاله والنعمش يسبق خطوها لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا تسكنت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر
وماذا ثوى في اللحد تحت ترابه من الخير يا رؤس الحوادث والدهر

* * *

ولها ثرى صخر :

يا لهف نفسى على صخر وقد فرغت خيل الخيل وأقران لاقران
سمح اذا يسر الاقوام أقدمهم طلق اليدىن وهوب غير منان
حلا حل (١) ما جد محض ضريبته مجذامة (٢) لهواه غير مبطان (٣)
سمح سجيته جزل عطيته وللأمانة راع غير خوان
نعم الفتى أنت يوم الروع قد عدوا كفء اذا التف فرسان بفرسان
سمح الخلائق محمود شمائله على البناء اذا ما قصر الباني
ماوى الارامل والايتام ان سغوا شهاد أنجية مطعام ضيفان
حلف الندى وعقيد المجد أى فتى

كاليت في الحرب لا تكس ولا وان (٤)

* * *

(٢) عاص

(٤) فاتر

(١) كريم

(٣) عظيم البطن

وقالت :

أيا عين ممالك لا تهجمينا
 لصخر بن عمرو فجئنا به
 رزينا أخا المجيد والمكرمات
 فيا صخر لا يبعدنك المليك
 وعظام الشجا في قلوب الهدا
 رقيع العماد يقوق الرجال
 يخل الخطار ليوم الفخار
 ويلى السيوف ويقرى الضيوف
 فيالك من نكبة الحقت
 رمنا فلم يخطنا سهمها
 بصخر بن عمرو بمجولة
 فيا أرض ماذا وعيت الندى
 تعين من السودد المشتري
 فلوان حيا بكته البلاد
 ولكننى سوف أبكى عليك
 فبـكى أخاك لآله
 وتذكر أيامك الصالحات
 سقى الله قبرك صوب الغمام
 فذم الفقى فى زمان الهياج
 ودارت رسا القوم تحت السيوف
 وقرن يرى الموت منه الرجال
 كريم المشاهد يوم الحفاظ
 حامت عليه فغادرته
 وأنت على معرب قارح
 وتبكين اذحل ماتسك رهينا
 فجأت رزيته اذ رزينا
 فاصبح فى العصابة الساكينا
 فقد كذب ركنا وحصنا حصينا
 وفضلا اذا جاءك السائلونا
 ويجرى فيسبق سبقا مينا
 ويحمى الزمار ويعطى المئينا
 اذا الطارق أمسى عزبا ثمينا
 أمرت معيشتنا ماحيينا
 كذلك الحوادث حيننا فخينا
 من الارض قد ضمنته رهينا
 بصخر بن عمرو وفى من تعينا
 وابن المكارم لو تعليمنا
 لبكينه ثم حنت حنيننا
 ومثل فراقك أبكى العيونا
 اذا المجد ضيعة السايسونا
 وما كنت تأتى الينا دفينا
 فروى القلب وروى الجنينا
 اذا ما الزماح بجمع رويننا
 وكانوا هنالك لا يثنوننا
 يقارع عن نفس الخطرينا
 إذا ما النساء أرنت رنيننا
 صريعا وعفرت منه الجيننا
 كأن به حين يردى جنونا

وفتيه - ان صدق على شذب إذا وجهوهن وجهها هوينها
فولوا شـللا والفينهم ليسقون نهجا وجونا حوينها
فسوف أبكيك يا ابن الشريد وأسهر عيني مع الساهرينا

ولها :

يؤرقني التذكّر حين أمسى فأصبح قد بليت بفراط نكس
على صخر وأى فنى كصخر ليوم كريمة وطمان مجلس
وللخصم الالذ إذا تعدى ليسأخذ حق مضلوم بقنس
فلم أسمع به رزءا لجن ولم أسمع به رزءا لانس
أشد على صروف الدهر أيدا وأفصل في الخطوب بغير لبس
وضيف طارق أو مستجير يروع قلبه من كل جرس
فاكرمه وامنه فامسى خليا باله من كل بؤس
وأكرم عند ضئ الناس جهدا لجناد أو لجار أو لعرس
ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسى
فقد ودعت يوم فراق صخر أبى حسسان لذائق وأنسى
فيا ليلى عليه ولهم أمى أيصبح فى الضريح وفيه يمسى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا وأذكره بكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عجولا وبأكية تنوح ليوم نحس
ما كلنا هما نيكى أخاهما عشية رزءه أو غب أمس
وما يسكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتامس

ومن قولها في صخر أيضا :

أمن جدت الأيام عينك تمهل تبكى على صخر وفي الدهر مذهل (١)
 ألا من لعين لا تجف دموعها إذا قلت أفنت تستل فتجفل (٢)
 على ماجد ضخيم الدسيعة بارع له سورة في قومه ماتحول (٣)
 فما بلغت كيف أمرى متاورلا من المجد إلا والذي نلت أطول
 ولا بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضل
 ومن أجل البيتين الأخيرين فضلها معاوية بمحضر الأخطل ، وأقرها
 الأخطل بالفضل .

..

ومن قولها : وقد تسابق أبوها وأخوها فسبق أبوها ، فقيل لها : لن مدحت
 أباك لقد هجوب أحاك ، فقالت : وتخلصت من الموقف أحسن تخلص يجعل سبق
 أبيها ليس عن عجز أخيرا ، ولكنه اعتراف بحقه وتسليم لكبر سنه .
 جارى أباء ، فاقبلا وهما يتعارفان ملاة الحضر (٤)
 حتى إذا نزت القلوب وقد لثت هناك العذر بالعدر (٥)

(١) هملت العين (كضرب) كثر نزول دمعها . المذهل : هنا مصدر ميمي :
 أى الدهول ، والمعنى إن الدهر فى ذهول عنك لا يهمه أمرك ولا يردك
 بالهكاه فائنا .

(٢) استمل المظر . بدأ نزوله . حفلت السماء (كضرب) كثر مطرها .

(٣) الدسيعة . الجفنة . أو المائدة الكريمة . برع . تم فى كل فضل وكال .

(٤) الحضر والإحضار : السرعة .

(٥) نزت : تحركت واضطربت . لزه به . ألصقه به . العذر بسكون الذال :

الشعر الذى على كاهل الفرس . أو أصلها العذر بضمثين جمع عذار وهو جانب
 اللحية أو ما وقع عليه من اللجام .

وعلا هتاف الناس أيهما قال المحجب هناك لا أدري
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى^(١)
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر^(٢)
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطتا إلى وكر
وقيل للخنساء : صفى لنا أخويك صخرًا ومعاوية فقالت : كان صخر والله الجنة
الزمان الا غر وزعاف الخنيس الأحمر وكان والله معاوية التماثل الفاعل، قيل لها .
فأيها كان أسنى وأغر قالت اما صخر لخر الشتاء وأما معاوية فبرد الهواء قيل
لها : فأيهما أوجسج وألجع قالت : اما صخر لجرم السكبد وأما معاوية فسقام
الجسد وانشأت .

اسدان مجرا المخالب نجدة بجران في الزمن الغضوب الانمر
فران في النادى رفيما سحتد في المجد فرعا سؤدد متخير
وقالت الخنساء ترى أباها :

فدى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت أن خلعت من أهل الدار
كأن دمعى من ذكرى اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
فالعين تبكى على صخر وحق لها ودونه من جديد الارض أستلر
بكاء والهمة ضلت أليفتها لها حنينان اصفار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار
وان صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
سامى الحقيقة محمود الخليفة مه دى الطريقة نفاع وضرار
وقالت أيضا :

اعينى جودا ولا تجمدا الاتبكيان لصخر الندى

(١) الغلواء : الغلو .

(٢) الكبر : الشرف والمعلنة .

- ٢٣٣ -

ألا تبكيان الجرى الجواد ألا تبكيان الفتى السيد
 طويل النجاد رفيع العبا د ساد عشيرته امردا
 يحمله القوم ما غلهم وإن كان أصغرهم مولدا
 جموع الضيوف الى بابيه يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وبما رثت به أخاها معاوية قولاً من قصيدة .

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سر بالها
 أبعد ابن عمرو من آل الشري د حلت به الأرض أفتالها
 وأقسمت آسى على هالك وأسأل نائمة مالها
 لتجرى المنية بعد الفتى الـ منقاد بالمحو أذلالها (١)
 سأحمل نفسى على خطوة فاما عليها ، وإما لها
 نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريمة أبى لها
 فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها
 فزال الكواكب من فقهده وجللت الشمس أجلاها (٢)

وقولها من قصيدة ترثى بها أخاها سنخرا .

بكى عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضى كراها
 على صخر وأى فتى كصخر إذا ما الذاب لم ترأم طلاها
 لأن جرعت بنو عمرو عليه لقد رزمت بنو عمرو فتاها

* * *

(١) المغادر بالمحو أى المتروك بالموضع المسمى المحو — وأذلالها مجاريها —
 تقول لتجرى المنية فى مجاريها كما تشاء فما أبالى بما تفعل بعد موت هذا الفتى المقتول
 بالمحو .

(٢) أجلاها جمع جل أى ستر .

ومكثير من النقاد يعجبون بشاعرية الخنساء ويشيدون بها حتى إن جريراً سئل
من أشعر الناس فقال أنا لولا الخنساء . وأغلب النقاد على أنه لم تكن امرأة قبل
الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى
النساء . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعراً إلا أظهر الضعف فيه ، فقليل له وكذلك
الخنساء ، فقال تلك غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية ، أقل منه
عند شعراء الإسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ
قصيدتها التي مطلعها :

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ دخلت من أهلها الدار
لولا أن أبا بصير يعني « الأعمش » أنشدني قبلك لقات إنك أشعر من بالسوق
ولشعر الخنساء رنين في السمع ، وهزة في القلب ووقع في النفس ، لأنه صادر
عن فؤاد محزون وما خرج من القلب حل في القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ
سهل الأسلوب حسن الديباجة .

٥ - أبو محجن الثقفي

المتوفى عام ٣٠ هـ

شاعر مخضرم ، نشأ في الطائف وهي مدينة في الجنوب الشرق من مكة تبعد
عنها خمسة وسبعين ميلاً اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها وهي مصيف العرب
قال النيرى يصف أخت الحجاج بالنعمة والترف

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكانت أشهر القبائل العربية بالطائف « ثقيف » قبيلة أبي محجن . وقد أنجبت
ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والإسلام ومن شعراء الجاهلية الشاعر المتدين
أمية بن أبي الصلت ، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طريح الثقفي ، والشاعر
الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وساستمها وقادتها الأمير
الحجاج بن يوسف الثقفي ، والقائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ولما
يكتمل العشرين ، والذي قال فيه القائل .

ساس الجيوش لسبع عشر حجة ياقرب ذلك سؤدداً من مولد

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب في بلادهم سبباً في شيوخ الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها .

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب في الجاهلية ، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم . يتمدحوا بشربها وإنلاف ما لهم في سبيلها .

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وأبرحجن كان كما يقول أحمد أمين من هذه الطبقة ، فتي ، غني ، من ثقيف ، من الطائف - شجاع ، كريم يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمرومة ويقول .

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي
القوم أعلم أني من سرانهم إذا تطيش يد الرديدة الفرق
قد أوكب الهول مسدولاً عساكره واكتم السر فيه ضربة العنق
عف المطالب عما لست نائله وإن ظلمت شديد الحق والحق
وفد أجود وما مالي بذى فنع (١) وقد أكر وراء الحجر الفرق (٢)
سيكثر المال يوماً بعد قلت ويكتسى العود بهد اليبس بالورق

ظلت ثقيف على جاهليها لاتذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم من حولها ورأت نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام في السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا بالاسلام وتعاليمه فأسلم مع قومه ولم نسمع عنه في حياة رسول الله وأبي بكر شيئاً ولكننا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد في الحق لاتأخذه فيه هوادة ، فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب - يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس » فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل في حائل يبنى بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

وانت نظرت إلى الشموس ودونها

خرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر في الخمر :

(١) الفنع زيادة المال والمال ذو فنع « كثير ،

(٢) الحجر الحارب الذي ألجى إلى الحجر .

إن كانت الخرق قد عزت وقد منعت
 وحال من دونها الاسلام والخرج
 فقد أباكرها صرفاً وأمرجها
 ربا وأطرب أحساناً وأمتزج
 لخدمه عمر وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا، وهو لا يزال على رأيه؛ مصمم على
 تفكيره، ماض في عزله وشربه، يئس عمر من علاجه، وضاق به ذرعا، فقرّر
 أن ينفيه في جزيرة كانت تنفي فيها العرب في الجاهلية خلافاً لهـ اـ، وبعث معه
 حرسياً يحافظ عليه حتى لا يهرب، وأوصاه ألا يأخذ سبجينة سيفها معه، وقد
 عرف عمر كيف ينتقم، فلم يألم أبو سحجن من شيء ألمه من هذا
 تظاهر أبو سحجن بأنه يحمل غرارتين ملئتاً دقيقتاً وعهد إلى سيفه فجعل
 نصله في غرارة، وجفنه في غرارة، ودفنها في الدقيق حتى إذا جاوز هو والخرسى
 المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصيباً جلوساً للغداء، فقام شاعرنا يوم أنه يخرج
 دقيقتاً، فأخرج سيفه، ووثب على الخرسى، فخرج يعدو على بعيره راجعاً إلى
 المدينة، وذهب أبو سحجن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة
 والشهامة — إلى مواقع الغزوات، إلى أشدها هولاً وأصعبها مراساً، إلى
 والقادسية، حيث المواقع الفاصلة، بين سيادة العرب وسيادة الفرس
 وليكن عمر، لم يخف عليه أمره، فعرف أين توجه، فما وصل إلى القادسية
 حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبي وقاص بحبسه، ففعل ذلك وحبسه في
 قصره وقيدته، فشى يرسف في قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب
 إلى سلى زوج سعد وقال لها :
 هل لك إلى خير ؟
 قالت : وما ذاك ؟
 قال : تخلين عني وتميريني باللقاء (فرس سعد) فله على إن سلمني الله أن
 أرجع إليك حتى تشعني رجلى في قيدي، فأبت : فقام ثائراً حزينا، يرى القتال على
 الباب وهو يرسف في القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات :

— ٢٣٧ —

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقها
إذا قبح عنائى الحديد وعلقت
مغاليق من دوى تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة
فقد تركونى واحداً لا أنا ليا
هلم سلاحى لا أبالك أنى
أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا
ولله عهد لا أخيس بعده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرئت له ورأت الصديق فى قوله فأطلقته ، واقتاد
فرس سعد وخرج إلى موطن القتال وإذا به أمام الناس يقف بين الصفين
ويحمل على العدو حملات مذكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره ، ورأوا
الفرس فرس سعد ، والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم ، حتى إذا انتصف
الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجله فى القيد (٢)
فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعدا بما كان منه فأطلقه
وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب .

وقال لسعد كنت آتف أن أتركها من أجل الحد ، فاما إذ به رجعتى فلا والله
لا أشربها أبدا .
لقد كان لما أخذه عمر عليه قوله :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقه
ولا تدفنى بالفلاة فانى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

(١) الحوانى جمع حانية وهى الخانوت

(٢) راجع ص ١٥٢ - ١٥٥ من هذا الكتاب

— ٢٣٨ —

ودخل ابنه على معاوية فقال له أبوك القائل :
إذا مت فادفني إلى جنب كرمي تروى عظامي بعد موتى عروقيها
ولا تدفني بالفـسـلاة فاني أخاف إذا ماتت ألا أذوقـسـها
فقال : أي الذي يقول :

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل القوم عن مالي وعن خلقي

٦ — أبو ذؤيب الهذلي

المتوفى عام ٢٦ هـ

هو خويلد بن خالد الجاهلي إسلامي أحد المخضرمين أسلم واشتهر بقول الشعر
الفحل الرصين .

خرج مع ابن سعد بن أبي سرح لغزو أفريقيا عام ٢٦ هجرية ثم عاد مع ابن
الزبير إلى مصر فاصيب أبناءه الخمسة فيها بالطاعون فأتوا ورثاهم بمريته المشهورة .
ومات أبو ذؤيب في مصر بعد عام ٢٦ هـ .

وكانت له مكانة كبيرة في الشعر وأشهر قصائده عينيته التي رثى فيها أولاده
الخمس . وهي كما في المفضليات .

أمن المنون وريها تنويع والدمر ليس بمعتب من يجزع^(١)
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذات ومثلي مالك ينفع^(٢)
أم ما لجنيك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليه ذاك المضجع^(٣)

(١) المنون . الموت يذكر وبؤث ، وسمى الموت منونا ؛ لأنه بمن المرء .
أي ينقصه . رب المنون . ما ياتي به من الفواجع . الاعتاب . فعل ما يرضى العائب .
(٢) ابتذل الرجل (بالبناء للفاعل) . عمل عمله بنفسه . وقوله . ومثلي مالك
ينفع أي في شراء العبيد وقيامهم بالعمل بذلك .
(٣) أقض عليه المضجع . أي امتلاك قضيا (حصي) والمراد أنه أرق
ولم يهدأ .

فأجبتها أن ما لجسمى أنه أودى بنى فأعقبوني حسرة
 أودى بنى فأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة ما تطلع
 سبغوا هوى وأعقبوا هوام فخرموا، ولكل جنب مصرع^(٢)
 فغبرت بهمهم بعيش ناصب وإخال أنى لاحق مستتب^(٣)
 ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع
 وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع
 فالعين به دهم كأن جفرتها سملت بشوك فهي عورا تدمع^(٤)
 وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أنضمضع
 حتى كأنى للحوادث مروة بصفا المشقر كل يوم تفرع^(٥)
 لا بد من تلف مقيم فانتظر بأرض قومك أم بأخرى المضجع
 ولقد أرى أن الهكاء سفاهة ولسوف يولع بالهكاء من يفجع

إلى آخر هذه القصيدة الجيدة

وله قصائد كثيرة في الشعر والشعراء لابن قتيبة د ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبعة
 ١٩٣٢ ، وسئل حسان من أشعر الناس فقال هذيل وأشعر هذيل غير مدافع

(١) أن هنا مخففة من الثقيلة ، أى أحببتها أن الذى حصل لجسمى أن أولادى
 هلكوا . وتركوا .

(٢) أصل هوى هوى (لغة هذيل تقلب ألف المقصور في هذه الحالة ياء
 وتدغمها في ياء المتكلم) أعقبوا . ساروا سيرا فسيحا سريعا ، والمراد أنهم ماتوا
 في مستقبل المعر فوصلوا إلى الغاية قبل غيرهم . تخرموا . أخذوا واحدا بعد واحد .
 (٣) غبرت . بقيت . مستتب : لاحق ، من قولك ، استتبعتنى فلان ، أى
 جعلنى أتبعه .

(٤) ويرى كأن حدائقها وذلك مناسب لقوله سملت . أى ففتت وعورا
 مقصور عورا .

(٥) المروة . القطعة من أصلب الحجارة . الصفا . جمع صفاة ، وهى الجر
 الصلد الضخم . المشقر . حصن بالبحرين .

أبو ذؤيب . ويقول فيه ابن سلام كان شاعرا خفلا لا غبيرة فيه ولا وهن وجعله
من الطبقة الثالثة مع لبيد والجمدى والشماخ

٧ - الخطيئة

المتوفى عام ٥٩ هـ

هو أبو مليكة جرول الخطيئة العيسى الشاعر المشهور نشأ نشأة فقيرة في نجد
خامل النسب قليل الحسب مختلطا عليه أمرأته وأبيه انتسب إلى عيس فنسب إليها
ركان مع ذلك دميما قبيح الخلقة بخيلا بطرد أضيافه ويؤذى جيرانه ويقع في اعراض
الناس ويثلبهم فكانوا يخشون لسانه .

كان الخطيئة تليذ زهير في الشعر وواو يته لذلك خرج شعره مصقولا قوى
الديباجة رائع الأسلوب ساحر النيان نظم الألفاظ له نصيب كبير من
الروعة والبلاغة .

وكان الخطيئة من ثلث الشعراء ومتقدمهم وفصحائهم متصرفا في جميع فنون
الشعر من المديح والهجاء والفخر والغزل مجيدا في ذلك كله أدرك الجاهلية والإسلام
فأسلم ثم ارتد كما يقول صاحب الأغاني . ويقول أبو عبيدة فيه : كان الخطيئة متين
الشعر شروذ القافية .

وفد على سعيد بن العاص وهو يعشى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولا
أولا ، والخطيئة قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ، فذهب الشرط
يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعو الرجل ، فتركوه
وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليا ، فقال لهم الخطيئة (١) : والله ما أصبتم
جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئا ؟ قال :
نعم ، قال : فمن أشعر العرب ؟ قال الذى يقول .

(١) الأغاني ص ١٦٧ ج ١

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من رزته الاعداد
وأشد القسبة حتى أتى عليها .
فقال له : من يقولها ؟ قال أبو دواد الايادى ، قال : ثم من ؟
قال الذى يقول :

أفلس (١) بما شئت فقد يدرك بالجهل وقد يخدع (٢) الأريب
ثم أنشد ما حتى فرغ منها : قال : ومن يقولها ؟ قال عبيد بن الأبرص ، قال : ثم من ؟
قال : لحسبك نى عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلتي على الأخرى ثم
عديت فى إثر القوافى عداء الفصيل الصادى ، قال . ومن أنت قال : الحطيئة ،
فرحب به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه .
ومضى لوجهة إلى عتيبة بن النحاس العجلي ، فسأله فقال له : ما أنا على عمل
فأعطيك منه ، ولا فى مالى ففضل عن قومي ، قال له : فلا عليك ا وانصرف .
فقال له بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك للشر ا قال : وكيف ؟ قالوا : هذا
الحطيئة ، وهو هاجينا أخبث هجاء ، فقال : ردوه ، فردوه إليه ، فقال له : لم
كتمتنا نفسك ؟ كأنك كنت تطلب العمل علينا ا اجلس فلك عندنا مايسرك ، فجلس
فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره (٣) ومن لا يتقى الشتم يشتم
فقال له عتيبة : إن هذا من مهدمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه
إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشترته له فجعل يعرض عليه الخبز ورقيق الثياب

-
- (١) أفلس من الفلاح وهو البقاء ، أى عش بما شئت من عمل وحق ، فقد
يرزق لاحق ، ربحم العاقل .
(٢) رجل يخدع : خدع مراراً .
(٣) يفره يتمه ولا ينقصه

فلا يريد لها ، ويومئ إلى الكرايدس ^(١) والأكسبة الغلاظ ، فيشتريها له ، حتى
قضى أربه ^(٢) : ثم مضى .

فلما جلس عتيبه في نادي قومه أقبل الحظيئة ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقام
العائد بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، قال : قد كنت قلت بيتين فاستمعهما ،
ثم أنشأ يقول .

سئلت فلم تبخل ولم تطر طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمد الخ

ومن شعره يهجو الزرقان ، ويخاصل عن بعينه فصيده التي يقول فيها :
والله ما معشر لا موأمرأ جذا ^(٣) في آل لاي بن شماس بأكياس ^(٤)
ما كان ذنب بغض ، لا أبه لكم ، في بانس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم ^(٥) لو أن درتكم ^(٦) يوماً ينجى بها مسجى وإبساى ^(٧)
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كما يكون لكم منجى ^(٨) وإمراسى ^(٩)
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ولم يسكن الجراحى فيكم آسى
أزمعت يأساً مبيتاً من نوالكم وإن ترى طاردا للحر كاليس

(١) الكرايدس : ثياب القطن .

(٢) الأرب الحاجة .

(٣) الجنب الغريب

(٤) جمع كيس : اللبيب القطن ، والمراد بالمعشر الزرقان ورهطه .

(٥) مرى الناقة يريها مسح ضرعها ، والمراد مداراتهم ومدحهم ليدروا

عليه العطاء . (٦) الدرة . اللين .

(٧) الإبساس النالطف بالناقة عند الحلب بأن يقال لها بس يس تسكيناً

لها لتدر

(٨) المتع : نزع الماء من البئر

(٩) الامراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزل منيها .

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا ناقة حل في مستور شاسي^(١)
 جارا لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقبلاً بين أرماس^(٢)
 ملوا قراه بهرته^(٣) كلابهم وجرحوه بأنساب وأضراس
 دع المسكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم^(٤) الكاسي
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستدعى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ؛ فرفعه عمر إليه واستنشدته فأنشده ، فقال عمر : ما أسمع هجاء ولكنها معانبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس ؟ فقال عمر : على بحسان ، فحسى به ، فسأله . فقال : أنراه هجاء ؟ فقال : نعم وسأله عليه الحبسه عمر ، فقال في الحبس قصائد يستعطف بها عمر ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال .

ما ذا تقول لأفراخ بذي مرخ^(٥) زغب الحواضل لا ماء ولا شجر
 ألقيت كاسهم هم قعر مظلمة فاغفر ، عليك سلام الله ، يا عمر
 أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقيت إليك مقاليد النسي البشر
 لم يؤثروك بها إذ قدوهك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(٦)
 فامن على صبيحة بالرمل مسكهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر^(٧)
 أهلى فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية^(٨) تعمى بها الخبر

-
- (١) المستور المكان الوعر ، والشاسي : المكان الغليظ المرتفع .
 - (٢) الرمس القبر وجمعه أرماس ، والهون المذلة . أى تركوه كالميت .
 - (٣) هرته السكلاب . نبخته ، وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم .
 - (٤) الطاعم : المطعوم . والكاسي : المسكسو .
 - (٥) ذو مرخ : واد بالحجاز .
 - (٦) الأثر : واحدها أثر ، ومعناها الاستثناء والمكرمة .
 - (٧) القرر : جمع قرة ، وهى البرد .
 - (٨) الداوية : الفلاة الواسعة ؛

ومن شعره :

وفتيان صدق من عدى عليهم
إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم
وطاروا إلى الجرد العتاق فألجوا
أولئك آباء الغريب وغائة اله
أحلوا حياض الموت فوق جباههم
وكان ابن شهرمه يقول : أنا والله أعلم بحيد الشعر ، ولقد أحسن الخطيئة
حيث يقول في آل شماس قوم بغيض :

ألا طرقتا بعد ما هجروا هند
وإن التي نكبتها عن معانره
أنت آل شماس بن لاي ولعمري
فإن الشقي من تعادى صدورهم
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها
أقولوا عليهم لأبا لايسكم
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها

(١) الصدق : الشدة في القتال . بصرى : مدينة بالشام . وصفائح بصرى الدروع
(٢) المناطق : جمع منطقة (بكسر الميم) وهي ما يشد على الوسط
(٣) غائة : جمع غائث . الصريخ : طالب النصرة . المرملة : الفقير . الدرادق
جمع دراق وهو الصبي الفقير .

(٤) حياض الموت معناه الميتة . السوابق : جمع سابق وهو الجواد

(٥) العد . القديم

(٦) الحفيظة . الحية .

(٧) عقدوا ، أى عقدوا الألوية للحرب ، شدوا : اشتدوا في الحلة .

(٨) الضمير في ككدروها للنعمة المفهومة من أنعموا . والمراد تسكيرها

بالمن . رككروا أى أنهبوا ، المراد اتعبوا المنعم عليه بطلب الشكر

- ٢٤٥ -

وشعر الخطيئة كان محل إعجاب النقاد والأدباء وروايتهم ومدحهم .
قال أبو صفوان : ما من أحد إلا لو أشاء أن أجد عليه ، طعنا في شعره
لوجدته إلا الخطيئة .
وقال أبو حماد : ليس أحد يعد زهيراً شعر من الخطيئة . وقال رجل للخطيئة
من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية وقال هذا إذا طمع .
والنقاد يعجبون ببنيته ، لا يذهب العرف بين الله والناس ، إعجاباً كثيراً .
وقال ابن عباس للخطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : لولا الطمع والجشع
لكنت أشعر الناس .
وكان الخطيئة يقول إنما أنا حسب موضوع ، وسئل كثير من أشعر الناس ؟
ففضل الخطيئة .

٨ - حسان

المتوفى عام ٥٤ هـ

تمهيد :

أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري أشهر
شعراء رسول الله والذي وقف مع الرسول يدافع عن الإسلام والعقدة دفاها
ساراً والعلم الذي طارت شهرته في كل مكان .
أسرته :

بنو النجار قوم حسان أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أم جده
عبد المطلب منهل ولذلك لحسان له برسول الله صلة قرابة بعيدة .
وبنو النجار من الخزرج وهي القبيلة العظيمة التي كانت تقيم في المدينة مع
الأوس . وهما من الأزد القحطانيين .
وكان ميلاد ونشأة حسان بالمدينة والمدينة في العصر الجاهلي كانت مجتمعاً
صغيراً تسوده الحروب والخلافات الدامية التي كانت تقوم بين الأوس

والخزرج ويذهبهم وبين اليهود سكان المدينة من قديم والذين وقد علمهم الأوس والخزرج فأقاموا معهم فيما وغلبهم على أمرهم :

كان بين الأوس والخزرج في الجاهلية عدا شديدة وخصومات كثيرة وحروب وأيام وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس وحسان شاعر الخزرج فلما أسلمت القبيلتان وهاجر الرسول الكريم إلى المدينة ألف بين قلوبهم وجمع بين شتاتهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا

ميلاد حسان ونشأته :

ولد حسان بالمدينة قبل الهجرة بنحو ١٠ سنة وقبل مولد أبي بنحو ثمانى سنين واشترك مع قومه الخزرج في حروبهم ومفاخرتهم وجاشت نفسه بالشاعرية المتدفقة فكان شاعر قومه والمدافع عن أحسابهم ومفاخرهم وأخذ يناضل قيس بن الخطيم شاعر الأوس ويفاخره بقومه ويحدهم وحصفت شاعرية حسان وطارت شهرته في الجزيرة العربية ووفد على ملوك الحيرة وبنى غسان يمدحهم وينال جوائزهم وينافس لحول الشعراء مثل النابغة وغيره في الحظوة عندهم وكان له مكانته الممتازة في قصورهم .

وكان يؤيد من منزلة حسان في الشعر شرفه وحسبه ويجده التليد ، فقد كان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام من سادة قومه وأشرافهم ، وكان جده المنذر الحاكم بين الأوس والخزرج يوم سميحة ، وهو يوم من أيامهم ومن شعر حسان الرائع الجيد في مدح بنى جفنة من غسان ملوك الشام قوله :

يفشون حتى مانر كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

وستأتى القصيدة

وهكذا عاش حسان في الجاهلية يتكسب بالشعر كالأعشى والنابغة والحطيئة ، كان حسان يقصد بمدائحه بنى غسان عاما ويقعد عاما وكان يرجع عنهم

بالجوائز السنوية والاموال الطائلة حتى قيل لانهم جعلوا له مرتبا شهريا يصل اليه
وأشدد جبلة بن الايهم آخر ملوك الغسانيين لاميته المشهورة وعنده النابغة ففضلها
جبلة على شعر النابغة

وما زال بنو غسان على برهم بحسان وإيثارهم له حتى وهو في اسلامه وهم في
نصرانيتهم

وكان جبلة يقسم ألا يطيف به ذكر حسان إلا أرسل اليه ولا يمر به غاد أو
رائح إلا ويبعث معه ما يطرف به حسانا ، وأرسل له جبلة بعد أن ارتد عن
الاسلام ولحق بقيصر الروم خمسائه دينار وخمسة أثواب ديباج فقال حسان :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يخذهم أبأؤهم بالاسم
لم ينسى بالشام إذ هو رهبا كلا ولا متصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا لبعض عطية المذموم

ويرى أن رسولا للمعاوية وفد على ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأعلمه
أنه قد كبر وعمر فدفع إليه ألف دينار وحللا وقال له إن وجدته حيا فادفعها
إليه وإن وجدته ميتا فانشراخل على قبره واشتر له إبلا وانحرها على قبره ، فجاء فوجده
حيا فأخبره بذلك فبكى وقال : وددت أنك جئت ووجدتني ميتا

وكان يشبب في الجاهلية بأمرأة تدعى شغناء ، وبفتاة من قومه تسمى دهمرة ،
وقد تزوجها حسان ثم طلقها ثم اتبعها نفسه

وهكذا كانت حياة حسان في الجاهلية ترف ولهو ووصف للخمر وشرب
لها وانتجاع للبلوك وإشادة بهم ، واشتراك في المعارك التي كانت تقوم كشيخ
بين قومه الخزرج وبين الأوس وتنويه بمجد قومه وأحسابهم واقتنار بما أكرمهم
وأيامهم في الجاهلية إلى أن بلغ حسان سن الستين

حياته في الاسلام :

دخل حسان في الاسلام بعد الهجرة واطمأن قلبه إلى الدين الجديد ، وأخذ
يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلسانه فاتخذه شاعره وقربه لديه ورفع
مكانته عنده

كان ثلاثة رهط من قريش وهم عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصي قبل إسلامهم يهجون رسول الله والأنصار؛ فاستنصر رسول الله الأنصار وندبهم لرد عليهم فأجابه ثلاثة من الأنصار هم : كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأشعرهم حسان

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه : ما يمنع الذين نصرنا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها ، وضرب بلسانه أذنية أنفه وقال : والله ما يسرنى به مقول ما بين بصري وصنعاء ، والله لو وضعتني على صخر لفلقه أو على شجر لخلقه ، فقال له النبي : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسلك الشجرة من العجيين ، فقال : اهبهم وروح القدس معك فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام ، ثم قال صلى الله عليه وسلم له : إيت أبا بكر فهو أعلم بالقوم فأطلعه أبو بكر على مخازيمهم وما يتهمون به في أنسبهم فهاجم أوجع هجاء عليهم ولم يمس رسول الله من هجائه طم شيء ومن هجائه لأبي سفيان ويبدو فيه أثر الإلهام والصنعة والحدق والنكاية قوله :

وإن سنم المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ، ووالده العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرام ، ولم يلحق عجائزك المجد
وإن امرأ كانت سمية أمه وسمراء مثلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدر الفرد

ويروى أن أحد الصحابة قال : لما اشتد هجاء المشركين للرسول — لعلي ابن أبي طالب : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ، فقال علي : إن أذن لي رسول الله فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ليس هناك أو ليس عنده ذلك ، ثم ندب الأنصار فقال حسان : أنا لها . وكان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قوهم في الوقائع والآيام والمآثر ويعير انهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم

— ٢٤٩ —

بالكفر فكان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول
ابن رواحة ، فلما أسلدوا وفقهوا الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، ويقول له : أجب عني ، اللهم
أيده بروح القدس

* * *

هكذا عاش حسان في حياة الرسول يدافع عنه ويناضل المشركين ويرد على
شعرائهم ويهجو خصوم رسول الله يرفع من شأن الاسلام ودعوته ورسوله
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤثره ويقربه منه ، ويقسم له من الغنائم ،
والهدايا .

وقد وهب له « سيرين » أخت « مارية » القبطية ، أم ولد رسول الله ، وكان
المقوقس قد بعث بهما لرسول الله ، مع هدايا أخرى ، فأولدها حسان ابنه
عبد الرحمن ، وهب له رسول الله « بيرسي » وهو قصر بالمدينة ، وقفه أبو طلحة
على آل رسول صلوات الله عليه .

ولم يشهد مع رسول الله ، مشهداً ولا غزوة ، ويرى أنه كان جباناً ، يصف
في شعره شجاعته وبطولته ، ومع ذلك فهو شديد الخوف شديد الجبن ؛ يقيم بأطم
عالم بالمدينة يسمى « فارعا »

وذلك ليس بعار على هذا شاعر العظيم :

١ — فانه عاش من صغره عيشة ترف ونعمة « لا عيشة » نضال وكفاح
وحروب .

٢ — وهو جانيس الملوك وشاعرها والذي يصدقون عليه الاموال والهبات
فلم يألف البؤس ، ولم يجرد سيفه من صغره للنهب والغنيمة .

٣ — وقد أدرك الاسلام بعد أن كبر ووهن عظمه .

٤ — ويروى أنه كان في الجاهلية ، بطلا شجاعا ، وأنه أدركه مرض أصاب
أعصابه فاصبح لا يرجي لقتال .

- ٢٥٠ -

ويقول ابن قتيبة في حسان إذ كان جباناً (١) ، وكذلك يتهمة بالجن ، كثير
من الباحثين . ويرورن أنه أنشد أمام رسول الله قوله :
لقد غدوت أمام القوم منتطقاً
بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز (٢) عنى نجاد السيف سابغة
فضفاضة مثل لون الذهب بالفضاع
فتبسم رسول الله

(. . .)

واستمر حسان مهجلاً محترماً ، عند الخلفاء والصحابة حتى توفي : في عهد
معاوية عام ٥٤ هـ فرحمه الله وأجزل مشوبته كدفاء دفاعه عن دينه ورسوله وكتابه
الحكيم .
وكان عمر حسان عند موته عشرين ومائة سنة قضى نصفها في الجاهلية ونصفها
في الاسلام ووهن بصره في آخر حياته ، واعتلت صحته حتى توفاه الله

(١) ١٠٤ الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) تحفز : تدفع . النهى بكسر النون : الغدير . السابغة أى درع واسعة

شعر حسان

آراء النقاد في شعره :

١ - قال ابن سلام فيه : هو كثير الشعر جيده وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، وضعت عليه قریش أشعارا كثيرة لاتليق به ^(١)

٢ - وقال الأصمعي : الشعر تكذب بابه الشر هذا حسان خلل من حول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره ^(٢) ،

ويروى عن الأصمعي أنه قال : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال له ابو حاتم تأتي له أشعار ائمة ، فقال تنسب إليه أشياء لاتصح عنه .

وقد سبق أن ذكرنا رأى الثعالبي فيه في موضع آخر من الكتاب (ص ٢٠٦) وقيل لحسان : لان شعرك أوهرم في الاسلام ، فقال : يابن أخى ان الاسلام يهجز عن الكذب

وأشدد حسان شيئا من شعره في الجاهلية للناطقة فأنقذ عليه ^(٣) ويقول فيه أبو عبيدة :

فضل حسان الشعراء بثلاثة ، كان شاعرا الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمين كلها في الاسلام وقال : اجتمعت العرب على أن حسانا أشعر أهل المدينة وجعله ابن سلام أشعر شعراء المدينة ويقول المبرد في السكامل :

واعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق واحد ، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .

(١) ٨٤ طبقات الشعراء لابن سلام

(٢) ١٠٤ الشعر والشعراء

(٣) ١١٧ ذيل الامالي

وقال أبو الفرج الأصهباني :

حسان فحل من فحول الشعراء

وقال قوم الحطيمية له وقد حضرته الوفاة : يا أبا مليكة أوص

فقال : ويل لأمرء من رابوة السوء ، قالوا أوص رحك الله ، قال : أبلغوا

الانصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول .

يخشون حتى مانهر كلاهم لا يسألون عن السواد المقبل^(١)

وروى أن حساناً ، وفد على النعمان بن المنذر ، فأذن له بعد أن تركه مدة

على الباب ، فخلا به ، وناديه وأصاب منه مالا كثيراً ، حتى جاء النابغة ، فمدح

النعمان ، ببائيتيه المشهورة ، فاهتز النعمان لشعره وأمر له بمائة ناقة من الإبل

السود برعاتها : قال حسان ، ، فما حسدت أحدا قط حسدي له في شعره

وجوزيل عطائه . وذكروا أن حساناً ، كان يذهب إلى النابغة ، ليمرض عليه

شعره في الجاهلية

وروى أن حساناً قال ، أتيت جبلة بن الأيهم الغساني ، وقد مدحته ، فأذن لي ،

فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ،

فقال ، أتعرف هذين فقلت ، أيا هذا فأعرفه . وهو النابغة الذبياني ، —

وأما هذا فلا أعرفه . قال . هو علقمة بن عبدة ، فان شئت استنشدتكما ، ثم

إن شئت أن تنشدا بعدهما أنشدت قلت : فذاك . فأنشده النابغة ،

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب

قال . فذهب نصفي . ثم قال . لعلقمة ، أنشد . فأنشد

طلحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر فقال لي ، أنت أعلم الآن ، إن شئت سكنت ، وإن شئت

أنشدت ! فتشددت وأنشدت .

لله در عصابة ... الخ

فقال لي : ادن — ادن ، لعمرى ما أنت بدونهما ثم أمر لي بثلاثمائة دينار
وعشرة أقمصة لها جيب واحد وقال هذا لك عندنا في كل عام .

وذكروا أن الحطيثة ، وقف على حسان ، وهو ينشد من شعره ،
وقال له حسان ، — وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال :
الحطيثة ، : لأرى به بأسنا انغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ،
كنيت ؟ قال . أبو مليكة . قال . ما كنت قط أهون على منك حين كنيت بامرأة
فما اسمك ؟ قال . الحطيثة . فقال حسان : امض بسلام .

ويقول حسان في إحدى قصائده .

وقافية عجت بابل رزينة تلقيت من جو السماء نزولها

يراهم الذي ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

ويقول في أخرى .

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

وروى عن ، أنه وفد على النعمان بن المنذر قال ، فلما دخلت بلاده لقيني رجل
فسألني عن وجهي وما أقدمه مني فاجبرته ، فانزلني فاذا هو صائغ ، فقال :
من أنت ، فقلت : من أهل الحجاز ؛ قال : كن خزر رجيا ، قلت : أنا خزر رجى
قال : كن نجاريا قلت : أنا نجارى ، قال : كن حسانا ؛ قلت : أنا حسان ، قال
كنت أحب لفساك وأنا واصف لك هذا النعمان الرجل وما ينبغي لك أن تعمل
به في أمره ، أنك إذا لقيت حاجبه وانثسبت وأعلمته مقدمه ، أقام شهراً لا يرد
عليك شيئاً ثم يلقاك فيقول من أنت وما أقدمك ثم يمكث شهراً لا يرد عليك
شيئاً ثم يستأذن لك فاذا دخلت على النعمان فستجد عنده أناسا فيستشدونك فلا
تنشدهم حتى يأمر بك فاذا أمرك فأنتشد فيستزيدك من عنده فلا توده حتى يستزيدك
هو فاذا فعلت هذا فانتظر ثوابه وما عنده فإن هذا ينبغي لك أن تعرفه من أمره
قال حسان فقدمت إلى الحاجب فاذا الأمر على ما وصف لي ثم دخلت على النعمان
ففعلت ما أمرني به الصائغ فأنشدته شعري ثم خرجت من عنده فأتيت أخنلف

إليه فاجازني وأكرمني وجهات أخبر صاحبي بما صنع فيقول إنه لا يزال هسكدا حتى يأتيه أبو أمامة يعنى النابغة فإذا قدم فلا حظ فيه لاحد من الشعراء قال فاقمت كذلك إلى أن دخلت عليه ليلة فواته أني لجالس عنده إذا هو بصوت خلف قبهته وكان يوما ترد عليه النعم الود ولم يكن للعرب نعم سود إلا للنعمان فأقبل النابغة فاستأذن فقدم وهو يقول

أنا م أم يسمع رب القبه يا أوهب الناس لعيس صلبه

ضاربة بالمشفر الاذبة ذات نجاف في يدها جذبه^(١)

قال : أبو أمامة أدخلوه فأنشده قصيدته التي يقول فيها

ولست بمسبق أخا لا تله على شعث أي الرجال المهذب

فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلاهما من السود قال حسان فخرجت من من عنده لأدري أكننت له أحسد على شعره أم على مانال من جزيل عطائه ، فرجعت إلى صاحبي فقصا انصرف فلا شيء لك عنده سوى ما أخذت

وبعد فقد أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المذدر ، وهم أهل المدينة ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس .

وكان أجزل شعره وأفواه وأحصفه ما قاله في شبيبته وكهولته في الجاهلية ، أي من مثل ما ناقض به قيس بن الخطيم في وقائع الأوس والخزرج ومدح به آل جفنة وآل النعمان بن المنذر ، ولما أسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة ولستكنما لم تطفئ سن شدا . خاطره ولم تغل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقية من النكايه لأعدائه أبقاها فيه انطباعه على الهجاء منذ شب ، ودعا الله أن يؤيد فيه هذه البقية بروح القدس.

وصف شعره

١ — أما شعر حسان في الجاهلية فهو مثل جزل قوى رائع بعيد في مذهب الشعر وعموده شأنه شأن الشعراء الجاهليين .. وأكثر أعراضه في الجاهلية :

١ — الهجاء وأول ما دله في مناقضة قيس بن الخطيم وشعراء الأوس ثم هجا خصومه وخصوم قومه عامة

٢ — المدح كما في مدحه لبني غسان وللعناب بن المنذر ولسواهم من سادة العرب وأشرفهم

٣ — الفخر ، وقد وصف فيه مجده ومجد قومه وأحسابهم وآثرهم ومكانتهم عند العرب ، وفخره كثير متعدد النواحي والمعاني ، وكان فخره جيداً رائعا بعيداً في الجلالة واليلاعة والروعة .

٤ — الغزل والنسيب فقد تغزل بشعثاء وعمرة غزلاً رفيقاً محبوباً أما منزلة في الشعر في الجاهلية فيصفها حسان نفسه ، إذ يصور ذهابه إلى النعمان وخوفه من النابغة ورهبتة من شعره ، وذلك طبعاً إنما كان في عهد شبابه وبدء شاعريته ، ولكن حساناً يستمر خائفاً من النابغة ، فيقابلها عند بني غسان فيرتاع ويرهب هذا الشاعر العظيم

ولقد يكون ذلك تصويراً من حسان لوساوس نفسه وخسرات فؤاده وإلا فقصيدته

يغشون حتى ما تهر كلامهم لا يسألون عن السواد المقبل

مثلاً تقف مع أمهات قصائد المديح في الشعر الجاهلي .
وإذا كان النابغة يحمي في الشعر الجاهلي إماماً ومتبعاً ، فلا على حسان أن نقول إنه يحمي وراثة مصلحاً ومغبراً في وجوه الشعراء ،
ب — أما شعره في الإسلام فبروى أنه لان بعض الشيء وأخذ الضعف الفني من بعض النواحي ، وأسباب ذلك كثيرة متعددة الجهات ،

- ١ - فقد يكون هرمه وشيخوخته من أسباب هذا الضعف الفنى الملحوظ .
- ٢ - وقد يكون أيضا كثرة ما دس على حسان من الشعر المنحول هو السبب فى ذلك أيضا ، وهذا النحل كان من المشتركين وكان من بعض كتاب السيرة أيضا كابن سحاق .
- وقد ذكر ابن هشام كثيرا مما نحل واختلق ودس على حسان .
- ٣ - كثرة ارتجاس حسان فى شعره فى عصر النبوة والشعر المرتجل دائما لا يكون كالشعر الذى أعده صاحبه وهذبه وثقفه
- ٤ - ويروى أن حسانا نفسه علل ذلك تمليلًا مقبولا ، فقد قيل له : لأن شعرك أوهم فى الإسلام يا أبا الحسام ، فقال : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .
- ٥ - والاصمى يمل سبب لين شعره فى الإسلام بأن الشعر تكمد يقوى فى الشر ويضعف فى الخير
- ه - وقد يكون السبب أيضا فى هذا اللين هو انهيار حسان كغيره من الشعراء ببلاغة القرآن وفصاحة رسول الله صلى الله عليه
- على ان ما يستلزم من شعره إنما هو بعض ما قاله فى وصف عقائد الإسلام وشعائره وتعداد فضائله ، أو قاله فى توحيد الله وتنزيه صفاته وتهجين عبادة الأوثان وما أعد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ما قاله فى مدح رسول الله وأصحابه ، أو بعض ما قاله فى رثاء من استشهد فى الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه
- أما شعره فى مناقضة المشركين وهجائهم وفى الذب عن رسول الله والدفاع عن الدين فقد كان قويا جزلا رائعا
- وكان رسول الله إذا سمع هجاءه فى أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبيل .
- ولهذا يرى النقاد أن شعره فى الإسلام كان لا يزال كمهده فى زمن الشباب قويا حديفا رصينا فى مواضع خاصة فى هجائه المشركين ؛ وعند هيجه بمعارضة

شعرهم ، وفي فخره وحاسته . ويرون أيضاً أن كثيراً مما وجد من شعره لينا ضعيفاً لم تكن نسبتة إليه صحيحة ، وإنما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازى والسير . قال الأصمعي مرة : حسان أحد فحول الشعراء فقال أبو حاتم . تأتي له أشعار لينة ، فقال الأصمعي تنسب له أشياء لا تصح عنه والحق الذي شك فيه أن شعر حسان بعد الهجرة إلى فتح مكة كان قوياً جزلاً فصيحاً شديد الأسر ذاهباً في عمود البلاغة كما كان شعره في عهد الجاهلية ، والسبب في ذلك اشتغال شاعريته وثورة عواطفه والتهاب مشاعره ، ورغبته البعيدة في الذب عن خياض الاسلام ونضال خصوم الدين والرد على الذين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استسلم المشركون وألقوا السلاح أمام رسول الله وجنده وسكت صوت المعارضة سكنت شاعرية حسان وهدأت واخذ ينظم الشعر لينا ضعيفاً لا قوة ولا فخامة فيه كما كان شعره في صدر الاسلام والجاهلية .
وأغراض شعره في الاسلام متنوعة كثيرة وأهمها .

١ - الهجاء ، فقد أجاد فيه حسان كل الأجاد ، ووقف هجاءه على المشركين خاصة ولم يكن متناول الهجو قريشاً كلها ، بل المشركين منها بعامة وأشدهم على رسول الله بخاصة ، من مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان ، وهم من أقرب قريش نسباً إليه ، وكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن في أصل نسبه وضم عشيرته بل في نفي نسبه عن نسبهم وأنه دعى فيهم أو لصيق أو متبني أو عبد ، ثم يذكر ما يستفج من صفاته الخلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحيم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك في وقعه بدر وهزيمة قريش فيها ، وربما أقذع في ذلك إقذاً شديداً .

٢ - المدح فقد مدح رسول الله وخلفاءه وكبار الصحابة والذين أبلوا في الدفاع عن الاسلام بلام حسنا

٣ — الرثاء وقد أكثر منه في رثاء الشهداء في الغزوات الإسلامية ثم رثاء رسول الله صلوات الله عليه وخلفائه من بعده

٤ — الحكمة وضرب المثل وذلك بتأثير القرآن الكريم وبلاغه رسول الله وما أفاده في الحياة من خبرة وتجربة وثقافة عامة وإدراك صحيح لثبوت العيش والحياة

٥ — وصف الغزوات الإسلامية والاشادة ببطولة المسلمين فيها وانتصارهم على أعدائهم وما بذلوه من تضحية وفداء لإلاءة لكلمة الإسلام والتمجيد أسلوب شعره وألفاظه .

يمتاز حسان في أسلوبه بما يأتي :

١ — قلة التكلف أو المبالغة في التجويد والتعذيب والتنقيح ، يخالف في ذلك الأعشى والنابغة والخطيب وزهيراً وسواهم من الشعراء المصنعين ، بل كان يرسل الشعر كما تجود به فطرته وقرينته ، لا يعتمد صنعة ، ولا يقصد تهذيباً ، ولا يؤثر الغريب ، وذلك أثر لهيشة المدن والبعد قليلاً عن البداوة .

٢ — وظهر في شعره بعد الإسلام روح التأثير بالإسلام ومبادئه وبالقرآن وبلاغته وبفصاحه الرسول وسموها .

٣ — وهذا اللين الفنى الذى حدثناك عنه وعن أسبابه والذى نراه في شعر حسان بعد استقرار الإسلام هو أحد الظواهر الفنية التى تلمسها عند حسان في شعره .

٤ — وقد كثرت في شعر حسان الألفاظ الإسلامية الحديثة التى استعملها الإسلام ووردت في القرآن الكريم كالصلاة والصيام والزكاة والحج والإيمان والإسلام وسواها .

معاني شعره .

ومعاني حسان في الجاهلية مطبوعة بطابع الجاهلية وصورة لحياتها وتفكيرها وأخلاقيها وعاداتها ونظام التفكير والحياة فيها .

أما معانيه في الاسلام فهي مستمدة من معاني القرآن والحديث يكثر فيها حكاية جميع المشتركين والرد عليهم وضرب الامثال والموعظة والحكمة مع الدقة والعمق وظهور الحصافة عليها مما أفاده حسان من الاسلام الكريم .
وبعد فشعر حسان يبدو فيه تأثير الاسلام والقرآن في الادب العربي ، ويكاد هذا التأثير يفقد في شعر الحطيئة مع أنه من المخضرمين ، لأن الحطيئة أسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام على طمع وجشع ورقة دين ، فلم يتملأ بروح الاسلام كغيره من شعراء الرسول .

روائع حسان :

والنقاد يمجون بشعر كثير لحسان ، ومن ذا الذي لا يطرب لقوله :
يغشون حتى ماتهم كلاهم لا يسألون عن السواد المقبل
أو لقوله :

وان امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس إلا ماجنى لسعيد
وهذا البيت يقول فيه حسان : قلت شعرا لم أقل مثله^(١) . وقال بعض أهل المدينة : ما ذكرت بيت حسان إلا اشتبهت أن أعود في الفتوة وهو :
أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المطرب الغرد
وبسوى ذلك من روائع شعره وغرر حكمه وأمثاله
تقد النابغة لحسان :

ويروى^(٢) أن نابغة^(٣) بنى ذبيان كانت تضرب له قبة من آدم بسوق

(١) ١٠٥ الشعر والشعراء

(٢) أغاني ج ٣٤٠ ج ٩

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمهم بعكاظ ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير ، وهو من أشرف ذبيان وعمر طويلا ومات قبيل البعثة ،

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه حسان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها ،

قذى بعينيك أم بالعين عوار (١) . أم ذرفت إذ دخلت من أهلها الدار
حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم (٢) في رأسه نار
وإن صخرأ لمولانا وسيدنا ، إن صخرأ إذا نشئ (٣) أنجسار

فقال : لولا أن أبا بصير (٤) أنشدني قبلك لغات إنك أشعر الناس أأت
والله أشعر من كل أنثى ! قالت : والله ومن كل رجل .

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال .
حيث أقول :

لنا الجففات الغر يلدن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولنا بني العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنما

فقال : إنك قلت : « الجففات » فقلت العدد ؛ ولو قلت : « الجفان » لكان
أكثر . وقلت : « يلدن في الضحا » ، ولو قلت : « يبرقن بالدجا » لكان أبلغ في
المدح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً ، وقلت : « يقطرن من نجدة دماً » ،
فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : « يجرين » لكان أكثرهم لانصباب الدم ،
ونفرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك .

فقام حسان منكسراً منقطعاً

والمحققون يرون أن هذه القصة مختلفة .

(١) هوار : كل ما أعل العين ، وذرفت : قطرت .

(٢) العلم : الجبل . (٣) شتا القوم : أجدهوا في الشتاء .

(٤) أبو بصير : كنية الأعشى ،

حسان والنعمان :

قال حسان ^(١) بن ثابت: قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته فأنيت حاجيه عصام بن شهر لجاست إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ا قال . فكن قحطانيا ، قلت . فأنا قحطاني . قال : فكن يثربيا . قلت : فأنا يثربي ، قال : فكن خزرجياً ، قلت : فأنا خزرجي ، قال : فأنت حسان

أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فاني أرشدك إذا دخلت عليه ، فانه يسألك عن جيلة بن الایهم ويسبه ، فإياك أن تساعد على ذلك ، ولكن أمر ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلي أيها الملك بيدك وبين جيلة وهو ، نك وأنت منه ١٩ وإن دعاك إلى الطعام فلا تأكله ، فان أقسم عليك فأصعب منه اليسير لصابة بار بقسمه ، متشرف بمؤاكلته ، لا أكل جائع سغب ^(٢) ، ولا تطل محادثته ، ولا تبدأ بأخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تطل الإقامة في مجلسه .

فقلت : أحسن الله رفدك قد أوصيت واعياً ، ودخل ، ثم خرج إلى فقال لي : ادخل . فدخلت فسلمت وحييت بحية الملوك .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جيلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجيبه بما أمرني ، ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي ، فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرني عصام به ، وبالشرب ففعلت مثل ذلك ، فأمرني بجائزة سنوية وخرجت .

حسان عند عمر بن الحارث :

قال حسان ^(٣) بن ثابت : قدمت على عمر بن الحارث ، فاعتاص على الوصول إليه ، فقالت للحاجب بعد مدة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليه كلها ثم

(١) الإغاني ص ١٦٤ ج ٩ .

(٢) السغب الجوع ، ولا يكون إلا مع تعب .

(٣) الإغاني ص ٢٢ ج ١٤ .

انقلبت عنكم، فأذن لي، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه، وعلقمه بن عبدة وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة، قد عرفت عيصك^(١) ونسبك في غسان، فارجع فاني باعث إليك بصلة سانية، ولا أحتاج إلى الشعر، فاني أخاف عليك هذين السبعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحك، وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول:

رفاق النعال طيب حجراتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^(٢)
فأبيت وقلت: لا بد منه، فقال: ذاك إلى عميك، فقلت لهما: بخي الملك إلا قد متاني عيسكا، فقالا: قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة، فأنشأت:

لله در عصابة نادمها يوما بخلق^(٣) في الزمان الأول
أولاد جفنة^(٤) عند قبر أبيهم^(٥) قبر ابن^(٦) ماريه الكريم المفضل

(١) العيص: الأصل والفريعة أمه.

(٢) رفاق النعال: أي أن نعالهم رقيقة لا يخصصونها طباقا، وذلك كناية عن قلة مشيهم، لأنهم ملوك، بل يركبون الخيل غالبا، وحجزة الازار والسراويل يجمع شدها على الوسط من الجسم، كناية عن عفتهم، والسباسب: يوم الثمانين، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا.

(٣) جلق: دمشق:

(٤) جفنة: هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام، وأولاده هم: النعمان والمندر والمنيذر وجبل وأبو شمر، وكانوا جميعا ملوكا.

(٥) أراد بهذا: أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع.

(٦) هي مارية بنت ظالم السكندرية أم الحارث الأعرج وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل، فيقال لما يغلى به الثمن: بقرطى مارية، واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

يسقون من ورد البريص (١) عليهم كأساً تصفق (٢) بالزحيق السلسل
 يغشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
 يبيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
 فلبثت أزمانا طويلا فيهم ثم ادركت كأننى لم أفعل

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يرحل (٣) عن موضعه سروراً حتى شاطر
 البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لا ما يعللانى به منذ اليوم ، هذه والله البتارة
 التى قد بترت المدائح ، أحسنت يا بن الفريعة ، هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة (٤)
 فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على فى كل سنة مثلاً .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهات التناء المسجوع ، فقام النابغة
 فقال : ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك ؛ السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ،
 والوالدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكام جلساؤك ،
 والمدار (٥) سمارك ، والمقاول لإخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دنارك ،
 والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن
 حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء
 أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام
 أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ، وأفخر الشبان
 أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك

(١) البريص : غوطة دمشق .

(٢) تصفق الشراب : حوله بمزوجة من إناء إلى إناء ليصفو . والزحيق :

الخمر أو أطيسها ، والسلسل : العذب البارد .

(٣) زحل عن موضعه : زحف .

(٤) مرجوحة : هى ما كان فى كل دينار منها عشرة دنائير .

(٥) المدار : جمع مدره ، وهو السيد السريف ، والمقدم فى اللسان

وأفصح الدارات ^(١) دارتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ،
قد خالف الإضرع ^(٢) عاتقك ، ولام المسك مسكك ^(٣) ، وجاور العنبر ترائبك ^(٤) ،
وصاحب النعيم جسديك .

المسجد آيتك ، واللجين صحافك ، والعصب ^(٥) مناديلك ؛ والحواري ^(٦)
طعامك ، والشهد إدامك ، والخرطوم ^(٧) شرابك ، والأشراف مناصفك ^(٨) ،
والخشير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك والخذلان
مع ألوية حسادك ، والبر فعملك ، قد طحطح ^(٩) عدوك غضبك ، وهزم
مقائهم ^(١٠) ، مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك
الذهب عطاؤك ، والدواقر رمزك ، والأوراق لحظك ، والغنى أطرقك ، وألف
دينار مرجوحة إيمانك .

أيضا تحرك المنذر اللخمى ؟ فوالله لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من
يمينه ، ولا يخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من
كلامه ، ولا ملك خير من أيدي ، ولخدمك خير من قومه ، فهب لي أسارى قوى ،
واسترهن بذلك شكري ، فانك من أشراف قحطان ؛ وأنا من سروات عدنان .
فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمثل هذا فليثن
على الملوك ، ومثل ابن الفريفة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه .

-
- (١) الدارة : المحل يجمع البناء . (٢) الإضرع : الخنزير
(٣) المسك : الجلد . (٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) العصب : نوع من البرد (٦) الحواري : لباب الدقيق
(٧) الخرطوم : أول ما يجري من العنب قبل أن يداس
(٨) جمع منصف وهو الخنادم .
(٩) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكاً .
(١٠) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين

بماذج من شعر حسان

١ - قال حسان رضى الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
أغر عليه النبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد (١)
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد (٢)
(وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة

من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأسمى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأندرنا ناراً وبشر جنة وعلينا الإسلام فآله محمد (٣)
وأنت إله الخلق ربى وخالقى بذلك ما عبرت في الناس أشهد (٤)

(١) قوله أغر خبر لمبتدأ محذوف أى هو أغر أبيض الوجه . ويلوح يظهر
(٢) قوله إذا قال المؤذن فى الخمس أى فى الصلاة الخمس . وقوله أشهد أى أن
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

(٣) وشق له من اسمه يريد أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم اشتق
من اسم الله وهذا مما اختص به رسول الله فى ذاته فى الدنيا وأوضح
ذلك الشاعر بقوله فذو العرش محمود هو الله سبحانه وتعالى ، والذي من
صفات الله تقدس وعلا الجسد بمعنى المحمود وهو من الأسماء الحسنى فعيل
بمعنى مفعول وهذا محمد . وقوله والأوثان الخ ، جملة إسمية وقعت حالا واسم أسمى
يعود على النبي ، وحمل وهادياً على مستنيراً بالواو لأنهما صفتان ثابتة - ان فى
الموصوف فعطفت إحداهما على الآخرى بالواو لأن معنهما الاجتماع ولو
عطفت بالفاء لم يجر والصقيل المهند السيف المهند المطبوع من حديد الهند ،
وقوله فآله محمد قدم المفعول لافادة الحصر أى لاغيره

(٤) قوله وأنت مبتدأ خبره ربى وقوله إله الخلق اعتراض أتى به لتحسين
السلام أى يا إله الخلق

— ٢٦٦ —

تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلها أنت أعلى وأجود
لك الخلق والنعماء والأمر كله فاياك نستهي وإياك نعبد

* * *

٢ — وقال أيضاً يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر
مستشعري خلق المأذى يقدمهم جلد النجيرة ماض غير عديد (١)
أعنى الرسول فإن الله فضله على البرية بالقوى وبالجلود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وما بدر زعمتم غير مورود
(وقد وردنا ولم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريد
مستعصمين بحبل غير منجذم مستحكم من جبال الله محدود (٢)
فيما الرسول وفيما الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود
ماض على الهول ركاب لما قطعوا إذا السكاة تحاوروا في الصناديد (٣)
واف وماض شهاب يستضاء به بدر أمار على كل الأماجيد
مبارك كضياء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود

* * *

(١) حذف النون من مستشعري استخفافا وإضافة إلى ما بعده، وصف
جديشا فقال مخبرا عن فرسانه مستشعري خلق المأذى أى لابسى آلة الحرب والمأذى
الدروع الصافية الحديد اللينة اللبس واحتتمها داذية ويقدمهم يرأسهم جلد النجيرة
ثابت الجائش قوى الطبيعة ويريد به النبي صلى الله عليه وسلم والرعد يد الجبان
(٢) قوله حتى شربنا رواء أى ماء عذبا كثيرا
وغير تصريد : التصريد سقى دون الرى ومستعصمين انتصب على الحال من
ضمير شربنا، وقوله غير منجذم أى منقطع والحبل القوة وهو بذلك يشير إلى قول
الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
(٣) قوله ماض على الهول صفة للرسول أى قادر على اقحام الهول المشقة

٣ - وقال حسان يمدح رسول الله ويهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت بجوف نخب هواء ^(١)
 بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإمام ^(٢)
 تهجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء ^(٣)
 أنهجوه ولست له بكف فشر كما لخير كما الفداء ^(٤)

(١) قوله فأنت بجوف ، الجوف كالبحر هو الجبان الذى لا قلب له والنخب بمعنى النزع يقال رجل نخب أى جبان لا فؤاد له وقوله هواء أى خال يعنى من العقل أو الخير قال تعالى وأفئدتهم هواء وقوله فأنت بجوف يريد أبا سفيان وإنما التفت الى ضمير المخاطب ولم يقل فهو بجوف على ما هو الظاهر قصدا الى توجيه الخطاب اليه بما يكره ليسكون أبلغ في الثم وأشد من الحكاية في النكاسة

(٢) قوله بأن سيوفنا أدخل الشاعر الباء على المفعول الثانى لأبلغ كأنه ضمنه معنى أخبر . وقوله تركتك عبدا أى ذليلا . وسادتها الاماء ضميره يرجع الى الدار وإنما سادتها الاماء لكونها لم يبق فيها الاحرار والمراد الوصف بنهاية الذل والمهانة فان الاماء في نفس الامر في مهلة وقد أثبت لها السيادة على العبيد فالعبيد اذا في غاية الذلة .

(٣) يخاطب به أبا سفيان بن الحرث فانه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزاء المسكافة على الشيء بالخير أو الشر قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعه قال جزاؤك على الله الجنة باحسان .

(٤) قوله بكف الكف هو النظير والمنزل والاستفهام للانكار أى ما كان ينبغي لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فشر كما لخير كما الفداء مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرهما بلا رية جار على أسلوب الكلام المنصف وإنما أتهم الامر بين الفريقين ليسكون ادعى للمخاطب الى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه

هجوت مباركاً برا حنيفاً أمين. الله شيمته الوفاء (١)
 فن هجو رسول. الله منكم ويمدحه وينصره سواء (٢)
 فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاه (٣)
 فاما تثقفن بنو لؤى جذيمة إن قتلهم شفاء (٤)

- (١) قوله حنيفاً الخفيف هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء وكان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب
- (٢) يقول لانبالي بكم فان هجائكم أو مدحتكم ونصرتكم فذلك عندنا على حد سواء إذ لا بضير هجوكم ولا يعوزه مدحكم ونصركم
- (٣) قوله وقاه الوقاء بالفتح والكسر ما وقيت به الشيء يروى أن حسان لما انتهى إلى هذا البيت قال صلى الله عليه وسلم وقاتك الله يا حسان حر النار
- (٤) قوله أما هي الشرطية وما الزائدة أدغمت الميم في الذون للتقارب. وتثقفن من قولهم ثقفه يتقفه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه قال تعالى واقتلوهم حيث تقفتموهم أي حيث وجدتموهم من حل أو حرم. وقوله بنو لؤى يريد به لؤياً أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كعبانة وبنو لؤى هم كعب بن لؤى على عمود النسب النبوي وجذيمة وسعد وعامر أبو حسيل وبغيض على غيره وكان لوى يكنى أبا كعب وكان التقدم في قريش لبنيه وبنى بنييه وأما جذيمة فهو أبو حى من خزاعة وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وهذا ربيعة أبو خزاعة وهو أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ودعا العرب إلى عبادة الأصنام والمراد من جذيمة هنا الحى لا الرجل ولذلك قال الشاعر أن قتلهم شفاء فاتى بضمير الجمع وإضافة القتل إلى الضمير من إضافة المصدر إلى مفعوله يريد أن إيقاع القتل هؤلاء القوم وتدميرهم شفاء لما فى الصدور بما وقع منهم لان رئيسهم الحارث بن أبى ضرار

أولئك معشر نصرنا علينا ففي أظفارنا منهم دماء (١)
وحلف الحرث بن أبي ضرار وحلف قريظة منا براء (٢)
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

* * *

٤ — وقال حسان رضى الله عنه في هجرة الرسول
لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم وقدم ومن يسرى إليهم ويقتدى
ترحل عن قوم فضلت عهدهم وحل على قوم بنور مجد (٣)
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشداهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفوها عبي وهداة يهتدون بهم (٤)

(١) قوله أولئك معشر يعنى جذيمة . ونصروا علينا بالبناء للمعلوم أى أعانوا
علينا أعداءنا فانتقمنا منهم وبطشنا فيهم وافترسناهم افتراس السباع . ففي أظفارنا
منهم دماء يريد ما كان من الحرث بن أبي ضرار وقومه كما يأتى فى شرح البيت الآتى
(٢) والحلف المحالف والصدىق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به والحرث بن أبي ضرار
رأس بنى جذيمة وهو أبو جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنى بحلف الحرث حلفاءه الذين وافقوه على مناواة رسول الله
وقتاله قبل أن يسلم الحرث نخرج النبی لقتالهم فى شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة
فانهزم المشركون ومن نجا من القتل أسركا أسرت النساء فن المسلمون على الاسرى
بالتق لما تزوج عليه السلام منهم جويرية بنت الحارث وكانت فى الاسرى
(٣) قوله ترحل عن قوم هم قريش وذلك فى السنة الاولى من الهجرة فى
الثانى والعشرين من صفر أو فى غرة ربيع الاول منها حيث هاجر من مكة إلى
المدينة وخرج عليه الصلاة وسلام مع أبى بكر ولينا فى الغار ثلاثة أيام
(٤) قوله تسفوها عنى أى ضلوا وزاغوا عن الحق واستبحوا العمى عن
الهدى والبيت يعنى قول الله عز وجل قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل
تستوى الظلمات والنور

لقد نزلت منه على أهل يشرب ركب هدى حلت عليهم بأسعد^(١)
 نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
 وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد^(٢)
 لين أبا بكر سعادة جـده بصحبتة من يسعد الله يسعد^(٣)
 وقال رضى الله عنه يرثى النبى صلى الله عليه وسلم :

* * *

(بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تغفر الرسوم وتهمد
 ولا تمنحى الآيات من دار حرمة بها منبر الهادى الذى كان يصعد^(٤)
 وواضح آيات وباقى عالم وربيع له فيه مصلى ومسجد
 بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد^(٥)

(١) قوله على أهل يشرب هم أهل المدينة . وقواه بأسعد أى بطالع أسعد مبارك
 (٢) قوله فتصديقها الضمير للمقالة أى أنه أن أخبر بشيء معجوب فى الغيب
 من غير وحى يؤيد الله سبحانه وتعالى قوله بكلامه المقدس الذى ينزل به جبريل
 فى اليوم النخ .
 (٣) قوله سعادة جده أى باجتهاده ومثابرته على مواظبة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

(٤) ارتفع رسم على الابتداء وخبره بطيبة مقدما ومتعاقا الباء محذوف وهو
 أيضا متعلق اللام فى للرسول والتقدير بطيبة رسم كائن للرسول وطيبة هى المدينة
 سماها النبى بذلك وبعده أسماء أخر؛ والمعهد المنزل وجملة وقد تغفر الرسوم النخ الحالية
 وتهمد تحرب يقال همد المكان خرب ، وقوله من دار حرمة أى من دار مهابة
 ويريد بها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تمنحى الآيات أى لا ينقطع
 ذكر كلام الله منها

(٥) قوله بها حجرات الضمير لدار الحرمة والحجرات جمع حجرة وهى
 الموضع المنفرد

معالم لم تطمس على العهد آياها
عرفت بها رسم الرسول وعمره
ظلمت بها أبكى الرسول فأسعدت
تذكر آلاء الرسول وما أرى
مفجعة قد شفها فقد أحد
وما بلغت من كل أمر عشيره
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
وبورك لحدك منكم طيبا
تهيل عليه التراب أيد وأعاب
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
يكون من تبكى السموات يومه
وهل عدلت يوما رزية هالك
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
يدل على الرحمن من يقتدى به

أناها البلى فالآى منها تجدد
وقبرا به واره في التراب ملحد
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
لها عهيا نفسي فنفسى تبلد^(١)
فظلت لآلاء الرسول تعدد
ولكن نفسي بعض ما فيه تحمد^(٢)
على طلل القبر الذى فيه أحمد
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
عليه بناء من صفيح منضد
عليه وقد غارت بذلك أسعد^(٣)
عشية علوه الثرى لا يوسد
وقد وهنت منهم ظهور وأعصد
ومن قد بكته الأرض فالناس أكد
رزية يوم مات فيه محمد^(٤)
وقد كان ذا نوريغور ينجد
وينقذ من هول الخزايا ويرشد^(٥)

(١) قوله فأسعدت عيون أى ساعدت وعاونت ممي في البكاء عيون أى
ناس أخر وقوله تذكر الخ أى أن هذه العيون تتذكر وتعدد نعم الرسول عليها
فهى لذلك تبكى عليه بحرقة ثم قال وإني لست قادرا على إحصاء هذه النعم فنفسى
عنها تبلد أى تقهر وتضعف (٢) قوله عشيره أى عشيره
(٣) المسدد المرفق للصواب . والبناء المنضد من صفيح هو البناء المصفوف
بعضه فوق بعض من صفيح وهو الحجر العريض . وقوله وقد غارت أسعد
جمع سعد أى غابت سودهم والجملة حالية . (٤) قوله وهل عدلت لفظه
لفظ الاستفهام ومعناه النبي كأنه قال وما عدلت وساوت يوما مصيبة ميت
مصيبه يوم توفى فيه رسول الله عليه وسلم . (٥) قوله يدل من يقتدى
به ويتبعه الضمير لرسول الله أى يرشده على الحق وهو الله سبحانه وتعالى

لأنهم لم يهديهم الحق جاهدا
 عفو عن الزلات يقبل عذرهم
 وإن ناب أمر لم يقوموا بحمده
 فبينما هم في انعمة الله بينهم
 عزيز عليه أن ينجسوا من الهدى
 عطوف عليهم لا يثني جناحه
 فيبناهم في ذلك النور إذ غدا
 فأصبح محمودا إلى الله راجعا
 وأمسى بلاد الحرم وحشا بقاعها
 قفارا سوى معمورة اللحد ضافها
 ومسجده فالوحشات لفقده
 وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
 فسكى رسول الله ياعين عبيرة

معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
 وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
 فمن عنده تيسير ما يتشدد
 دليل به نهج الطريقة يقصد (١)
 حريص على أن يستقيموا ويمتدوا
 إلى كفاف يحنو عليهم ويمهد
 إلى نورهم سهم من الموت مقصد (٢)
 يبكيه جفن المرسلات ويحمد (٣)
 لغية ما كانت من الوحي تعهد
 فقيد يبكيه بلاط وغرق (٤)
 بخلاء له فيه مقام ومقدم
 ديار وعرصات وربيع ومولد
 ولا أعرفك الدهر دمك يحمد

(١) قوله وأن ناب أمر أى وأن دهمهم خطب ونزل بهم انصرف عنهم
 بدعاه الرسول الله لم يقوموا بحمده والدليل يريد به رسول الله صلى عليه وسلم .
 (٢) قوله الى كفاف أى جانب ويهد أى ويسكت على ما يكره أى يغض
 الطرف عن هفواتهم قال الراعى .

ولمى لأحى الأنف من دون ذمى إذا الدنس الواهى الأمانة أهدا
 ومقصد أى صائب قائل .

(٣) قوله يبكيه أى يبكى عليه فحذف وأوصل . جفن المرسلات الملائكة .
 (٤) قوله سوى معمورة اللحد أى مكان اللحد . وضافها أى نزل بها ضيفا
 كريما ويراد بالفقيد رسول الله عليه الصلاة والسلام . وقوله ، يبكيه بلاط هو
 موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مباط . والغرق شجر وبقيع الغرق مقبرة
 المدينة المنورة .

وما لك لا تبكيين ذا النعمة التي على الناس منها سابع يتغمد
 فجودى عليه بالدموع وأعوى لفقد الذى لامثله الدهر يوجد (١)
 وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد
 أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلا لا ينكس
 وأبذل منه للطريف . وتالد إذا ضمن معطاء بما كان يتلد (٢)
 وأكرم حيا في البيوت إذا اتهم وأكرم جدا أبطحيا يسود
 وأنبغ ذروات وأثبت في العلى دعائم عز شاهقات تشيد (٣)
 وثبت فرعا في الفروع ومنبتا وعوداً غداة المزن فالعود أغيد
 رباه وليدا فأستتم تمامه على أكرم الخيرات رب. محمد
 تنامت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند (٤)

(١) قوله ياعين حذفت الياء لوقوعها موقع ما يحذف في النداء وهو التنوين
 ولأن الكسرة تدل عليه وباب النداء باب حذف وإيجاز ، وضمير منها يعود
 على النعمة . وسابع أى مطر سابع دان تمتد الى الارض وبذا يكثر الخير ويتسع
 الرزق ويتغمد يزداد يقال غمدت البئر غمدا اذا كثر مائها . وقوله فجودى
 عليه بالدموع أى ولا تدخرى شيئا .

(٢) قوله وأبذل معطوف على أعف وضمير منه للمثل بفرض وجوده أى
 كثير البذل لماله الطريف المستحدث المستفاد والتلبد الموروث عن الآباء قديما
 (٣) أبطحيا منسوب الى قریش البطاح الذى ينزلون أباطح مكة . وامنع
 ذروات جمع ذروة وهى الشرف أى وأرفع شرفا من بيوتات العرب التى تضم
 شرف القبيلة .

(٤) قول غداة ظرف لقوله وأثبت أى وأثبت فرعا فى ذلك الوقت وأغيد
 مروى غرض رطب : ورب محمد فاعل رباه أى أنشأه ربه وليدا ضييا . وقوله
 تنامت وصاة المسلمين بكفه أى صار هو المسئول عنهم وعهد الله اليه أمرهم ويراد
 بالعلم هنا علم مافى الغيب وهو لا يعلمه الا بنزول الوحي عليه . وقوله ولا الرأى
 يفند أى ولا رأيه يضعف بل كان قوى الحججة ثابت الفكرة

أقول ولا يلنى قولى عائب من الناس إلا عازب القول مبعد^(١)
 وليس هوائى نازعا عن ثنائه لعلى به فى جنة الخلد أخلد^(٢)
 مع المصطفى أرجو بذلك جواره وفى نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد
 ٦ - وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم
 ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت لما أقبها بكحل الأرمد
 جزعا على المهدى أصبح ثاوياً ياخير من وطىء الحصى لا تبعد^(٣)
 وجهى يقيمك التراب لهنى ليتنى غيبت قبلك فى بقيع الغرقد
 بأنى وأمى من شهدت وفاته فى يوم الاثنين النبى المهدى
 فظلت بعد وفاته متبلداً متلدداً ياليتنى لم أولد^(٤)
 أقم بعدك بالمدينة بينهم ياليتنى صبحت سم الأسود^(٥)

(١) يقول أقول قولى هذا ولا يمكن لأحد أن ينكره على الا ذاهب القول
 أى الذى لا يعتد به فهو سفيه الراى بعيد العقل وفى حديث عائشة :
 فهن هواء والحلوم عواذب - جمع عازب أى أنها خالية بعيدة العقول
 (٢) قوله نازعا عن ثنائه أى ليس ميل راجعاً عن مدحه وثنائه
 (٣) الارمد هو الذى هاجت عينه من الرمد وهو وجع العين وانتفاخها
 وانتصب جزعا على المصدر
 (٤) بقيع الغرقد مقبرة المدينة المنورة . وقوله فى يوم الاثنين عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبت يوم
 الاثنين وخرج مهاجراً من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين
 ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت
 من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة ضحى فى مثل الوقت الذى دخل فيه
 المدينة . وقوله متبلداً متلدداً أى نافذ الصبر متلفاً حائرأى أمرى لأدرى كيف أصنع
 (٥) قوله أقم بعدك لفظه لفظ الاستفهام والمعنى الانكار أى لم أقم بعدك
 بالمدينة الح . وقوله ياليتنى ، يا حرف نداء والمنادى محذوف أى يا قوم أو غير
 ذلك وصبحت سم الأسود ، أى شربت الصبوح وهو ما شرب بالغداة فما
 دون القبالة من سم الأسود وهى الحية

أو حل أمر الله فينا عاجلاً في روحة من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً محضاً ضرائبه كريم المحدث
يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد (١)
نوراً أضاء على البرية كلها من يهدر للزور المبارك يهتدى
يا رب فاجعنا معاً ونيلينا في جنة تنبي عيون الحسد (٢)
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ياذا الجلال وذا اللا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد (٣)
ياويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٤)
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الائم
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم يحمد

(١) قوله فنلقى طيباً أي فنرى رسولا طيباً محضاً ضرائبه أي خالصة ونقية طبيعته وبجنته جمع ضريبة ويريد به النبي عليه الصلاة والسلام ، وبكرها فاعل المبارك وهو النبي ، ومحصنة حال من ضمير ولدته أي عفيفة . وبسعد الأسعد أي بطالع سعيد .

(٢) تنبي عيون الحسد أي تبعد عنا عيون الحسد (٣) تعلق الباء من قوله بهالك بأسمع وحذف حرف التنبي الداخلة على الفعل لأنه لا يلتبس بالاثبات لأنه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام ونحو قول امرء القيس ه فقلت يمين الله أبرح قاعدا ه

وقوله ما بقيت ما مع الفعل في تقدير مصدر وحذف اسم الزمان معه أي مدة بقائي وفي الكلام نية الشرط والجزاء كأنه قال لا أسمع بهالك أن بقيت ومعناه أن بقيت حياً فلذلك وقع الماضي فيه في موضع المستقبل لأن ما بقيت في موضع ما أبقى وإن أبقى ه

(٥) ويح كلمة ترحم وتوَجع وتضاف كما هنا ولا تضاف ويريد بالمغيب رسول الله أي المتواري . وسواء الملحد وسطه .

والله أكرمنا به. وهدى به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الاله ومن يحف يعرشه والطيبون على المبارك أحمد

٧ - وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم
آليت ما في جميع الناس مجتهدا منى آية بر غير إفساد (١)
تالله ما حملت أنى ولا وضعت مثل الرسول نبي الامة الهادى
ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد (٢)
من الذى كان فينا يستضاء به مبارك الامر ذا عدل وإرشاد
مصدقاً للنبيين الالى سلفوا وأبذل الناس للبعرف للجادى (٣)
يا أفضل الناس إلى كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادى
أمسى نساؤك عطلان البيوت فما يضرين فوق قفا سستر بأوتاد
مثل الرواهب بلسن المسوح وقد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى (٤)

٨ - وقال الحرث بن أبي شمر الغساني لحسان وكان النعمان بن المنذر اللخمي
يساميه : يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فقسال وكيف أفضله
عليك فوالله لقفالك أحسن من وجهه ولأملك أشرف من أيه ولأبوك أشرف
من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر

- (١) قول آليت آية برأى حلفت حلفة صادقة غير افناد أى تكذيب
(٢) قوله ولا برا الله من بريته أى ولا خلق الله من خلقه شخصاً أو في
منه الخ .
(٣) الجادى طالب الجدوى وهى العطية .
(٤) المسوح جمع مسح وهو الكساء من الشعر جمع القلة أمساح قال
أبو ذؤيب .

ثم شرين بذبط والجمال كأن الرشح منهن بالآباط أمساح
وأيقن الخ أى تحقق بالشقاء الذى ظهر عليهن بعد النعمة السابقة .

من كثيره ولثامك أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور
من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من
حقبه ولزندك أورى من زنده ولجنذك أعز من جنده وإنك من غسان وإنه
من لحم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلا
في شعر فقال :

نبت أن أبا منذر يساميك للحرث الأصغر (١)
قفناك أحسن من وجهه وأملك خير من المندز
ويسرى يديك على عسرها كيمنى يديه على المعسر
وشتان بينكما في الندى وفي البأس والخير والمنظر (٢)
٩ - وقال أيضا يرثى أهل مؤته عام ٨ هـ .

عين جودى بدمعك المندور واذكرى في الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤته وما كان فيها يوم ولوا في وقعة التغوير
حين ولوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور (٣)
حب خير الانام طراً جميعاً سيد الناس حبه في الصدور (٤)
ذاكم أحمد الذى لا سواه ذاك حزنى معاله وسرورى

(١) نبت فيه الحرم

(٢) الخير بالكسر الكرم والجود .

(٣) الرخاء لعله يريد به أيام السلم والتغوير القائلة وذلك لما أصيبوا متتابعين
وأخذ الراية خالد بن الوليد خرج إلى الظهر من ذلك اليوم تعرف الكتابة في
وجهه فخطب الناس بما كان من أمرهم . والضريك الشديد عصب الخلق في جسم
وكذلك المأسور يقال فلان شديد أسر الخلق إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ
وزيدا هو زيد بن حارثة .

(٤) حب خير الانام صفة لزيد أى هو محبوب خير الانام وكان زيد ابن
حارثة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠ - وقال رضى الله عنه يجيب رجلا من قريش حين أسروا سعد بن عباد
يوم الاثنين عشر نقيبا ، قال القرشى .

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاه لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحه وكانت جراحا أن تهان وتهدرا (١)

فقال حسان رضى الله عنه يجيبه وهو أول شعر قاله فى الاسلام

لست لى عمرو ولا المره منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
ولولا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البلقاء تهوين حسرا
فانا ومن يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا لى أهل خيبرا
فلاتك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصرا
ولاتك كالشاة التى كان حتفها بحفر ذراصيها فلم ترض محفرا (٢)
ولاتك كالعاوى فأقبل نحره ولم يخشسه سهمان النبل مضمرا (٣)

١١ - وكان وهب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم سنة
الوفود بعد فتح مكة فيهم عطار بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم وقيس

(١) أخذته عنوة أى قهرا وغلبة . وطلت جراحه أى أهدرت

(٢) قوله ولاتك كالشاة النخ البيت يشير الى المثل العربى المشهور : حتفها
تحمل ضأن بأظلافها ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر فوجد شاة ولم
يكن معه ما يذبجها به فبحنت الشاة الارض فظهر فيها مدية فذبجها بها فصار مثالا
لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره ولذلك يضربه الشاعر له . وقوله فلم ترض
محفرا هى المسحاة ونحوها مما يحتقر به أى فلم تقبل محفورا

(٣) قوله فأقبل نحرها سهمها أى جعله الضمير للنحر قبالة أى عرضه للسهم
وضمير يخشسه للسهم أى لم يخافه كأنه ألقى بنفسه للسهم ، والسهم المضمر الخفى

ابن الحارث ولعيم بن زيد وعتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر والاقرع بن حابس في لفهم ولفيفهم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد جئناك لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطار بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما تفعل منها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً واشده عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وألى فضلمهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكننا تهجينا من الاكثار وأقول هذا لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضلي من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس الخزرجي قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن قيس فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه عليه ولم يكن شيء قط الا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفي من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضله حسباً فانزل عليه كتابه واثمنه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذرى ربه أكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً وخير الناس فعلاً ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب الله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله متع بماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً أقول هذا واستعفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر التميمي فقال .

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع^(١)

(١) وفيما تنصب البيع أى تقام والبيع جمع بيعه بالكسروى كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود قال تعالى وبيع وصلوات ومساجد وقسرنا أى قهرنا وغلبنا والنهاب جمع نهبة وهى الغنيمة قال العباس بن مرداس
كانت نهاباً تلافيتها بكري على المهر بالاجر

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القزع^(١)
ثم ترى الناس تائيناً سرانهم من كل أرض هو ياثم نصطنع
فنتحر الكسوم غبطاً في أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا^(٢)
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم إلا استقادوا وكاد الرأس يقتطع
إنا أئينا ولم ياب لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فن يقادرننا في ذاك يعرفنا فيرجع القول والأخبار تستمع
وكان حسان بن ثابت غائباً فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حسان فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم خرجت
إلى رسول الله وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا على كل باغ من معد وراغم
منعنا لما حل بين بيوتنا بأسيا فنا من كل عاد وظالم
بحى حريد عزه وثرأوه بجأوة الجولان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السودد والعود والندى وجاه الملوك واحتماله العظام^(٣)
قال فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال
ما قال عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال فلما فرغ الزبرقان بن بدر من
قوله قال رسول الله لى ان قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان :
إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع^(٤) .

-
- (١) إذا لم يؤنس القزع أى إذا لم يرج مطر
(٢) فنتحر الكسوم غبطاً في أرومتنا . الكسوم القطعة من الابل . والغبط
حسن الحال . والارومة الاصل يفتخر الشاعر بكرم عشيرته .
(٣) بحى حريد أى بمنزل ومنفرد لعزته . والعود الطريق القديم العادى
وكذلك السودد على المثل .
(٤) الذوائب جمع ذؤابة وهى الشعر المضفور استعارها هنا للاشراف وفى
حديث دغفل وأبى بكرانك لست من ذوائب قریش أى من أشرافهم .

يرضى بها كل من كانت سريرة
قوم إذا حاربوا ضر وأعدوهم
سجية تلك منهم غير محدثة
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
إن كان في الناس سابقون بعدمهم
ولا يرضون عن مول بفضلهم
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم
أعفة ذكرت . في الوحى عفتهم
كم من صديق لهم نالوا كرامته
أعطوا نبى الهدى والبر طاعتهم
إن قال سيروا أجدوا السير جهدهم
ما زال سيرهم حق استقادهم
خدمتهم مأتى عفوا إذا غضبوا
فان في حربهم فترك عداوتهم
نسموا إذا الحرب نالتنا مغالبها

تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
أو جاولوا النفع فى أشياءهم نفعا
إن الخلائق فاعلم شرها البدع (١)
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
فكل سبق لأذى سبقهم تبع
ولا يصيبهم فى مطمع طبع
فى فضل أحلامهم عن ذاك متسع
لا يطمعون ولا يردبهم الطمع (٢)
ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
فما ونانصرهم عنه وما نزعوا
أو قال عوجوا علينا ساعه ربعوا
أهل الصليب ومن كانت له البيع
ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
شرا يخاض عليه الصاب والسلع
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا (٣)

(١) البدع جمع بدعة وهى كل محدثة وفى البيتين التقسيم ثم الجمع فقد قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى الضر بالاعداء والنفع للاولياء ثم جمع فى الثانى بأن كلا منهم سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم .

(٢) لا يردبهم طمع أى لا يطمعون فى شىء يؤدى بهم إلى الهلاك
(٣) عفوا أى بغير مسألة : ومنعوا أى منعه . شرا اسم إن . يخاض عليه أى يخلط عليه الصاب والسلع كلاهما شجر مر . وقوله نسموا الخ فى البيت . تخييل لان الشاعر لما شبه الحرب بالسبع فى الاغتبال أخذ الوهم يتخزع لها مغالبها وأظفار كمنخالب وأظفار السبع فشبمت الصورة المتخييلة بالصورة المحققة واستعير لفظ المنخالب والأظفار من المشبه به للمشبه . والزعانف من الناس سفلتهم

لاغر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
 كأنهم في الوغى والموت مكنتع أسد ببشة في أرساغها فذع
 إذا نصبنا لقوم لاندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع (١)
 أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
 أهدى لهم مدحى قلب يوارره فيما يحب لسان حائك صنع
 فانهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أو سمعوا
 فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى أن هذا الرجل
 المؤثى له لخطيبه أخطب من خطيبنا وأشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من
 أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن
 جوائزهم

١٢ - ولما وقع يوم بعاث وهو بين الأوس والخزرج بسبب قتل سمير
 الأوسى لبجير مولى مالك بن العجلان سيد الحيين واقتلوا قتالا شديدا ثم إن
 رجلا من الأوس نادى يا مالك نشدتك الله والرحم أن تجعل علينا حكما من قومك
 فارعوى مالك وحكموا عمرو بن أمية القيس ف قضى لمالك بن العجلان بديّة
 المولى فأبى مالك وآذن بالحرب فخذله بنو الحرث لرده قضاء عمرو وأنشد قصيدته
 التي يقول فيها :

(١) الخور الضعف يقال خار الرجل يخور خؤرا ضعفا وانكسر . والمكنتع
 الدانى القريب . والفدع زوال الرسغ في اليد إلى وحشيها . وقوله لاندب لهم
 أى لم نمش لهم رويدا وتنجس عليهم والذرع جمع ذريعة وهى الجمل يختل به
 الصيد يمشى الصياد إلى جنبه فيستر به ويكون كالدرية ويرمى الصيد إذا أمكنه
 وذلك الجمل يسبب أولا مع الوحش حتى تألفه قال الشاعر .

إن سميراً أرى عشيرته قد حذبوا دونه وقد أنفوا (١)
 إن يكن الظن صادقاً ببني النجاء ر لا يطعموا الذي علفوا
 فقال عمرو بن أمية القيس الأنصاري يخاطبه من قصيدته
 يا مال والسيد المعمم قد يبطره بعض رأيه السرف (٢)
 نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف
 يامال والحق إن قنعت به فالحق فيه لأمرنا نصف
 خالفت في الرأى كل ذي بحر والحق يامال غير ما تصف (٣)
 إن سميراً أبت عشيرته والحق يوفى به ويعترف
 أن يعرفوا فوق ما به نصف أن يعرفوا فوق ما به نصف
 أو تصدر الخيل وهي جافلة تحت هواها جماجم خفف
 أو تجرعوا الغيظ ما بدا لكم فهارشوا الحرب حين تنصرف (٤)

(١) قوله قد حذبوا دونه أى عطفوا وأشفقوا عليه . وأنفوا يقال أنف الشيء كرهه وشرفت عنه نفسه ويريد ههنا أخذتهم الحمية من الغيرة والغضب لاجل سمير

(٢) قوله يا مال هو منسأدى مرخم مالك بن العجلان والعمامة عند العرب لا يلبسها إلا الأشراف والعائم تيجان العرب . والسرف إسم الأسراف وهو مجاوزة القصد

(٣) نحن ضمير منفصل مبتدأ والخبر محذوف جوازاً أى راضون بدليل وأنت الخ . وعند ظرف مكان والرضا بالشئ اختياره والرأى العقل والتدبير أى نحن راضون بما عندنا ومختارون له وأنت كذلك والرأى بيننا مختلف لأن كلامنا له عقل وتدبير مخالف لعقل الآخر وتدبيره . والنصف العدل والاستقامة والفجر هو الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير .

(٤) قوله أو تصدر الخيل الخ أو هنا بمعنى الى . وخفف جمع خفيف . وقوله فهارشوا الهرش هو التحريش وتحريك الفتنة .

وقال قيس بن الخطيم من قصيدة يحميه .

(أبلغ بنى جمحى وقومهم
وإنسا دون ما يسومهم أل
نفلى بحد الصفح هامهم
خطمة إنسا وراهم أنف
أعداء من ضم خطة نكف (١)
وفلينا هامهم بها عنف

فرد عليه حسان بقوله

ما بال عيني دموعها تكسف
بانت بها غربة تؤم بها
ما كنت أدري بوشك بينهم
فغادروني والنفس غالبها
دع ذا وعد القريض في نفر
إن أدع في المجد ألقهم سلفاً
أو ندع في الأوس دعوة هرباً
كنتم عبيداً لنا نخولكم
من ذكر خود شطت بها قذف
أرضاً سوانا فالشكل مختلف
حتى رأيت الخوج قد عزفوا
ما شفها والهموم تعتكف
يدعون بمجدي ومد حتى شرف (٢)
أهل فعال يبدو إذا وصفوا (٣)
وقد بدا في الكتيبة النصف
من جاءنا والعبيد تضطعف

(١) بنى جمحى وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم لأنه أوسى والسوم التكليف . والخطمة الشأن والأمر العظيم ونكف جمع ناكف من نكفت من كذا أى استنكفته وأنفت منه .

(٢) الخدوج هى مراكب النساء واحدها خديج . وعزفوا أى تهيشوا للرحيل . وقوله والنفس غالبها ما شفها أى متغلب عليها ما شفها من الحزن والنحل جسمها وهزلها . وتعتكف أى تقبل على من كل صوب . ودع ذا الخطاب لقيس بن الخطيم انتقال من ذكر الحبيبة الى الافتخار على قيس .

(٣) قوله ألقهم سلفاً السالف المتقدم أى متقدمون وفى التنزيل جعلناهم سافوا ومثلاً للآخرين أى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون . والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

كيف تعاطون يجدنا سفها وأنتم دعوة لـ ١ وكف
 شأنكم جسدكم وأكرمنا جد لنا في الفعال ينصف (١)
 نجعل من كان المجد محته كأعبد الأوس كلها وصفوا
 هـلا غضبتهم لأعبد قتلوا يوم بعثت أظلمهم ظلف
 تقتلهم والسيوف تأخذهم أخذنا عنيفا وأنتم كشف
 وكم قتلنا من رانس لكم في فيلق يجتدى له التلف (٢)
 ومن لثيم عبـد يحالفكم ليست له دعوة ولا شرف
 إن سميرا عبد طغى سفها أجدها أعبد لنا تلف
 بالكاهنين الذين جسدكم عبد العصا والثام إن أسفوا (٣)

(١) أو ندع في الأوس دعوة هربا أى تنادى من أدبر وتولى منهم . وقوله تعالى في ذكر لظى نعوذ بالله منها : تدعو من أدبر وتولى أى تنادى من أدبر وتولى وكان يوم بعثت موضع بقرب المدينة ويومه معروف وقع فيه حرب بين الأوس والنزرج وسببه قتل بجير مولى مالك بن العجلان والذي قتله سمير بن زيد بن مالك أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس وكان ذلك في السنة السابعة من البوة . والنصف اعطاء الحق . والعبيد تضطام أى تنسب إلى الضعف . والدعوة فى النسب المدعى المنهم فى نسبه . ولها وكف أى فيها وكف : عيب ونقص الضمير للدعوة . وشانكم جسدكم أى أبغضكم جسدكم والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٢) هـلا حرف حث وتحضيض أى لم تغضبوا . وأظلمهم ظلف أى أقبل عليهم ودنا منهم ظلف وهو الشدة والبؤس ، وفى الحديث قد أظلمكم شهر عظيم أى أقبل عليكم ودنا منكم . والكشف الذين لا يصدقون القتال . وقوله رانس أى رئيس والفيلق الكتبية العظيمة .

(٣) أن أسفوا أى خضعوا وذلوا ومه الا سيف العبد والاسير .

١٣ - وقال رضى الله عنه فى يوم أحد ىرد على عبد الله بن الزبعرى السهمى
قصيدته التى يقول فيها :

يا غراب البين أسمعك فقل	إنما تنطق شيئا قد فعل
والعطيات حساس بينهم	وسواء قبر مشر ومقل
كل عيش ونعيم زائل	وبنات الدهر يبغين بسكل (١)
أبلغنا حسان عنى آية	فقريض الشعر يشفى ذا العلال
كم ترى بالجر من جمجمة	وأكيف قد أنزت ورجل
وسرايل حسان سريت	عن كاة أهلكوا فى المنزل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد	ما جدد الجدين مقدم بطل
صادق الهجدة قرم بارع	غير ملات لدى وقع الأسل
ليت أشياخى بيدر شهدوا	جزع الخرج من وقع الأسل
فأسأل المهراس من ساكنه	بعد أبدان وهام كالحجل (٣)
إن للخير والشر مدى	ركلا ذلك وجه وقبل (٤)

(١) حساس بينهم أى شؤم وتكد ، وبنات الدهر صروفه . والسكل الأعياء
(٢) الجر سفتح الجبل ، وقد أنزت أى أصابتها جروح فنزيت منها وماتت
أصحابها ، ورجل لعله جمع تكسير لرجل والمشهور أرجل . وسريت أى نزعت
وكشفت .

(٣) المهراس ماء بأحد . والحجل صغار الإبل وأولادها

(٤) مدى أى غاية اسم ان مؤخر ، وكلا مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة للتعذر
وهو اسم لفظه مفرد ومعناه مثنى لعوده على الخير والشر وهو مضاف الى اسم
الإشارة ووجه أى جهة خبر كلا وقبل جهة أيضا معطوف على وجه عطف
تفسير يقول إن للخير والشر غاية ينتهيان إليها ويقفان عندها وكلا ذلك
صاحب جهة يصرفه الله فيها .

فقال حسان رضى الله عنه :

ذهبت بابن الزبيرى وقعة	كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ولننا منكم	وكذاك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدة صادقة	فأجا ناكم إلى سفح الجبل
إذ تولون على أعقابكم	هربا في الشعب أشباه الرسل
نضع الخطى في اكتافكم	حيث نهوى عللا بعد نهل (١)
فسدحنا في مقام واحد	منكم سبعة غير المنتحل (٢)
وأسرنا منكم أعدادهم	فانصرفتم مثل أفلات الحجل (٣)
تخرج الاضياع من استاهم	كسلاح النيب يأكلن العصل
لم يفوتونا بشىء ساعة	غير أن ولوا بجهل وفشل
ضاق عنا الشعب إذ نجزع	وملاطنا القرط منهم والرجل (٤)
برجال لستم أمثالهم	أيدوا جبريل نضرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى	طاعة الله وتصدق الرسل

(١) فأجاناكم أجاناكم . والرسل القطيع من الابل ترسل الى الماء خمسا ونهوى عللا بعد نهل هو الشرب، بعد الشرب تباعا ضربه مثلا أى مرة بعد مرة .

(٢) .فسدحنا أى فصرعنا والمسدوح المصروع

(٣) الحجل من جنس القبيح وهو صغار يقول انهزمتم وفررتم كما نقلت الحجل من الشرك فلا تلوى على شىء .

(٤) الاضياع هى الالبان الممدوقة . والعصل الحمض إذا رعته النيب وهى مسان الابل . ولم يفوتونا أى لم يسبقونا والشعب الطريق النافذين الجبلين ونجزع نقتطعه . والقرط نشوز الارض واكامه والرجل بجارى الماء واحده رجلة يريد ملاطنا ذلك من قتلاتكم .

— ٢٨٨ —

وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل (١)
وتركنا من قريش جمعهم مثل ما جمع في الخصب الحمل
فقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جمحاح رفل (٢)
كم قتلنا من الكريم سيد ماجد الجدين مقدم بطل
وشريف لشريف ماجد لا نباليه لدى وقع الأسسل
نحن لا أتم بني أسـ تاهما نحن في البأس إذا البأس نزل

* * *

١٤ — وقال حسان بن ثابت قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول
اليه فقلت للحاجب بعد مدة أن أذنت لي عليه وإلا هجوت الين كلما ، ثم انقلبت
عنكم فاذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس من يمينه وعاقمة
ابن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لي يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك وأنسبك
في غسان فارجع فاني باعت اليك بصلمة سنينة ولا أحتاج الى الشعر فاني أخاف عليك
هذين السبعين النابغة وعاقمة أن يفصحاك وفصيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن
أن تقول :

رفاق النعال طيب حيزاتهم يحبون بالريحان يوم السباسب

(١) الحمل : الابل التي ترعى بغير راع ليلا ونهارا ، يقال : هملت المشاشية
سرحت بغير راع فهي هاملة ويقال بدير هامل وجمعه همل ، والجمحاح السيد
الكريم ، ولحمل السيد .

(٢) قوله نحن في البأس الخ يقول نحن أصبر منك في البأس لستم لنا أشباها .

تحييم بيض الولاند بينهم وأكسية الأضرحة فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب^(١)
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومى وإذا أعيت على مذهبى^(٢)

فأبيت وقلت لا بد منه فقال ذاك الى عميك فقلت لها بحق الملك الا قدمتمانى
عليكما فقالا قد فعلنا فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن للفريضة فأشأت .
أسألت رسم الذار أم لم تسأل بين الجوانى فالبيض فحومل
فالمرج مرج الصفرين فجاسم فديار سلى دارسا لم تحال

(١) قوله رفاق النعال أراد أنهم ملوك لا يخضعون لعالمهم وإنما يخضع من
يمشى . وطيب حجازهم أى هم أعفاه محضون وأصل الحجرة الوسط أى
يشدون أزهرهم على عفة . والسباسب يوم السعائين وهو يوم عيد النصارى وكان
المدوح نصرانياً . وقوله الولاند هى الاماء . والأضرحة الخز الأحمر والمشاجب
جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب قال الأصمعى هم ملوك أهل نعمة
تخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الأعواد . والأردان
مقدم كم القميص والخالص الشديد البياض وقوله لازب أى ثابت يقول قد
عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فاذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا واذا
أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم فلم يثقوا فوصفهم بالاعتدال .

(٢) قوله حبوت أعطيت يقول حبوت بالقصيدة غسان إذ كنت لاحقاً
بقومى فكانوا أحق من أمدح . وقوله إذا أعيت يريد إذ كان هارباً من النعمان
فضاقت عليه مذهبى يعنى أنه رآهم أهلاً لمدحه فى حال خوفه وامنه وهذا من شعر
النبأفة يمدح به عمرو بن الحارث .

دمن تعاقبها الرياح دوارس والمدجنات من السماء الأعزل (١)
دار لقوم قد أراهم مرة فوق الأعزة عزهم لم ينقل
لله در عصاة نادتهم يوما بجلق في الزمان الأول (٢)
يمشون في الخلل المضاعف نسجها مشى الجمال الى الجمال البزل
الضاربون الكباش يبرق بيضه ضربا يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيم والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية السكرم الفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل (٣)

(١) قوله للجواني الخ كلها مواضع ملوك الشام والحيرة الذين تفرقوا بعد
سيل العرم واستوطنوا بها . وجاسم اسم قرية بينهما وبين دمشق ثمانية فراسخ على
يمين الطريق الأعظم الى طبرية انتقل اليها جاسم بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام
أيام تيلبالت الألسن ببابل فسميت به والمدجنات الغيوم الممطرة .

(١) قوله بجلق موضع بقرب دمشق والعصابة الجماعة من الناس .

(٢) قوله : أولاد جفنة قطعة للشاعر من قوله عصابة لما قصد من معنى المدح
والثناء ولو نصبه على هذا المعنى لكان حسنا ولو جره على البدل والنعت لجاز .
وجفنة هو أبو ملوك الشام وهو جفنة بن عمرو مزنيقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس
بن ثعلبة ابن عمرو بن جفنة وأراد بأولاد جفنة أولاد الحرث الإعرج بن مارية
وهم النعمان والمنذر والمنذير وجبلة وأبو شمر وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جبلة
بن الإيهم ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة غسانية وهي أخت هند
أمرأة حجر والد امرئ القيس صاحب المعلقة وأراد بقوله حول قبر أبيهم أنهم
في مساكن آبائهم ورباعهم التي كانوا ورثوها عنهم ، وقوله يغشون بالبناء للمفعول
أي يتردد إليهم من غشيه إذا جاءه وهر الكلب إذا صوت وهو دون النباح يعني
أن منازلهم لا تخلو من الاضياف والفقراء فكلابهم لا تهر تلى من يقصد منازلهم
لاعتيادها بكثرة الزدد إليها من الاضياف وغيرهم . وقوله لا يسألون أي هم في
سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير وهو السواد إذا
قصدوا نحوهم .

يسقون من ورد البريص غابهم
يسقون درباق الرحيق ولم تكن
بيض الوجوه كريمة أحاسهم
قمبشت أزمانا طـ والـا فيهم
إما ترى رأسى نغير لونه
ولقد يرانى موعدى كأننى
ولقد شربت الخمر فى حانوتها
يسعى على بكاسها منتطف
إن التى ناولتنى فرددتها
كلتاها حلب العصير فعاظنى
بردى يصفق بالرحيق السلسل
تدعى ولاندهم انقف الحنظل
شم الأنوف من الطراز الأول
شم اذكرت كأننى لم أفعل
شمطا فأصبح كالثغام المحول^(١)
فى قصر دومة أو سماء الهيكل
صهباء صافية كقطع الفلفل
فيعلنى منها ولو لم أنهل^(٢)
قتلت قتلت فهاهما لم تقتل
بزجاجة أرخاهما للمفصل^(٣)

(١) ضمير يسقون عائد على أولاد جفنة ومن مفعوله . والبريص نهر يتشعب من بردى وهى نهر دمشق كالصراة من الفرات . وقوله بردى يريد ماء بردى لحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقوله يصفق أى يمزج . والرحيق الخمر والسلسل السهل أى كأنه مزوج بذلك أى أنهم لا يسقون المساء إلا بمزوج بالخمر لسعتهم وكرمهم وتعظيم من يرد عليهم . والدرياق خالص الخمر وجيده شبه بالدرياق الشافى والولاندى جمع وليدة وهى الحسام . والنعف استخراج ما فى الحنظل يقول هم ملوك لا تجتنى ولاندهم الحنظل ولانتهقه . والطراز الجيد من كل شىء . وأذكرت تذكرت وقوله إما ترى يريد إن ترى رأسى يخاطب امرأة وهما زائدة ، والثغام نبت أبيض الثمر والزهر . وشمطا أى اختلط . وادشورها ببياضها . والمحول . الذى قد أتى عليه الحول ويروى كالثغام الممحل .

(٢) قوله منتطف هو المخرط والطفة . بفتحات القوط . وقوله فيعلنى أى يسقنى سقيا بعد سقى والنهل هنا العطش أى يسقيها على كل حال عطشت أو لم أعطش .

(٣) قوله قتلت الجملة خبران وقتلت الجملة اعتراضية . وقوله كلتاها أراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب وأرخاهما أشدها أرخاء أفعل تفضيل =

برجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل
نسبي أصيل في السكرام ومذودي تكوى مواسمه جنوب المصطلي
ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ونسود يوم النابات ونعتلي
ويسود سيدنا جمحاجح سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة فيهم ونفصل كل أمر معضل (٢)
وتزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في البرية نعدل
وفتي يحب الحمد يحمل ماله من دون والده وإن لم يسأل
باكرت لذته وما ما طلتها برجاجة من خير كرم أهمل (٣)

١٥ - وقال ينزه عائشة عن الريبة .

حصان رزان مازن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

= من أرشى المزيدي وهو سماعي عند قوم مقيس عند آخرين . ومعنى البيتين
يخاطب الساقى الذى كان نارله كأسمزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا منجتها
فكانه أراد أن يعلمه أنه قد قطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه
بالتقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم أنه
عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه ما لم يقتل بهى الصرغ التى لم رتمج .
وقوله أرخاها للمفصل يعنى به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل

(١) قوله رقصت الرقص ضرب من الخبب يقال رقص رقصا وهو أحد
المصادر التى جاءت على فمل فعلا نحو طرد طردا . والقلوص الفتية من الابل
بمنزلة الجارية الفتاة من النساء .

(٢) الاصيل ذو الأصل الثابت ومذوده لسانه ومواسمه هجائه الذى يسم
به من أراد وجنوب جمع جنب شق الانسان وغيره والمصطلي الذى يلزم النار .
ونسود نفضل بحسبنا وكرمنا وجحاجح جمع جحججاج السيد الكريم ، والمفصل
أحد مفصل العظام . والأمر المعضل الشديد .

(٣) السكرم الأهدل المتدلية أغصانه والسكرم العنب .

سليمة خير الناس ديناً ومنصبها نبي الهدى والمكرمات الفواضل (١)
عقيلة حى من لوى بن غالب كرام المساعى مجدها غير زائل
مهدبة قد طيب الله جيبها وطهرها من كل سوء وباطل (٢)
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى إلى أألى
وإن الذى قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرى بن ماحل (٣)
فكيف وودى ماحيت ونصرى لآل نبي الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتناول (٤)
رأيتك وايفخر لك الله حرة من المحطئات غير ذات ضوائل

ولما بلغ قوله * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *
قالت عائشة لكنتك يا حسان ما تصبح غرثان من لحومهن وكان قد قال
فيها كلاماً

١٦ - وقال لابن الزبير حين هرب من النبي يوم فتح مكة :

لا تعد من رجلا أملك بغضه نجران في عيش أحد لئيم
بليت قناتك في الحروب أألقيت نخانة جوفاء ذات وصوم

(١) رزان أى ذات ثبات ووقار وعفاف ورزينة في مجلسها . وماتزن بريبة .
أى ماتتهم والخليلة الزوجة .

(٢) قد طيب الله جيبها يعنى به قلبها وصدرها .

(٣) ليس بلائط بها أى ليس بلاصق بها الضمير لعائشة رضى الله عنها .

(٤) سورة المتناول : الدرة كل منزلة رفيعة والمتناول هو المستطيل على
الناس إذا هو رفع رأسه أى أن له عليهم فضلاً في القدر أى منزلة النبي صلى الله
عليه وسلم تفوق كل منزلة .

غضب الإله على الزبيري وابنه وعذاب سوء في الحياة مقيم^(١)
فأما سمع ذلك ابن الزبيري رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم وقال :

منع الرقاد بلايل وهموم	والليل معتلج الرواق بهيم
بما أتاني أن أحمد لامي	فيه فبت كأنني محوم
ياخير من حملت على أوصالها	عيرانة سرح اليدين غشوم ^(٢)
لاني لمأندرك إليك من التي	أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خبطة	سهم وتأمرني بها مخزوم ^(٣)
وأمد أسباب الهوى ويقودني	أمر الغواة وأمرهم مشوم
فأليوم آمن بالنبى محمد	قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها	وأنت أواصر بيتنا وحلوم ^(٤)

(١) قوله تعد من الخطاب لابن الزبيري ويريد بالرجل أباه ، ونجران موضع معروف بين الحجاز والشام وأمين هرب إليه عبد الله ابن الزبيري لما فتح رسول الله مكة وأخذ أى سريع اليد خفيفها . وقوله فألقيت سخانة أى ضعيفة والضمير للقناة وذات وصوم وصف ثالث لها أى ذات عيوب . والزبيري هو ابن قيس بن عدى بن سعد القرشى السهمي وابنه عبد الله الشاعر كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، وكان يناضل عن قريش ويهاجى المسلمين وكان من أشهر قريش

(٢) معتلج الرواق أى ملنظم الرواق ومرخى ظلمته وأحمد يريد به المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والعيرانة الناقة الصلبة تشبيها بعير الوحش
(٣) أيام نصب على الظرفية الزمانية ، وهو مضاف إلى الجمله بعده وباغوى خبطة أى بأخيل أمر ، وسهم ومخزوم قبيلتان
(٤) قوله رأيت أو أصر جمع آصرة ، ما عطفك على رجل من رحم أو قرابه أو صهر معروف . والحلوم جمع حلم الإناة والعقل

فاغفر فدا لك والذى كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة نور أعز وخاتم محتوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الاله عظيم (١)

١٧ - وقال يوم أحد :

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم
بالقوم هل يقتل المسره مثلى واهن البطش والظام سؤم
مهما العطر والفراش ويعلو ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لآتدبها السكولم (٢)
لم تفقها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
إن خالى خطيب جاية الجوى لان عند النعمان حين يقوم
وأبى فى سميحة القسائل الفا صل يرم التقت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نغان فى السكول مقيم (٣)

(١) أعطاك الضمير لله عز وجل . والبرهان الحجة الفاضله البينة

(٢) قوله واهن البطش أى ضعيف القوة يريد بها المحبوبة التى يشبب بها
والاستفهام للتعجب . واللجين الفضة لا مسكبر له جاء مصغرا مثل الشرايا
والكميت . والذر الذى أتى عليه سنة من صغار النمل يقول لو يدب الصغير من
ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد بالحولى ما أتى عليه حول ولكن
جعلته فى صغره كالخولى من ولد الخافر والخف فى صغره .

(٣) الجولان من عمل دمشق على طريق مصر . والنعمان أراد بنى جفنة ابن
غسان . وسميحة بئر بالمدينة كانت للآوس والخزرج تحاكت عندها ال أبيه وقيل
الى جده المنذر بن حرام . وأراد بابن سلمى النعمان بن نذر اللخمي ونعمان هذا الذى
ذكر نعمان بن مالك ابن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف وكان حبسه النعمان
بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان فاطلقوا

وأبى ورافد أطلقا لي ثم رحنا وققلهم معطوم
ورهنه اليدين عنهم جميعا كل كف فيها جز معطوم
وسطت نسبتي الذوائب منهم كل دار فيها أب لي عظيم
رب حلم أضاعه عدم المسا ل وجهل ذهلي عليه النعيم^(١)
ما أبأ لي أنب بالحزن تيس أم الحسنى بظاهر غي لثيم^(٢)
تلك أفعالنا وفعل الزبيري خامل في صديقه مذموم
ولي البأس منكم إذ خضرتكم أسرة من بنى قصي صميم
تسعة تحمل الاواء وطارت في رطاع من القناء مخزوم^(٣)
لم يولوا حتى أبيدوا جميعاً في مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً أن يقيموا إن الكريم كريم

(١) أبى هو ابن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن النجار ، ورافد بن عمرو بن الاطفاية بن عامر بن زيد مائة بن مالك الاخر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج والاطنابة أمه ، ومعطوم مكسر ، وقوله جز أراد جزءاً فترك الهمز ورهنه يديه ضميانه لهم كقول الرجل لصاحبه لك يدى بكذا وكذا ، والذرائب الاشراف

ويقال غطى الليل اذا ستر كل شىء فهو غاط

(٢) ما أبألى جملة من الفعل والفاعل وقد دخلها حرف النفي وأنب الهمزة فيه للاستفهام ونب فعل ماض وتيس فاعله والباء في بالحزن للظرف يقول قد استوى عندي نيب التيس بالحزن ونيل اللثيم من عرضي بظهر الغيب ونيب التيس صوته عند هبابه للفساد والحزن ما غلظ من الارض رخصه لأن الجبال ثم أحفظ للمر من السهول

(٣) قوله ولي البأس البيت يخبر بصبر بنى عبد الدار بن قصي يوم أحد وانزاع بنى مخزوم

وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والفنسا في نخورهم عطوم
وقريش تلوذ منا لواذا لم يقيموا وخف منها الخلوم
لم تطلق حملة العواتق منهم إنما يحمل الآواء النجوم^(١)

(١) قوله لم يولوا أى لم يدبروا حتى ابعدوا جميعاً . وكلهم مذموم
بدم حائك أى مدمغ بدم أحر يسيل من أبدانهم وقوله وكان حفاظاً أى وكان
محافظة على العهد والحمائم على الحرم ومنعها من العدو أن يقيموا ولا يولوا
وقوله حتى أزيروا أى حتى أوردوا النملية فزاروها شعوب من أسماء النملية
وفي حديث طلحة حتى أزرته شعوب أى أوردته النملية . وتلوذ منا لواذا أى
يتسللون منا مستخفين ومستترين بعضهم ببعض من شدة هول ما أصابهم . وخف
منا الخلوم أى انذروا وتخبط عقولهم . وقوله لم تطلق النخ تمك واستهزأ بهم
والعواتق جمع عاتق ولذلك جمع على فواعل إنما جاء منهاسته أحرف على فواعل
ساجب وسواجب وهالك وهالك وشارب وشوارب وفارس وفوارس
وغارب وغوارب وحارك وحوارك . والنجوم الاشراف المعرقون واحدهم نجم

— ٢٩٨ —

٩ — النابعة الجعدى

المتوفى عام ٨٠ هـ

هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر
مخضرم : وكان معمرأ نادم المنذر أبا النعمان بن المنذر : ويقال إنه أقدم من النابعة
الذي يأتى لأنه نادم المنذر ، والديسانى نادم ابنه النعمان بن المنذر ، ولذلك يقول
الجعدى :

تذكرت والذكرى تهيج للفتى ومن حاجة المخزون أن يتذكرا
ندا ماى عند المنذر بن محرق
أرى اليوم منهم ظاهر الحزن مقفرا
ثم أتى رسول الله (ص) وأسلم وأنشده رأيته فقال له النبي (ص) :
« لا يفضض الله فاك » . فغبر دهره لم تنقص له سن . وفى العقد الفريد لابن
عبد ربه :

قدم ابو ليلي النابعة الجعدى على رسول الله فأنشده قصيدته التى يقول فيها :
بلغنا السماء بمجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرأ
فقال له النبي : إلى أين يا أبا سلمى . فقال : إلى الجنة يا رسول الله بك فقال
النبي : إلى الجنة إن شاء الله ، فلما بلغ قوله

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بواذر تحمى صفوه ان يكدرأ
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمرأ صدر
قال النبي : لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية
قال أبو جروول الجشمى وكان رئيس قومه . أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم
يوم جنتين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه فأنشده

امنن علينا رسول الله فى حرم فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يخبر

أنا لنشكر للنعماء إذا كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضته فقال ، أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب
فهو لله فقالت الأنصار ، وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فردت الأنصار ما كان
في أيديها من الذراري والأموال

وعاش طويلاً في الاسلام ، فأقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضي الله عنه
فأحس بضعف في نفسه ، فالتأذن عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له . ثم لما
كانت خلافته على (رضي الله عنه) شهد معه وقائع صفين ، وظهره بيده ولسانه
ونال من معاوية وبنى أمية .

وعند ما آلت الخلافة إلى معاوية كتب إلى مروان أن يأخذ النابغة ، فدخل
على معاوية وعنده مروان فأنشدهما أبياتاً منها :

فان تأخذوا أهلي ومالي بظنة فاني لحراب الرجال محرب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم لاني أن ظلمت سأغضب
فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال ما ترى ؟ — قال أرى ألا ترد عليه
شيئاً — قال ما أهون والله عليك أن ينجر هذا في غار ثم تأخذه العرب فترويه
أما والله ان كنت لمن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة
عبد الله بن الزبير ومدحه فأجزل له العطاء على بخل فيه ، وبعد سكون الفتن خرج
مهاجراً إلى الأمصار المفتحة .

وعمر الجعدي حتى أدرك الأخطل وهاجاً وتناسزا الشعر فغلبه الأخطل
وهاجته ليل الأخيلىة أنشاعرة فغلبته ومات بأصفهان وهو ابن عشرين وماتى سنة
نحو عام ٨٠ هـ .

كان النابغة قديماً شاعراً مغلفاً في الجاهلية والاسلام .
ولما هزم كان مختلف الشعر مغلفاً حتى قال فيه الفرزدق : مثله مثل صاحب
الخلجان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سميل كساء ، غلبه الأخطل
وأوس بن منراء وليل الأخيلىة . وغلبه من لم يكن اليه ولا قريباً منه مثل عقاب

ابن خالد العقيلي وكان مفعجا بكلام لا يشعر ، وهجاء سوار بن أوفى القشيري وفاخره ، ثم هجاء الأخطل آخر عمره .

ويقول يونس فيه : كان الجعدي أوصف الناس لفرس وجعله ابن سلام

من الطبقة الثالثة مع أبي ذؤيب وليد والشمخ

وكان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام . وهو أول من

سبق إلى السكناية في الشعر عن اسم من يغنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكنى بغير اسمها وفد علم الله خفيات كل مكتم

وكان ممن يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ،

قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد . طفيل الغنوي وأبو دواد

الأيادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتجى طريقة زهير والخطيئة وأشباههما من

يبالغون في تهذيب الالفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكان

تهديه إليه بديته ، فتارة يأتي جيداً متيناً ، وتارة يجيء ضعيفاً رديئاً .

فلم يعرف عنه أنه كان يهذب شعره في جاهلية ولا إسلام ، بل كان يقوله

عفو الخاطر لذلك كان منه الجيد والردى والمتوسط حتى قال الأصمعي : وكان

معجبا به لذلك عنده مطرف ^(١) بآلاف . ونخار بواف ^(٢) فخالف بذلك زهير

والخطيئة . ووافق الذبياني .

ويقول بعض الباحثين : ولعل السبب في أنه كان مغلباً ما كان في طبعه من كرم

واسجاج ، يتجلى ذلك في ميله إلى التوحيد أيام الجاهلية وإطلاقه عنان الشعر

لا يتكاف له ، فلم يستطع مجازاة من غلب على أنفسهم الشر ، واشتعلت صدورهم

بالأحقاد ، ولقد كان إذا عرف أن منافره أربى عليه أسرع بالاعتراف بالهزيمة ،

لا يكابر ولا يماري ، فانه سمع قول أوس بن مغراء في منافرته .

(١) المطرف (مثله الميم) ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) الوافي : هو الدرهم قدر درهم وثلاث .

لعمرك ما تبلى سبرائيل عامر من اللؤم مادامت عليها جلودها
فقال : لقد غلب أوس .

هذا وفنون الشعر عند الجعدى كثيرة ، وقد أجادوا فى الفخر والثناء والهجاء
والمديح ووصف الخيل ، وكان أحد ثلاثة أجادى وصفها ، وهم : طفيل الغنوى ،
وأبو دؤاد ، والنابغة الجعدى .

نماذج من شعره :

من قصيدته التى مدح بها رسول الله ، وهى طويلة تبلغ مائتى بيت :
خليلى عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أودرا (١)
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة نطقا لروعات الحوادث أوقرا (٢)
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا بما قضى الله وأصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشئ ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاب الله كالجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا (٣)
خليلى قد لاقيت ما لم تلاقيا — وسرت فى الأحياء ما لم تسيرا
تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

(١) تهجر : سكن وقت الهجرة ، والمراد هنا مجرد اللبث .

(٢) قر بالكسر أمر من وقر (كوعد) بمعنى رزن وبالفصح أمر من قر
(كمر) وخففت بحذف إحدى الراءين وبهما قرىء قوله تعالى : « وقرن فى
بيوتكن » .

(٣) أحذر : تقصيل من حذر .

ومنها في الفخر :

وننكر يوم الزوع ألوان خيلنا
ونحن أناس لا نعود خيلنا
وما كان معروفًا أن نردها
وبما سبق إليه وأخذ منه قوله :

كان مقط شرا سيفه
لطن بترس شديد الصفا
أخذه ابن مقبل فقال :

كان ما بين جنبيه ومنتقه
بترس أعجم لم تنخر مناقبه

وقال :

أرأيت أن بكرت بلبل هامي
هل تخمشن ابلي على وجوها
أخذه الأخطل فقال :

أرأيت أن بكرت بلبل هامي
هل تخمشن ابلي على وجوها
وقال يذكر نساء سبين :

دعنا النساء اذ عرفن وجوهنا
حزين الهيجان الادم نادى بوردها

(١) ننكر : نجهل . الجون هنا الأبيض . أشقر : أحمر .

(٢) المفرد صحيح وصحاح (بالفتح) والجمع صحاح (بالكسر) .

العقر : ضرب قوائم الدابة لتمنع عن الحركة مقدمة لذبحها . فارادة معنى الذبح من العقر مجاز .

فقلنا لهم خلوا طريق نساتنا
فنحن غضاب من مكان نساتنا
تفور علينا قدرهم فنديهم
ويستجاد له قوله :

لبست أناسا فافئتمهم
ثلاثة أهلين صاحبهم
وعشت بعيشين ان المنو
فحينما أصادف غراتها
شهدتهم لا أرجى الحياة
وشعت يطارقن بالدارعين
فلما دنونا لجرس النباح
أضاءت لنا النار وجها أغر
يضى كضوء سراج السليط
بانسة غير أنس القراف
إذا ما الضجيج ثنى جيدها
ويستجاد قوله يرثى رجلا .

ففى كلمات خيراته غير أنه
ففى تم فيه ما يسر صديقه
وله : ومن يحرص على كبرى فاقى
وقال الحمد لله لا شريك له

المولج الليل فى النهار وفى الليل
الحافظ الرافع السماء على الار
الخالق البارئ المصور فى ال
من نطفة قدرها مقدرها
ثم عظاما أقامها عصب
ثم كسا الرأس والعواتق وال
واللون والصوت فى المعاش وال

فقالوا لنا كلا فقلنا لهم بلى
ويسعفنا حر من النار بصطلى
ونفتوها عنا إذا حموها غلا

وأفئيت بعد أناس أناسا
وكان الاله هو المستاسا
ن تلقى المعاش فيها خساسا
وحينا أصادف منها شماسا
حتى تساقوا بسمركاسا
طليق الكلاب يطان المهراسا
ولا نبصر الحى الا التماسا
ملتبسسا بالفؤاد التباسا
لم يحمل الله فيه نحاسا
وتخلط بالانس منها شماسا
تداعت وكانت عليه لباسا

جواد فما يبق من المسال باقيا
على أن فيه ما يسوء الأعاديا
من الشبان ازمان الختان
من لم يقلها فنفسه ظلمنا
نهارا يفرج الظلمنا
ض ولم بين تحتها دعما
أرحام ماء حتى يصير دما
يخلق منها الاشارة والنسا
ثم لحما كساه فالأما
أبشار جلدنا نخاله أدمنا
أخلاق شتى وفرق السكلى

١٠ - معن بن أوس

المتوفى عام ٦٥ هـ

هو معن بن أوس بن نصر من مزيته من مضر شاعر فحل من المخضرمين عاش في الجاهلية في البادية وكذلك في الإسلام ووفد على عمر بن الخطاب وأنشده قصيدته :

تأوبه طيف بذات الجرائم ففسام رفيقاه وليس بنائم
ورحل إلى البصرة وتزوج منها ثم عاد إلى البادية . ويقال أنه لقى معاوية
أيضا وكان معاوية يفضل مزيته في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم
وهو زهير وأشعر أهل الإسلام منهم وهما كعب بن زهير ومعن بن أوس
ويمتاز في شعره بالحكمة الرائعة والممانى السامية والأفكار الاجتماعية الرفيعة
والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

كما يمتاز بسلاسة الأسلوب وعدوبته وجماله وكثرة الألوان البيانية فيه ، وقد
أجاد في الحكمة وعتاب الأصدقاء والوصف والفخر ومن رائع شعره :
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده (١) رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني
وكان عبد الملك ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم :
ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ،
فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم . امرؤ القيس ، وقال بعضهم . النابغة ، وقال
بعضهم . الأعشى ، فلما فرغوا قال . أشعر رآته من هؤلاء جميعاً عندي معن
ابن أوس حيث يقول .

وذى رحم فلمت أظفار ضغته يحلمى عنه وهو ليس له حلم (٢)
إلى آخر القصيدة .

(١) ١٣٨ هـ البيان والتبيين

(٢) ١٠٢ هـ الأمانى

ومن يختار شعره قوله في ابن عمه :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه
يحاول رغبى لا يحاول غيره
فان أعف منه أغض عينا على قذى
وإن انتصر منه أكن مثل رائش
صبرت على ما كان بينى وبينه
وبادرت منه النأى والمره قادر
ويشتم عرضى فى المنيب جاهدا
إذا سمته وصل القرابة سامنى
وإن أدعه للنصف يأب ويعصنى
قلولا اتقاء الله والرحم التى
إذن لعلاه بارقى وخطمته
ويسعى إذا أبى ليهدم صالحى
يود لو أبى معدم ذر خصاصة

يحلى عنه وهو ليس له حلم
وكلوت عندى أن يحل به الرغم^(١)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم^(٢)
سهم عدو يستهاض بها العظم^(٣)
وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه ما دام فى كفه السهم^(٤)
وليس له عندى هوان ولا شتم
قطيعتها تلك السفاهة والإثم^(٥)
ويدعو لحكم جائر غيره الحكيم^(٦)
رعايتها حق وتعطيها ظلم
بوسم شنار لا يشاكمه وسم^(٧)
وليس الذى يبنى كن شانه الهدم
وأكره جهدى أن يخالطه العدم^(٨)

(١) الرغم : القسر والاذلال .

(٢) أغضى عينه : أطبق جفنها ، القذى : ما يقع فى العين فيؤنيها

(٣) راش السهم : وضع فيه الريش ليكون أسد له وأصوب ، هاض العظم :

كسره بعد جبر وذلك أشد وأنكى .

(٤) بادر الشئ : سبق اليه ، النأى : البعد

(٥) سامه الشئ : كلفه إياه

(٦) النصف ، ثلثة : العدل ، اسم من الانصاف

(٧) خطمه : ضرب خطمه ، أنفه ،

(٨) الخصاصة : الفقر أو كل خلل أو خرق فى باب أو نحوه ، الجهد بالفتح

المشقة وبالضم المشقة أو الطاقة .

ويعتد غنا في الحواث نكبتى
فما زلت في ليني له وتعطى
وخفض له منى الجناح تألفا
وقولى إذا أخشى عليه مصيبة
وصبرى على أشياء منه تريبنى
لاستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلاماً بيننا فرقته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداووته حتى أرفأن نفاره
وأطامت نار الحرب بينى وبينه

وما إن له فيها سناء ولا غم^(١)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه إمنى القرابة والرحم^(٢)
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم^(٣)
وكظمى على غبضى وقد ينفع الكظم^(٤)
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٥)
برقى أحياناً وقد يرقع الثلم
بجلى كما يشفى بالادوية الكلم
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم^(٧)

* * *

وقال يتمدح بالعفة ومكارم الأخلاق

لعمرك ما أهويت كفى لريثة
ولا قاذى سمى ولا بصرى لها
وأعلم أى لم تصبنى مصيبة
ولست بمـاشـ ما حييت لمـنكر
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابتى

ولا حملتى نحو فاحشة رجلى
ولا دللى رأى عليها ولا عقى
من الدهر إلا قد أصابت فى قبلى
من الأمر ما يمشى إلى مثله مثلى
وأوثر ضبغى ما أقام على أهلى

(١) السناء : الشرف ، وبالقصر الضوء .

(٢) الرحم : بالكسر لغة فى الرحم .

(٣) الفداء : بالكسر بمدود ويقصر ، والفدا بالفتح مقصور لا غير فهمى فى

البيت صالحة لها ، العقد : العهد

(٤) رابى الأمر : جعل فى قلبى ريباً أى شكاً

(٥) يروى الحلم والحزم وهما ظاهران ، وأما الجرم فعناه الجسم والخلق

(٦) أرفأن : سكن ، صرم : قطيعة .

(٧) سلم : هى هنا بمعنى مسلم .

وقال معن بن أوس المزني يعاتب صديقا :

لعمرك ما أدري ولإني لأوجل على أينما تعدو المنية أول^(١)
ولإني أخوك الدائم الود لم أحل أن ابراك خصم أونيا بك منزل^(٢)
أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فاعقل^(٣)
وإن سؤتى يوما صبرت إلى غد ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفى منك داء مصادق وسخطى وما فى ريتى ما تعجل^(٤)
ولإني على أشياء منك تريبني قدما لذو صفح على ذاك بجمل^(٥)
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فأنظر أى كف تبدل
وفى الناس إن رئت حبالك واصل وفى الأرض عن دار القلى متحول^(٦)
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل^(٧)
وكننت إذا ما صاحب رام ظننى وبذل سوءا بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر الجبن فـلم أدم على ذاك إلا ريث ما أتحوّل^(٨)
إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكده عليه بوجه آخر الدهر تقبل

(١) رجل وجل وأوجل : خائف .

(٢) حال : تغير . ويروى (لم أخن) وبزاه وأبرى به وبزاه : غلبه . وقد نقل الشاعر حركة الهزة إلى النون وحذفها وهى لغة جيدة قرأ بها ورش
(٣) عقل عنه : غرم ما لزمه من دية .

(٤) الريبة : التهمة . يقول : ليس فى تهمتى وما يسوءنى منفعة يجب أن تتمجلها .

(٥) رابنى الامر وأرابنى : رأيت منه ما أكره

(٦) رث الحبل وأرث : بلى .

(٧) ضامه : ظلمه ونقصه حقه . والمزحل : المتنحى والمهرب .

(٨) الجبن : الترس وقلب له ظهر الجبن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على

مودعة ثم حال عن ذلك .

١١ — مالك بن الزيب

المتوفى عام ٤٥ هـ

شاعر فاضل جرى مقدام ، من لصوص العرب وشجعانها .

قال أبو عبيدة (١) : لما ولي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، سار فيمن معه فاخذ طريق فارس ، فلقبه بها مالك بن الزيب المازني وكان فيما ذكر من أجل العرب جمالا وأبينهم بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال غيره : بل مر به سعيد بالبادية وهو منجد من المدينة يريد البصرة حين ولاه معاوية خراسان ومالك في نفر من أصحابه ، فقال له . ويحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العداوة وقطيعة الطريق ؟ قال . أصلح الله الأمير ، العجز عن مكافأة الإخوان . قال . فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعني ، قال نعم ، أصلح الله الأمير أكف كما حسن ما كف أحد ، فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر (٢) ، وكان معه حتى قتل بخرسان . قال ومكث مالك بخرسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغريته . وقال بعضهم . بل مات في غزو سعيد ، طعن فـ . قط وهو باخرمق . فقال هذه القصيدة وهي هذه .

ألا ليت شعري هل أبين أيسلة	بجنب الغضى أرحى القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه	وليت الغضى ماشى الركاب ليلاليا
لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى	مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترى بعث الضلالة بالهدى	وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت في أرض الأعادي بعدما	أراني عن أرض الأعادي (٣) قاصيا

(١) ٢٥ ذيل الامالي .

(٢) ويروى خمسمائة دارهم .

(٣) الأعادي : الباء لتشديد فيه وفي الذي بعده لاقامة الوزن ، والتشديد

هو الأصل في الكلمة لأنها جمع أعداء ، وجمع أفعال أفاعيل .

دعاني الهوى من أهل أودو صحبتي
 أجبته الهوى لما دعاني بزفرة
 أقول وقد حالت قري السكرد بيننا
 إن الله يرجفني من الغزو لا أرى
 تقول ابنتي لما رأته طول رحلتني
 لعمرى لئن غالت خراسان هامتني
 فإن أنج من بابي خراسان لا أعد
 الله دري يوم أترك طائعا
 ورد الظباء السمانحات عشية
 ورد كبيرين اللذين كلاهما
 ودر الرجال الشاهدين تفتكي
 ودر الهوى من حيث يدعو صحابي
 تذكرت من يبكى على فلم أجده
 وأشقر محبوكا يحجر عنانه
 ولكن باكناف السمينه نسوة
 صريع على أيدي الرجال بقفرة
 ولما ترامت عند مرونيتي
 أقول لأصحابي أرفعوني فانه
 فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
 أقيا على اليوم أو بعض ليلة
 وقوما إذا ما استل روحي فهيئا
 وخطا بأطراف الأسنة مضجعي
 ولا تحسداني بارك الله فيكما
 خذاني فجراني بشوقي اليس كما
 وقد كنت عطا إذا الخيل أدبرت
 وقد كنت صبارا على القرن في الوغى

بندي الطيبين فالتفت ورائيا
 تقنعت مني أن ألام ردائيا
 جزى الله عمرا خير ما كان جازيا
 وإن قل مالي طالبا ما ورائيا
 سفارك هذا تاركي لا أباليا
 لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
 إليها وإن منيتموني الإمانيا
 بني بأعلى الرقتمين وماليا
 يخبرن أني هالك من ورائيا
 على شفيق ناصح لونهانيا
 بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
 ودر لجناجاني ودر انتهائيا
 سوى السيف والرمح الرديني باكيا
 إلى المساء لم يترك له الموت ساقيا
 عزيز عليم العشية ماينا
 يسورن لحدي حيت حم قضائيا
 وخل بها جسمي وحانت وفائيا
 يقر تعيني إن سهيل بداليا
 برايه — — — — — إني مقيم لياليا
 ولا تمجلاني قد تبين شائيا
 لي الصدر والاكفان عند فنائيا
 وردا على عيني فضل ردائيا
 من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
 فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
 سريعا لدى الهيجا إلى من دعائيا
 وعن شمتي ابن العم والجار وانيا

فطورا ترانى فى ظلال ونعمة
ويوما ترانى فى رجا مستديرة
وقوما على بحر السمينة أسمعا
بأنسكا خلفتاني بقفرة
ولا تنسيا عهدى خليل بعدما
وان ^(١) يعدم الوالون بئا يصيهم
يقولون لا تبعد وهم يدفوننى
غداة غد يالهف نفسى على غد
وأصبح مالى من طريف وتالد
فيا ليت شعرى هل تغيرت الرجا
إذا الحى حلوها جميعا وأنزلوا
رعين وقد كاد الظلام يحنها
وهل أترك العيس العوالى بالضحى
إذا عصب الركبان بين عنيزة
فيا ليت شعرى هل بكى أم مالك
اذ مت فاعتادى القبور وسلمى
على جدث قد جرت الريح فوقه
رهينة أحجار وترب تضمنت
فيا صاحبا إما عرضت فبلغا
وعر قلوصى فى الركاب فانها
وأبصرت نار المازنيات موهنا
بعود ألنوج ^(٢) أضاء وقودها
غريب بعيد الدار ثاو بقفرة

وطورا ترانى والعناق ركابيا
تخرق أطراف الرماح ثيابيا
بها الغر والبيض الحسان الروانبا
تهبيل على الريح فيها السوافيا
تقطع أو صالى وتبلى عظاميا
ولن يعدم الميراث منى المواليا
وأين مكان البعد إلا مكانيا
إذا أدجوا عنى وأصبحت ثاويا
لغيرى وكان المسال بالامس مالبا
رجا المثل أو أمست بفليج كما هيا
بها بقرا حم العيون سواجيا
يسفن الخرامى مرة والاقاحيا
بركبانها تلعو المتان الفياقيا
وبولان عاجوا المبقيات النواجيا
كما كنت لو عالوا نعيك باكيا
على الرمس أسقيت السحاب الغواديا
ترايا كسحق المرنبانى هايبا
قرارتها منى العظام البواليا
بنى ازن والريب أن لا تلاقيا
ستفلق أكبادا وتبسكى بواكيا
بعلياء يثنى دونها الطرف رانبا
مها فى ظلال السدر حورا بجوازيا
يد الدهر معروفا بأن لا تدانبا

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : وان يعدم الوالون بئا يحنى .

(٢) ألانوج والينوج : عود الطيب يتبخر به .

أقلب طرفي حول رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيًا
وبالرمل منا نسوة لو شهدنني بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندي وأهله ذميا ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنن أمي وابنتاي وخالي وبأكية أخرى تهيج البواكيا
ويقول أبو الفرج عن أبي عبيدة ان الذي قاله مالك ثلاثة عشر بيتا والباقي
ولده الناس عليه .

وفي الأغانى أن سعيداً لقيه في طريق فارس . فقال له سعيد : ويحك ، تفسد
نفسك بقطع الطريق وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك
هذا الفضل ؟ قال مالك : يدعوني إليه العجز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ،
ومكافأة الاخوان .

وينسب له .

لو كنتم تنكرون الغدر قلت لكم يا آل مروان جارى منكم الحكم
وأنتيكم يمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
"نحن الذين إذا خفتم مجلالة قلتم لنا إننا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتها صرتم (كجرم) فلا ال ولا رحم
ويقول .

وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا المتأنى للعواقب في الذى
ولكننى مستوجد العزم مقدم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى في الحرب بأسل جميع الفؤاد عند جل العظام
وله .

أدلت في مهمه ما إن أرى أحدا حتى إذا حان تعريس لمن نرلا
وضعت جنبى وقلت الله يكلاني مهما تم عنك من ليل فإ غفلا
والسيف بينى وبين الثوب مشمرة أخشى الحوادث إنى لم أكن وكلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها إنى أرى مالك بن الرب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلها ويسعها تراه بما كسته شاجبا وجلا

ويقول :

أذنب الفضا قد صرت للناس ضحكة أغادى بك الركبان شرقا إلى غرب
فأنت وأن كنت الجرم جنانه منيت بضرم من الأسد الغلب
بمن لا ينال الليل إلا وسيفه رهينة أقوام سراع إلى الشعب
ألم ترني يا ذنب إذ جئت طارقا تخاتلى أنى امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تدرج نهنت غربك بالضرب
فصرت لى لما علاك ابن حرة بأبيض قطاع ينجمى من الكرب

* * *

وكان مالك ابن الرب لصاً يقطع الطريق ، هو وأصحابه ومنهم غويث أحد
بنى كعب وأبو حردبة ، ومنهم شظاظ الضبي ، وقد ساموا الناس شرا ولم يكن
مالك بأقل أصحابه فتسكا وفجورا . وفي ذلك يقول الراجز
والله نبجساك من القصيم ومن أبي حردبة اللثيم
ومن شظاظ فاتح العكوم ومالك وسيفه المسموم
ثم طال توحيش مالك في البادية وفتسكه بها حتى كان عصر مماوية فغزا في جيش
سعيد بن عثمان بن عفان .

- ٣١٣ -

النقد الأدبي

في صدر الاسلام

- ١ -

والنقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر، وهو عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبية (١)،

هو - كما أقول - تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية العسامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار، وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار (٢)

والخطابة والشعر لأرسطو هي المرجع الأول لكل الدراسات في النقد والبلاغة (٣)، وأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي ووضع في كتابه فنون الشعر، قواعد للبلاغة بنى عليها طريقته في النقد (٤)، وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديثة في أوربا وعلى رأسها: سانت بوف [١٨٠٤-١٨٩٦]، وتين (١٨٢٨ - ٨٩٣)، وبروتير (١٨٤٩ - ١٩٠٧)، وجول ليمترم ١٩١٧ (٥)

والنقد في الآداب العربية هو شرح الشعر وتقرير طريقة الشعر الجاهلي

(١) أصول النقد الأدبي للشايب

(٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) أصول النقد الأدبي

(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب،

(٥) راجع: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، وأصول النقد الأدبي للشايب،

٤٥ - •• الأدب الجاهلي.

تتكون منهمجاً للشعراء لاجركة العقول والأفكار (١)، وأكبرهم مظاهره عندهم هو علم البلاغة (٢).
النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً ، وكان حينئذ يسيراً ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه (٣) ، عربى النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم (٤).
وجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة (٥) وفي حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة (٦) ، وحكومة النابغة على الشعراء ، وكان تضرب له قبة حمراء بعتاظ ويأتيه الشعراء فتثدده أشعارها ، (٧) ، وفي حكم ربيعة بن حذاف الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب وعمر بن الأهم (٨) . ووجد في نقد الشعراء للشعر ، مرامرؤ القيس بكعب

(١) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٢) ١٦٨ المرجع

(٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٤) ٢٥ المرجع .

(٥) راجع ٣٧٩ ج ٣ العقد .

(٦) راجع ١٢٨ ج ٧ الأغاني ، وقد نقد الرافعي هذه الحكومة ورأى أنها جائزة (٢٢٥ — ٢٢٤ ج ٢ آداب العرب للرافعي) وتابعه في ذلك محمد هاشم (١٨٤ الأدب العربي في العصر الجاهلي) ويرتاب باحث في صحة هذه القصة ، ويرى أن امرؤ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرؤ القيس (٢١ ، ٢٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب) .

(٧) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٨) ١٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

وأخويه : الضبان والقعقاع فأنشدوه فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم نارا جودة شعر كم ، فسموا به النار ^(١) ؛ ويقول النابغة : أشعر الناس من استجيد كذبه واضحك رديته ^(٢) ، وسمى كعب الغنوى كعب الأمثال لكثرة ما في شعره منها ^(٣) ، وطفيل الغنوى طفيل الخيل لكثرة وصفة إياها ، والثرثري تولى المحبر لحسن شعره ^(٤) ، وسموا قصيدة سويد بن أبي كاهل « بسطت رابعة الحبل لنا ، القيمة ، كما سموا بعد ذلك خطبة إسحجان الشوهاة لحسنها ^(٥) ويقول زهير وروى لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه ثم نفسه ^(٦) الى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

النقد في صدر الاسلام :

وأخذ النقد في القرن الأول يسير في طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم ، فأبو بكره يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا ^(٧) ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده ^(٨) ، وقدم زهير ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح

(١) ٧٠ من المؤلف للامدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٨٠ ، ٨٠ ج ٢ العمدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤلف و ١١٢ ج ١ العمدة

(٥) ٢٢٥ ج ١ البيان

(٦) ٣٠ جمهرة أشعار العرب .

(٧) ١ / ٧٨ العمدة .

(٨) راجع : ٩٩ إعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١ / ١٧٠ و ٢٢٤ و ٢ / ٢٢٥

البيان والتبيين ، ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ١ / ٧٦ العمدة .

سبب حكومته بأنه كان لا يعاقل في الكلام وكان ينجب وحشى الشعر ولم يمدح
أحدا إلا بما فيه (١) ، وكان يرى أنه أشعر الناس (٢) ، وكان يجلس هو وأصحابه
فيتذاكرون الشعر والشعراء وأهمهم أشعر (٣) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه
أشعر شعرائهم (٤) . وكذلك على بن أبى طالب وكان يقدم امرأ القيس على الشعراء
لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بإدرة (٥) ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر
ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب .

وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالآخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم وصاحب

لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الإبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها
قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ربة وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بنى ذبيان قال لهم : فمن الذى يقول :

(١) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ / ١ العمدة ، ٣٢ جمهرة أشعار العرب . والمعاظلة

وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة و ٣٢ الجمهرة وص ١٠٥ نقد الشعر .

(٢) ٣٧٩ / ٣ العقد وما بعدها .

(٣) ٣٢ الجمهرة .

(٤) ٣٤ الجمهرة .

(٥) ٢٧ و ٢٨ / ١ العمدة .

أنتيك عاريا خلة ا ثيابي على وجل تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون
قالوا . هو النابغة : قال هو أشعر شعرائكم . ولا بدع فعمركان يعرف قدر
الشعر ويستمتع لآراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال . أموال كثيرة
ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب اليه يقول

نحج ونغزو اذا غزوا فاني لهم وفر وكسنا بذى وقر
اذا التاجر الهندي جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون أن شاطرهم منك بالشرط
قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس . قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير فأنشدته قوله
في هرم بن سنان حيث يقول .

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابو وطاب من الأفلاذما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم أو يجدهم قعدوا
فقال له عمر . ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهـ لو بيت
رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت قال : أنا بن
هرم بن سنان قال : صاحب زهير قال : نعم قال : أما أنه كان يقول فيكم فيحسن
قال : كذلك كما نعطيته فنجزل قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة . هن أشعر الناس ، فأخرج لسانه وقال . هذا إذا طمع .
وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب وأشعرهم أبو ذؤيب وأمير شعره
وغرة كلامه قصيدته التي أولها د أمن المنون وربها تتوجع ،^(١)

إلى ما سوى ذلك من مظاهر النقد في هذا العصر مما لا داعي للافاضة فيه .

(١) ٨١ خاص الخاص للبعالي .

— ٣١٨ —

أشهر الشعراء المخضرمين

مورد بن ضرار الديباني .
 المخبل السعدي مات في خلافة عمر .
 عمرو بن الأهتم المنقري .
 لبيد بن ربيعة العامري .
 ربيعة بن مقروم .
 سويد بن أبي كاهل اليشكري وتوفي بعد عام ٥٦٠ هـ .
 عوف بن عطية بن الخرج التيمي من يتم الرباب — عبد الله بن عنمة الضبي .
 قيس بن الخطيم لاقى رسول الله ولم يسلم زيد الخيل وفد على الرسول عام ٥٩ هـ
 وتوفي في هذا العام .

شعراء الحماسة المخضرمون

عمر بن الأهتم - الخنساء - عمرو بن أحر - زرعة بن عمرو - عامر بن
 الطفيل وفد على رسول الله — قيس بن الخطيم أدرك النبي — الحارث بن هشام
 توفي عام ١٥ هـ - الضرار السلمي — عمرو بن شاس — سلم بن دارة — غسان
 ابن وهلة — عبد الله بن عنمة الضبي — قبيصة بن جابر — عائكة بنت عبد المطلب
 أمية بن أبي — الصلت — أبو خراش الهذلي — عبدة بن الطبيب — دريد
 ابن الصمة — الأسود بن يغوث — قتيلة — النابغة الجعدي — سلمة الجعفي
 الشماخ — عمرة بنت الخنساء — معن بن أوس — حسان —
 أبو الطمحان القبي .

شعراء الحماسة الاسلاميون

أدرك بعضهم الرسول والآخرون عاشوا في عصرى
صدر الإسلام وبني أمية

أبو الاسد ، خنزر ، مالك بن أسماء ، مدرك الفقعسى ، عمرو بن الهذيل ،
عمرو بن كليل ، حميد بن ثور ، قريظ بن أنيف ، ربيعة ابن مقروم
الضبي وشهد القادسية ، أبو كبير الهذلى صحابى ، الحريش القرينى
صحابى ، الأشتر النخعى صحابى ، عبد الله بن الحشرج الجعدى ، الفضل بن العباس
هاشمى ، جرير بن كليب الفقعسى ، الراعى ، اسحاق بن خلف ، حطان بن المعلى ،
يحيى بن منصور الحنفى ، جزء بن ضرار أخو الشماخ ، القطامى ، موسى بن جابر ،
بشامة بن حزن ، مساور بن هند ، عباس بن مرداس صحابى ، غلاق بن مروان ،
عبد الله بن سبرة ، إياس بن مالك ، أدهم بن أبى الزعرار ، خفاف بن نذبة صحابى ،
معبد بن علقمة صحابى ، شبيب بن عمر ، الكروس بن زيد ، حسان بن الجعد ،
أوس بن حنبل ، عمرو الخارجى ، سالم بن واصة ، تابعى ، هشام أخو ذى الرمة ،
مستم بن نويرة صحابى ، نهشل بن حرى ، عبد الملك الحارثى ، خلف بن خليفة ،
فاطمة الخزاعية (صحابية) - نهاد بن - توسعة شبيب بن عوانه - سليمان
العدوى « شيعى » - زينب الطثرية - يزيد بن الطثرية قتل فى خلافة بنى العباس
منظور بن سحيم - توبة بن الحبير الخفاجى - أبو بكر الزهرى - ابن الطثرية
أبو الاسود الدؤلى

- ٢٢٠ -

الحياة الادبية

في العصر الاموي

٤١ - ١٢٢ هـ

تمهيد:

بدأت دولة بني أمية عام ٤١ هـ، على يد معاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة .

وتولى الخلافة عدة خلفاء كان لهم أثرهم الكبير في تشجيع اللغة والأدب والعلم وإعزاز شأن الأدباء والشعراء .

وهؤلاء الخلفاء هم :

معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية ^(١) (٤١ - ٦٠ هـ) .

يزيد بن معاوية (٤٠ - ٦٤ هـ)

معاوية بن يزيد (٦٤ - ٦٤ هـ)

مروان بن الحسك ^(٢) (٦٤ - ٦٥ هـ)

عبد الملك بن مروان ^(٣) (٦٥ - ٨٦ هـ)

الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)

سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩ - ١٠١ هـ)

يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ - ١٠٥ هـ)

(١) كان من أعظم ولاته وأشهرهم زياد بن أبيه المتوفى عام ٥٣ هـ

(٢) وقد بدأ في عهده حكم عبد الله بن الزبير في الحجاز من عام ٦٤ هـ

واستمر حتى قضى عبد الملك بن مروان على ثورته عام ٧٣ هـ

(٣) وأشهر ولاته الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١ - ٩٥ هـ)

هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦ هـ) .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ - ١٢٦ هـ)

مروان بن محمد بن مروان بن الحسك (١٢٦ - ١٣٢ هـ) .

ومروان هو آخر بني أمية قتله بنو العباس وتولى السفاح الخلافة باسم العباسيين في الكوفة عام ١٣٢ هـ .

كانت دمشق مقر دولة بني أمية ، وبنوا فيها القصور والمساجد والدواوين والمتنزهات والقلاع والحصون فاتسع عمرانها وزادت حضارتها وكثرت مجالس الأدب ودور العلم فيها ، ووفد إليها الناس في مختلف أمورهم ومصالحهم وكانت دولة بني أمية تعتن بالعرب وترفع من شأنهم ولا تنظر إلى الموالى نظرة رعاية أو تقدير ، وهكذا كانت دولة بني العباس أعجمية خرسانية ودولة بني أمية عربية أعرابية ^(١) وكانت بنو أمية لا تستخلف بين الأماء ^(٢) ولا تباع لبنى أميات الأولاد ^(٣) .

كما حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية ، فنشأوا أبناءهم بالبادية يتعلمون فيها الشعر والأدب واللغة ، ويكتسبون الملكة والفطرة والطبع ، ويعتقدون المجالس الأدبية ويستدعون الرواة والأدباء والشعراء ويكافئونهم بجزيل العطاء وسقى المواهب فوق عطفهم وبرهم بالعزب ، وقصر وظائف الدولة عليهم وحدهم من ولاية وقيادة جيوش وتنظيم دواوين إلى غير ذلك من كبرى المناصب في السياسة والقضاء والإدارة .

(١) ٢/٢٠٦ البيان والتبيين .

(٢) ١٨٠ / ٤ العقد

(٣) ١٨١ / ٤ العقد .

وهكذا شجعت دولة ابنى أمية الجنس العربى والقت فى يده زمام أمور الدولة بعكس بنى العباس .
وقد تمت الحواضر الإسلامية الكبرى كالكوكة والبصرة والفسطاط ومكة والمدينة وسواها من الأمصار
وستتكم بعون الله عن حياة الأدب واللغة والعلم والنقد فى هذا العصر الزاهر وما توفيقى إلا بالله .

سياسة الدولة الجديدة

١٠ - كان معاوية رأس الدولة الأموية ومنشؤها داهية أرييا حصيفا ؛ وكان يعزى بأسرته الأموية اعتزازا كبيرا لتأييد دولته الجديدة وملكة الناشئ الفتى .
وكان أظهر أعماله أنه نقل الحكم الإسلامى من خلافة شوربة الى ملك مستبد يحرص على تثبيتته ودعمه وإعلاء صرحه ، ولو فوق جثث الضحايا وأشلائهم .
واستعان معاوية فى هذا بأسرته من بنى أمية وبنى عبد شمس ، كما استعان بالقبائل العربية المقيمة فى بلاد الشام وحواليها والتي أغدق عليها العطاء .
وهو وال لعمر وعثمان على الشام ، ثم وهو يتسارع على بن أبى طالب ويحجده بالسيوف فى سبيل الملك ، ثم وهو خليفة وأمير للمسلمين بعد تنازل الحسن بن على له عن الخلافة .

وعمل معاوية على إيقاع الخلاف بين القبائل المختلفة وضرب بعضها ببعض ، وتحريض بعضها على الآخرين ، وبذلك أحيا العصبية القديمة التي حاربها الإسلام ورسوله وكتابه الكريم ، كما حاربها أبو بكر وعمر طول عهد خلافتهم رضوان الله عليهما .

لم يكن معاوية يثق بأهل مكة والمدينة لانحياز زعمائها الى أهل بيت الرسول ، ولا بالعرب المقيمين فى الكوفة والبصرة لأن الكثير منهم شيعيون ، ولكنه جهد فى استماله العرب القاطنين فى بلاد الشام وعلى مشارفها ؛ كما جهد فى استماله القبائل

اليمينية ، وتزوج من إحدى بطونها من قبيلة كلب ، أم ابنه يزيد ، كما جهد في استئالة القبائل القيسية وبعض القبائل المضرية إليه .

وفي سبيل ذلك أكثر من الوعد والوعيد ، وبذل الأموال و فرق العطاء ، وأكثر من الاغداق على أهل الحجاز وخاصة مكة والمدينة لأنهم أصحاب الرأي النافذ بين المسلمين ، وضاعف عطاء الحسن والحسين أضعافا كثيرة لجعله ألف ألف درهم وكان على عهد عمر خمسة آلاف .

وبذلك استتب الأمر لمعاوية الداهية العبقري ، وكان معاوية رضى الله عنه يقول تصويرا لدهائه وسياسته . والله لو كان بيني وبين الناس شجرة ما انقطعت إن شدوا أرخيت وإن أرخوا شددت .

٢ — ولما مات معاوية لم يخلفه أحد في الملك يشبهه في الدهاء والسياسة ، فافترق المسلمون وشبهت الثورات وكثرت الأحزاب : من شيعة أنصار بيت علي في الحجاز والعراق ، وزبيريين يشايهون آل الزبير في الحجاز وغيرها ، وخوارج خرجوا على الاستبداد والملك العضوض ، وأمويين يدافعون عن ملوكهم ونفوذهم .

ووجد ملوك بني أمية أن لا شيء يعيد إلى دولتهم هيبتها وأطمشاتها إلا الاستبداد والسف والطغيان ، فوكلوا بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي يمسأ الأرض رعباً وخوفاً وجوراً ، ووكلوا بالبلاد الأخرى ولادة يأمرهم باليقظة والحزم والدهاء والمسكر والطغيان

وهكذا ظلت الدولة تموج بالعصبيات إلى عهد انقضائها ، بل إنها كانت السبب الأخير في القضاء عليها وتمهيد الأمر لبني العباس .

وكان الشعراء يغذون العصبيات ويلقون القصائد الجيدة مشيدة بذكر الأحزاب التي ينتمون إليها ومنددة بمثالب الأحزاب الأخرى ، ومن ذلك أن الهاشميين أخذوا يحرزون الكمية الشاعر على إثارة العصبيات بشعره ، جاء في مروج الذهب للمسعودي أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال

للحكيت ، إلى قد رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث
فيخرج من بين أصابعها بعض ما تحب ، فأشدد قصيدة ذكر فيها مناقب بنى نزار
من ربيعة ومضر وأطنب في وصفهم وفضلهم على بنى قحطان وعرض بما كان من
شأنهم مع الاحباش وغيرهم من هذه القصيدة قوله

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أيدي المتهتدين
وجدت الله إذ سمي نزارا وأسكنهم بمكة قاطنين
لنا جعل المكارم خالصات وللناس الفقا ولنا الجينا
وماضرت هجائن من نزار فوالح من لحول الأعجمينا
وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمرينا

وقد نرى هذا القول في النزارية واليمينية فافتخر كل قبيل بما له من مآثر . وفي
العصر العباسي قال دعلج بن علي الخزاعي ينتمى على للحكيت قصيدته ويذكر مناقب
اليمن ويعرض بل ويصرح بنقائص غيرهم في قصيدته التي أولها :

أفيق من ملامك يا طعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشين الذوائب والقرونا
أجى الغر من سروات قومي لقد حيت عنا يا مدينة
فان يك آل إسرائيل منكم وكنتم بالآعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي مسخن مع القرود الخاسثينا
بأيلة والخليج لهم رسوم وآثار قدمن وما يحينا
وما طلب الحكيت طلاب وتر ولكنا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار أن قومي إلى نصر النبوة فاخرينا

ونشأ عن إحياء هذه العصبية الممقوتة آثار كثيرة بعضها سياسى وبعضها اجتماعى
وبعضها أدبى

أما الآثار السياسية فقد كثرت الخلافات والثورات والحروب بين العرب
بعضهم وبعض وبين العرب والموالى وبين أبناء وفروع الأمويين أنفسهم

وأما الآثار الاجتماعية فانك تعلم أن إحياء العصبية معناه سيطرة التفكير الجاهلي على الناس والساسة ، وبذلك انحرف الأمويون بل الناس كلهم عن منهج الاسلام الذى يجعل الناس إخوة متحابين ويفرض على الحاكم العدل والمساواة والحرص على حريات الناس جميعاً

وأما الآثار الأدبية فقد عادت الفنون الأدبية الجاهلية القديمة إلى الظهور . من أنفخر السكاذب والمنافرات والمفاخرات المرة بين العرب في مجتمعاتهم الأدبية وعلى الأخص في المربد ، بظاهر البصرة وفي السكاسة حوالى الكوفة . وبعد فعناصر سياسة الدولة الجديدة هي :

١ - دعم الملك الأموى بأى ثمن كان ؛ والقضاء على الأحزاب المنافسة لهم من شيعة وزبيريين وخوارج

٢ - إحياء العصبية العربية محافظة على مجد بنى أمية وسلطانهم

٣ - رفع شأن العرب كافة والاعتزاز بالعنصر العربى وعدم إدخال أحد من الموالى فى مناصب الدولة وخاصة كبارها إلا للضرورة الملحة

٤ - إحياء الآداب العربية القديمة وخاصة الشعر الجاهلي وتشجيع الثقافة والعلوم على وجه عام .

٥ - تشجيع العمران والحضارة والاقتباس من مدينيات الأمم القديمة كل ما هو صالح ومفيد

٦ - وأكبر مآثرة للأمويين هي إتمام سلسلة الفتوحات الإسلامية العظيمة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب

إلى غير ذلك من العناصر البارزة فى سياسة هذه الدولة الجديدة
وأهم الآثار الكبيرة لهذه السياسة :

١ - كثرة أنوان الاضطهاد والعسف فى سياسة الدولة ومعاملة الناس وما يتبع ذلك من سحق للحريات واستهانة بالأرواح والدماء

٢ - تدمير الموالى وانضمامهم لأعداء بنى أمية وعلى الأخص الشيعة بما كان سبباً للقضاء على الدولة نفسها

— ٣٢٩ —

- ٣ - انتشار الترف واللهو في الشام وحيث الأموال الكثيرة والعطاء الضخم في الحجاز وعلى الأخص مكة والمدينة
- ٤ - عودة عادات وألوان التفكير والشعور ومظاهر المعيشة الجاهلية إلى الحياة في هذا العهد
- ٥ - انتشار اللغة العربية في شتى أرجاء العالم
- ٦ - سير الحياة الإسلامية إلى الحضارة والمدنية والعمران
- ٧ - ظهور الموالى في ميادين الثقافة والأدب والعلم لا في ميدان السياسة إلى غير ذلك من هذه الآثار

الموالي

في الدولة الأموية

١ - اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد بني أمية ، فشملت الأندلس وشمال إفريقيا والشام وجزيرة العرب والعراق وفارس وجزءاً من الهند ، كما وصلت الفتوحات الإسلامية إلى سوى ذلك من النواحي والبلاد

وخضعت هذه الأمم كلها للحكم العربي ، سواء منها الدول ذات الحضارة والدول التي لم تصطبغ بصفتها ، فوجدوا في الإسلام العدل والأمن والسلام ، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة الدين والقرآن ولحاجتهم إليها في التفاهم مع الولاة والحكام والعمال ، وهي فوق ذلك اللغة الأولى في العالم كله آنذاك فهي لغة الثقافة والآداب والعلوم والفنون والسياسة .

٢ - وكان إبعاد الموالى عن سياسة الدولة وشؤونها العامة باقصاء الأمويين لهم كما كان لانحسارهم من عناصر متحضرة أخذت بقسط من الثقافة والمدنية والمعرفة ، أثر كبير في تفوقهم في ميدان العلم والآداب .
فجلسوا في مجالس الصحابة يدرسون القرآن وعلومه والحديث وروايته والتاريخ وأيامه ومفاخر العرب وآثارهم . كما جلسوا في مجالس الأدباء والشعراء والرواة يثقفون أنفسهم بالشعر ويتأدبون بروايته وينظمه أحياناً
فكان من الموالى الشعراء كزياد الأعجم وإسماعيل بن سيار وأخيه موسى شهاب .

وكان منهم العلماء في علوم الدين والشريعة كنافع وربيعة الراى شيخ الإمام مالك وسليمان بن يسار وكان من أعلم الناس وفقهم وكانوا بالمدينة ومنهم مجاهد وعكرمة وعطاء بمكة
والحسن بن يسار والحسن البصرى وابن سيرين بالبصرة . يزيد بن حبيب شيخ الليث بن سعد في مصر . مكحول بن عبد الله في الشام .

إلى غير هؤلاء من الأعلام في الدين والشريعة والحديث والتفسير واللغة من الموالى في عصر بى أمية

٣ - ولما كانت اللغة القبطية ولغة الروم وآدابها وثقافتها مائزات باقية في مصر والشام . واللغة الفارسية مائزات ذائعة في بلاد فارس وبعض جهات من العراق .

فقد كانت دواوين الدولة ومصالحها الحكومية واعمالها تكتب في مصر باللغة القبطية وفي الشام باللغة الرومية وفي العراق وفارس بالفارسية . وكان لابد من الاستعانة بالموالى في هذه الدواوين للكتابة فيها وظل الأمر على ذلك مدة حتى حوات دواوين ^(١) العراق إلى اللغة العربية بأمر الحجاج ودواوين الشام في عهد عبد الملك ودواوين مصر في عهد الوليد بن عبد الملك وبذلك انفسح المجال للعرب في هذه الناحية أيضا .

وكان الذى نقل دواوين الخراج في العراق إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان صالح من الموالى . أما دواوين الشام فكانت بالرومية وكان يتولى أمورها سرجون بن منصور من عهد معاوية إلى أيام عبد الملك ثم نقلت إلى العربية على يد سليمان بن منصور أما ديوان مصر فقد كان بالقبطية وحول في عهد الوليد بن عبد الملك إلى العربية على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر وبذلك خلصت أعمال الدولة للعرب إذ كان ديوان الخند والرسائل وجمع مرافق الدولة عربية ماعدا ديوان الخراج فلما حول صارت سائر أعمال الدولة مصطبغة بالصيغة العربية الخالصة .

٣ - ومن المعلوم أن الموالى كانوا من عناصر مختلفة واجناس متباينة

(١) الديوان الكتاب الذى يكتب فيه أهل العطية والمرتبات ، ثم نقل إلى المسكان الذى يجتمع فيه الكتاب لذلك وأول من وضعه عمر فهو أول من دون الدواوين في الاسلام وكانت مقصورة على الضرورى منها لمسكان البدوة من الامة

فمنهم الفارسيون ومنهم من هو من عنصر برمي أو قبضي أو تركي أو سوي ذلك ذلك وكان بعضهم ينحدرون من أمم متحضرة ذات مدنية وثقافة والبعض الآخر ليسوا كذلك الأولون هم الذين أفادوا الأمة العربية بما حملوه معهم من ذكاء ومعرفة وثقافة ونظام ومدنية .

وكان من أفذاذ الموالى في العصر الأموي سـ المولى هشام بن عبد المالك وعبد الحميد الكاتب الذي كان أصله من الأنبار .

٤ - على أن من الثابت أن الموالى لم يكونوا موضع تقدير في العصر الأموي لبعدهم عن سياسة الدولة وتصريف شئونها وتولى مناصبها وكانوا يعملون في حقل الثقافة والأدب أو في بيوت العظماء والأثرياء أو في الحرف الصغيرة المهمة

انتشار اللغة

وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة

١ - علمت مما سبق أن الفتوحات الإسلامية كثرت في العصر الأموي حتى وصلت جيوش المسلمين إلى الهند والاندلس وحكم العرب هذا البلاد المفتوحة وأخضعوها لنفوذهم وسلطانهم وصاروا حكاما وأمرأها ونشروا فيها دينهم ولغتهم وآدابهم ونزح العرب إلى هذه البلاد المفتوحة فأقاموا فيها وعمروها وخالطوا أهلها ونشروا اللغة العربية في كل مكان .

وأخذ أهل هذه البلاد المفتوحة يتعلمون العربية ويدرسونها ويتخذونها لغة لهم يتفاهمون بها مع حكامهم وولاةهم من العرب ولم يقفوا عند هذا الحد بل التناطح باللغة والتفاهم بها بل أجادوا العربية ودرسوا آدابها ونظموا الشعر وتفقهوا في شتى العلوم سواء منها العلوم الإسلامية الأصلية أم علوم ومعارف أممهم القديمة المتشيدة التي أذاعوها ونشروها في البيئة العربية الإسلامية الجديدة .

يقول ابن خلدون : ولما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القاطنين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها في جميع مما لسانها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى وعلى دينه ، قصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب ،

- ٣٢٠ -

وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأقطار والممالك ، وصار اللسان العربي
لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم وصارت الألسنة دخيلة
فيها وغريبة .

٢ - ولا ضير على اللغة إذا كان قد دخلها بعض اللحن وأصاب ملكاتها
شئ من العي والعجز والقصور فإن القرآن الخالد قد حفظ اللغة العربية وخلدها
إلى ما شاء الله .

نعم لقد كان من آثار الفتوحات الإسلامية وانتشار اللغة العربية في كل
مكان أن :

١ - خالط العرب أهل هذه البلاد المفتوحة وسمع لسانهم وعيهم وتحريفهم
في ألفاظ اللغة فأصاب ملكته العربية الأصلية شئ من العدوى واعتراها
بعض القصور .

ب - وتزوج العرب من الموالى كما تزوج بعض الموالى من العربيات وإن
كان ذلك قليلاً نادراً فنشأت ذرية ملقحة بعضها من الأولاد الهجن الذين
أبائهم من العرب وأمهاتهم من الموالى وبعضها الآخر من المقرنين وهم الذين كان
آبائهم من الموالى وأمهاتهم من العرب ومن غير شك أن لغة هذه السلالات
لا تصل إلى لغة العرب الخالص الأحرار .

ج - كما كثرت الجوارى والقيان والمربيات الروميات والفارسيات
والقبطيات في قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء فنشأ أبنائهم ضعاف الملمكة
مضطربى اللهجة واللغة كثيرون اللحن والتحريف .

ولكن جد الخلفاء والعلماء في المحافظة على اللغة العربية ، دفع عادية هذا
الفساد وأضغف من شأن هذه العدوى

٣ - ولقد قامت اللغة العربية في العصر الأموي بمقتضيات الدين والمملك
والسياسة إلى حد بعيد بما يتجلى لك فيما يأتي :

١ - حولت دواوين الخراج إلى اللغة العربية في شتى البلاد الإسلامية ،
وكانت من قبل تكتب بلغة الأقاليم التي هي فيه ، فهي في العراق بالفارسية ؛ وفي

الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية ، لحولت دواوين العراق إلى العربية في عهد الحجاج وعبد الملك ، كما حولت دواوين الشام من الرومية إلى العربية في عهد عبد الملك أيضا بعد أن رأى من إدلال كاتبه سرجون ، وكان الذي حولها له في الشام إلى العربية هو سليمان بن مسرور فدب الحزن إلى قلب سرجون حتى قال لمن معه من كتاب الروم :

اطلبوا الرزق من غير هذه الصنعة ، فقد قطعها الله عنكم . ولما حول صالح ابن عبد الرحمن السجستاني للحجاج دواوين العراق إلى العربية ^(١) ، أراد الكتاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك ، فبدلوا له مئتا ألف درهم على ألا يفعل فأتى فقالوا :

قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية . وتم منذ ذلك الحين نقل ديوان العراق ، وكان الذي يتولى الكتابة فيه الفارسية زادن فروج بن بيدي

وأما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الله ابن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية انتناش القبطي فصرفه عبد الله وأقام مكانه ابن يربوع الفراري

ب - كما قامت اللغة بالتعبير عن ألوان الحياة الجديدة الناشئة على العرب في دولة بني أمية فالتصور الباذخة والجيش العديدة والغلمان والعبيد والحجاب والقهارم والموسيقى والغناء والجيش والأساطيل والقلاع والبريد وسك النقود وديوان الخاتم وديوان الرسائل وديوان الجند غير ذلك من مظاهر الملك والوان المدنية الجديدة ومشاهد العمران والترف ، قد راض العرب لتفهم على التعبير عنها وعما تتطلبه شتى ألوان الحياة ، فلم تعجز اللغة بل نهضت بكل ذلك دون وناة أو فتور ، سواء بما فيها من الفاظ ومفردات وأساليب وثروة لغوية

(١) وفي العقد الفريد : أن قحذم جد الوليد بن هـ ام القحذي هو الذي قلب اللواوين من الفارسية إلى العربية (١١ - ٣٠ العقد)

ضخمة أم بما عربه العرب من الألفاظ الأعجمية. فوضعوا أسماء للتسميات الجديدة : بقل بعض الألفاظ العربية عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى ؛ أو بالتعبير عنها بالألفاظ المعربة ؛ فن الفاظ في تمييز الجند وأنواع أسلحتهم إلى مصطلحات الدواوين وما تقتضيه الحضارة وال عمران والثقافة

ومن الألفاظ المعربة : الطست والطبق والبلور واللوز والطنبور والفرسخ والبريد والمارستان وسواها

ج - ونهضت اللغة بشق ألوان العلوم والثقافات وتدوينها دون تفصيل أو عجز ؛ فبدأت النهضة العلمية والفكرية وقام العلماء بتدوين آرائهم في شتى علوم الدين والدنيا تساعدهم على ذلك لغة طيبة مرنة واسعة الجوانب

د - كما عبرت اللغة عن شتى نظم الملك والسياسة والقضاء والادارة والآداب وافن حتى ورثنا ثروة ضخمة من آثار هذا العصر الادبية الرائعة وحسبنا ذلك الآن

طروء اللحن ووضع النحو والنقط والشكل

اللحن ونشوء العامية

١ - علمت أن العرب فتحوا كثيرا من البلاد والأمصار ودخل أهلها في دين الله أفواجا وتعلموا القرآن ودرسوا اللغة العربية وتكلموا بها فبدأت اللهجة تظهر في كلامهم كما بدأ اللحن واضحا في نطقهم ولا شك أن العربي بمخالطة للدخلاء على العربية ولسانها قد أصابته عدواهم وانتقلت إليه آثار من لسانهم ولحنهم

كما أن نشأة أولاد الأمراء والخلفاء والأثرياء بين أمهات أو مرييات أعجميات كان له أثره في إفساد طباعهم وفطرتهم الادبية الموروثة

كما أن الذين أسلموا من الموالى والعجم و تعلموا اللغة العربية ونطقوا بها لم يخل كلامهم من اللهجة ولحن مما بدأ في الظهور في عهد الدولة الأموية متمثلا في اللحن

والعنى وفساد الملكات وظهور الكسنة حتى كان الخلفاء والأمراء يدفعون هذه العدوى بتربية أولادهم في البادية وتثقيفهم على يد الأساندة والمعلمين حتى يتعودوا البلاغة والفصاحة من صغرهم

وكان اللحن عيباً كبيراً وهجئة للرجل ووصمة شديدة

وكان اللحن يقع في محادثتهم وحوارهم ومعتاد كلامهم وقد أصرعوا بوضع

اللحن ثم الشكل ثم الاعجام حفظاً للأسنة من الفساد والملكات من العنى

٢ - واللحن لم يقع في العصر الجاهلي لأن الإعراب جزء من لهجة العربى

الفصيح لا ينفصم عنها .

كما انه لم يقع في عصر النبوة وما بعده من العرب إلا نادراً وذلك لسلامة الملكات وقلة اختلاط العرب بغيرهم وقرب عهدهم بالبدواة . روى أن كاتب أبى موسى الأشعرى كتب عته كتاباً إلى عمر فلحن فأرسل إليه عمر أن قنع كاتبك صوتاً وكان ما لحن فيه قوله في أول الكتاب : « من أبو موسى الأشعرى » . ولحن رجل في مجلس النبي « ص » فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضل .

نعم وقع لحن من الموالى المسلمين في عهد النبوة كما وقع من سليمان الفارسى وكان يرتضخ لكسنة فارسية وبلال وكان يرتضخ لكسنة حبشية وصهيب وكان يرتضخ لكسنة رومية ولكن عذر هؤلاء واضح لأنهم حديثو عهد بالاسلام واللغة وشتان بين هذا وبين ما وقع في العصر الأموى

٣ - ومن اللحنين خالد القسرى وكان متقدماً في الخطابة ومتأهياً في البلاغة

فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة ودعوى المنبر فقال : أطعموني ماء^(١) وكانت أمه نصرانية

ومن اللحنين أيضاً الوليد بن عبد الملك أشفق عليه أبوه فلم يرسله إلى البادية فترى في دمشق وتعلم العربية صناعة فعرض لكلامه اللحن فهو مع بلاغته يقول لأبيه : اقتل ابني فديك ويقول لغلामه : رد الفرسان الصادان وقرأ : يا ليتها

— ٣٣٤ —

كانت القاضية برفع القاضية ، ويقول عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية^(١)

ومن اللحنين أيضاً عبيد الله بن زيادو كانت فيه لكنة لأنه نشأ بالأساور مع أمه مرجانة . قال مرة : افتحوا سيوفكم فقال : يريد بن مفرغ
ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضياع

٤ — ويقول عبد الملك بن مروان : اللحن هجنة على الشريف ، وقال غيره :
تعلموا النحو كما تعلمون السنان والفرائض ، ويقول أيوب السخيتاني : تعلموا
النحو فانه جمال للوضع وتركه هجنة للشريف .
وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي ، وأول لحن سمع بالعراق : سحى
على الفلاح .

وقد وقع اللحن الكثير في هذا العصر يقول رؤبة وأبو عمر بن العلاء إنهما
لم يرنا قزوين أفصح من الحسن البصري والحجاج ، وغلط الحسن في حرفين من
القرآن ، كما نسب للحجاج لحن في بعض المواطن ،

وأما لحن اللحن والكنة كثيرة ، ويقول المبرد في الكنة هي أن تعترض على الكلام
اللغة الأجمعية^(٢) وتكون من العجم ، ومن نشأ من العرب مع العجم كما يقول
الجاحظ^(٣) ، ويقال في لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف
العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول^(٤) ، فهي العجم عن
وضوح اللهجة وصحة مخارج الحروف .

(١) ١٥٤ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ٣٦٩ ج ١ السكامل

(٣) ٦٩ ج ١ البيان

(٤) ٤٨ ج ١ البيان

٥ - وبعد فأنار اختلاط العرب بالعجم والموالي ظهرت في الألسنة في مظاهر كثيرة هي : اللحن والسكنة وضعف الملكة والطبع .

وللاحتراز عنه وضعوا كلاً قلنا النحو والشكل والاعجام .
وكان الخلفاء يكرهون اللحن ويحذرونه للغاية حتى قال عبد الملك بن مروان :
شيئني صعود المنابر والخوف من اللحن .
وضع النحو :

١ - والنحو هو العلم الذي يرشد إلى معرفة حركة آخر الكلمة ، وقد كان ذلك ضرورياً للسان العربي بعد أن دب اللحن إلى الملكات والألسنة ، ولقد كان العرب في جاهليتهم يعتمدون على سليقتهم السليمة وفطرتهم العربية الصادقة ، فلم يقع منهم لحن ، ولكن اختلاط العرب بالعجم والموالي بعد الفتوحات الإسلامية جعل وضع النحو ضرورة لا بد منها للمحافظة على القرآن الكريم ولغته الشريفة .
والناس يختلفون في الداعي الذي حفز القدماء إلى وضع النحو ، وفيمن وضعه اختلافاً كثيراً ، مما سنفصل القول فيه .

٢ - أما سبب وضع النحو ففيه روايات كثيرة :

١ - قيل إن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فردّه إلى زياد وكتب إليه كتاباً يلومه فيه على ذلك فبعث زياد إلى أبي الأسود وطلب منه أن يضع شيئاً يصلح الناس به كلامهم ويعرفون كلام الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود فوجه زياد رجلاً وقال له أقعد في طريق أبي الأسود فاذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعهد اللحن فلما مر أبو الأسود رفع الرجل صوته وقال إن الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له قد أجبتك إلى ما سألت

ب - وقيل إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد وهو والى العراقيين يومئذ فجاءه يوماً وقال له : أصاح الله الأمير إنى أرى العرب قد خالطت الاعاجم

وتغيرت ألسنتهم فتأذّن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : ادع لي أبا الأسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيتك عنه .

ج - وقيل إن ابنة لآبي الأسود تحدثت إليه فقالت : يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها . فقالت إنما أردت أن السماء حسنة فقال لها قولي : ما أحسن السماء ثم غدا على علي رضي الله عنه فحدثه حديث ابنه وقال لي أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الحمراء ، فأملى علي رضي الله عنه بعض قواعد الكلام وقال له انح هذا النحو ، فكان أبو الأسود كلما عتقد فصلا راجعه فيه أمير المؤمنين فأقره أو هذبه

د - وقيل إن أبا الأسود دخل على علي رضي الله عنه فوجد في يده رقعة حمراء فقال له ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : لي تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم ألقى الرقعة إلى أبي الأسود فأنذا فيها : الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى الفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى . ثم قال لآبي الأسود : انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، وأعلم يا أبا الأسود أن الأسماء كلها ثمثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، ولما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك المهمات . قال أبو الأسود ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فلم أذكر لكن فلما عرضتها علي علي عليه السلام أمرني بضم لكن إليها . وكنت كلما وضعت بابا عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال لي ما أحسن هذا النحو الذي سمحت .

وقيل إن أبا الأسود هو الذي ابتكر التقسيم الأول للكلام وأراه عليا عليه السلام فأقره .

ه - ويروي أيضا أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فقال من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل سورة براءة فقال إن الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابي أو قد يرى الله من رسوله أن يكن الله تعالى يرى من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المسلمين إني قدمت المدينة ولا أعلم بالقرآن فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال إن الله يرى من المشركين ورسوله فقلت له أوقد يرى الله تعالى من رسوله ، إن يكن الله تعالى يرى من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر رضى الله عنه ليس هكذا يا أعرابي فقال كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ ممن يرى الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلى أن يضع النحو^(١)

٣ - وأما واضع النحو ، فأغلب الروايات متضافرة على أنه أبو الأسود الدؤلى العالم الخالد المتوفى عام ٦٩ هـ سواء كان هو الذى ابتكره من نفسه أم ، أن الامام على بن أبى طالب أرشده إلى الاساس الذى يبنى عليه ويقول عبد القادر البغدادى : وهو واضع علم النحو بتعليم على رضى الله عنه^(٢)

وكان أبو الأسود غاية فى الذكاء والحدق والعبقرية وكان من سادات التابعين وصاحب على بن أبى طالب وشهد معه صفين ثم أقام فى البصرة واتصل بزياد فكان أثيراً لديه وتوفى عام ٦٩ هـ

٤ وبعد فسواء كان أبو الأسود وضع النحو بنفسه أم أن علياً وضع له الاساس فبنى هو عليه ، فإن لأبى الأسود فضلاً عظيماً خالداً فى هذا المجال ، وكان أبو الأسود يقيم بالبصرة ، فأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم : نصر بن عاصم ، وعبد

(١) نزهة الالباب ص ٧ وما بعدها .

(٢) خزانة الادب ج ١ ص ٢٥٦

الرحمن بن هرمز ، وبجي بن يعمر ، وعيسة الفيل . وميمون الآقرن . وكلهم من البصرة . وعن هذه الطبقة أخذ الخليل ثم سيوبه الذي كان من أساتذته الخليل وعيسى بن عمر والأخفش الأكبر ، ولما كانت نشأة النحو في البصرة على يد أبي الأسود وثلامذته فقد نشأ بصريا ودرس في مساجدها ورجع علماؤه إلى اللهجات العربية حول البصرة ، ولم تنبغ الكوفة في النحو إلا بعد العصر الأموي فظهرت فيه طبقة الكسائي والفراء ويونس من أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء ومعاصريه من البصريين : ويعتمد البعض يون اعتمادا كبيرا على القواعد المستنبطة من القرآن والحديث وفصح الشعر وماخالف ذلك يعتبر ساقطا ، أما الكوفيون فكانوا يدونون كل ماخالف لغة قریش من لغات القبائل الأخرى ويعتبرون ذلك فرعا من اللغة وكانوا يعتبرون ماخالف الفصيح شواذ لا تقبح في الاستعمال

هـ - ومهما يكن من شيء فإن بدء تدوين النحو والكتابة فيه وانتشاره ذهب البصريين النحويين ودراسته إنما كان في عهد بني أمية

وضع الشكل :

ونريد بالشكل : الحركات وهي علامات الضم والفتح والكسر ، والسكون . ولم يكن في اللغة العربية في العصر الجاهلي ولا في صدر الاسلام شكل .

فلما انتشرا الاسلام واتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وخيف على القرآن الكريم واللسان العربي من آثر اللحن وضع النحو ، فكان عملا جليلا من أبي الأسود .

ولكن النحو لم يصد هذا السيل المتدفق وتلك العدوى المفسدة ، لأن فائدته اقتصر على الدارسين والباحثين والمتعلمين فقط ، أما أكثر الناس وجمهورهم فلم يكن يعصمهم من اللحن عاصم واحتيج إلى أمر أكثر من النحو فائدة وأسرع حفظا لاسنة الناس من الخطأ في قراءة القرآن الكريم

لذلك كلف زياد والى البصرة من قبل معاوية أبا الأسود الدؤلي أن يضع طريقة

لأصلاح اللسان لأن الحراء^(١) قد كثرت وأفسدت من ألسنة الغرب، قال زياد
 لأبي الأسود: فلو وضعت لثا شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله
 فقال أبو الأسود أو أزيد على المصحف شيئاً لم يزد الساف !! فقال زياد لقد كتب
 عثمان المصاحف وما كانت مكتوبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
 من شيء تعلمه وفيه صلاح للمسلمين إلا وهو خير كله، أباي أبو الأسود وقال أولى
 بذلك غيري. وأحب زياد أن يحمل أبا الأسود وأن يحفره إلى العمل فأرصد له
 في طريقه من يرفع صوته بالقرآن ويلحن فيه ففعل الرجل وقرأ وأذن من الله
 ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله (بكسر
 اللام) فحزن لذلك أبو الأسود وعاد من فوره إلى زياد وقال له لقد نظرت
 فرأيت أن من الخير أن أجيبك إلى ما تطلب فأبغى كاتباً فأرسل إليه زياد ثلاثين
 كاتباً اختارهم فاختار منهم أبو الأسود أفضلهم وقال له خذ صبغاً أحمر فاذا رأيتني
 فمحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرت فانقط واحدة أسفله وإذا
 وإذا ضمنت فاجعل النقط بين يدي الحرف فاذا أتبعته شيئاً من هذه الحركات غنة
 فانقط نقطتين وأخذ يملئ، والكاتب يكتب وهو يتفقده حتى أتم المصحف

ولم يضع أبو الأسود علامة للسكون مكتفياً بأن إهمال الشكل هو السكون
 وانتشرت طريقة أبي الأسود وزاد فيها الناس علامة للتثنية فوضعوا عليه نقطتين
 واحدة فوق واحدة وزاد أهل المدينة علامة التشديد فجعلوها قوسان ووضعوه فوق
 المشدد المفتوح وتحت المكسور وعن يسار المضموم ووضعوا نقطة الفتحة داخل
 القوس والكسرة تحت حذبه، والضمة على شماله ثم استغنوا عن النقطة وقادوا
 القوس مع الضمة والكسرة وأبقوه على أصله مع الفتحة.

وزاد أهل البصرة السكون فجعلوا السكون جرة أفقيه فوق الحرف منفصلة
 عنه هكذا [—]

ولم تتداول طريقة أبي الأسود إلا في المصحف الشريف ، فلم تتجاوزه إلى غيره ، ثم جاء الخليل بن أحمد في عهد الدولة العباسية فغير صور الشكل وجعله على هيئة قريبة مما هو عليه الآن .

وضع النقط

كانت الحروف العربية خالية من النقط فالضاد والضاد ، والذال والذال ، والراء والراء كل منها تكتب على صورة واحدة من النقط والاعجام

فاحتيج إلى تمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فجعل بعضها منقوطة بنقطة أو نقطتين أو ثلاث والبعض الآخر خاليا من النقط وذلك هو الاعجام ، فهو تمييز الحروف المتشابهة بالنقط منعاً للبس بينها ، والاعجام من أعجمت الحرف إذا أزلت عجمته وبيئته ولهذا تسمى حروف الهجاء العربية حروف المعجم ، وقد يخصص الاعجام بالحرف المنقوطة إذا شاركة في صورته الخطية حرف آخر مهمل فيقال نهاء معجمه وحاء مهملة

واختلف في الزمن الذي وضع فيه الاعجام ، فالبعض يقولون إنه كان في الجاهلية للأدلة الآتية .

- ١ — عثر على كتب قبل زمن عبد الملك بن مروان فيها إعرام بعض الحروف
- ٢ — روى عن ابن عباس أن عامر بن جذرة هو الذي وضع الاعجام
- ٣ — على أنه لا يعقل أن تبقى الحروف العربية على صورة التباسها هذا إلى عهد بني أمية فإن ذلك يؤدي إلى الفساد واللبس في الكلام ويقول آخرون إنه وضع في عهد معاوية

ويقول سواهم إنه وضع في عهد عبد الملك بن مروان ، ويروى أن الذي وضع الاعجام نصر بن عاصم وتبعه غيره فاتهم وانتشر بأمر الحجاج قبل أزجج الحجاج ما كان يحدث من لبس في تمييز حروف القرآن (١)

(١) كانوا يقرأون « ختار كفور » ، « جبار كفور » ، « يحرفون أشاء » إلى أساء ، وعزة إلى غرة ، و « إياه » فيجعلونها أباه =

- ٣٤١ -

ففرع إلى كتابه ليضعوا علامات تميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وذلك
لذلك نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تليدنى أبى الأسود ، فنقطوا المصحف بصيغ
من لون المداد الذى استعمل فى كتابة المصحف ، أما نقط الشكل فبقيت بالمداد
الاحمر كما صنع أبو الأسود الدؤلى رحمه الله
ويقال إن النقط كان موجودا من قديم ولكن الناس أهملوه فظهر التصحيف
فى القرآن حتى فزع الحجاج إلى نصر بن عاصم فوضع الاعجام

بدء تدوين العلوم

تمهيد :

١ - فى العصر الجاهلى لم تدون علوم ولا ثقافات لامية العرب وبدأوثهم
وبعدهم عن الحضارة والعلوم والمعرفة
وفى عصر صدر الاسلام جمع القرآن الكريم أول مرة فى عهد أبى بكر ،
فكان أول كتاب يكتب فى تاريخ العرب ، وشغلهم الفتوحات وحرصهم على
المحافظة على القرآن الكريم ودفع اللبس عنه عن التدوين كما صرفهم عنه قرب
عهدهم من البداوة
فلما جاء العصر الاموى دعا المسلمين إلى تدوين العلوم دواع كثيرة وساعدهم
على ذلك :
١ - بدء محضرهم والحضارة تستلزم العلم دائما

== وفى ابن خلكان :

ففرع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات
تميزها بعضها عن بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا
وأزواجا وخالف بين أماكنها فعبّر الناس بذلك أزمانا لا يكتبون
إلا منقوطة ،

٢ — قريهم من الأمم المتحضرة ذات الثقافات القديمة كالفرس والروم
ووصول بعض آثار حكمتهم وفلسفتهم وتاريخهم إلى المسلمين مسكتوبة
٣ — وجود عناصر كثيرة — تعرف نظام التدوين — داخل الدولة
الإسلامية ، كالسريان والفرس وسواهما من العناصر الرومانية والأغريقية

٤ — انتشار الكتابة بينهم

وكان من أهم الأسباب في تدوين العلوم المختلفة مايلي :

١ — حاجتهم إلى حفظ الشريعة وكتابتها وعلومها
٢ — حاجتهم إلى المعارف القديمة سواء في الطب أم في الفلك أم في غير
ذلك من ألوان المعرفة

٣ — حاجتهم إلى العلوم المختلفة في حفظ نظام الملك وسياسته ، ولرغبتهم في
الوصول بدولتهم إلى حد بعيد ، من الحضارة والرقى والثقافة ، يحفزهم على ذلك
القرآن الكريم ودينهم المجيد

ب . وكانت مراكز الثقافة الإسلامية في هذا العصر كثيرة وأهمها المدينة
ومكة والبصرة والكوفة ودمشق والقسطنطينية

وكان بظاهر الكوفة والكوفة د الكوفة ، وبظاهر البصرة والمدينة ، وهما سوقان
أديان وعليان رائجان ، وكان المريد مآلف الإشراف (١) وستنكلم عليه
بعد قليل

العلوم المدونة في العصر الأموي :

سنحدثك عن أهم ما دون في العصر الأموي من العلوم وهي :

١ — التفسير ، وقد رويت فيه روايات كثيرة عن رسول الله والصحابة

(١) ٢١٠ / العقد وروى عن الجارود قال : عليكم بالمرید فانه يطرد
الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ريبه مة ومضر [٢٢٣ / ١ البيان
والتبيين للجاحظ]

رضوان الله عليه وكانوا يتناقلون ذلك ، وأول تفسير دون هو تفسير ابن عباس
رحمه الله المتوفى عام ٦٨ هـ في الطائف وطبع في مصر في المطبعة الأميرية عام ١٢٩٠
في سفر واحد ، وهو مجموع روايات دونها ابن عباس

ويتصل بالتفسير قراءات القرآن وقد كثرت العناية بها في العصر الأموي الذي
عاش فيه كثير من القراء كابن كثير م ١٢٠ هـ وعاصم م ١٢٨ هـ ويزيد
ابن القعقاع م ١٢٢ هـ .

هذا وللشيعة تفسير قديم ينسبونه إلى محمد الباقر بن علي بن الحسين ، ويقال إن
أول من دونه في التفسير مجاهد م ١٠٤ هـ وهو غير موجود .

ولم ينضج هذا العلم إلا في العصر العباسي .

٢ - الحديث : لم تكن تدون أحاديث رسول الله في عهده ولا في
عهد أصحابه .

فلما كثرت الفتوحات والحروب الإسلامية وكثرت الثورات والأحزاب
السياسية والفرق الدينية ووضع بعض الناس أحاديث على رسول الله ويقال
إن المهلب بن أبي صفرة كان يضع الأحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف
أمر الخوارج (١) .

أخذ المسلمون في التمييز بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، واشتهر من
المحدثين في عصر بني أمية : عاصم بن سليمان م ١٤٩ بالكوفة ، وخالد الحذاء مولى
قريش المتوفى عام ١٤١ هـ ، وشعبة بن الحجاج م ١٦١ ، وسواهم .

وأمر عمر بن عبد العزيز — بعد أن استخار الله أربعين يوماً — ابن شهاب
الزهرى أو ابن جريج أو أبا بكر بن حزم بجمع الحديث وتدينه ، فتم ذلك وبعث
بنسخ منها إلى الأمصار .

(١) ابن خلكان ١٤٦/٢ .

٣ — النحر وقد سبق ذكر أمر وضعه وتدوينه وقد وضع الحضرمي كتابا في الهمز .

٤ — الشعر الجاهلي ، أخذ الرواة والمؤدبون في رواية الشعر الجاهلي وتدوين آثار منه ويقال إن أول من جمعه حماد الراوية ، ثم ألف فيه بعد ذلك المفضل كتابه « المفضليات » .

٥ — التاريخ ويقال إن معاوية استكتب رجلا من أهل اليمن اسمه عبيد ابن شربة الجرهمي ، بعض أخبار الأوائل فكتبها له . فكان هذا أول كتاب دون في التاريخ . وعنى الأمويون كذلك بعلم الأنساب .

٦ — الفقه وقد اشتغل به في العصر الأموي جلة الصحابة والتابعين ، ويقال إن زيد بن علي بن الحسين ألقى كتابا في الفقه وأنه أقدم كتاب في هذا العلم في الاسلام .

٧ — أما أصول الدين فيقال إن واصل بن عطاء ألف كتابا في المرجئة وآخر في التوبة وآخر في معاني القرآن

٨ — وألف يونس بن حبيب كتابا في الأغاني دون فيها أصول الألحان عن معبد وابن سريج .

٩ — وترجموا في الطب والكيمياء ، فقد رأى عبد الملك بن مروان وهو أعلم الأمويين بالأدب وأفقههم في الدين أوراكا في الكيمياء نقلها خالد بن يزيد فقال له أف لك أنسب الملوك وهمة الموالى ؟ وكان خالد قد عنى بالكيمياء والطب وقيل أنه درس كتبهما عن رجل من السريان يدعى مريانوس وأنه أمر اسطفان القديم بترجمة هذه الكتب إلى العربية .

وبعد فلم تكن العلوم المدونة في هذا العصر إلا بمجموعة روايات لا أثر للتحقيق والدرس والبحث فيها ، ولكن لاضير من ذلك ، فقد كانت النواة الأولى لتدوين العلوم في الاسلام .

وعلى الجملة ، فقد كان العرب ينظرون إلى تدوين العلوم نظرهم إلى صناعة الحضر والموالى الصغيرة التي لا يصح لهم أن يحترفوها ، ويأفون من الاشتغال بالكتب والأخذ بالتأليف والتدوين لأنه صناعة المراتل في أيامهم .

أشهر مجامع العلم والأدب :

١ - كانت أهم مجامع العلم والثقافة في الدولة الأموية هي : المدينة ومكة والبصرة والكوفة والفسطاط ودمشق .

أما المدينة فهي البلد الحرام وموطن رسول الله ومكان نشأته ومقر القرشين وأبنائهم ، ولقد كانت في العصر الأموي حافلة بالعلماء كمعاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وسفيان بن عيينة الذي أخذ عنه الشافعي قبل أن يتحول إلى المدينة . وكانت من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية منذ الهجرة ، فقد هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وعلم بها أكثر تعاليم الإسلام ، وكانت مقام كثير من الصحابة الذين تلقوا عن النبي وزوا أحاديثه ، وكان بها كثير من الموالى الذين أتى بهم أسرى من الممالك المفتوحة وأسلموا وتلقوا العلم من الصحابة ، وقد اشتهرت المدينة بالعلوم الدينية من تفسير القرآن ومدارس الحديث واستنباط الأحكام منها ، واشتهر من علمائها زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب من الصحابة ، ثم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام من التابعين ، ومن بعدهم كان الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور .

ولم تقتصر المدينة على الشهرة في المسائل الدينية بل نبغ فيها كثير من رجال التاريخ كمحمد بن اسحاق والواقدي ، وهما يعدان من أشهر المصادر الأولى للسير والمغازي . وقد ساعد المدينة على بلوغها هذه المازلة أنها كانت مقر الخلافة في عهد الراشدين وجمتمع الموالى الذين سبوا من مختلف البلاد الإسلامية وأغلبهم من عناصر متحضرة .

وأما البصرة والكوفة : فهما أشهر مدن العراق ، والعراق قطر شهر من قديم بالحضارة تداولت عليه أم كثيرة متمدنة وتركت فيه آثارها العلمية والفنية

وهو إلى ذلك قطر غنى خصب كثرت مياهه وخيراته ؛ وقد أسست هاتان المدينتان في عهد عمر بن الخطاب ونزل بهما كثير من الصحابة ، واختلط فيها العرب بالموالي بالتزواج والسكنى ، وأصبحتا بعد قليل من أكبر مراكز الحياة العلمية ؛ فكان في الكوفة عبد الله بن مسعود من الصحابة ، وشريح والشعبي وسعيد بن جبير من التابعين ، ثم أبو حنيفة النعمان إمام المذهب المنسوب إليه ، واشتهر من علماء البصرة أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك من الصحابة ، ثم الحسن البصري وابن سيرين من التابعين ، واشتهرت هاتان المدينتان أيضاً بالنبوغ في علوم النحو واللغة ، وتفوقت البصرة في ذلك فكان من علمائها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، والأصمعي ، واشتهر من الكوفيين الكسائي ، وكان بين المدينتين تنافس في اللغة والأدب والصرف وعلم الكلام ، ولكل علماء يتعصبون لمذهبهم وينصرونه بحججهم ، وكان الكوفيون ، على الجملة ، أكثر استعمالاً للقياس ، والبصريون أكثر إيثارة للسمع .

وأما الفسطاط : فكانت في مقدمة المدن الإسلامية التي أزهرت فيها علوم العرب الدينية واللغوية ، وأول من اشتهر بها من العلماء عبد الله بن عمرو بن العاص أحد كبار الصحابة ، ثم عبد الله بن طيبة وهو من أكبر المصادر الذين يروى عنهم كثير من الأحداث التاريخية في فتح العرب لمصر ، ثم الليث بن سعد أحد الأئمة الذين يقرنون بمالك وأبي حنيفة لولا أن تلاميذه أضاعوا مذهبه ، ثم نزل بها الإمام الشافعي ودرس فيها ووضع مذهبه الجديد . هذا وقد وفد على الفسطاط من الشعراء : جميل وكثير ونصيب وسواهم من الشعراء .

وأما دمشق فهي عاصمة الأمويين ومنازة العلم والثقافة ومقصد الناس من كل حذب وصب ، وبها كثير من العلماء والأدباء والشعراء فوق من كانوا يقدون إليها من كل صوب رغبة في الثقافة أو حرصاً على مال الخلفاء والأمراء

وكان في الشام. معاذ وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي ورجاء بن حيوة وسوامم .

وقد امتازت العراق بنشاط الأحزاب السياسية فيه وكثرة الفرق الديلية الناشئة .

واشتهرت مجامع العراق بتبريزها في علوم اللغة وذلك :

١ — لشدة الاحتياج إليها في العراق لفساد المملكات فيه بالاختلاط وكثرة عناصر الموالى بين ربوعه .

٢ — ولأنه موطن السريانية وكان للسريان قواعد منظمة في اللغة والنحو . وكان بين البصرة والكوفة منافسة شديدة في الأدب والعلم ، ولكن شهرة البصرة كانت باللغة وعلومها من نحو وغيره وذلك لتبحرها في العمران ولقرنها من البادية التي عرف أهلها بالفصاحة وصندوق اللهجة أما الكوفة فقد ذهبت شهرتها بعلوم الشعر وروايته .

وكانت مجامع المدينة أرق المجامع وأحفلها بالترف والغناء واللهو .
ب — وأما مجامع الأدب فكانت هي مجالس الخلفاء والأمراء والشعراء والآدباء ، واشتهر من بين ذلك كناسة الكوفة ومربد البصرة خاصة ، وسنحدثك عن مربد البصرة .

مربد البصرة :

ولمربد (١) البصرة أثر غير قليل في اللغة والأدب والشعر في العصر الأموي ولا بأس بالأطالة في حديثه .

(١) هو على وزن منبر .

هو ضاحية من ضواحي البصرة ، في الجهة الغربية منها بميل البادية ، بينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال . كان سوقا للابل ، قال الاصمعي : « المربد كل شيء حبست به الابل والغنم ... وبه سميت مربد البصرة ، وإنما كان موضع سوق الابل وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها . ويظهر أنه نشأ سوقا للابل ، أنشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل أن يدخلوا الحضر او يخرجوا منه .

وفي اللسان - في مادة ب ص ر - وقال ابن شميل : البصرة ارض كأنها جبل من جص وهي التي بنيت بالمربد وإنما سميت البصرة بصرة بها ، فكان المربد كان موجودا في الجاهلية

ولكن أخباره في الجاهلية معدومة مما يدل على قلة خطره إذ ذاك ، إنما كان له الخطر بعد أن فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة ، فقد أنشئت فيه المساكن بعد أن كان مربداً للابل فقط . وأتت العمارة بينه وبين البصرة حتى قالوا فيه : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وقد كان المربد في الاسلام كما يقول أحمد أمين صورة معدلة لعكاظ ، كان سوقا للتجارة ، وكان سوقا للدعوات السياسية . وكان سوقا للأدب - جاء في كتاب « ما يعول عليه » : المربد كل موضع حبست فيه الابل ... ومنه سمي مربد البصرة لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه - كان يجتمع العرب من الأقطار ، يتناشدون فيه الأشعار : ويبيعون ويشترون وهو « كسوق عكاظ » . وقال المصنف : « مربد البصرة ... محلة عظيمة فيها (أى في البصرة) من جهة البرية في ، كان يجتمع العرب فيها من الأقطار ويتناشدو الأشعار ويبيعون ويشترون »

كانت أهم أخبار المربد ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سيرة عائشة أم المؤمنين الى البصرة ، فانها نزلت بغناء البصرة ورأت أن تبقى خارجها حتى ترسل الى أهلها تدعوهم بدعوتها ؛ وهي المطالبة بدم عثمان وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت الى المربد معهما وخرج اليها من قبل دعوتها ، وخرج الى المربد كذلك عامل على البصرة ، وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يموج بمن أتى

الحجاز ومن خرج من البصرة ، حتى ضاق المربد بمن فيه ، ورأينا المربد بجالا للخطباء من يؤيد عائشة ومن معها ، ومن يؤيد عليا وعامله . أصحاب عائشة في ميمنة المربد وأصحاب علي في ميسرته : ويخطب في المربد طلحة ويمدح عثمان بن عفان ويعظم ماجنى عليه ويدعو الى الطلب بدمه ، ويخطب الزبير كذلك وتخطب عائشة أم المؤمنين بصوتها الجمهوري ويؤيدهم من في ميمنة المربد ، ويقولون صدقوا وبروا وقالوا الحق وأمروا بالحق ، ويؤثر قول عائشة في أهل الميسرة فينحاز بعضهم اليها ويبقى الآخرون على رأيهم وعلى رأسهم عثمان بن حنيف ، ويخطبون كذلك يبينون خطأ هذه الدعوة وأن طلحة والزبير بابعا عليا فلا حق لهما في الخروج عليه ، ويؤيدهم أبو الاسود الدؤلى وأمثاله وهكذا انتقل المربد الى مجمع حافل ، كبير

وكان العصر الاموى ازهى عصور المربد ، ذلك لأن العرب كانوا قد هدموا من الفتح واستقرت الممالك في ايديهم ، واصبح العراق مقصد العرب يؤمه من اراد الغنى وخاصة البصرة جاء في الطبرى : ان عمر بن الخطاب سأل أنس بن حجة ركان رسولا الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين ؟ فقال اثالث عليهم الدنيا فهم يميلون الذهب والفضة ، فرغب الناس في البصرة فأثروها ، وكان المربد باب البصرة يمر به من أرادها من البادية . ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ، ويقطنه قوم من العرب كرهوا معيشة المدن ويقصدوه سكان البصرة يستشقون منه هواء البادية ، فكان ملتقى العرب ، وكانوا يحبون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالأنساب وتعظيم بالكرم والشجاعة ، وذكر لما كان بين القبائل من أحن ، فالفرزدق يقف في المربد ينهب أمواله ففعل كرماء الجاهلية وحكى في النفااض أن زياد بن أبى سفيان كان ينهى أن ينهب أحدا مال نفسه ، وأن الفرزدق أنهب أمواله بالمربد ، وذلك أن أباه بعث معه ابلا لبيعها فباعها وأخذ ثمنها فعمد عليه مطرف خز كان عليه ، فقال قائل لشدة ما عقدت على دراهمك هذه ، أما والله لو كان غالب ما فعل هذا الفعل لخلها ثم أنهبها . وقال من أخذ شيئا ففعله وبلغ ذلك زيادا فبالغ في طلبه فهرب ... فلم يزل في هربه يطوف في القبائل والبلاد حتى مات زهاد .

وأراد عرب البصرة أن يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم في سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم ، وأحيوا العصبية الجاهلية ، وساعد الخلفاء الأمويين أنفسهم على إحيائها لما كانوا يستفيدون منها سياسيا ، فرأينا ظل ذلك في الأدب والشعر ، ورأينا المربد في العصر الأموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ، ويعلى كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ، ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف المربد أجل شعر أموى من هذا النوع ، فكثير من نقائض جرير والفرزدق والأخطل كانت أثرا من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة ، يروى الأغاني أن جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباسا خاصا ويخرج الى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون إلى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه . قال أبو عبيدة : « وقف جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما ، وركب فرسا أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب رشي وسوارا وقام في مقبرة بنى حصن ينشد بجرير والناس يسعون فيما بينهما بأشعارهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

عجبت لرأى الضمأن في حطمية وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله
ولما بلغ جرير أن الفرزدق في ثياب وشى قال :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجسلا جله^(١)
وما زالا كذلك يتهاجيا ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى طبع والى البصرة فهدم منازلها بالمربد فقال جرير :

فيا في كتاب الله تهديم دارنا بهتديم ماخور خبيث مداخله

وكان لسلك شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس
يسمعون منه ، جاء في الأغاني ، وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة
بأعلى المربد بالبصرة .

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس
فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ
ويهمهم بالشعر وهجاء الفرزدق والراعى ، فما زال كذلك حتى كان السحر وقد
قالها ثمانين بيتا فى بنى نمير فلما ختمها بقوله :

ففض الطرف لك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
كبر ثم أصبح حتى عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد - وكان
يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دماهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا
وقصد مجلسهم وأنشدها ففسكس الفرزدق وراعى الابل .

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والاخلط طائفة أخرى
من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فاهيجاج الراجز يخرج الى
المربد عليه جبة خرو وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس
مجتمعين ، يقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الآله لجبر ،

ويهجو شاعر ربيعة فبات رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد
عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ما ذكر ،

ورؤية الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الاعماق حاوى المحترق ،

ويجمع حوله فتیان تميم فيرد عليه أبو النجم فى رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتني ،

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمة
ما تنادى نار ، وينشد دموعه تجرى على لحيته .

« ما بال عينك منها الماء ينسكب ،

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويستخف بعض تشديدهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط .
والأمراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقديهيون بعضهم على بعض خدمة لأغراض حزبية أو سياسية فغبد الملك بن مروان أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق وعباد بن حصين . ويعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح .

وهكذا كان المربد في العهد الأموي معبدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكان هذا الشعر امتدادا للشعر الجاهلي . لاتحاد الأسباب والبواعث فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن أبي ربيعة وأمثلة فليس له كبير أثر في المربد لأنه فوق والمهاجرة . فليس بحاله حياة المربد التي وصفناها .

وبقي المربد في العصر العباسي . ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذي كان يؤدي في العهد الأموي . ذلك أن العصية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجرة الفرس للعرب . وأحسن العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم أمة لافرق بين عدنانهم وقحطانهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحبون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والأمراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم تراحم الأدب والشعر ، وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لقبهم ، فتحول المربد يؤدي غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة . كما يقول أحمد أمين

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لالتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد المسكوة العربية ، يحتذونهم ويسيروا على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون ما يسمعون ، روى القالي في الامالي عن الاصمعي ، قال : « جئت الى أبي عمرو

ابن العلاء فقال لي من أين أقبلت يا أصمعي ؟ قال جئت من المربد ، قال هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحى ، فرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو في الدرجة وقال : شمرت في الغريب - أى غلبتني .

والنحوين يخرجون إلى المربد يستمعون من أهله ما يهيج قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد اشتهد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفي تراجم النحاة تجد كثيراً منهم كان يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الأدباء إلى المربد يأخذون الأدب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، يقول ياقوت : أن الجاحظ أخذ النحو عن الاخفش وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفهاها بالمربد (٦/٥٦ ياقوت) وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها في العصر العباسي عن برنامجها في العهد الأموي وأدت رسالة في هذا العصر تخالف رسالتها في العصر السابق .

وفي ثورات الزنج التي ظهرت في فرات البصرة والتي بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد

ويقول ياقوت : إن المربد كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها

الناس وهو الآن : باثن عن البصرة ، بينها نحو ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب ، فصار المربد كالبدة المفردة في وسط البرية .

ثم عفا أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكراً ذا قيمة ، وأخنى عليه الذى أخنى علي عكاظ ، كما يقول الأستاذ أحمد أمين

عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب

ولقد اشتدت في هذا العصر عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب وتجلت في مظاهر شتى .

١ - إحياء الأدب الجاهلي . إحياء للعصبية وبعثاها أو بدافع منها ، وإبراء لغاتهم الأدبية . وبذل الأموال لعلماء اللغة والأدب في سبيل ذلك

٢ - عقد المجالس الأدبية الدائمة التي تمس الأدب والشعر والنقد ، ويكون خط كل ذلك من رعايتهم موفورا .

٤ - كما بذلوا الكثير من عنايتهم في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية .

٥ - اتخاذ الخليفة شاعرا له يقر به منه ويصطفيه .

٦ - رعاية الكتابة واتخاذ أعلامها كتابا في ديوان رسائل الخلفاء .

٧ - تسامحهم مع الشعراء وإطلاق الحرية لهم .

٨ - تشجيع الشعراء ورعايتهم ، جلبا لمديحهم ، ونشرا لمناقبهم ، وتوطيدا لملكهم وإحياء لمفاخرهم ومآثر آبائهم .

٩ - إغداق العطاء على الشعراء دون حساب

فقد أعطى عبد الملك اعرابيا وصف ناقته مائة بعير وأعطى آخر وصف المطر ألف درهم وأعطى الوليد بن عبد الملك امرأة وصفت الغيم بعد المحل مائة دينار ، وأعطى سليمان فرسه ومحملة ويتجمل به لرجله أحسن وصف الفرس وأشباه ذلك كثير .

وكان للشعراء النصيب الأوفى من عناية هؤلاء الخلفاء لأنهم كانوا أشد الناس إذكاء للعصبية وتأليفا لقلوب العرب وسيوفهم على نصرة بني أمية فكان لهم إعطيات في بيت المال كل حسب طبقة ومنزلته وأثره في مدح الدولة والذود عنها . كل ذلك بينما شعراء بني هاشم وشيعتهم يستلمون وحي الشعر من حب أبناء الرسول صلى

الله عليه وسلم أكثر مما كانوا يستمدونه من أموالهم وأفعالهم ومن هذين المديدين :
المال والمودة ازدهر هذا العهد بالشعر أكثر مما ازدهر به أى عهد سواه
كان خلفاء بنى أمية يذكرون العصية الدرية بكل مالديهم من قوة ومال
وكان من أكثر وسائل الإذكاء أحياء ما خلفه العرب من شعر وحكمة وخطب
وكان أكثر هؤلاء الخلفاء من أقطاب العلم والأدب فكانوا يستقبلون فى كل آونة
رؤساء العشائر وخطباءها وشعراءها ومن إلى هؤلاء ممن يؤيدون بهم الملك ،
ويؤازرون بهم الجماعة ، ويشيدون بهم الأعضاء وكانوا يستمعون لما يلقى هؤلاء
وما ينقلونه من أسلافهم من مآثور القول ، ويناديون عليه ثوابا كريما .
كما كان من الأمراء والرؤساء والقادة والولاة من كانوا يغالون فى هبات
الشعراء والخطباء إلى أبعد حد عرف من كرم العطاء .

ومن هؤلاء عبيد الله بن العباس ، وعرابة الأوسى وطالحة الخزاعى ، والحجاج
الثقفى ، وخالد القسرى ، والمهلب بن أبى صفرة الأزدي . وسواهم
ولا بدع فى ذلك فهم عرب يهزم البيان وتسحرهم البلاغة ، ومنهم من كان
يتذوق الشعر ويفهمه وينقده كعبد الملك بن مروان ، فوق البراءة السياسية
والاجتماعية والدينية ، التى كانت تدعوهم الى العناية بالأدب والشعر واللغة
وقد كان الخلفاء والأمراء يغيرهم يحثون الناس على طلب الأدب
والشعر واللغة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم إن احتجتم إليه
كان لكم مالا وإن استغثتم عنه كان لكم جمالا وقال شبيب بن شيبة : اطلبوا
الأدب فإنه مادة العقل ودليل عن المروءة . وقل معاوية . اجعلوا الشعر أكبر
همكم وأكثر آدابكم ٤١ / ٢ وفيان الأعيان
نماذج لعنايتهم فى الأدب .

١ — قال هشام بن عبد الملك لشعبة بن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل
وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قدمزقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغروا بين عشائرتهم فى غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر ؟

فقاله شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ،
وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرنا أنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندى غير ما قلت !

فقال لخالد (١) بن صفوان : صفهم لنا يا بن الأهم ، فقال : أما أعظمهم
نغراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم
علماً ، الطامى (٢) إذا زخر ، والحامى إذا زار ، والسامى إذا خطر ، الذى إن
هدر (٣) قال وإن خطر صال : الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً الذى إن هجا وضع (٤) ،
وإن مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأدبتهم لعدوه سترأ ، الأغر الأبلق ،
الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، لجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع
العماد ، وارى الزناد .

فقال له رسالة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطقاً ، وأعفهم مقالاً ،
وأكرمهم فعلاً .

فقال خالد : أتم الله عليكم نعمه ؛ وأجرل لديكم قسمه (٥) ، وآنس بكم

٥ الأغاني ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان

يجالس هشام بن عبد الملك ولكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ

(٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملا النهر ، وزخر البحر : امتلاء

(٣) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرتة ، وهدر الحمام : كثر صوته

(٤) خفض

(٥) القسم : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم

الغربة ، وفرج بكم الكربة . وأنت ، والله - ما علمت أيها الأمير - كريم
الغراس ، عالم بالناس ، جواد في المحل ، بسام عند البذل ، حلیم عند الطيش ، في
ذروة (١) قریش ولباب (٢) عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت ككتخالصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم
حتى أرضيتهم جميعاً وسألت منهم !

٢ - وقحطت (٣) البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء
القبائل ، فجالس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع
عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ووقعت عين
هشام على درواس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل
حتى الصبيان !

فعلم درواس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يخل بك شيئاً
ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ،
والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشروا أبا لك !
وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، سنة أذابت الشجر ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة
نفت (٤) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال : إن كانت لله فقر قوها على عباده
المستحقين لها : وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها
عليهم ، فإن الله يحوزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأعلم يا أمير
المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في
باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) ذروة : أعلى (٢) لباب : خلاصة .

(٣) لباب الآداب ص ٣٥٣

(٤) النقي : مخ العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخراج نقيه .

أردها إلى أطيبة أهل باديتي ، فأتى أكره أن يجر ما أمر لهم به أمير المؤمنين
عن كفايتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين ١١

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع (١)

٣ - وسأل (٢) يوماً عبد الملك (٣) بن مروان : من أشجع الناس شعراً ؟ فقيل :
عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ا وهو الذي يقول :

جاشت (٤) إلى النفس أول مرة . فردت على مكروها فاستقرت
قالوا : فعمرو بن الاطابة . فقال : كيف ا وهو الذي يقول :
وقولي كلما جشأت (٥) رجاشت مكانك تجمدى أو تستريحي
قالوا : فعامر بن الطفيل . قال كيف ا وهو الذي يقول :

أقول لنفسي لا يجاد بمنلها أقلى مراحاً إنني غير مدبر
قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس
السلبي ، وقيس بن الخطيم الأوسي ، وعنترة بن شداد العبسي ، ورجل من بني
مزيعة ، أما عباس فلقوله :

أشد على السكتية لا أبالي أفيها كان حتى أم سواها

(١) جمع صنيعة ، وهي المعروف والاحسان .

(٢) مجمع الأمثال ص ٢٢ ج ٢

(٣) كان عبد الملك بن مروان ليبيّاً عاقلاً جباراً ، قوى الهيبة ، شديد السياسة
حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه
مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ومات سنة ٨٦ هـ

(٤) جاشت النفس : اضطربت من الفزع وأصل جاشت : غشت وفاضت

(٥) ارتفعت ، من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :
ولاني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بقاءها
وأما عنتر بن شداد فلقوله :
لذا تنهون بي الإسنه لم أخم^(١) عنها ولكن قد تضايق مقدي^(٢)
وأما المزني فلقوله :
دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طاب الورود
٤ — وحدث أحد الرواة فقال^(٣) :

دخل علينا كثير^(٤) يوماً وقد أخذ بطرف ريطته^(٥) ، وألقى طرفها الآخر
وهو يقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :
وخبرننماني أن تيماء^(٦) منزل ليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذه شهر الصيف غنى قد انقضت فما لاوى ترمى بليلى المراميا ؟
ويجر ريطته حتى يبلغ إلينا ، ثم يولى عنا ويجرها ويقول : هو والله أشعر
الناس حيث يقول :
وأنت التي إن شئت كدرت عيشي وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التي مامن صديق ولا عدأ يرى نضوما أبقيت إلا رثي ليا
ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ، فقلنا : من تعنى يا أبا صخر ؟
فقال : ومن أعنى سوى جميل ! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا .

-
- (١) أخم : أجبن
(٢) تضايق مقدي : تضايق الموضع الذي هو قدامي من أن يدنوه أحد .
(٣) الأغاني ص ١٢٥ ج ٨
(٤) كثير بن عبد الرحمن شاعر من أهل الحجاز ، أخبره مع عزة كثيرة ،
توفي سنة ١٠٥ هـ
(٥) الریطه : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة .
(٦) تيماء : منزل لبني عذرة .

هـ - وقال^(١) عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لي إلا مناقلة^(٢) الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبي^(٣) ، فابعث به إلى يحدثنى .

فدعا الحجاج بالشعبي وجمهره ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .
فخرج الشعبي ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حياك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال : أدخل .

قال الشعبي : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي ، وبين يديه رجل أبيض الرأس والحية على كرسي ، أسلمت فرد السلام ، ثم أومأ لي ، فقمعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ! فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حال ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل أشعر منك الذي يقول^(٤) :

هذا غلام حسن وجهه مقتبل الخير سريع التماس
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث خير الأنام
ثم لمجد ولحد ، فقد أسرع في الخيرات منه إمام

(١) أمالي المرتضى ص ١٠٩ ج ٣ ، خزانه الأدب ص ١١٨ ج ٢ ، الأغاني

ص ١٦٢ ج ٩

(٢) المناقلة في المنطق : أن تحدثه ويحدثك

(٣) هو عامر بن شراحيل كوفي المنشأ ، تابعي جليل القدر وافر العلم ، يقال أنه أدرك خمسمائة من الصحابة توفي سنة ١٠٣ هـ

(٤) قال النابغة - ذا الشعر حين نظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ابن أبي شمر (مذهب الأغاني ص ٢٣٠ ج ٢) .

خمسة آباء هم ما هم هم خير من شرب حروب الغمام
فقال عبد الملك : رددما على ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الأخطل : من
هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله الذابغة
أشعر مني !

قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير -
لا زلت به - ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع
عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : مه ! فانا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى
تفارقنا ، ثم أقبل على فقال : ما تقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله
عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ؛ وذلك أنه خرج يوماً وبياحه
وفد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للرم مذهب
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمسئق أخا لا تلمسه على شعبي ، أي الرجال المهذب !
قالوا : النابغة ، قال ، فأيكم الذي يقول :

فأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع
خطاطيف الحجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع
قالوا : النابغة ، قال : أيكم الذي يقول

إلى ابن محرق أعملت نفسي وراحلي وقد هدت العيون
أنتك عارياً خلقت ثيابي على خوف تظن في الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة والحجن . الاعوجاج (اللسان)

(مادة خطف)

قالوا : النابغة ، قال . هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أنجب أن لك قياضاً ^(١) بشعرك شعر أحد من الغرب ، أو تحب أنك قلته فقال . لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أبياناً قالها رجل منا ، كان والله مغدف ^(٢) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده .

إننا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن هليت وإن طالت ^(٣) بك الطول
ليس الجديدي به تبقى بشاشته إلا قليلاً ولا ذو خلة يضل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تفتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولا م الخطى الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
قال الشعبي : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال . وما قال ؟ قلت : قال .

طرفت جنوب رجالنا من مطرق ما كنت أحسبه قريب المعنق
حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : شككت القطامي أمه ، وهذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت . اقولها :

وقائلة والنعمش قد فات خطـوها لتدركه يالهف نفسه على صخر
ألا شككت أم الذين غدوا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر ؟
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليل الأخيلية حيث تقول :
مهفف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل مخترق
لا يأمن الناس بمساء ومصبحه في كل حى وإن لم يغز ينتظر
ثم قال عبد الملك : يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أى والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة . إنى قد حدثتك فلم أفدك إلا أبيات النابغة فى الغلام .

(١) المقايضة . المبادلة والمعارضة

(٢) أغدف قناعه : أرسله على وجهه

(٣) يقال . طال طولك ، أى عمرك .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ! إنما أعلنك هذا ، لأنه بلغني أن أهل العراق يتطلعون على أهل الشام ويقولون . إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد على أبيات ليلى حتى حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنت أول داخل وآخر خارج .

٦٠ — وقال * الشعبي . دخلت على عبد الملك بن مروان في علقته التي مات فيها فقلت : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبي ! أصبحت كما قال عمرو بن قتيبة (١) :

كأنني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عني عنان (٢) لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بهن يرمى وليس برام
فلو أنني أرمى بنسب رميتها ولكنني أرمى بنسب سهام
وأهلكتني تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذلك وعام
على الراحتين تارة وعلى العصا أنه ثلاثاً بعدهن قيامي
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ
سبعين حجة :

كأنني — وقد جاوزت سبعين حجة — خلعت بها عن منكبتي رداً
فلمسا بلغ سبعا وسبعين قال :
بانت تشسكي إلى النفس مجشدة (٣) وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

* الأغانى ص ١٥٩ ج ١٦ ، مذهب الأغانى ص ٦٢ ج ٢ ، العقد الفريد
ص ١٤٨ ج ١ طبعة المطبعة الأميرية .
(١) في العقد الفريد « زهير » .
(٢) عنان اللجام . السير الذي يشد به
(٣) الجش والاجشاش : أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك
كأنه يريد البكاء .

فان تزدى ثلاثا تباغى أملا وفي التـ لاث وفاء للثمانيا
فلمسا بلغ مائة سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف ليبد ؟
فلمسا بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت أدب كاتني كلما قمت راكم
فلمسا بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرته الوفاة قال .

تمنى ابتئاني أن يعيش أبوهمسا وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فان حان يوما أن يموت أبوكا فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا الشعر
وقولا . هو المرء الذي لا صديقه أضع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم أسم السلام عليكما ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر^(١)

قال الشعبي . فتبسم عبد الملك وقال . لقد قويبت من نفسي بقولك يا عامر ، وإني
لأجد خفا وما بي من يأس ، وأمر لي بصلمة . وقال لي اجلس يا شعبي فحدثني
ما بينك وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده ، فما أصبحت
حتى سمعت الواعية^(٢) في داره .

٧ وقال^(٣) حماد^(٤) الراوية . كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان
هشام يحفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلمسا مات

(١) اعتذر . أتى بعذر (٢) الواعية . الصراخ والصوت .

(٣) ثمرات الأوراق ص ١٨٢ ج ١ ، الأغاني ص ٧٥ ج ٦

(٤) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسابها ولغاتها ، كانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره ، وتستزيره ، فيسألونه
ويجزلون صلته .

يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خلفه ، فسكنت في بيتي سنة ، لا أخرج إلا لمن أئق به من إخواني سرّاً .

فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل . فإذا شرطيان قد وقفا على فقالا لي يا حماد ، أجب الأمير يوسف ^(١) بن عمر . فقلت في نفسي . من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيين . هل لي كما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصبح معكم إليهم ؟ فقالا . ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان ^(٢) الأحمر . فسلمت عليه فرد علي السلام : ورمى إلى كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من عهد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرا مروع ولا متمتع ^(٣) ، وأدفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرباً (٤) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق .

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فإذا جمل مرحول ^(٥) ، فوضعت رجلي في الغرز ^(٦) ، وسرت اثنتي عشرة ليلة ، حتى وافيت باب هشام ، قاستأذنت فأذن لي ، قد خلعت عليه في دار قوراء ^(٧) مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش

(١) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان والياً عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ ثم ولي يوسف بعده

(٢) الإيوان : البيت يبنى طولا .

(٣) غير متمتع . من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويرعجه .

(٤) مهرة بن حيدان . أو قبيلة زهم حي عظيم ، ولأهل مهربية . منسوبة إليهم .

(٥) مرحول . الرجل (١) الغرز . ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من

خشب أو حديد فهو ركاب

(٧) دار قوراء . واسعة .

بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء ، وعليه ثياب خز حر . وقد تضح بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقبله بيده فتفوح روائحه ، فسلبت فرد على ، واستدانى فذفوت حتى قبلت رجله ؛ وإذا جاريتان لم أر قبلهما ، مثلهما ، في أذى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب ، فيها لؤلؤتان توقدان .

فقال لى . كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ، قال أندرى فيم بعثت إليك لبيت خطر يبالى لم أدر من قاله . قلت . وما هو ؟ فقال . فدعرا بالصبح يوما فجاءت قينة فى يمينها لمبريق قلت . هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة له . قال : فأنشدها ، فأنشده . يكر العاذلون فى فى وضع الصبح يقولون لى . ألا تستفيق ويلومون فيك يا بنة عبد الله ، والقلب عندكم موهوق ^١ لست أدرى إذا أكثروا العذل عندى أعدو يلومنى أم صديق فطرب ، ثم قال أحسنت والله يا حماد ، أعد ، فأعدت فاستخفة الطرب حتى نزل عن فرشه ، فقال : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال نعم ، قلت : لأحد الجاريتين ، فقال لى : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .

ثم قال الأولى اسقيه فسقته شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسى وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة ، فقال لى أحدهم أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك خذ هذه فانتفع بها فأخذتها والجاريتين وانصرفت .

٨ — ودخل رجل من بنى ضنة على عبد الملك بن مروان فقال :
والله ما ندرى إذا ما فاتنا طلب اليك من الذى تتطلب ؟
فلقد ضربنا ^(١) فى البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المسكارم ينسب

(١) الموهوق . المشدود بالوهق ، وهو الجبل

(٢) ضرب فى الأرض . سافر .

فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولا فأرشدنا إلى من نذهب
فقال عبد الملك . إلى ! إلى ! وأمر له بألف دينار ، ثم أناه في العام المقبل فقال
يرب (١) الذي يأتي من الخير أنه إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس ككان حين تم بناؤه . تنبئه بالنقض حتى تهدما
فأعطاه ألفي دينار ، ثم أناه في العام الثالث فقال
إذا استمطروا كانوا مغاير (٢) في الذي يجودون بالمعروف عودا على بدء
فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٩ - وقال عامر الشعبي . وفدت سودة بنت عمار بن الاشر الهمدانية
على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال
لها كيف أنت يا ابنة الاشر ؟ قالت ؛ بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت
القائلة لأخيك .

شمر لفعل أبيك يا ابن عسارة يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد لهند (٣) وابنها بهوان
إن الامام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوانه قدما بأبيض صارم وسانان
قالت . يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي
قال . هيات ، ليس مثل مقام أخيك نسي . قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين
ما كان أخى خفى المقام ذليل المبكك ، ولكن كما قالت الخنساء

(١) رب . زاد وأصلح .

(٢) أغزر المعروف . جعله غزيرا . والمغاير لا يكون إلا جمعا لمغزار
أو مغزير من صيغ المباغة ولم أجد ههما في اللسان والقاموس وفي النخصص : سحابة
مغزار . غزير فيكون جمعا لمغزار حتما
(٣) هند هي أم معاوية .

وإن مخرنا لنأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي عما استعفيت به ، قال قد فعلت ، فقولى .
حاجتك قالت :

يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ولأمورهم مقلد . والله ما لك عما افترض
عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك وييسط بسلطانك فيحصدنا
حصاد السنبيل ويدوسنا دياس البقر ويسر منا الخسيسة (١) ويسألنا الجلييلة . وهذا
ابن أوطاة قدم بلادى وقتل رجلى وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عرومنعة ،
فقال معاوية : أياى تهديدى بعمك ؟ والله مهمت أن أردك اليه على قتب
أشرس (٢) فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت .

صلى الله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبنى به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا
قال . ومن ذلك ؟ قالت . على بن أبى طالب رحمه الله . قال . ما أرى عليك
له أثرا ، قالت . بلى ، أتيت يومى فى رجل ولاء صدقتنا فكان بيننا وبينه ما بين
الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فانفتل (٣) عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف :
ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل . فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم
أمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة . من جراب فكتب
فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . بقية الله خير . لكم إن
كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك
حتى يأتى من يقبضه منك والسلام ، فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخوام ولا
ختمه بختام بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها .
فقال : ألى خاصة أم لقومى عامة ؟ قال . وما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله

(١) سابه الأمر : كلفه إياه . تقول ، يحشمننا دنايا الأمور

(٢) القتب . الرجل الصغير . والأشرس . الخشن الغليظ . (٣) انفتل . انصرف

إذن الفحشاء واللوم، إن كان عسلا شاملا، والا يسعني ما يسع قومي. قال هبّات، لمظكم^(١) ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله.

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهماذان ادخلوا بسلام وقوله.

ناديت همدان والآبواب مغلقة ومثل همدان سني فتجه الباب كاهندواني لم تقلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب اكتبوا لها بحاجتها.

١٠ - وحبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بني ليث في جنابة جناها فأثته جد الغلام وهي أم سنان بنت جشمه المذحجية فكلمته في الغلام فأعلاظ مروان لها، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفا. فقال لها: مرحبا بابنة جشمه ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكم تشتمينا وتحضين علينا عدونا؟ قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة، وألاما وإفرة، لا يجولون بعد علم، ولا يسفهبون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو؛ وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأن. قال. صدقت نحن كذلك. فكيف قولك.

عزب الرقاد فقلني لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد يا آل مذحج لا مقام فشمروا إن العدو لآل أحد يقصد هذا على كاهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد خير الخلائق وابن عم محمد إن يهدكم بالزور منه تهبدوا ما زال مذشهد الحروب وظفرا والنصر فوق لوائه ما يعقد^(٢)؟ قالت. كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو: أن تكون لنا خلفا. فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين؟ وهي القائلة.

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هاديا مهديا

(١) لمظه الشيء: منحه إياه

(٢) ما مصدرية ظرفية، تقول. إن النصر لا يفارق لوائه مادام بمقدودا.

فأذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قريبا
قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى اليك بنا فكنت وفيها
واليوم لا خلف يؤمل بعده هيات نأمل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان أطق وقول صدق . وأئن تحقق ما ظننا لحظك
الأوفر . والله ما ورثك الشنآن ^(١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض ^(٢)
مقاتلهم وأبعد منزلتهم ، فأنك أن فعلت ذلك تردد من الله قريبا ومن المؤمنين حبا
قال . وإنك لتقوين ذلك . قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح يبطل ولا
اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله على أحب
الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم
وسعيد بن العاصي . قال . وهم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حليمك وكريم
عفوك قال . فما حاجتك قالت . يا أمير المؤمنين إن مروان تبذلك ^(٣) بالمدينة تبذلك
من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين
ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأثبته فقال ، كنت وكنت ، فأسمعته
أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصاب ^(٤) ثم رجعت إلى نفسي باللائمة وقلت
لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالقو منه فأثبتك يا أمير المؤمنين لتسكون في
أمرى ناظرا وعليه معديا ^(٥) قال ، صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته .
اكتبوا لها بأطلاقة ، قالت ، يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة وقد نفذت أذى وكلت
راحلتى ؟ فأمر لها براحلة وميعة .

(١) الشنآن . العداوة .

(٢) أدحض حجته : أبطلها .

(٣) تبذلك بالمسكان : أقام .

(٤) الصاب : شجر مر

(٥) أعداء عليه : نصره وأعانه

١١ - وكانه لبيد^(١) بن ربيعة جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام، وكان آلى في الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا . ثم أدام ذلك في إسلامه ، وكان له جفتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم ، ونزل لبيد الكوفة ، وأميرها الوليد بن عقبة ، فبينما هو يخطب الناس إذ هبت الصبا ، فقال أوليد في خطبته على المنبر : قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل ، وما جعل على نفسه : أن يطعم ما هبت الصبا ، وهذا يوم من أيامه ، وقد هبت ريحها : فأعينوه ، وأنا أول من فعل .

ثم انصرف الوليد ، فبعث إليه بمائة من الجزر وهذه الأبيات :
أرى الجزار يشهد شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد^(٢) عامري طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفرى بما نواه على العلات^(٣) والمال القليل
بشعر الكرم^(٤) إذ سمحت إليه ذيول صبا تجاذب بالأصيل

فلما وصلت الهدية إلى لبيد شكره ، وقال : إني تركت الشعر منذ قرأت القرآن ، ثم قال لابنته . أجيبيه ، فلعمرنى لقد عشت دهرأ وما أعيىا بجواب شاعر ،

* الجهرة ص ٣٩ ، المستطرف ص ٥٠ ج ٢ ، الأغاني ص ٩٣ ج ١٤ ، بلوغ

الأرب ص ٩٢ ج ٣

(١) لبيد بن ربيعة العامري . أحد أشراف الشعراء المجيدين والقواد الفرسان المعمرين وهو من أصحاب المعلقات ، ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه ، ومات سنة ٤١ هـ .

(٢) الأصيد . رافع رأسه كبيرا

(٣) على العلات . على كل حال

(٤) الكوم : القطعة من الإبل

١٢ — وكان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه وأشدّهم عارضة
ولساناً وطال عمره ونكبه دهره واختلت حاله ، فخرج عشيّة يتقبل (١) لآله فربه
عميلة الفزارى فسلم عليه وقال : يا عم ما أشارك الى ما أرى ؟ قال . بخل مثلك بماله
وصون وجهى عن أموال الناس . فقال . لئن بقيت الى غد لأغيرن ما أرى
من حالك . فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة . فقالت له : لقد
غرك كلام غلام جنح ظلام (٢) . فسكأما ألقيمت فاه حجرا ، فبات تملأ بين
وجاء ويأس ، فلما كان السحر سمع رغاء الابل ونغاء الشاه وصهيل الخيل ولجب
الأموال (٣) فقال ، ما هذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق اليك ماله : فخرج ابن عنقاء
له فتمس عميلة ماله شطرين وساهمه (٤) عليه ، فأنشأ ابن عنقاء يقول

رأى على ماني عميلة فاشتكى	الى ماله حالى أسرى كما جهر
دعاني فآسائي ولوضن لم يلم	على حين لا بد ويرجى ولا حضر
فقلت له خيرا وأئيت فعله	وأوفاك . ألبيت من ذم أو شكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه	ترى رداء سابع الذيل وانز
غلام رماه الله بالخير مقبلا	له سيمياء (٥) لا تشق على البصر
إذا قلت العوراء (٦) أغضى كأنه	ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

(١) يتقبل ، خرج يطلب البقل

(٢) جنح الليل أو الظلام ، الطائفة منه

(٣) اللجب : الجلبة والصياح واضطراب موج البحر .

(٤) ساهمه . قارعه أى ضرب القرعة .

(٥) السيماء والسيما والسيمياء والسيمياء العلامة : يقول : يفرح به من

يراه للعنف يحياه .

(٦) العوراء : الكلمة القبيحة

١٣ - ووفدت بكارة الهلالية على معاوية :

فاستأذنت فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت أسنبت (١) وعشى بصرها (٢) وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها (٣) فسلبت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت يا خالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير (٤) من عاش كبر ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا يزيد دونك فاحتفر (٥) من دارنا سيفاً حساماً في الزراب دفيناً
قد كنت أذخره (٦) ليوم كربة فالآن أبرزه الزمان مصوناً
قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا هبات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاه ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد
قال سعيد بن العاص هي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمة خاطبها
فأله آخر مدق فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبها
في كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبها
ثم سكتوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتي (٧) أنا والله
قائلة ما قالوا وما خفي عليك منى أكثر فضحك وقال ليس بمننا ذلك من برك
أذكرى حاجتك قالت أما الآن فلا

(١) طعنت في السن (٢) ضعف نظرها

(٣) أي تمشى مستندة على خادمين وهي ترعش لكبر السن

(٤) أي صاحب أحوال متغيرة

(٥) أي احفر الأرض في دارنا لتخرج منها السيف المدفون

(٦) في رواية (قد كان مذخوراً)

(٧) أعشى بصرى أضعفه وقصر حجتي أضعفها

١٤ - ودخل حمزة (١) بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطلت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أخلد (٢) إن الله ما شاء يصنع	يجود فيعطى ما يشاء ويمنع
ولمى قد أمات منك سخابة	بجادات سراباً فوق بيداء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت لعله	يثوب إلى أمر جميل ويرجع
فأياسنى من خير مخلد أنه	على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه	من البغض والشنان أمسى يقطع
ويخل بالمعروف عن يوده	فوالله ما أدرى به كيف أضنع
أأصرمه ؟ فالصرم شر مغبة	ونفسي إليه بالوصال تطلع
وشتان بيني والوصال وبينه	على كل حال أستقيم ويطلع (٣)
فأعقبني صرماً على غير إحنة	وبخلا وقدماً كان لي يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله	فنفسي بما يأتى به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

(١) الأغاني ص ٢٣ ج ١٥

وحمزة بن بيض ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليع ماجن وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة ووالده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية توفي سنة ١٢٠ هـ

(٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ثم رحل إلى الشام وأفدأ على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ

(٣) الظلع : العرج .

فلما قرأه سائل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : من أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة درهم وكساء ، وقال : إنما ضربتك أدباً لك ، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لم تعرفه ، فأياك أن تعود لمثلها . فقال الرجل : لا والله ، أصلحك الله لا أحمل كتاباً لمن أعرفه ولا لمن لا أعرف ، قال : أحذر فليس كل أحد يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف مالق صاحبك الرجل ؟ قال : لا ؛ لحديثه بخلد بقمته ، فقال ابن بيض : والله — أصلحك الله — لا تزال نفسه تنوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسة أبدأ ؛ فضحك بخلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تنوق إلى عتاب إخوانك أبدأ ، قال أجل والله ، ولكن من لي بمثلك يعتبني ^(١) إذا استعنته ، ويفعل بي مثل فعلك ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئت داره كفاقي وأعطاني الذي جئت أسأل
ويعتبني يوماً إذا كنت عابياً وإن قلت زدي قال حقاً سافعل
أتراه إذا ما جئته تطلب الندي كأنك تعطيه الذي جئت تسأل
فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب

١٥ — وأقبل على سليمان ^(٢) بن عبد الملك فتي من بني عبس ، وسيم ، فأعجبه

(١) يقال . أعتبني فلان ، إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أرضاني عنه ، بعد إسقاطه إياي عليه .

(٢) ابن أبي الحديد ص ٣٢٢ ج ١

وكان سليمان ملساً غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لسنّاً ، توفي

سنة ٩٩ هـ

- ٣٧٦ -

فقال ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال ابن من ؟ قال ، ابن عبد الملك ، فأعرض عنه ؛ وجعل يفرض « ٢ » لمن دونه ، فعلم للفتى أن كره موافقة اسمه واسم أبيه فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت اسمك ، ولا شقي اسم يوافق اسمك ، فأرض ، فانما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن امرتني أطعت ، وسهم في كائناتك أشهد إن أرميت ، وأنفذ حيث وجهت فقال له سليمان وهو يختبره ، ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا ؟ قال ، أقول : حسبى الله ونعم الوكيل ا قال سليمان . أكنت مكتفياً بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد

قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو سألتني ، ما أنت فاعل ؛ لأنبأتك ، إنه لو كان ذلك ، لضربت بالسيف حتى يتعقف (٢) ، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف ؛ فأعجب سليمان به ، وألحقه في العطاء بالاشراف وتمثل إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يسكن على قومه كلا فقد كمل الفتى

-
- (١) يقال أفرض له ، إذ جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة
- (٢) التعقيف ، التعويج

تأثير الادب بالحياة الجديدة

في عصر بنى أمية

- ١ - وبعد فقد نهض الادب نهضة عظيمة في هذا العصر ، الذي نبغ فيه كثير من أشهر أعلام الادباء والكتابة والشعراء في اللغة العربية فالشعر والخطابة والكتابة وسائر ألوان الادب قد أدت رسالتها الادبية في هذا المعترك الحافل بأسباب النشاط وبجامع العلم والادب قد تعددت وكثرت وأثمرت وخدمت التراث الاسلامي والادب العربي بخدمات جلى وأغدق الخلفاء على الشعراء والادباء والرواء والعلماء إغداقا كبيرا وساعد على بلوغ الادب هذه المنزلة اسباب كثيرة .
- ١ - قالخلفاء والامراء والولاة كلهم من عنصر عربي وهم يحبون البلاغة ويطلبون للادب ويهتزون لسباح الشعر الجيد
- ب - والنبواعت السياسية كان لها أثرها البعيد في هذه النهضة الادبية الجليلة
- ج - وإحياء بنى أمية للعصية كان باعنا على نهضة الادب والشعر
- د - فوق تأثير بلاغة القرآن والحديث في نفوس القوم من حكام ومحكومين ومدوحين ومادحين الى غير ذلك من شتى الاسباب :
- ٢ - والادب على أى حال قد تأثر تأثرا بعيدا بهذه الحياة الجديدة في العصر الاموى ، مما يمكن تلخيصه فيما يأتى
- ١ - نهضة الشعر والادب واللغة نهضة كبيرة
- ٢ - ذبوع الخطابة ورقى الكتابة والرسائل بتأثير الحياة السياسية الجديدة
- ٣ - تأثر الادب عند أهل الامصار بصورة حياتهم ، فكان لكل حروب

سياسي أو طائفة مذهبية بين الخوارج والشيعة والزيدية والمروانية والمضرية والقحطانية والشعوية شعراء وخطباء ينظمون الشعر ويخطبون في تأييد نحلهم وخلف مربد البصرة وكناسة الكوفة عكاظ في اجتماع الشعراء والخطباء بهما كما تأثر الأدب في الحجاز بحياة المترفين من شبانه ، فنشأ فيه نوع من الغزل الرقيق ومقطعات الغناء ، وما زال يستفحل أمره حتى تحول على لسان بعض مجان الشعراء إلى مجون ولهو

وتأثر في البوادي بحياة أهلها من أصحاب الجدد والتوقر والجفاء منهم فبرز في ثوب الفجر والتباهي والتهاجي والتأقظ والمدح والثناء ونحو ذلك وتأثر عند العذريين بنزعة نفوسهم فخطر في حلة الشعر العفيف الذي يعتبر من أجل ما قيل من الشعر العربي .

٤ - ذبوع فنون أدبية جديدة كالتوقيعات وفن القصص التاريخي الذي كتبت به السيرة

٥ - انتشار الأدب العرب في كثير من الحواضر الاسلامية البعيدة عن الجزيرة العربية كعصر والعراق وشمال أفريقية والاندلس إلى غير ذلك من مظاهر التأثير بهذه الحياة الجديدة مما سنتكلم عنه بكثير من الأفاضة والتحليل

على أنه قد حدث في النصف الأول للقرن الثاني الهجري أن الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب ، وخاصة حياة العرب في العراق ، كان يتورها التغيير في كل ناحية من نواحيها ، فسياسة الشدة التي كان يتبعها حكام الدولة الأموية كانت ، بقضائها على الروح الحربي لأهل القبائل ، قد مهدت السبيل إلى الانقلاب بتأسيس حياة مستقرة ونمو جماعة متحضرة ، تشتغل بأعمال سلمية ، وتعنى في طبقاتها العليا بالبحوث العقلية ، ولم يجد مثل هذا المجتمع في الأفكار القديمة وأساليب البيان السابقة ما كان يجده فيها من القوة والسلطان فقد أصبح هذا المجتمع يبحث عن مواد وصور للتعبير جديدة ، تكون أكثر ملاءمة لأحواله الجديدة وما فيها من مجالات عقلية أبعد شأوا ، وقد زاد هذه الميول قوة زيادة امتزاج

- ٣٧٩ -

العناصر الفارسية والآرامية وغيرها بالحياة العربية ، الاجتماعية والادبية .
والواقع أن الأدب العربي كان يدنو من عصر انتقال شبيه بتلك العصور الانتقالية
التي مرت بها أمم أخرى في مراحلها الادبية الأولى . غير أن قيام الخلافة
العباسية منح الحركة نشاطا قويا لأنه جلب معه تحولا نهائيا في النفوذ السياسى
والاجتماعى من عناصر الحياة البدوية إلى عناصر الحياة الحضرية .

وقد سلك مثلو التيارات الجديدة للتفكير العربى ، فى تلك الظروف ، نفس
المسلك ، كما انتحلوا نفس الخطى ، التى سلكتها وانتحلنها من قبلهم ومن بعدهم
الأمم التى اجتازت مثل تلك الظروف فى أول الأمر فقد سدوا حاجتهم بالاستعارة
أو الترجمة من الآداب السابقة ومن أشهر المترجمين ابن المقفع الفرسى الأصل
المتوفى عام ١٤٣ هـ

* * *

النثر الفنى

فى عصر بنى أمية

نماذج له :

١ — صفة الإمام العادل :

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — لما ولى الخلافة — إلى الحسن (١) البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العام قوام (٢) كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصف كل مظلوم ، ومفرج كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله . الرفيق الذى يرتاد (٣) لها أطيب المرعى ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالآب الحنانى على ولده يسعى لهم صفاراً ؛ ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرمها وربته طفلاً ، تسهر به بصره وتسكن بسكونه ؛ ترضعه تارة ؛ وتغضمه أخرى ، وتفرح بمافيته وتغتم بشكايته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالتاب بين

(١) هو أبو سعيد بن يسار مولى زيد بن ثابت الانصارى ، وكان الحسن من سادات التابعين ركباؤهم وكان نسيج وحده فى الفصاحة والعلم والعبادة والورع وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(٢) قوام الأمر : عماده ونظامه .

(٣) الارتياح : طلب السكينة فى مواضعه .

الجوارح ؛ تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والامام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إليه ويريههم وينقاد إلى الله ويقودهم .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ماسكك الله كعبد اتعنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد^(١) العيال فانتقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحدود^(٢) ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاه من يائها ، وإن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشيائك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفرع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين انك منزل غير منزل الذي أنت فيه ، يطول فيه ثوابك^(٣) ويفارقك أحباؤك ويسلمونك في قعره فريدا وحيدا ، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعث^(٤) ما في القبور وحصل^(٥) ما في الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتابات لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أصاها . فالآن يا أمير المؤمنين - وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل - لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا^(٦) ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك ، فلا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور

(١) التشريد : التفريق والطرده .

(٢) الحدود : العقوبات الرادعة

(٣) الثواب : الإقامة أو طولها . (٤) يعثر : أثير وأخرج ..

(٥) حصل : جمع . (٦) الإل : العهد .

في حبال الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلین وقد عزت (١) الوجوه للحی القيوم .

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظي ما بلغه ألو النهی من قبلي فلم آلك (٢) شفقة ونصحاء، فأنزل كتابي اليك كدأوى حبيبته يستقيبه الأذوية الكريمة لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٢ — لطارق بن زياد المتوفى سنة ٩٢ هـ

خطبة يحث بها جيشه على الجهاد ويرغبهم في فتح الأندلس

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم (٣) والعدو أما معكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مائدة اللثام (٤) وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة (٥) وأنتم لا وذر لكم إلا سيوفكم (٦) ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم (٧) وتعوذت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم (٨) فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية (٩) فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة

(١) عنا : خضع .

(٢) اني لا آلوك نصحاء : أى لا أفتقر ولا أقصر .

(٣) وذلك لأنه أحرق السفن التي وصلوا بها إلى بلاد اسبانيا

(٤) لا ينالون شيئا إلا إذا قاتلوا عليه

(٥) كثيرة

(٦) لاناصر لكم غيرها

(٧) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(٨) تجاسرت عليكم بدل خوفكم منكم

(٩) بمقاتلة ذلك الجبار

وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمعتم لأنفسكم بالموت وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة^(١) ولا حملتكم دونى على خطوة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأ بنفسى واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالألذة^(٢) الآلة طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه^(٣) بأوفر من حظى وقد بلغكم ما أنشأت^(٤) هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا^(٥) ثقة منه بارتياحكم للطعان وسلاحكم بمجالدة الأبطال والفرسان^(٦) ليسكون حظهم منكم ثواب الله على إبداء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم^(٧) من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى الجهادكم^(٨) على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين واعلموا أنى أول يجب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طائفة القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحلوا معى فإن هلك بعد فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل^(٩) تسندون أموركم إليه وإن هلك قبل وصولى إليه فاخلفوني فى عزيمتى هذه واحلوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله

-
- (١) أنا منه بمكان حصين بمعنى أنا منه خالص
 - (٢) الأراغد الآلين
 - (٣) فيه أى الأمر الأشق
 - (٤) ما أخرجت
 - (٥) الصهر القريب المحرم للزوج أو الزوجة كالأخ والعم والختن القريب المحرم للزوجة
 - (٦) وتكرمكم بمقاتلة الشجعان
 - (٧) وليكون غنمها لكم حالة كونها خالصة لكم
 - (٨) نصركم واعانتكم
 - (٩) لا تجدون عوزا وحاجة فى وجود بطل عاقل بمعنى أنكم تجدون كثيرا من الأبطال الذين تولونهم أموركم

٣ - وللأخنف بن قيس المتوفى سنة ٦٧ هـ :

آفة الملوك سوء السيرة ^(١) وآفة الوزراء خبث السريرة ^(٢) وآفة الجند مخالفة القادة ^(٣) وآفة الرعية مخالفة السادة ، وآفة الرؤساء ضعف السياسة ، وآفة العلماء حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة العدول قلة الورع ، وآفة القوى استضعاف الخصم ، وآفة الجريء إضاعة الحرم ^(٤) ، وآفة المنعم قبيح المن ^(٥) ، وآفة المذنب حسن الظن ^(٦) .

٤ - ولعمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣ هـ في وصف مصر :

مصر تربة غبراء ^(٧) وشجرة خضراء ^(٨) طولها شهر وعرضها عشر ^(٩) يكنفها جبل أغبر ^(١٠) ، ورمل أعفر ^(١١) يخط وسطها نهر ميهون الغدوات مبارك الروحات ^(١٢) يجرى بالزيادة النقصان كجرى الشمس والقمر له أوان ^(١٣) تظهر به عيون الأرض وينابيعهم حتى إذا أصلح عجاجه ^(١٤) ، وتعظمت أمواجه ^(١٥) ، لم يكن وصول بهض أهل القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب ، فإذا تكاملت تلك كذلك تكص ^(١٦) على عقبه كأول ما بدأ في شدته وطها في حدته ^(١٧) فعند ذلك يخرج القوم ليحرقوا بطون أوديته ورواياه ^(١٨) يبدرون الحب ويرجون

(١) قبح السلوك (٢) رداءة النية

(٣) القواد (٤) عدم التدبير في الأمور

(٥) المن الامتنان وذكر المعروف (٦) حسن الظن فيمن بيده العقاب

فيتبادى في الذنوب (٧) سهلة الانبات (٨) بمعنى أنها كثيرة الشجر الأخضر .

(٩) لعله يريد أن الماشى يقطعها طولاً في شهر وعرضاً في عشرة أيام

(١٠) يحيط بها جبل ضارب إلى السواد (١١) أبيض مائل إلى الحمرة أو الصفرة

(١٢) محمود الذهاب والاياب (١٣) يزيد وينقص في أزمنة معينة .

(١٤) معظم مائه (١٥) تقطعت وتسربت في الاراضى .

(١٦) رجع وذهب (١٧) أى نقص بشدة كما زاد بقوة

(١٨) أعالي الأرض وأسافلها .

الثمار من الرب حتى إذا أشرق وأشرف (١) سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته
الثرى فعند ذلك يدر حلابه (٢) ويغنى ذبابه (٣) فينبأ هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء
إذا هي عنبرة سوداء ، وإذا هي زهر جدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء .

وصف النثر الفنى

في العصر الاموى

١ - ظهر في هذا العصر أثر الثقافة الادبية في النثر الفنى ظهورا واضحا
لاخفاء فيه ؛ وهذه الثقافة متنوعة تشمل :

١ - القرآن الكريم الذى أثر في ملكات العرب وهذب من ألسنتهم ورقى
من مشاعرهم وطباعهم وملكاتهم في البيان في عصر صدر الاسلام
ثم زاد هذا التأثير في العصر الاموى ؛ بحفظ العرب له ، وقراءتهم إياه بعد
أن انتشرت مصاحف عثمان في الأمصار ، وللغراغ الذى وجدوه بعد الفتوحات
الاسلامية ، وللفترة الطويلة التى قضوها في الافادة من بلاغة القرآن

ب - حديث رسول الله ، وكانوا يحفظون منه الكثير ، ثم دون ووزع
على الأمصار في عهد عمر بن عبد العزيز ، فانتسعت لفائدة الناس منه وتأثرهم ببلاغته
ج - الشعر والادب الجاهلى ، وقد علمت ما كان من إحياء بنى أمية له ،
وتقريبهم الرواة والادباء منهم

د - مجالس القصص والوعظ ، وقد كان فيها البليغ والخطيب والإديب الذى
يسحر القوم بلاغة وبيانا

هـ - أدب البلغاء والفصحاء في العصر الاموى ، وهو كثير جدا ، وكان له
أثره في تقويم الالسنه وتهذيب الملكة ، وكانت خطب الوفود التى تفد على قصور
الخلفاء والأمراء دروسا كبيرة في البلاغة والبيان ، ويروى أن شباب الكتاب

(١) ظهر وبان (٢) يعظم محصولة (٣) يكثُر عليه

كانوا إذا حضر وفد لشام حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم^(١) ومجالس المؤدبين والرواة والشعراء والنقاد وكانت حافلة بالكثير من ألوان الأدب والشعر والتقدم لها أثر كبير في تقويم الأذواق وإرهاف المشاعر وتهذيب الممسات.

٢ - وقد أفاد العرب من اختلاطهم بالموالي والناصر الأجنبية ، فسمعوا عن ثقافات الأمم القديمة ، ورويت لهم ، وتحدثوا بها في مجالس سمرهم مما أكسب العقول عمقا وفهما ومعرفة وعلمًا وثقافة ومدنية ، وظهر أثر ذلك في تقدم العلوم ونهضة الفنون والآداب وأخذ العرب بقسط من الحضارة ، وبمضى الزمن ترجوا هذه العلوم والفنون إلى العربية .

ولا يضير ما كان للاحتياط من أثر في الإلانة بما دخل عليها من اللحن والسكنة والى ، فقد قاوموا هذه التيارات الجديدة بوضع العلوم ونشر الأدب وتقويم الإلانة والطباع .

٣ - وبإحياء الآداب الجاهلية ظهر أثرها ل الأدب والنثر الأموي ، فعادوا إلى جزالة الجاهلية وصلابتها وشدة أسرها ، وكثر في أسلوبهم الأدبي في النثر الفني ظهور سمات غلبت على أسلوب النثر الأموي يمكن أن نلخصها فيما يلي :

(١) إثارة خيال السامع باستعمال المجازات القوية ،

(٢) السيطرة على وجدان السامع وعواطفه وميلهم إلى الموسيقى الصوتية باستعمال الألفاظ الطنانة البالغة التأثير .

(٣) التحدث إلى عقل السامع ، لا عن طريق الدقة في التعبير بحسب ، بل كذلك عن طريق التعبيرات والمجازات ومزجها ببعضها ببعض .

(٤) تفريع الصور العذائية والمعاني وتنويعها باستخدام الازدواج في الفواصل استخداما قد يزيد قوة استعمال السجع أو ما يشبه السجع من الفواصل . غير أن التزام السجع في الكلام كان متجنباً ، إما لأنه كان يشعر بشيء من التكلف ،

ولما لأن التقفية كانت كانت ميزة خاصة بالشعر ، وسجع السكمان وما أشبه ذلك من الانتاج الأدبي .

ونجد في خطبة الحجاج أنه بينما يتجنب السجع ، يستخدم التليجات الشعرية والاقبياسات ويكثر من استعمال المجاز كما نرى في الجملة الآتية مثلا .

« إني والله يا أهل العراق ، ما يقعق لي بالشنان ، ولا يغمر جانبي كنفماز الثين ، ولقد فررت عن ذكاه ، وفشتت عن تجرية ، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنفاته بين يديه ، فهجم عيد أنها ، فوجدني أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا ، فرما كم بي لأز نكم طالما أوضعت في الفتنة ، واضطجعت في مرقد الضلال :

ولنقارن الآن بين تلك الجملة والجل الآتية من رسالة عبد الحميد الكاتب .
« وأعلم أن كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويترض غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وحبائل مكره ، ومصايد مكيدة ، فأحذر ما يجانبها ، توقها بحترسا منها ، واستعد بالله من شرها وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لاؤنية فيه ، وحزم نافذ لا مشوية لرأيك بعد إصداره عليك ، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ، ومضادة صارمة لا أناة معها ، ونية صريحة لا خلجة شك فيها . فمن المؤكد أن ليس ثمة صعوبة في أن ندرك أن في القطعة السابقة نفس الخصائص الأساسية التي في خطبة الحجاج ؛ ولكنها ذلتها وعبثتها الطلاقة التي يمتاز بها الكاتب وهي في الحقيقة تلك الصفة التي وصف بها مؤلف كتاب « الفهرست » عبد الحميد حينما قال : « هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ،

(هـ) ظهور الروح الديني في كثير من الوان النثر في هذا العصر

ألوان النثر الفنى

أولا - الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر الاموى .

١ - خطبة معاوية بالمدينة عام الجاعة

وقدم معاوية عام الجماعة (سنة ١٠ هـ) فتلقاء رجال قریش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرک ، وأعلى کعبک ، فأرد عليهم شیئا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى علیه ، ثم قال .

« أما بعد ، فإني والله ما وليتها (١) بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا بجالدة ، ولقد رضت (٢) لكم نفسي على عمل ابن (٣) أبي قحافة وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفارا شديدا ، وأردتها على سنيت (٤) عثمان ، فأبت على ، فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ، فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية ، والله لا أحمل السيف على من لا يفي له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبر أذني (٥) وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحقوقكم كله ، فاقبلوا مني

(١) أى الخلافة .

(٢) من راض المهر : إذا ذلله .

(٣) هو أبو بكر الصديق .

(٤) سنية : مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٥) جعل كلامك دبر أذنه ، لم يصغ اليه ولم يعرج عليه .

بعضه ، فان أتاكم منى خير فاقبلوه ، فان السيل إذا جاد يثرى ، وإذا قل أغنى ، وإياكم والفتنة ، فانها تفسد المعيشة ، وتسكدر النعمة ، .
ثم نزل .

٢ - وصيته لابنه يزيد

ولما حضرت معاوية الوفاة ؟ ويريد غائب ، دعا معاوية مسلم بن عقبة المرى والضحاك بن قيس الفهرى ، فقال : أبلغا عنى يزيد رقولاً له :
« يا بنى إني قد كيفيتك الشد والترحال ، ووطأت (١) لك الامور ، وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد :
فانظر أهل الحجاز ، فانهم أصلك وعترتك (٢) ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتهده .

وأنظر أهل العراق ، فان سألوك أن تزل عنهم كل يوم حاملًا فافعل ، فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت عليه منهم ؟

ثم انظر أهل الشام ، فأجعلهم الشعار (٣) دون الدثار ، فان رأبك من عدوك ريب فارمهم (٤) بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، ولا يقيموا في غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدبهم .

ولإني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش :
الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .
فأما عبد الله بن عمر . فرجل قد وقذه (٥) الورع ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك .

(١) وطأ : مهد . (٢) عترة الرجل : عشيرته الأدنون .

(٣) الشعار : الثوب يلبس على شعر الجسد ، والدثار : الذى يلبس فوق الشعار .

(٤) الضمير للعدو ؛ وهو للواحد والجمع ، والذكر والانثى ، وقد يثنى

ويجمع ويؤنث . (٥) وقذه : صرعه وتركه هليلاً كواقذه .

وأما الحسين بن علي : فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكم الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن خرج وظفرت به ، فأصفع عنه ، فإن له رحماً (١) ماسة ، وحققاً عظيماً ، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وأما ابن أبي بكر : فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ، ليست له همة إلا في النساء واللهو .

وأما ابن الزبير : فإنه خب صب (٢) فإن ظفرت به فقطعه لإربا (٣) ، وأو قال : « وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مرواغة النعلب ، فإن أمكنته فرصة وثب . فذاك ابن الزبير . فإن هو وثب عليك . فظفرت به . فقطعه لإربا ، واحقق دماء قومك ما استطعت . »

٣ — خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب :

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير (سنة ٧١ هـ) وانتهى خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياما . حتى تحدث به إمام مكة في الطريق . ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم . والكأبة على وجهه . وجبينه يرشح عرقاً . فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه للبيب الخطباء ، قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيده العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير ملوم ، ثم تكلم فقال :

« الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

أما بعد : فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الأنعام طراً (٤) ولم يذل من كان الحق معه ، وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ألا وإنه قد أتانا خبر من

(١) الرحم : القرابة .

(٢) رجل خب صب : خداع مراوغ . (٣) أى عضوا عضوا .

(٤) طرا جميعاً .

العراق ، بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسمرنا : أئانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى أحرزنا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدهما حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوي من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ، وكريم العزاء ، وأما الذى سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه عز وجل جاعل لنا وله فى ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطعام ^(١) ، انضم الآذان ، أهل العراق ، لإسلام النعم المخطمة ^(٢) ، وباعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه . فإن يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه ^(٣) . وكانوا الخيار الصالحين .

إنا والله لا نموت حتف آئافنا ^(٤) ، ولكن قصصا ^(٥) بالرماح ، وموتاً تحت

(١) الطعام : الاوغاد .

(٢) خطم البعير بالخطام : جعله على أنفه ، والخطام كسكتاب : ما وضع فى أنف البعير ليقناده به .

(٣) بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل . انصرف إلى وادى السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله فى الصلاة .

ويعنى بعمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد . وقد استشهد يوم اليرموك . وفى رواية : وابن عمه ، ويعنى به عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام . وقد قتل يوم الدار . وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير . وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع باهل

المدينة فى وقعة الحرة ، سار إلى مكة لغزو عبد الله بن الزبير ، فقال لآخيه المنذر : ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غبرى وغيرك — وكان أخوه المنذر ممن شهد الحرة ثم لحق به — فجرد اليهم أخاه فى الناس ؛ فقاتلهم ساعة قتالاً شديداً ؛ ثم إن رجلاً من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ؛ فخرج إليه ؛ فضرب كل واحد منهما صاحبه . ضربة خر صاحبه لها ميتاً ؛ وكان مقتله سنة ٦٤ هـ .

(٤) الحنف : الموت ، ويقال : مات حتف أنفه : أى على فراشه من غير قتل

ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الآنف لأنه أراد أن روحه تخرج =

ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا لإسلام قط ، ألا وإنما الدنيا عارية ^(١) من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يبديد ملكه ، فان تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر ^(٢) البطر ، وإن تدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق الممين ^(٣) ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ثم نزل .

٤ — خطبة عبد الملك بن مروان لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب :

ودخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير ، فصعد المنبر حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زينتنا الحرب وزيناتها ^(٤) ، فمرقناها وألفناها ، فنحن بنوها وهى أمنا .

== من أنفه يتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته .

(٥) القمص : الموت السريع ، ومات قمصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وفي رواية : « إنا والله ما يموت حبجا كميته آل أبي العاص ، والحبج كسبب انتفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج » كجعفر ، وربما قتله ذلك ، يعرض بنى مروان ، لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة .

(١) العارية ويخفف : الشيء المستعار . (٢) الأشر : البطر

(٣) الخرق وصف من الخرق كسبب : وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يهت فاتحا عينيه ينظر . والمهين : الحقير . ويروى : « بكاء الخرف المهتر ، والخرف بفتح فكسر : من فسد عقله فى الكبر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن ، من الهتر بضم الهاء ، وقد اهتر فهو مهتر وبضم الميم وفتح التاء ، شاذ ، وقد قيل اهتر بالبناء للجهول

(٤) أى دفعتنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ومنه اشتقاق الزبانية « جمع زبنة أو زبنى بكسر الزاى وسكون الباء ، لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ، ومنه أيضا : حرب زبون بفتح الزاى .

أيها الناس : فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا
فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون
أعمالهم ، ولا أظنكم تردادون بعد الموعظة إلا ثمرا ، ولن نزداد بعد الإعذار
إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود بعد مثلها فليعد ، فأنما
مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة الأنصاري :

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة	يصل بنار كريم غير غدار ^(١)
أنا النذير لكم منى مجاهرة	كن لا ألام على نهي ولا نذار
فإن عصيتم معالي اليوم فاعترفوا	أن سوف تلقون خربا ظاهر العار
لترجعن أحاديثا ملعنة	لهو المقيم والهو المدلج الساري ^(٢)
من كان في نفسه حوجاء يطلبها	عندي فاني له رهن بأصهار ^(٣)
أقيم عوجته إن كان ذا عوج	كما يقوم قدح النبعة الباري ^(٤)
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه	عندي ، ولاني لذالك بأوتار

٥ - خطبة عمرو بن سعيد في مجلس معاوية يوم عقد البيعة ليزيد :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد :

١ - الترة والوتر : الثأر .

٢ - أدلج : نثار من أول الليل : فإن سار من آخره فقد ادلج بالتشديد ،
والساري ، السائر بالليل .

٣ - الحوجاء : الحاجة ، وقوله : بأصهار أى لا أستترعنه ولا أمتنع في
الإماكن الحصينة ، من أصحار القوم . برزوا إلى الصحراء .

٤ - العوج بفتح العين : في كل ما كان منتصبا مثل الإنسان والعصا
والدود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو
دين ، وقيل بالفتح مصدر ، وبالكسر اسم منه . والقدرح : السهم قبل
أن يرش وينصل وجمعه قداح ، والنبعة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهم .

فان يزيد بن معاوية أمل و تأملونه وأجل تأملونه ، إن استضعفتم الى حمله
وسمكم وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جدد
قارع ، سوبق فسبق ، وموجد فوجد ، وقورع فغازسهم ، فهو خلاف أمير المؤمنين
ولا خلاف منه (١)

٦ - وصية عبد الملك بن مروان لولده عند وفاته :
ونظر عبد الملك عند وفاته إلى ابنه الوليد وهو يسكى عليه عند رأسه فقال :
يا هذا : أحنين الحماة ؟ إذا أنا مت فشمروا تزر ، والبس جلد نمر : وضع
سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه : ومن سكت
مات بدائه .

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا . فقال : إن طويلك لتقصير ، وإن كثيرك
لقليل ، وإن كئنا منك لى غرور ،

ثم أقبل على جميع ولده فقال : أوصيكم بتقوى الله . فانها عصمة باقية . وجنة
واقية . فالتقوى خير زاد : وأفضل في المهاد . وهى أحسن كهف . وليعطف
الكبير منكم على الصغير . وليعرف الصغير حق الكبير . مع سلامة الصدور .
والإخذ بحميل الأمور . وإياكم والبنى والتحاسد . فهما هلك الملوك الماضون
وذوو العوامسكين :

يا بنى : أخوكم مسلمة . نابكم الذى تفرون (٢) عنه . وبجنتكم (٣) الذى
تستجنون به ، اصددوا عن رأيه ، وأكروا الحجاج ، فانه الذى وطأ لكم
هذا الأمر :

كونوا أولاداً أبراراً ، وفى الحروب أحراراً وللمعروف منارا وعليكم السلام

(١) ٢ / ٧١ الأمالى

(٢) فى الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها والمعنى أنه أخوكم المحرب
المنك الذى تستفيدون بتجربته ويكشف لكم الأمور بمذقه وبصيرته

(٣) المجن : النرس

٧ - وصيه عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده :

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليكون أول ما تبدأ به من إصلاح بني لإصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم الاستحسان ، والقبیح عندهم ما استقبحجت ، وعامهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روه من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحسبوه ، فإن ازدحام السكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهديم بي ، وأديهم دورى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتك إياهم أزدك ، وإياك أن تسكل على عذر دى لك ، فقد اتككت على كفاية منك ، ورد فى تأديهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى

٨ - خطبة زياد البتراء :

« وقدم زياد ابن أبيه البصرة سنة ٤٥ هـ ، واليا لمعاوية بن أبي سفيان ، والفسق بها كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل بل قال :
« الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعماً ، فألهمنا شكراً ،

وأما بعد . فإن الجبال الجاهلاء (١) ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على الار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماءكم (٢) ، من الامور العظام ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير : كأ نكم لم تقرأوا كتاب الله . ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب الأليم لأهل معصيته . فى الزمن السرمدى (٣) الذى لا يزول .

أتكونون كمن طرفت (٤) عينيه الدنيا ، رسدت مسامعه الشهوات . واختار

١٠ . هذا الوصف تأكيد للمبالغة . كقولهم . ليلة ليلا .

٢٠ . الجلاء . العقلاء .

(٣) السرمدى : الدائم .

(٤) طرف بصره : أطبق أحد حفيه على الآخر ، وطرفه عنه كضربه :

صرفه ورده .

الفانية على الباقية . ولا تذكر أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، هذه المواخير ^(١) المنصوبة ؛ والضعيفة المسلوطة في النهار المبصر . والعسد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية ^(٢) تمنع الغرأة عن دلج ^(٣) الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة . وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر . وتغضون على المختلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنييع من لا يخاف عاقبة . ولا يرجو معادا . ما أتم بالحللساء . ولقد اتبعت السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم . حتى انتهكوا حرم ^(٤) الإسلام ثم أطرقوا وراكم . كنوسا ^(٥) في مكائس الريب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا .

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله . لين في غير ضمف ، وشدة في غير عنف ، وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى ^(٦) ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدير ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى

(١) المواخير جمع ماخور : وهو بيت الرية .

(٢) نهاية جمع ناه ، وغواة جمع غاو .

(٣) الدلج : السير من أول الليل .

(٤) الحرم جمع حرمة : وهي ما لا يحل انتهاكه ، روى الشعبي قال . لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ؛ فيقال لها . نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع !

(٥) كنوس جمع كانس . أى مستتر كجلوس جمع جالس ، وأصله من كنس الطي كضرب : دخل في كتابه (ككتاب) وهو مستتره من الشجر ، ومكائس الريب : مكائنها المستترة جمع مكئس كجلوس .

(٦) الولي . السيد والمولى هنا : العبد

يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد ^(١) ، أو تستقيم لي قناتكم .

إن كذبة المنبر ببقاء ^(٢) مشهورة ، فإذا تعلقت على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ^(٣) فإذا سمتموها منى فاغتمزوها ^(٤) في . واعلموا أن عندي أمثالها . من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه ^(٥) . فايأى ودلج الليل . فاني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه . وقد أجلكم في ذلك بمقدار ما يأتى الخبر السكوفة ويرجع إليكم . وإيأى ودعوى ^(٦) الجاهلية ، فاني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه .

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن

(١) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد ، خرجا في طلب لإبل لأبيهما فوجدهما سعد فردها وقتل سعيد فكان ضبة إذا رأى سواذا تحت الليل قال سعد أم سعيد ؟
(٢) من البلق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل في الفرس إلى الفخذين والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والفرس البلقاء مشهورة لتمييزها عما سواها بيلقها .

(٣) في تاريخ الطبرى ، وقال الشعبي فوالله ما تعلقتا عليه بكذبة ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه ،

(٤) أى عدوها من عيوى واغتمزه طعن عليه .

(٥) في تاريخ الطبرى ، وكان زياد أول من شد أمر السلطان ؛ وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة وجرّد السيف بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا حتى أمن الناس بعضهم بعضا حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها وكان يقول لو ضاع جبل بينى وبينى خراسان علمت من أخذه ،

(٦) قولهم . يا فلان ، والغرض : مناصرة العصية .

نبش قبراً دفناه حياً فيه . فكفوا عن أيديكم وألسنتكم ، أكفف عنكم يدي
ولساني ، ولا تظهر من أحد منكم رية بخلاف (١) ما عليه عامتكم ، إلا
ضربت عنقه .

وقد كانت بيني وبين أقوام لاحق (٢) جملة ذلك دبراً (٣) أذن وتحت قدمي ،
فإن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مسيئاً فلينزعه عن إساءته .
إني لو علمت أن أحداً قد قتل السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك
له سترًا ، حتى ييدي لي صفحته (٤) ؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ،
وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبيتس بقدمنا سييسر ؛ ومسرور بقدمنا سيبتس .
أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة (٥) ، نسوسكم بسلطان
الله الذي أعطانا ونؤد عنكم بني الله الذي خولنا (٦) ، فلنا عليكم السمع والطاعة
فيما أحببنا ، ولنا عليكم العدل فيما ولينا ، فاستجبوا عدلنا وفيئنا بما اصحتكم لنا ،
واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة
منكم ولو أتاني طارقاً ليل ، ولا حارساً عطاء ولا رزقاً عن إبانته (٧) ، ولا
بجراً (٨) لكم بعثاً .

(١) أي تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

(٢) جمع لاحق . وهي الحقد والضغينة .

(٣) أي خلف أذن ، وقد اقتبسها من كلام معاوية

(٤) أي حتى يجاهرني بالعداوة

(٥) جمع ذائد أي مدافع

(٦) خولنا ، ملكنا ، والقي : ما كان شمساً فينسخه الظل ، والخراج ، أي

ندفع عنكم بطل الله ونعمته التي وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار في أيدينا من
أموال الخراج

(٧) أي وقته وموعده

(٨) جهر الجند حبسهم في أرض العدو ولم يرجعهم

فادعوا الله بالصالح لا تمتكم ، فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى
إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشرّبوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك
غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب
لكم فبهم لكان شبرا لكم ، أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتونى أنفذ
فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله (١) ، وأبهم الله إن لى فيكم لصراعى كثيرة ،
فليحذر كل امرئ منكم أن يسكون من صراعى .

فقال إليه عبد الله بن الأهم فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب ، فقال له وكذبت ، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه ، فقام
الأخنف بن قيس فقال : وإنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنما لن نثني
حتى نبلى ، فقال له زياد ، صدقت . فقام أبو بلال مرداس (٢) بن أدية وهو
يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : وإبراهيم الذى وفى ، ألا
تزر وازرة وزرى أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنت تزعج أنك
تأخذ البرى بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدير ، فسمعا زياد فقال :
و إنما لا نبلي ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفا .

٩ . - خطبة الحجاج وقد قدم البصرة

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفى لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق
ويتوعدهم فقال .

أيها الناس . من أعياء داؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطال أجله فعلى أن
أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه ، وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره ، قصرت
عليه باقيه ، إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ، فمن سقمت سريرته ، صحت

(١) أى على وجوه وطرقه جمع ذل بالسكس ، وذال الطريق محجته ،
وأمر الله جارية على أذلالها ، أى مجاريها
(٢) هو من رؤساء الخوارج

عقوبته ، ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيق عنه الهلكة
ومن سبقته بادرة ^(١) فنه ، سبق بدنه بسفك دمه .

إني أنذرهم لأنظر ^(٢) . وأحذرهم لا أعذر وأتوعدهم لا أعفو . إنما
أفسدكم ترنيق ^(٣) ولا تكلم . ومن استرخى لبيه ^(٤) . ساء أدبه . إن الحزم
والعزم سلبيان سوطي . وأبدلاني به سبئي ^(٥) فقامته في يدي . ونجاده ^(٦) في عنقي
وذبابه ^(٧) قلادة لمن عصاني . والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب
المسجد فيخرج من الباب الذي يليه . إلا ضربت عنقه

١٠ — من خطبة لابي حمزة الشاري

وبلغ أبا حمزة ^(٨) الشاري أن أهل المدينة يعجبون أصحابه ، بحداثة أسنانهم ،
وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر وخطبهم خطبة منها :

(١) بدرت منه بادرة سبقت منه سقطة

(٢) أنظره : أمهله

(٣) الترنيق : الضعف في الأمر .

(٤) اللبب . ما يشد في صدر الدابة لينتج استئخار الرجل ، والمراد أن الهوادة

أو اللين تفسد أدب الرعية .

(٥) أى أنه رأى من الحزم والعزم المبالغة في استعمال الشدة والقوة في التأديب

فطرح السوط واستبدل به ما هو أشد منه وهو السيف .

(٦) التجاد : علاقة السيف .

(٧) ذباب السيف : حده

(٨) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلمي من أهل البصرة ، وهو من

رؤساء الخوارج (ويسمون الشراة كقصة جمع شار كقاض ، من شرى يشري

كرمى أى باع ، سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله أى بعناها ووهبناها

أخذنا من قوله تعالى : ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، أو لقولهم

شرينا الآخرة بالدنيا ، أى اشتريناها . وقد قاتل أهل المدينة ودخلها سنة ١٣٠ هـ

« وقد بلغني أنكم تنتقصون أصحابي أقلامهم شباب أحداث وأعراب جفاة ،
ويحكم بأهل المدينة أو هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله
المذكورون في الخير إلا شبابا أحداثا ؟ أما والله إنى لعالم بتتابعكم فيما يضركم
في مبادئكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم .

شباب والله مكتملون (١) في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، نقيصة عن
الباطل أرجلهم ، أنضاء (٢) ، عبادة (٣) ، وأطلاح (٣) سهر ، باعوا أنفسهم بموت غدا
بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل ، منحنية أصلاهم على
أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر
بآية من ذكر النار شقق شهقة كانت زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض
ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال (٤) الليل بكلال النهار ،
مصفرة ألوانهم ، فاحلة أجسامهم . من طول القيام : وكثرة الصيام . مستقلون
لذلك في جنب الله ، وفوقهم بهد الله منجزون لوعده الله

حتى إذا رآهم سهام العدو وقد فوقت (٥) ، ورماحهم وقد أشرعت (٦) ،
وسيوفهم وقد انتضيت (٧) ، وبرقت السكتية ورعدت بصواعق الموت ،

(١) أى قد أحرزوا رزاة الكهول وسداد رأيهم

(٢) أنضاء جمع نضو بكسر النون : وهو المهزول

(٣) أطلاح جمع طلح وهو ك: نضو وزنا ومعنى

(٤) الكلال ، التعب والاعياء

(٥) فوق السهم جعل له فوقا (بالضم) وهو موضع الوتر من السهم أى

أعدت للرمى

(٦) أشرعت : سددت

(٧) انتضيت : استملت

استخفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله ؛ ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتبية ،
واقوا شبا (١) الاسنة ، وشائك السهام ، وظبات السيوف ، بنحورهم ووجوههم
وصدورهم ، فضى الشباب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر (٢) جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير
السماء ، وتمرقته مباح الارض . فطوبى لهم وحسن مأب .

فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ،
وكم من يد قد أبيئت (٣) عن ساعدها ، طالما اعتبد عليها صاحبها راكعا وساجدا ،
وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق (٤) ، قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال :
آه على فراني الإخوان ، رحمة الله على تلك الابدان ، وأدخل ارواحهم الجنان ،

١١ — خطبة قطرى (٥) بن الفجاءة في ذم الدنيا

صعد قطرى بن الفجاءة منبر الازارقة (٦) حمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقة بالقليل

-
- (١) الشبا جمع شباة ؛ وهي حد كل شيء ؛ والظبات جمع ظبة ؛ وهي حد السيف
 - (٢) أصابه العفر بالتحريك وهو التراب .
 - (٣) أبيئت : فصلت .
 - (٤) عتيق : كريم .

(٥) هو أبو نعامة قطرى بن الفجاءة النديمي كان رئيس الخوارج مدة طويلة
ولذلك يقول الحريري في المقام السادسة : فقلدوه في هذا الامر الزعامة . تقليد
الخوارج أبا نعامة . وكان مقدما قوى النفس من الخطباء المشهورين وهو القائل .
وما السر خير في حياة اذا ماعد من سقط المتاع

قتل سنة ٧٨ هـ

(٦) الازارقة ، طائفة من الخوارج ينسبون الى صاحب مذهبهم (عبيد الله

بن الازرق) .

وتحببت بالعاجلة وعمرت بالآمال وتحلت بالآمانى وازينت بالغرور ، لاندوم (١)
 حبرتها ولا تؤمن بجوعها ، غدارة ضلالة ، وجائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة
 غوالة ، بذالة نقالة ، لانعدو اذا هي تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها
 أن تكون كما قال الله تعالى : كما أنزلناه من السماء فاخترنا به نبات الأرض فأصبح
 هشيما تذروه الرياح وكانت الله على كل شيء مقتدرا (٢) مع أن امرأ لم يكن منها
 في حبرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سراتها بطنا ، إلا منجته من ضراتها
 ظهرا ، ولم تطله (٣) فيها ديمة رخاء إلا هطلت عليه مرنة بلاء . وحزى اذا أصبحت
 له منتصرة ، أن تسمى له خاذلة متفكرة . وإن جانب منها اعتدوذب واحلولى أمر
 عليه جانب وأوى ، وإن لبس امرؤ من غضارتها (٤) ورفاهيتها (٥) نعا ، أرهقته
 من نواتها نغما . ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم
 خوف ، غرارة غرور مافياها ، فإن ما عليها . لاخير في شيء من زادها إلا التقوى .
 من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه (٦) ، كم واثق
 بها قد فجعتته وذى طمانينة اليها قد صرعتته وذى احتيال فيها قد خدعتته ، وكم ذى
 ذى أبهة فيها قد صبرته حقيرا : وذى نخوة فيها قد ردتته ذليلا ؛ وذى تاج قد كسبه
 لليدين وللقيم . سلطانها دول ؛ وعيشها رنق (٧) ؛ وعذبها أجاج ، وحلوها مر
 وغذاؤها سمام (٨) ، وأسبابها رمام ، وقطائفها سلع (٩) . حينها بعرض موت ،

(١) الخبرة : النعمة

(٢) طل المطر الأرض . نزل عليها ، والديمة . مطر يدوم في سكون بلا رعد
 ولا برق . والمزنة . المطرة أو السحابة ذات الماء .

(٣) الغضارة . النعمة والسعة والخصب .

(٤) الرفاهة والرفاهية . لين العيش .

(٥) أوبقه . أهله . (٦) الرنق . السكون .

(٧) السمام . جمع سم . الرمام . البالى من الحبال

(٨) السليق : بقلة خبيثة الطعم أو شجر مر أو سم

وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض احتضام . مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب . وسليمها منكوب . وجامعها محروب (١) . مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل . ليحزى الذين أساءوا بما عملوا ويحزى الذين أحسنوا بالحسنى ، ألسنهم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً ، وأوضح آثاراً ، وأعد عديداً . وأكثف جنوداً . وأعتد عتادا^٢ وأطول عمادا ؟ تعبدوا (٣) للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار وطمعوا عنها بالكره والصغار . فهل بانفسكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية وأغنت عنهم فيها قد أصلتهم بحيلة ؟ بل قد أرهقتهم (٤) بالفوادح . وضعضعتهم بالنوائب . وعقرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد (٥) إليها حتى ظنوا عنها لفراق الأبد . الى آخر الامسد . هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتمهم إلا الندامة ؟

١٢ — نصيحة رجل لهشام

وخروج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأييت كاليوم ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح لمسلكك واستقامة رعيك . قال : ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإيجازها ؛ ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فائق العواقب ، وأن للآمر بفتات (٦) فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : لحدثت بها الحديث المهدي وفي

(١) المحروب . المسلوب المال

(٢) القتاد : العدة وعدة : صار عتادا حاضرا .

(٣) يريد . خضعوا

(٤) أرهقه . حمله مالا يطيق (٥) أخلد إليه . مال

(٦) البفتات : جمع بفتة وهي الفجأة .

يده لقمه قد رفعها الى فمه فأمسكها : وقال ويحك ! أعد على فقات : يا أمير المؤمنين أسغ (١) لقمته . فقال : حديثك أعجب الى .

١٣ — نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك . انى أكلبك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان ورأه إن قبلته ما تحبه . قال . هاته يا أعرابي فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ولا نرجو نصيحته وأنت المأمون غيبا الناصح جيبا (٢) . قال فاني سأطلق لسانى بما خرست عنه الإلسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتسبك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا (٣) دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للأخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما أتمنك الله عليه

١٤ — وخطب الحسين لما عزم على الخروج إلى العراق :

الحمد لله . وما شاء الله ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على رسوله ، خط الموت على ولد آدم ، لخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهنى على اسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف . وخير لى مصرع أنا لا فيه . كائن بأوصالى يتقطعها عسلان الفلوان بين النواويس وكر بلا فتملان منى أكر اشأ جوقا . وأجربة شعنا . لا يحيص عن يوم خط بالقلم رضا الله . ورضانا أهل البيت فنصبر على بلائه . ويوفينا أجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمة هى مجموعة له فى حظيرة القدس تقرهم عينه . وينجز لهم وعده ، ومن كان باذلافينا مهجته ، وموطنا على لقائنا نفسه فليرحل فاني راحل مصيبا إن شاء الله

(١) أساغ اللقمة . ابتلعها .

(٢) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أى أمين ، قال الشاعر .

وخشنت صدرا جيبه لك ناصح

(٣) اتباع . اشترى .

— ٤٠٦ —

وخطب غداة اليوم الذى استشهد فيه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد
أو بقى عليه أحد لكانت الانبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء ،
غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ، ونعيمها مضى حل وسرورها
مكفهر ، والمنزل تلة : ر الدار قلعة ، فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله
اعلمكم تفاحون

وصف الخطابة

في العصر الأموي

- ١ - كانت كل الظروف السياسية والاجتماعية والادبية تساعد إلى حد بعيد على ازدهار الخطابه وريقها في العصر الأموي
- ١ - فالثورات السياسية والحروب والخلافات بين الأحزاب^(١) والمبادئ والعقائد كل ذلك عمل عمله في نهضة الخطابة وسموها
- ٢ - وقربهم من العصر الجاهلي أمدهم بسلامة الملكات وبلاغه القول وحصافة الرأي بما كان له أثره في الخطابة الأموية، وساعد على ذلك أثر القرآن وبلاغته في نفوسهم وألسنتهم
- ٣ - وغلبة الشعور الديني، وكثرة مجالس الوعظ وقوة العصبية؛ مما دعا إلى الخطابة واستلزامها
- ٤ - وكثرة الفتوحات الإسلامية في خراسان وشمال أفريقية والاندلس كانت، عاملا من عوامل رفعة شأن الخطابة وكثرتها ونميتها
- ٥ - وكثرة الوفود على الخلفاء والأمراء والولاة جعل الخطابة أداة القول ووسيلة البيان في هذه المقامات والأحوال، وبعث فيها روح الفتوة والقوة والحصافة إلى غير ذلك من الأسباب التي حفزت على الخطابة وساعدت على نموها وبلوغها هذه المنزلة العالية بين ألوان الأدب في العصر الأموي الخافل
- ب - وموضوعات الخطابة أو أغراضها في هذا العصر كانت كثيرة متشعبة، ولقد زادت موضوعاتها بما استجد في شئون الدين والسياسة والاجتماع، ومن أهمها:

(١) وقد تعددت الأحزاب في العصر الأموي فمن شيعة وأمويين وخوارج

- ١ - استعمال الخطابة في الدعاية السياسية عند الفرق والأحزاب
- ٢ - استعمالها في الجدل الديني عند الخوارج والشيعية وسوام
- ٣ - استعمالها عند الخلفاء والولاة والأمراء أداة للوعيد والانذار
- ٤ - استعمالها في المناقشات والمفاخرات والمحاورات التي كانت تدور بين العصبية المختلفة في السياسة والاجتماع والآداب
- ٥ - استعمالها فوق ذلك في أغراض الجاهلية وصدر الاسلام من وصية بمعروف ونصيحة بخير وتحريض على القتال وتهمة بنصر وفي صلاة الجمعة والعديد والحج إلى غير ذلك من المواقف

ج - وتمتاز الخطابة في العصر الأموي بما يأتي :

- ١ - ظهور النزعة الدينية في الكثير منها كما في خطبة قطري من الفجاءة وأبي حمزة الشامي وسوامها
- ٢ - كثرة أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والانذار في الخطابة
- ٣ - اقتباسها من القرآن الكريم ثارة ومن الشعر الجاهلي أحيانا أخرى
- ٤ - التزامهم سب آل علي في خطب الأمويين السياسية والدينية ماعدا عمر بن عبد العزيز الذي أبدل ذلك وجعل مكان تنقص علي وآل بيته قوله تعالى وإن الله يأمر بالعدل والإحسان
- ٥ - ظهور أثر البلاغة الجاهلية بما فيها من إغراب وشدة وصلابة في خطابة هذا العصر (١)

(١) وكانت الخطب في هذا للعهد تفتتح دائما بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه وعابوا على زياد بن أبيه تجريد خطبته التي خطبها أول دخوله البصرة واليا عليها من حمد الله والصلاة على نبيه وسموها : البتراء ، لذلك .
ثم يفيض الخطيب في موضعه ثم يختمها بقوله : وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، وربما أعاد بعد ذلك الحمد لله والصلاة على النبي والدعاء للخليفة في الجمع والمواسم .

د - وقد بقيت هيئة الخطيب وعادات الخطابة كما هي وكما كانت في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وكان من سنة الخلفاء والولاة أن يخطبوا الناس بأنفسهم يوم الجمعة حتى جاء الوليد وكان كثير اللحن عي اللسان فأناوب عنه من يخطب الناس ومن ذلك الحين أخذت الخطابة تنزل عن مكاتها العالية وبدأت الكتابة تحتل مكانها الضخم وكانوا يحرصون في خطابتهم على التزيين بزي العرب والخطبة من قيام والاعتماد على قوس أو قائم سيف أو مخضرة ، وخطب الوليد بن عبد الملك جالسا فلم تستحسن منه ولا ممن خاكاه من بني أمية

ه - وعلى الجملة فقد بلغت الخطابة في هذا العصر منزلة عالية وحفلت بها النوادي والجمامع وقصور الخلفاء والأمراء وأماكن القضاء وميادين الحروب وذلك كله يرجع إلى سلامة الملكة وكثرة دواعي الخطابة وانتشار العصبية وما يشعر به العربي من أنفة وكبرياء

ونبع في الخطابة الكثير من البلغاء والفصحاء والمقاول المصاقع من بني هاشم وفصحاء القواد والبلغاء كالحسين بن علي ، وحفيده زيد ، وكعابرة وعبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ، وكالحجاج ، وقتيبة بن مسلم وخالد القسري والمهلب بن أبي صفرة من ولاتهم ، وكعبد الله بن الزبير والمختار وابن الأشعث من الخارجين عليهم ، وكعمران بن حطان وقطري بن الفجاءة وأبي حمزة الياضي من الخوارج ، وكصهسعة بن صوحان وسحبان بن وائل من رؤساء القبائل ، ومن خطباء الأمصار ممن أدرك الدولتين الأموية والعباسية كخالد بن صفوان وعقيل بن شبة .

ثانيا - الكتابة

في عصر بني أمية

نماذج للكتابة .

١ - كتب معاوية بن أبي سفيان الى ابنه يزيد وقد بلغه مقارفته ^(١) للذات وانهما كه في الشهوات .

أما بعد فقد أدت السنة التصريح الى أذن العناية بك ، ما فجح الأمل فيك ، وباعد الرجا منك ؛ إذ مالات العيون بهجة ، والقلوب هيبة ، وترامت ^(٢) إليك آمال الراغبين ، وهمم المنافسين ، فسخت بك فتیان قریش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة الموهوعة ^(٣) ، والكظ الجشء ^(٤) ، اقتحمت البوائق ^(٥) ، وانقدت إلى المعابر ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ، فليتك - يزيد - إذا كنت لم تكن ، سررت يافعا ناشئا ؛ وأثقلت كهلا ضائعا ^(٦) . فواحنه عليك يزيد ا وياحرصدر المشكل بك ، ما أشمت فتیان بنی هاشم ا وأذل فتیان بنی عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ا فن

(١) قارف الذنوب ، قاربها وخالطها

(٢) ترامت إليه العيون تطلعت

(٣) الجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية وكذا غيره من النعم والموهوعة من دوعه أى قياه وهذا تمثيل يقول إنهم يستنقلون ذكرك

(٤) الكظ الامتلاء من الطعام والجشء الكثير وهذا تمثيل أيضا

(٥) البوائق جمع بائقة وهى الداهية

(٦) الضائع والضليع القوى

لصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيهات ، خشت (١) الدربة (٢) وجه النصير بك ، وأبت الجناية إلا تتحذرا على الألسن وحلاوة على المناطق ، ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة انتزوها ! انتبه ، يزيد ، للعظة ، وشاور الفكرة ، ولا تكن الى سمعك أسرع من معناها الى عقلك ، واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرفة السلطان ، بما حسن قبجه واحلولى عندك مره ، أمر شركك فيه السواد (٣) ونافسكه الأعبء ، فاضعت به من قدرك وأمكننت به من نفسك فمن لهذا كله :

اعلم يا يزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للبلاهى والمزامير كما قال تعالى . أتنبون بكل ربيع آية تعشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (٤) وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرا اعلم يا زيد أن أول ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهى الجراحة العظمى ، والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات فى أوقاتها ؛ وهى من أعظم ما يحدث من آفاتنا ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر . فلا تأمن نفسك على شرك ، ولا تعقد (٥) على فعلك فما خير لذة تعقب الندم ؛ وتعنى (٦) الكرم ؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة فكأن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ، ترشد إن شاء الله تعالى وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردا من نومه فقد أصبح نصيب (٧) الاعتزال من كل مؤانس ، ودريئة (٨) الألسن الشامتة . وفقك الله فأحسن

(١) خش لعلم (٢) الدربة التجربة

(٣) السواد العامة

(٤) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة قطرى

(٥) يقول تفقد بالشراب الارادة والمزيمة

(٦) تعنى تذهب (٧) النصب هنا الغرض والهدف

(٨) الدريئة الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها

٢ - كتاب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة
ولما ولى الحجاج العراق ، استنفر الناس لقتال الخوارج منع المهلب بن أبي
صفرة ، وخرج المهلب في آثارهم ، ونشب بينه وبينهم القتال فأنكشفوا وقد كثر
فيهم القتل والجراح .

وكتب الحجاج إلى المهلب من قبل الوقعة :

« أما بعد : فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
ولاني وليتك وأنا أرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ،
واخترتك وأنت من أهل عمان ^(١) ، ثم رجس من الأزدي ، فالفهم يوم كذا في
مكان كذا ، وإلا أشرعت ^(٢) إليك صدر الرمح ، .
فشاور بنييه ، فقالوا : إنه أمير ، فلا تغاظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب :

« ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز ، وزعمت أنك وليتي
تري مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ، ولو وليتهما
لسكانا مستحقين لذلك ، في فضلتهما وغنائهما ^(٣) وبطشهما ، واخترتني وأنا رجل
من الأزدي ، ولعمري إن شرا من الأزدي لقبيلة ^(٤) تازعها ثلاث قبائل لم تستقر
في واحدة منهن ، وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا ، أشرعت
إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلبت إليك ظهر المعجن ^(٥) ، والسلام ، .

(١) عمان : بلد باليمن .

(٢) أشرعت : سددت .

(٣) أي كفايتهما .

(٤) يعني قبيلة ثقيف . قبيلة الحجاج ، فهي متنازعة بين هوازن ولباد وثمود .

(٥) المعجن : الترس ، وقلب له ظهر المعجن : كلمة تضرب مثلاً لمن كان لصاحبه

على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك ، أي أسقط الحياء وفعل ماشاء .

٣ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكان عروة بن الزبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به أن الحجاج يجمع على مطالبته بالأموال التي بيده وعزله عن عمله ، ففر إلى عبد الملك وعاد به تخوفاً من الحجاج ، واستدفاعاً لضرره وشره ، فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فإن لواءاً^(١) المعترضين بك ، وحلول الجائحين إلى المسكت بساحتك واستلاتهم دمك^(٢) ، أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض^(٣) المبرق لأعدائه لا يعدم له شائماً^(٤) ، رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال ، والناس عبيد العصا ، هم على الشدة أشد استباقاً منهم على اللين ، ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله ، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام فلما قرأ الكتاب بعث إلى عروة ثم قال له ، إن كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى إلا إشخاصك^(٥) إليه ، ثم قال لرسول الحجاج ، شأنك به ، فالتفت إليه عروة مقبلاً عليه وقال ،

« أما والله ما ذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتهوه ! والله لئن كان الملك بجواز الأمر ونفاذ النهي إن الحجاج لسلطان عليك ، ينفذ أموره دون

(١) لاذ به لوزا ولواذا ولياذا : لجأ إليه وعاد به ، وفي الأصل ولوزان ، ولم نجده في كتب اللغة مصدراً ؛ وإنما الذي فيها « ويقال هو بلوزان كذا بفتح اللام وسكون الواو أى بناحية كذا ، ومعناه هنا غير مناسب ، ولذا جعلناه (لواذا) .

(٢) دمك دمماً كترج فهو دمك : لأن وسهل ، والدمائة : سهولة الخلق .

(٣) العارض . السحاب المعترض في الأفق .

(٤) شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يخطر

(٥) أى إرسالك .

أمورك إنك تريد الأمر يزنيك عاجله ، ويبقى لك أكرومة (١) آجله ، فيجذبك
عنه ، ويلقاه دونك ، ليتولى من ذلك الحكم فيه ، فيحظى بشرف عفو إن كان ، أو
بجرم عقوبة إن كانت ، وما حاربك من حاربك إلا على أمر هذا بعضه ،
فنظر في كتاب الحجاج مرة ، ورفع بصره الى عروة تارة ، ثم دعا بدواة
وقرطاس ، فكتب اليه :

و أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك - مع ثقته بنصيحتك - خاطباً في السياسة
خبيط عشواء (٢) الليل ، فإن رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا ، هو
الذي أخرج رجالا للرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أخرجت العمامة بعنف
السياسة كانوا أوشك (٣) وثوبا عليك عند الفرصة ، ثم لا يلتفتون الى ضلال
الداعي ولا هداه ، إذا رجوا بذلك ادراك النار منك ، وقد وليت العراق قبلك
ساسة ، وهم يومئذ أحمر أنوفاً ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح
منك عليهم ، وللشدة واللين أهلون ، والافراط في العفو أفضل من الافراط في
العقوبة ، والسلام ؟

٤ - وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب
بسم الله الرحمن الرحيم :

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ولو احتمل
الكتاب أكثر مما ضمته لودت فيه وبقية الأصاغر على الأكبر من شيم الأكارم
ولقد أحسن مسكين الدراعي حين قال

أخاك أخاك أن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهص البازي بغير جناح

-
- (١) الأكرومة أفعل الكرم ، أفعولة من الكرم كأن عجيوبة من العجب
(٢) العشواء ، النساقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء
(٣) أى أسرع

وصف الكتابة في العصر الأموي

١ - علمتم أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم الف بالكتابة ولا معرفة لها وفي "صدر الاسلام" انتشرت الكتابة بتشجيع الرسول وخلفائه الحاجة إليها في تصريف شئون الدولة ومرافقها وتنظيم الدواوين المختلفة وأول من غنى بالكتابة في أعمال الخلافة والدولة عمر بن الخطاب فاتخذ ديوان الجيش يدون فيه أسماء الجند وأنسابهم وأعطيانهم فكان أول من دون الدواوين من الخلفاء وكان يقول لكتابه: "إن القوة على العمل لا تؤخروا عمل اليوم لغد فانكم إذا فلتتم ذلك تذاوت عليكم الأعمال فلا تدرون بأياها تبدءون وأياها تؤخرون". كما أنشأ عمر ديوان الخراج ويشبه وزارة المالية الآن وكان كل عمله حساب إيراد الدولة أو الأقليم ومصرفاتها وليس فيه عناية بأسلوب الكتابة ولا غتها

وكانت الكتابة في ظهورها في عصر صدر الإسلام بسيطة يغلب عليها عدم الصنعة أو التسكاف وتشيع فيها السهولة ويغلب عليها الإيجاز. لا أثر فيها للتوق وتهذيب الأساليب والحرص على الصنعة. وقد سبق تفصيل ذلك

٢ - وجاء العصر الأموي والكتابة على ما عادت فأنشأ معاوية ديوان الخاتم لتسجيل رسائل الخلافة حتى لا يطلع عليها أحد سوى المرسل إليه كما أنشأ ديوان الرسائل ويشبه نظام الديوان الملكي الآن وكان خاصاً بكتابة رسائل الخليفة وكان يكتب له على الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني ويكتب له على ديوان الخراج سرجون الرومي بالخط الرومي إلى أن نقلت دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية على يد صالح بن عبد الرحمن في أيام الحجاج، ومن الرومية

(١) وفي الأعاني ٢ / ١٦٤: كان الرجل في الجاهلية إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً ساجحاً راعياً سمواً السكامل، وأظن أن هذه الرواية مختلفة لندرة الكتابة في العصر الجاهلي.

إلى العربية على يد سليمان أيام عبد الملك ثم نقلت في مصر من القبطية إلى العربية زمن الوليد فأصبحت لغة الدواوين كلها عربية وبعد فلا يعنيها هنا الكتابة في ديوان الخراج أو ديوان الخاتم لأن الكتابة فيهما ليست موضع بحث الأدب وعنايته لأنها لا تعتمد على الأسلوب الفني البليغ .
ولأنما الذي يعنيها من الكتابة هو :

- ١ — ما كان يصدر عن ديوان الرسائل من الكتب البليغة الصادرة عن قصر الخلافة أو الإمارة إلى الولاة والقواد ورجال الدولة والعمال .
 - ٢ — ما كان يكتبه الكتاب والأدباء من الرسائل البليغة المختلفة في الأدب والاجتماع والسياسة والرسائل الاخوانية .
 - ٣ — ما كان يصدر من الخلفاء والولاة من توقععات أدبية بليغة .
- فهذه الألوان هي من أهم مظاهر الكتابة الفنية التي يعنى الأدب بالحديث عنها والكتابة في العصر الأموي تنقسم إلى عهدين .
- أ — العهد الأول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان الكتابة فيه تسير على نمط صدر الاسلام من الابدان واوضوح والسهولة والبساطة وقلة التكلف أو الصنعة . وكانت تصدر غالباً عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين رسائل الولاة .

ب — العهد الثاني من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة وقد أخذت الكتابة في هذا العهد تتدرج في التألق وأساليب البيان والصنعة والاطناب وكان زمام الكتابة بأيدي الموالى وأولهم سالم مولى هشام بن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب وابن المقفع فاحتفلوا بالكتابة وتألقوا فيها وظهرت عليها الصنعة وغلب عليها الاطناب وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التي كانت للخطابة والفضل في ذلك راجع إلى ما يأتي :

أولاً . اتساع أعمال الدولة وديوان الرسائل مما استدعى العناية بالكتابة والكتاب .

ثانيا : ضعف الملكات من أثر الاختلاط فقل الحرص على الخطابة وأخذت الكتابة في الظهور والذبول :

ثالثا : غباية الكتاب بالكتابة وجعلها صناعة فنية عديدة مع تعدد ثقافتهم الدينية والعربية والأدبية والأجنبية .

رابعا : ذبول الكتابة والثقافة وألوان من المدنية .

٥ - وأنواع الكتابة في هذا العصر هي كتابة الرسائل السياسية التي تصدر عن ديوان الرسائل ، والرسائل الاخوانية في العتاب والشوق والشكر والتهنئة وسواها ، والتوقيعات .

تحول الكتابة إلى صناعة فنية .

كان كثير من الكتاب والموالى يعرفون اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثره في النثر ، من عهد الرسول صلوات الله عليه . فزيد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كسرى والرومية من صاحب النبي والحشمية من خادم النبي والقبطية من خادمه ^(١) ، وتعلم السريانية بأمر الرسول ^(٢) ، وأبو العلاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل ونقل رسائل أرسطو إلى الاسكندر ^(٣) مما يدل على معرفته بلغة غير اللغة العربية ، وكان جبلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارس إلى العربي ^(٤) ، وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية فقد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان

(١) ٦ > ٣ العقد

(٢) ٧٣ الادب الاسلامي لمحمود مصطفى

(٤) ٣٤٢ فهرست

(٣) ١٧١ فهرست

(٢٧)

العربي، (١)، وهو أول من نقل ثقل ليدالفرس إلى الكتابة العربية، (٢)؛ وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة. ومن ذلك يظهر بوضوح أثر التقافات والأدب الفارسي على الخصوص في تطور الكتابة والنثر الفني في أدب لغتنا العربية.

وعبد الحميد الكاتب هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل وعنه أخذ المترسلون (٣)، وهو أحد كتاب القرن الثاني الذين فهموا (العصول) كما كان يفهمها علماء البيان من اليونان (٤)، وهو أول من فتح أكام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر (٥)، وآلت إليه زعامة الكتابة فهد سبيلها ووضح معالمها ورسم لها رسوما خاصة في بدئها وختامها والاطناب فيها مرة والايجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب (٦) وبحق لقد بدأ فن الكتابة بعبد الحميد كما يقولون (٧) ثم ازداد أثر الفارسية في النثر الأدبي فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامية والغزل بالمذكر (٨)

(١) ٦٩ صناعتين، ٢/ ٨٩ ديوان المعاني

(٢) ١/ ٥٧ النثر الفني وما بعدها (٣) ٧٠: فهرست

(٤) ص ١٠ مقدمة نقد النثر (٥) ٣/ العقد

(٦) ٢٩ العصر العباسي اللاكندري، راجع في ذلك ١١٣ تاريخ الأدب

العربي للزيات، وقد توفي عبد الحميد عام ١٣٢ هـ، وله من الآثار الأدبية: رسالة

إلى الكتائب [١٧٢ - ١٧٥ رسائل البلغاء]، ورسالته في الشطرنج [١٦٤ -

١٦٦ المرجع، ورسالة في نصيحة ولي العهد [١٣٩ - ١٦٤ المرجع]، وكلمات

ورسائل أخرى [١٦٦ - ١٧٢ المرجع]

(٧) راجع ٢٩٤ التوجيه الأدبي، والنقاد يقولون فتحت الكتابة بعبد الحميد

وختمت بابن العميد

(٨) راجع ١٤٧ - ١/ ١٦٢ النثر الفني والغزل بالمذكر أظهر في الشعر منه

في النثر

ثم ظهر ابن المقفع م ١٤٣ هـ ، وأحدث أثره في النثر الأدبي وفي تطوره
كان ابن المقفع من عنصر فارسي ، وهو أحد النقلة من الفارسية ^(١) إلى العربية
وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية ^(٢) إلى العربية ، والصحيح أن الذي
قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذي كان كاتب المنصور لأبوه ^(٣)
وابن المقفع هو إمام المنشئين في آخر الدولة الأموية وأول الدولة العباسية ،
وكان إمام الكتاب بعد عبد الحميد : وقد آخى ابن المقفع في طريقته بين التفكير
الفارسي والبلاغة العربية ، وكان مقدما في بلاغة اللسان والنظم والترجمة واختراع
المعاني وإبداع السير : فأدبه وإن كان عربى اللفظ والاسلوب فهو أجمعى الفكر والتأليف
فقد استخلص من الاسلوب الفارسي والعربي طريقة عرفت به وأخذت عنه ^(٤)
وتظهر مزيجه في ترتيب أفكاره وحسن تقسيمها ، ويغلب على أسلوبه القياس
المنطقي وتصوير الأفكار الدقيقة ، في حين يغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة
العربية كما تشيع في آثاره الحسنة بروضها بعدوية أعلامه وسلاسة أسلوبه ، وحقا
لقد كان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو
الاسلوب وهو أكثر كتاب عصره تأثقا في في صوغ الجملة ، وكان يقوم في
النثر بما كان يقوم به زهير في الشعر ، وهو أحد الكتاب الذي لم يلتزموا
السنج ^(٥) فكان في كلامهم قليلا ولكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الالفاظ

(١) ٧٢ فهرست

(٢) ويقول ابن النديم : وكتاب المقولات لأرسطو فسرّه ابن المقفع (٣٤٨)
فهرست ، ويقول : وكتاب العبارة لأرسطو اختصره ابن المقفع (٣٤٨) فهرست ،
١٠ ابن المقفع لمردم بك ، ويقولون : وابن المقفع أول من أعتنى في المسألة
الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور (٣٨ ابن المقفع لمردم بك)

(٣) ١٠٥ - ١٢٠ التراث اليوناني لعبد الرحمن البديوي

(٤) ٢٢٢ الزيات

(٥) ١/٧١ النثر الفنى

في الفصول والمقاطع إلا في مواضع يسيره (١)، وقد اهتموا ببسط المعاني وتأكيدها وتركوا مذهب الأيجاز الذي كان شائنا في القرن الأول إلى الاطناب والايضاح وتنويع العبارة وتقطيع الجملة والازاوجة بين الكلمات وتوخي الافهام، وابن المقفع أول من افصح بحال الأدب العربي بالترجمة، فهو الذي ترجم كلية ودممته ترجمة، ثم عن جهد بذله المترجم في تحرير الخصائص الهندية الصميمة التي للكتاب الأصلي (بنثشا تنترا) ليحمله ملائما للذوق العربي وأضاف إليه فصولا جديدة في مواضع مختلفة (٢)

ومع أن ابن المقفع فارسي الأصل إلا أنه كان ابلغ البلغاء وكان معدودا من أساطين الفصاحة العربية. على أن هناك فوارق واضحة بين أسلوبه وأسلوب من قبله من الخطباء لفته وتركيب جملة كلاهما أدنى إلى البساطة، وأسلوبه أكثر مباشرة واستقامة وأقل تليجا وإشارة، والاتجاه إلى ما في الفسار من القوة الخيالية والمقدرة اللغوية يصل في كتابته إلى ما يقرب من العدم، كما أن ازدواج القواصل يكاد يكون ليس له عنده وجود. وبدلا من التصوير اللفظي القوي والألفاظ الطنانة؛ يعتمد ابن المقفع في استحداث روعة أسلوبه على استخدام العبارات المصقولة الجلية

وعلى الرغم من أن ابن المقفع كان يبنى على الأساس الذي وضعه الكتاب، لم يكن أسلوب النثر العربي قد تطور بعد تطورا كاملا، حينما كان يعالج

(١) ١٦٧ سر الفصاحة. ولا تكاد تجد كتابا في القرن الأول والثاني وأوائل الثالث يتخذ السجع طابعا ملازما لنثره، وقد كان السجع كثيرا في الجاهلية وغلب على النثر في عصر النبوة ثم أخذ سلطانه يضعف قليلا في العصر الأموي ولكنه عاد يسترد قوته في أوائل القرن الثالث

(٢) ولابن المقفع آراء كثيرة متفرقة في البلاغة (راجع: ١/٩١، البيان، ١٥ - ١٧ صناعتين، ويرى له: البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صور الحق (٥٣ ضاعتين) والصحيح أن ذلك للعتابي (٩٠، البيان)

موضوعات جديدة ويعبر عن المعاني المجردة التي لم يكن لها بعد اصطلاحات ثابتة في اللغة المتداولة كان مضطرا إلى ابتكار ألفاظ ومصطلحات من عنده لتؤدي تلك المعاني. على مثال ما يفعل كثير من كتابنا المعاصرين إذ يحاولون التعبير عن الأفكار الحديثة باستخدام تراكيب جديدة. ويدل تاريخ جمع الآداب على أن ابتكار أسلوب نثرى متصرف قوى التعبير أصعب بكثير من ابتكار أسلوب شعري وأن الأول يحتاج إلى وقت طويل وبعد فإن الموالى من أبناء الفرس والروم ومن ورثة الثقافة الفارسية والاعريقية والرومية

كان لهم أثرهم البعيد في تحويل الكتاب إلى صناعة فنية عتيقة لها منهجها وأسلوبها وطريق أدائها ولها نظامها في البدء والختام وتكرار التعميد في فصول الكتاب والتوسع في الأسلوب والإطناب فيه بالترادف وغيره من ألوان الإطناب وفي عهد سبالم وعبد الحميد قلل الكتاب من استعمال الغريب والوحشي من الألفاظ في كتابة الرسائل، وتجنبوا التعقيد وتباعد الأفكار، فاشتدت الصلة بين كل جملة وما يليها، فقل الاقتضاب والاعتراض بين أجزاء الكلام بأجنبي.

ثانياً - التوقيعات

هو لون ألوان الكتابة الادبية دعت حاجة الدولة والخلافة اليه وكان مظهره هذه التوقيعات الموجزة التي يكتبها الخليفة أو والي أو عمالهما على ما يرفع اليهم من شكايات ومظالم أو مطالب وحاجات .
وقد وجد التوقيع في عصر صدر الاسلام وسبق أن ذكرنا لك أمثلة من توقيعات أبي بكر وعمر وعثمان وعلى (١)

ولما زاد عمران الدولة اتساعا وكثرت مطالب العيش والحياة والسياسة في عصر بني أمية كثر ما يرفع إلى الخلفاء والولاة من شكايات ومطالب وكثرت التوقيعات تبعاً لذلك وصار فيها القوم على نهج البلاغة والدق مع الإيجاز .
نماذج من التوقيعات :

وقع معاوية : نحن الزمان من رفعا ارتفع ومن وضعناه اتضع
وكتب اليه الحسن بن علي فأغلاظ فوقه في كتابه : ليت طول حلينا عنك
لا يدعو إلى جهل غيرنا إليك
وقع سعيد بن العاص في كتاب لزياد يخاطب اليه فيه : كلا إن الانسان ليطغى
أن رآه استغنى

(١) ويروي أن أول توقيع عرف كان لعمر حين كتب اليه سعيد بن د ابن ما يكتك من الهواجر وأذى المطر . ووقع لعمر بن العاص : د كن لرعيك كما تحب أن يكون لك أميرك . والصحيح أن لابي بكر توقيعات مروية عنه
هذا ومن معاني التوقيع في اللغة : الأصابة ، والرمى لاتباعده ، كأنك تريد أن توقعه على شيء .

والدبر الذي يكون في ظهر الدابة ويقال بعير موقع ، ولأقبال الصيقل على السيف بميقته يجلوه . وفي الاصطلاح أن يكتب على حواشي الكتاب أو القصة المرفوعة إلى السلطان ما يفيد الاطلاع عليها وإيراد الرأي فيها

ووقع يزيد في كتاب لعبد الله بن جعفر يستوهبه جماعة من أهل المدينة : من عرفت فهو آمن

ووقع عبد الملك في كتاب للحجاج يكافيه أهل العراق إلى الخليفة : أرفق بهم فإنه لا يكون مع الرق ما تكره ومع الخرق ما تحب
ووقع في كتاب رجل استنصحه : إن كنت صادقاً أثبتاك وإن كنت كاذباً عاقبتاك وإن شئت أقتلناك

ووقع معاوية بن أبي سفيان لما كتب إليه ربيعة بن عسل البربري يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة بأثنى عشر ألف جذع : أدراك في البصرة أم البصرة في دارك
ووقع يزيد بن معاوية لما كتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل الحيرة فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس على القوم الفاسقين

ووقع عبد الملك بن مروان لما كتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ويستأذنه في قتل أشرفهم فوقع له : إن من يمن السائس أن يتألف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون ، وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى

ووقع سليمان بن عبد الملك لما كتب قتيبة بن مسلم إليه يتهده بالخلع فوقع في كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا أبشر بطول سلامة يا مريع
ووقع عمر بن عبد العزيز لما كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ، وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوى الله ، وإلى عامله على الكوفة وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله فبهم اقتده

ووقع زياد في قصة منظم : كفيت
وفي قصة رجل شكل إليه حقوق ابنه : ربما كان حقوق الولد من سوء تأديب الوالد

الاجوبة والمحاورات والملفاخرات

بماذج لها :

١ - أبو الأسود الدؤلى وزوجه :

كان أبو الأسود الدؤلى من أكابر الناس عند معاوية بن أبى سفيان ، وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبى الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إن الله جعلك خليفة فى البلاد ، رقيقاً على العباد ، يستسقى بك المطر ، ويستنبت بك الشجر وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف (١) ، فأنت الخليفة المصطفى والامام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة فى غير تغيير ، والعافية من غير تعذير (٢) ، قد ألتأتى إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه المخرج ، لأمر كرهت عاره (٣) ، لما خشيت إظهاره ، فلم يصفى أمير المؤمنين من الخصم ، فأتى أعوذ بعقوته (٤) من العار الويل ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ، ذات البعول الأجاثر (٥) .

فقال لها معاوية : ومن بملك هذا الذى تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر (٦) ؟ فقالت أبو الأسود الدؤلى .

(١) الجانف : المائل . (٢) تعذير : نقص .

(٣) تسكنى بذلك عن طلاقها .

(٤) العقوة : ما حول الدار .

(٥) البعول . جمع بعول وهو الزوج . والأجاثر . جمع أجور تفضيل من جار .

(٦) شهره كمنعه وشهره : أظهره فى شناعة .

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود :
هي تقول من الحق بعضاً ، وإن يستطيع أحد عليها نقضا ، أما ما ذكرت من
طلاقها فهو حق ، وأنا أخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين
ما طلقناها عن ريبة ظهرت ، ولا لآي هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ،
فقطعت عنى حبائلها .

فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك مبهجها على بجواب عتيد ^(١) ، ولسان شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال
أبو الأسود يا أمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب ^(٢) مهينة للآهل
مؤذية للبعل ، مسيئة لى الجار ، مظهرة للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وأن رأت
شراً أذاعته .

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ،
لرددت عليك بوادى كلامك ، بنوافذ أقرع بها كل ^(٣) سهامك ، وإن كان لا يحمل
بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً .

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبتك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما علمته إلا
سمولاً جهولاً ، ملحاً بخيلاً ^(٤) ، إن قال فشر قائل ، وإن سكت فنذو دغائل ^(٥)
ليث حين يأمن ، وتعلب حين يخاف ؛ شحيح حين يضاف ، وإذا ذكر الجود انقمع
لما يعرف من قصر رشائه ؛ ولو لم آباه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظ

(١) عتيد : حاضر .

(٢) الذرب : حدة اللسان .

(٣) يقال كل السيف إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل .

(٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله فى ذلك نوادر .

(٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة دخل فى الأمر مفسد .

جاراً ، ولا يحى ذماراً ، ولا يدرك ثاراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه .^(١)

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتى به هذه المرأة من السجيم فقال أبو الاسود أصلح الله ألبير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : إذا كان رواحاً^(٢) فتعالى أفضل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعهما ابنتها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الاسود قام إليها لينزع ابنه منها ، فقال له معاوية . يا أبا الاسود ، لا تمجل المرأة أن تنطق بحجتها .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابنتي منها ، فقال له معاوية . يا أبا الاسود دعها تفل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله . فقالت . صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفياً ، وحملته فقلاً ، إن بطنى لوعاؤه ، وإن ثديى لسقاؤه وإن حجرى لفناؤه . فقال معاوية . سبحان الله لما تأتى به ، ثم قال لأبى الاسود إنها قد غلبتك فى الكلام ، فتكلف لها أبيتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ يقول .

مرحباً بالتي تجور علينا
أغلقت بابها على وقالت :
شغلت نفسها على فراغاً
فأجابته .

ليس من قال بالصواب وبالخس
كان ثدي سقاءه حين يضحى
لست أبغى بواحدى يا بن حرب
ففضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنتها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى .

(٢) نريد بالخليل محمد رسول الله .

٢- ودخل ^(١) صمصعة ^(٢) بن صوحان على معاوية رضي الله عنه أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقال له معاوية : بمن الرجل ؟ قال من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احترش ^(٣) ، وإذا انصرف الكمش ، وإذا لقي اقترش .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخليل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ^(٤) ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا أنضى ^(٥) .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من جديلة . قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد ^(٦) ، ويعد الجياد ، ويحمي الجلابد .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من دعى . قال : وما دعى ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشراً قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى : قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات ^(٧) ، ويكثر الغارات ، ويحمي الجارات .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ، ججاججة ^(٨) قادة ، صناديد سادة .

(١) بلوغ الأرب ص ٢٠٥ ج ٣ ، صبح الأعشى ص ٢٥٤ ج ١ ، مروج

الذهب ص ٧٧ ج ٢ ، الأمالى ص ٢٣٠ ج ٢

(٢) صمصعة بن صوحان . كان خطيباً بليغاً عاقلاً له شعر ، شهد صفين . مع

على وله مع معاوية مواقف ، ومات نحو سنة ٦٠ هـ

(٣) احترش . جمع وكسب

(٤) أفضى إلى الشيء . وصل

(٥) أنضى بعيره . هزله ، وثوبه أبلاه

(٦) النجاد . حائل السيف .

(٧) القارات ، جمع قارة ، وهي الجبيل الصغير

(٨) ججاججة . جمع ججاجج . السيد

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان ذا رماح مشرعة ، وقذور مترعة ^(١) ، وجفان وفرغة
قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من السكين . قال وما السكين ؟ قال : كان يباشر القتال ، ويمانق الأبطال ، ويبدد الأموال

قال : فمن أى ولده أنت . قال : من عجل قال : وما عجل ؟ قال : اللبوث الضراغمة ^(٢) ، الملوك ^(٣) ، القباقي ، القروم القشاعمة ^(٤)

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كان يسعر ^(٥) الحرب ، ويحميد الضرب ، ويكشف الكرب

قال : فمن أى ولده أنت ، قال : من مالك . قال : وما مالك ؟ قال : اللهمم اللهمم ، والقممقام للقمقام .

قال معاوية . والله ماتركت لهذا الحى من قريش شيئاً ؟ قال : بل تركت أكثره وأحبّه . قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوبر والمدر ^(٦) ، والأبيض والأصفر ، والصفاء المشعر ^(٧) ، والقبة والفخر ، والسريير والمنسبر ، والمملك إلى المحشر .

فقال : أما والله لقد كان يسوءنى أن أراك أسيراً . فقال ، وأنا والله لقد كان يسوءنى أن أراك أميراً ، ثم خرج ، فبعث إليه فرده ، ووصله وأكرمه

(١) مترعة . مملوءة

(٢) جمع ضرغام . الأسد

(٣) جمع ققام . السيد

(٤) القرم السيد ، والقشعم . الأسد أو الرجل المسن (ويقصد المجرب)

(٥) سحر الحرب . أو قدما

(٦) كناية عن البادية والمدن

(٧) المشعر . موضع مناسك الحج

وقال: عبد الملك (١) بن مروان يوماً لجلسائه . خبروني عن حى من أحياء العرب فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس في قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً .

قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى أن تكون في قریش اقال : لا اقالوا ؛ ففي حمير وسلوكها اقال : لا . قالوا : ففي مضر اقال : لا .

قال مصقلة بن رقيه العبدى . فهي إذن في ربيعة ؛ ونحن هم . قال . نعم . قال جلساؤه . ما نعرف هذا في عبد القيس ، إلا أن نخبرنا به يا أمير المؤمنين .

قال . نعم ! أما أشد الناس حكيماً (٢) بن جبلة ؛ كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقطعت ساقه ، فضمها إليه ، حتى مر به الذى قطعها فرماه بها ، فألقاه عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله ، واتكأ عليه ، فر به الناس ، فقالوا . يا حكيماً ، من قطع ساقك ؟ قال . وسادى هذا أنا أنشأ يقول :

يا ساق . لا تراعى
أنت معى ذراعى

أحى بها كراعى (٣)

وأما أسخى الناس فعبد الله بن سوار ، استعمله معاوية على السند فسار إليها في أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار جيثماً سار فيطعمهم الناس ، فبينما هو ذات يوم ، إذا أبصر ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا . أصلح الله الأمير

العقد ص ٢٣٢ ج ٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهانهم ، استعمله معاوية على المدينة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦ هـ

(٢) حكيماً بن جبلة صحابى ، اشترك في الفتنة أيام عثمان ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب على وقتل في هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ

(٣) الكراعى : اسم يجمع الخيل والسلاح .

اعتل بعض أصحابنا ، فاشتبهى خبيصاً (١) ، فعلنا له : فأمر خبازه ألا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصالح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم ، فسمى مطعم الخبيص !

وأما أطوع الناس في قومه فالجارود (٢) بن بشر بن العلاء ، لأنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ؛ فاستمسكوا بأيديكم ، فنذهب له في هذه الردة دينار أو درهم ، أو بعير أو شاة ، فله على مثله ، فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان ، دخل على معاوية في وفد أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر . قد متم على خير أمير ، يبز كبيركم . ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلياء عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام ، حمد الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدر الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر وإليها المحشر فلعمري ما ينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمننا ، وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلياء عقلاء ، فقد ولدتم خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم !

وأما أحلم الناس فإن وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرقه رسول الله ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ،

(١) الخبيص : الطعام من النمر والسمن

(٢) هو ابن بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك

الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

ثم قال : يا أشجع ، أدن مني ؛ فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله :
الإنانة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً !

٤ وروى (١) أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن
الزبير جلس لعرض أحياء العرب ، فقام إليه معبد بن خالد الجديلي وكان قصيراً
دهيماً . فتقدمه إليه رجل حسن الهيئة .

قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل
شيئاً . وكان منا ، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة ، فأقبل على
الرجل وتركني فقال : من أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان
عروانياً ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ قال الرجل :
لا أدري ، فقلت : نهشته حية في إصبعه فبيست فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وهم
كان يسمى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان يسمى حرثان ، فأقبل على
الرجل وتركني ، فقال : من أي عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناج الذين
يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناج فلا تذكرهم ولا تتبع عينيك ما كان هالكاً
إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول وهيب لا أسالم ذلكا
فأضحى كظهر الفجل جب سنامه يدب إلى الأعداء أحذب باركا
فأقبل على الرجل وتركني وقال : أنشدني قوله : عذير الحى من عدوان ،
قال الرجل : لست أروها ، قلت : يا أمير المؤمنين : إن شئت أنشدتك . قال :
أدن مني ، فاني أراك بقومك عالماً . فأنشدته :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقض
إذا أبرم أمراً خا له يقضى وما يقضى
يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضى
عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الأرض

بغى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز لنا (١) س بالسنة والقرض
وهم من ولدوا اشبوا (٢) بسر الحسب المحض
ومن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرض
وهم بوا (٣) ثقيفاً ذا ر لا ذل ولا خفض
فأقبل على الرجل وتركني وقال . كم عطاؤك ؟ فقال . ألفان . فأقبل على
كاتبه وقال . اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا . فانصرفت بها .

هـ - ودخل (٤) رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له : بمن
الرجل ؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
فقال . فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل .
يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها
قال . فمن أيهم أنت قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
ثياب بني عوف طهارى نقيية وأوجههم بيض المشافر غران (٥)
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .

(١) كانت إجازة الحج لخزاعة . ثم انتقلت إلى عدوان . يقف وييسهم في
أيام الحج يخطب في الناس . ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك

(٢) يقال . أشبي فلان إذا ولد له ولد كيس

(٣) بوا . أنزلوا .

(٤) نهاية الأرب ص ٣٠٠ ج ٣

(٥) يقال . رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه . من قوم غر وجران .

والبيت لامرئ القيس (اللسان مادة غر)

فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يذنوا المكارم حيث شاموا
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا ؟
قال . أجلس لأجلس ! والله لقد خفت أن تفخر على !

٦ - بين معاوية وعقيل بن أبي طالب .

لما اعتزل عقيل بن أبي طالب أخاه ملياً كرم الله وجهه ، إلى معاوية بطلب
عنده الدنيا ، قال له معاوية . أنا خير لك من أخيك علي ، فقال عقيل . صدقت ،
إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت قد آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من
أخي ، وأخي خير لنفسه منك .

٧ - بين معاوية وعبد الله بن عباس

اجتمعت قریش الشام والحجاز عند معاوية يوماً وفيهم عبد الله بن عباس فقال
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، لحفظت الميت في
الحى ، والحقى في الميت ، استعملك على ابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد
الله أخاك على اليمن ؛ واستعمل أخاك على المدينة (١) فلما كان من الأمر ما كان
هناكم (٢) ما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم (٣) ، وقلت آخذ اليوم
وأعطى غدا مثله ، وعلمت أن بدء اللوم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت
بمخلاقكم وقيادكم ما أكلتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الأبل ، وذنوبكم إلينا
أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذلتم عثمان بالمدينة ؛ وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتمونى
بصفين ، ولعمري لئنو تيم وعدى (٤) أعظم ذنوباً منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم

(١) هو تمام ، كما استعمل أخاه قثم على مكة

(٢) هناك كذا من بابى منع وضرب ، أطعمه إياه

(٣) جمع غراره بالكسر وهى الحقيقة

(٤) يعنى بنى تيم آل أبى بكر فهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ويعنى

بنى عدى آل عمر فهو من عدى بن كعب بن لؤى

هذا الامر ، وسنوافيكم هذه السنة ، حتى متى أغضى الجفون هلى القذى ^(١)
 وأصحاب الذبول على الأذى ^(٢) وأقول لعل الله وعسى ، ماتقول يابن عباس ؟
 فتكلم ابن عباس فقال

رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين ^(٣) لم يكن لأبى من مال إلا
 ما فضل لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبى ، ولكن من هنا أباك بأخاء أبى أكثر
 من هنا أبى بأخاء أبيك ، نصر أبى أباك فى الجاهلية ، وحقن دمه فى الاسلام ^(٤)
 وأما استعمال على إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجلا لهواك
 لا لنفسك . منهم ابن الحضرمى على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على اليمن ثغان
 وحبيب بن مر على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيسى الفهرى على السكوفة لمصعب ،
 ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا
 عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى
 عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسناها ، وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه ^(٥) ،
 وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم بمدخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفيين
 فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بديم وعدى فلو أردناها ما
 غلبونا عليها ^(٦) وسكت ^(٧)

-
- (١) القذى ما يقع فى العين وفى الشراب فيعكرهما
 (٢) الأذى المسكروه اليسير وما بالطريق من قذر
 (٣) التفاوض الاشتراك فى كل شىء والمساواة
 (٤) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبى سفيان يوم بدر ، ثم إلى ما كان
 من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٥) يعرض بمعاوية إذ كان أولى من بنى هاشم بنصرة عثمان لأنهما أمويان .
 (٦) الضمير للخلافة . (٧) فى هذه المحاورة يقول ابن أبى لهب :
 كان ابن حرب عظيم القدر فى الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
 ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استقاد وما بالحق من بانس
 لم يترك خطه مما يذلل إلا كواه بها فى فروة الرأس

٨ - بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان
 جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال : لقد
 هممت اليوم يا أخى أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ؛ فقال له خالد : بئس والله
 ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ، فما ذاك ؟
 قال : إن خيلت مرث به فعبث بها وأصغرنى ، فقال له خالد : أنا أكفيك ؛
 فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال : يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير
 المؤمنين وولى عهد المسلمين ، مرث به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها
 وأصغره ، وكان عبد الملك مطرقا ، فرفع رأسه وقال : وإن الملوك إذا دخلوا
 قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، فقال خالد : وإذا
 أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ؛ لحق عليها القول فدمرناها
 تدميرا ، فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل أمس على ، فما
 أقام لسانه لنا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تمول يا أمير المؤمنين ؟
 قال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان
 عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ؛ فالتفت الوليد إلى خالد وقال له : اسكت يا خالد
 فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم التفت
 إلى الوليد فقال له : ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبو سفيان
 صاحب العير ، وجدى عتبة صاحب النفير ^(١) ؟ وإم كن لوقات غنيمات وحيللات
 والطائف ، ورحم الله عثمان ، فلما صدقت ^(٢) .

٩ - بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

(١) العير : الأبل تحمل الميرة ، والمراد هنا عير قریش التي كان يقودها
 أبو سفيان ، وترصدها رسول الله فساخل بها أبو سفيان وترك بذرا يسارا .
 والنفير القوم ينفرون للحرب ، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير
 تحت رئاسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأبيه ولم يخاف إلا بنو زهرة ، فقيل فيهم
 المثل : لافى العير ولا فى النفير ، .

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن =

جلس عبد الملك بن مروان يوماً وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، وعند رجله أمية أخو خالد، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

هذا والله التوفير وهذه الأمانة ، لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط فاسق ^(١) ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً . وأستعملت هذا على خراسان ، وأشار إلى أمية فأهدى إلى برذونين حطمين ^(٢) فان استعملتكم ضيعتم ، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد :

استعملتني على العراق وأهله رجلاً ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ^(٣) ، فأما السامع المطيع المناصح فانا جزيناها لينداد ودأ إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فانا داريناها ضغنه ، وسللنا حقدده ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك ، وإن هذا ^(٤) ، جبي الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال .

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .
١٠ - بين عبد الملك وأحد عماله :

بلغ عبد الملك أن عاملاً من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه إليه ، فلما دخل

== العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحسك إلى الطائف، وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيبات أي كريمات يستظل بهما ويرعى غنيات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فرده للرحم بينهما ، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة .

(١) لط حقه وألطفه ججده .

(٢) يقال فرس حطم كفرح إذا هزل وأسن فضعف وتهدم .

(٣) المكاشح الذي يضمرك لك العداوة بين كشحيه ومثله الكاشح .

(٤) يعني الحجاج .

عليه قال له : أقبلك هدية منذ وليتك ؟ قال يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال ، أجب فيما سألتك عنه ، أقبلك هدية منذ وليتك ؟ قال . نعم فقال له .

لئن كنت قبلك ولم تعرض لإنك للثيم ، ولئن أنلت مهديك لا من مالك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعرض المهدي إليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك ، إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمرا لم يحل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، ثم نحاه عن عمله .

١١ - بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن روبة على عبد الملك مروان فقال عبد الملك ، يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال . يا أمير المؤمنين . من قدر على تشيد الابنية أمكنه إخراج الأخيه قال . فما يمنعك من ذلك ؟ قال إن لما عزا يمنعنا من أن نظلم . وإن لنا حلما يمنعنا من أن نظلم ، فسلام الهجاء ؟ فقال . لكلماتك أشعر من شعرك ، فاني لك عز يمنعك من أن نظلم ؟ قال . الادب البارع والفهم الناصع . قال . فما الحلم الذي يمنعك من أن نظلم ؟ قال . الادب المستطرف والطبع الثالذ . قال . يا عجاج لقد أصبحت حكما . قال . وما يمنعني وأنا نجى أمير المؤمنين .

١٢ - بين الحجاج وكعب الأشقرى .

لما هزم المهلب بن أبي صفرة الأزراقة وقتل خليفته عبد ربه الصغير أو فد بذلك إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى ، فلما دخل عليه قال له الحجاج . أخبرني عن بنى المهلب ، فقال . المغيرة فارسهم وسيدهم ، نازكية ، وصعدة عالية ^(١) ، وكنى يزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبجر جم عباب ، وجوادهم وسخيم قبيصة ، ليث المغار ^(٢) ، وحامى الذمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفر

(١) الصعدة القناة تثبت مستوية مثقفة .

(٢) المغار مصدر ميمى أى الاغارة .

من مدرك ، وكيف لا يفرون الموت الحاضر ، والأسد الحادر ، وعبد الملك سم
ذئبق ؛ وسيف قاطع ؛ وحبيب الموت الزعاف (١) ، إنما هو طود شامخ ، ونفخ
بإذخ ، وأبو عيينة البطل الهام ، والسيوف الحسام (٢) ؛ وكفالك بالفضل نجدة ،
ليث هذار ، وبحر موار (٣) ، ومحمد ليث غاب ؛ وحسام ضراب . قال . فكيف
كانوا فيكم ؟ قال . كانوا حمة السرح نهارا فإذا ألبوا ففرسان البيات (٤) . قال .
فأيهم كان أنجد ، قال . كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، قال . فكيف
كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد . قال .
فكيف كان جماعة الناس ؟ قال . على أحسن حال ، أدركوا مارجوا ، وأمنوا بما
خافوا ، وأرضاهم العدل وأغناهم النفل ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال
كننا إذا أخذنا عدونا ، وإذا أخذوا يثسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا بطمعنا
فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، كيف أفلتكم قطري ؟ قال كدناه
ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعوه ! قال : كان الحد
عندنا أثر من الفل . قال : أكنت أعددت لي بعض هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم
الغيب إلا الله ، فقال الحجاج : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك
حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده إلى
عبد الملك ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

١٣ - وقال سفيان الثوري (٥) :

كننا عند هشام (٦) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز . وكان

(١) الزعاف وبالدال أيضا السم القاتل لساعته .

(٢) الحسام القاطع من حشم الشيء قطعته .

(٣) الموار المضطرب بأمواجه .

(٤) السرح السائمة تسرح المرعى ، وألبوا دخلوا في الليل .

(٥) العقد ص ١٧٦ ج ٣ ، الأمال ص ١٤٧ ج ١ ، صبح الأعشى ص ٢٦٤ ج ١

(٦) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل حليما

عفيقا ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع توفي سنة ١٢٥ هـ .

شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرت كلامهم وكان محمد بن أبي الجهم أعظم أعظم القوم قدراً ، واكبرهم سناً وأفضلهم رأياً وحليماً ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ، وأكثرت وأطنبت ، والله ما يبلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال . أفأوجز أم اطنب ؟ قال . بل أوجز .

قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالنعوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ هاتها ، قال . كبرت سنى ، ونال الدهر منى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى فقرى فعل ! قال : وما الذى ينفى فقرى ، ويجبر كسرك ؟ قال . ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق فأهشام طويلاً ، ثم قال . هيات يا بن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت فقال . إن الله آثرك لمجلسك ، فإن تعطينا لحقاً أدبت ، وإن تمنعنا ففسأل الذى بيده ما حويت . يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لأن أحبك أحب إلى من أن أبغضك !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال . أقضى بها ديناً فدحنى ^(١) قضاؤه ، وقد عنانى حملة ، وأضرى أهله . قال . فلا بأس ، تنفس كربة ، وتؤدى أمانة . وألف دينار لماذا ؟ قال . أزوج بها من أدرك من ولدى . قال نعم المسلك سلك ، أغضضت بصراً ، وأعففت ولداً ، ورفعت نسلاً . وألف دينار لماذا ؟ قال . أشترى بها أرضاً يعيش بها ولدى ، واستعين بفضلها على نوائب دهري ، وتكون ذخراً لمن بقى .

قال . فانا قد أمرنا لك بما سالت . قال . فالحمد لله على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ، ثم خرج

(١) فدحنى : أثقلنى .

فاتبعه هشام بصره ، وقال : تالله ما رأيت رجلاً أظف في سؤال ، ولا أرفق في مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشي . أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نعطى تذكيراً ولا نمنع تقثيراً ، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأماؤه على عبادته ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جئنا (١) قائلاً ، ولا ردداً سائلاً ، ونسال الذي بيده ما استحقظنا أن يجره على أيدينا ، فانه يبسط الرزق لمن يشاء من عبادته ويقدر (٢) ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال إنه مبتلى ؛ وليس المبتلى كالمعتلى .

١٤ - وفد عروة (٣) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ؟ فقال له . ألسنت القائل :
لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسمى له فيعيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعينني

(١) جبهه : لقيه بما يكره (٢) يقدر . يقسم .
الشعر والشعراء ص ٢٢٥ ، المستطرف ص ٧ جزء أول ، ابن خلسكان

ص ٢١٢ ج ١

(٢) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ، وقفت عليه سكينه بذت الحسين مرة فقالت له : أنت القائل :
إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء القوم أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فن نار على الأحشاء تنقد .
فقال لها نعم . فقالت . وأنت القائل .
قالت وأبشنتها سري وبحت به قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
ألسنت تبصر من حولي فقلت لها غطي هواك وما ألقى على بصري
قال : نعم ، فالتفتت إلى جواربها وقالت : من حرائر إن كان خرج هذا من
قلب سليم قط

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين، زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا رد وافدك خائباً. والله لقد بالغت في الوعظ، وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى راحلته، فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز، فلما كان في الليل ذكره هشام، وهو في فراشه، فقال : رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلى، فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول.

فلما أصبح سأل عنه فأخبره بانصرافه، وقال : لا جرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه. ثم دعا مولى له، وأعطاه ألفي دينار، وقال : الحق بهذه ابن أذنية، وأعطه ليهاها، فأدركه وقد دخل بيته، ففزع الباب عليه، فخرج إليه، فأعطاه المال.

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سعت، فأكدبت، ورجعت إلى بيتي فأتماني رزقي

١٥ - وورد أبو النجم^(٢) على هشام بن عبد الملك في الشعراء، فقال لهم هشام صفوا لي إبلًا ففطروها وأوردوها وأصدروها حتى كاثني أنظر إليها، فأنشده، وأنشده أبو النجم :

الحمد لله الوهب المجول،

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهي على الأفق كعين . . . » وأراد أن يقول : الأحول، ثم ذكر حولة هشام، فلم يتم البيت، وأرتج عليه. فقال هشام : أجز البيت، فقال : « كعين الأحول، وأتم القصيدة، فأمر هشام فوجي^(٣) عنقه، وأخرج من الرصافة، وقال لصاحب شرطته : ياربيع إياك وأن أرى هذا ! فكلّم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل.

(١) الكامل ص ٣٩ ج ٢، الأغاني ص ١٤٥ ج ١٠، رغبة الآمل

ص ٢٢٩ ج ٦ .

(٢) اسمه الفضل بن قدامه أحد رجال الاسلام الفحول المندمين، وفي الطبقة

الاولى منهم وتوفي سنة ١٣٠ .

(٣) وجي . وجاء باليد وبالسكين إذا ضرب به .

قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة بضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي ، وعمر بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليما فأتغدى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأبيت فيه .

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقس النفس ، وأراد محدثاً يحدّثه ، فقال لخدمته : ابغني محدثاً أعرابياً يروي الشعر :
فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضر به برجله ، وقال له : قم أجب الأمير . قال : إني رجل غريب : قال : إياك أبغني ، فهل تروي الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشمع بين يديه تزهو (١) .
فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ! قال : نعم يا أمير المؤمنين طريدك ! قال : اجلس ، فسأله وقال له . أين كنت تأوى ، ومن كان ينزلك ، فأخبره الخبر . قال . وكيف اجتمعاً لك ، قال . كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند هذا . قال . وأين كنت تبيت ، قال . في المسجد حيث وجدني رسولك . قال . ومالك من الولد والمال ، قال . أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شيان .

فقال . هل زوجت من بناتك أحداً ، نعم ، زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجم (٢) في أبياتنا كأنها نعامه .
قال . وما وصيت به الأولى ، نعامه .

أوصيت من برة (٣) قلباً حراً يالكلب خيراً والحياة شراً
لا تسأمي ضرباً لها وجراً حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهباً ودراً والحى عميم بشر طرا

(١) تزهو : تتلأأ (٢) تجمز . تعدو وتسرع .

(٣) كان اسمها برة

فضحك هشام، وقال : فما قلت للآخرى ؟ قال قلت :
 سبي الحماة وابنتي^(١) عليها وإن دنت إليها فازدلتني إليها
 وأوجعني بالفهر^(٢) ركبتيها ومرفقيها واضربي جنبها
 وظاهري النذر لها عليها لا تخبري الدهر به ابنتها
 قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك !
 ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين . قال فافلت
 للثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتي فاني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب
 والجار والضيف الكريم الساعب لا يرجع المسكين وهو خائب
 ولاتني أظفارك السلاح^(٣) منهن في وجه الحماة كاذب
 والزوج إن الزوج بشس صاحب
 قال : فكيف قلت لها هذا ولم تنزوح ؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها قال
 قلت فيها :

كان ظلامه أخت شيبان يتيمة ووالدها حيوان
 الرأس قل كله وصبيان^(٤) وليس في الرجلين إلا خيطان
 فهي التي يدع منها الشيطان
 فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها ؟ قال :
 هي عندي ، ووزنها خمسمائة ا قال : فادفعها إلى أبي النجم ؛ ليجعلها في رجلي ظلامه
 مكان الخيطين !

(١) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل

(٢) الفهر : الحجر ، يلا الكف

(٣) السلاح : الطويلة .

(٤) الصبيان : الصوابة : بيضة القمل جمعه صبيان .

١٦ - واستودع^(١) رجل رجلاً مالا ثم طأ به فججده، فخصمه إلى إياس^(٢) بن معاوية القاضي، وقال، دفعت إليه مالا في مكان كذا وكذا، قال، فأى شيء كان في ذلك الموضع، قال، شجرة.

قال، فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعل الله يوضح لك هناك ما تبين به حقك أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فضى وقال إياس للمطلوب منه: اجلس حتى يرجع صاحبك، فجلس وإياس يفضى وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال، ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟ قال لا، فقال: يا عدو الله أنت الخائن! قال: ألقى أقالك الله! فامر بمحفظه حتى جاء خصمه، فقال له، خذ منه بحقك فقد أقر.

ومن ذكاء إياس^(٣) أنه استودع رجل أمين إياس مالا، وخرج المودع إلى الحجاز؛ فلما رجع طأ به فججده، فأتى إياساً فاخبره، فقال له إياس، أعلمته أنك أتيتني؟ قال، لا، قال، أفنازعتك عند غيري، قال لا، قال، فانصرف، وأكرمتم سرك، ثم عد إلى بعد يومين.

فضى الرجل؛ ودعا إياس أمنيته، فقال، قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك. قال، نعم، قال، فاعد موضعاً للمال، وقوماً يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل له، إني أخبر القاضي بالقصة.

(١) المحاسن والمساوى، ص ٤٣ ج ١

(٢) هو من مزينة، ولاء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان صادق الظن لطيفاً في الأمور، ومات سنة ١٢٢ هـ.

(٣) ثمرات الأوراق ١٤٤

فأتى الرجل صاحبه ، فقال ، تعطينى الوديعة أو أشكوك إلى القاضى ١ وأخبره
بالحال ، فدفع إليه المال ، فرجع الرجل ، وأخبر إياسا
ثم جاء الامين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به ، فوجده ، وقال له ، لا تقربنى
بعد هذا يا خائن ١

أجوبة إياس بن معاوية المتوفى سنة ١٢٢ هجرية
كان إياس بن معاوية المزنى لسنا بليغا يضرب به المثل فى الزكى والفتنة
وصحة الفراسة والأجوبة القاطعة . ويروى أنه دخل الشام وهو قتي فقـدم
خصما له إلى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخا فصلا عليه إياس بالكلام ،
فقال له القاضى : خفض عليك فانه شيخ كبير . فقال إياس : الحق أكبر منه .
فقال له القاضى : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ ١
قال القاضى : ما أراك تقول حقا .

فقال إياس : لا إله إلا الله فألحم القاضى .
ويروى أن عدى بن أرطاة والى البصرة دخل على إياس وهو قاضيا وكان
عدى أعرابى الطبع .

فقال لإياس : يا هناة أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط .
قال : فاسمع منى . قال : للاستماع جلست .
قال أنى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين .
قال : وشرطت لأهلها أن أخرجها من بينهم . قال : أوف لهم بالشرط .
قال : فأنى أريد الخروج ؟ قال : فى حفظ الله .
قال : فاقض بيننا . قال : قد فعلت .
قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أخى عمك .
قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك .

خاتمة الكلام على المحاورات والأجوبة

١ - وبعد فالحوار فن من فنون الأدب عرفه الجاهليون في المنافرات والمفاخرات والمساجلات

وفي عصر صدور الإسلام كان فن الحوار قائما يستعان به في رد حجج المشركين والمخالفين والزائغين وفي إقناع المكابرين من رجال الفرق والأحزاب وكانت قریش في الحوار أحضر جوابا وأسرع بديهة وأكثر إصابة وفي العصر الأموي ازدهر فن الحوار وانتشر ونما وساعد على ذلك

١ - كثرة الخلافات بين الأحزاب السياسية

٢ - كثرة الخصومات بين الفرق الدينية ، بل بين طوائف الفرقة الواحدة كالخوارج والشيعة الذين انقسموا طوائف وشميعا كثيرة

٣ - انتشار الحجاج في مسائل اللغة والنحو والعربية وآدابها

٤ - سلامة الملامك وخصب التفكير وحضور البديهة والقدرة على الارتجال .

٥ - كثرة العصبية وتنافرها وتناحرها إلى حد بعيد وبخاصة في عهد معاوية .

٦ - الجوائز الكثيرة التي كانت يكافأ بها الفائز في مجال هذه المنافسات والخصومات .

ب - وألوان المحاورات كثيرة :

فمن جدل إلى أجوبة إلى مفاخرة وقد سبق نماذج لهذه الألوان كلها

- ٤٤٧ -

الشعر في عصر بني أمية

نماذج للشعر :

وقال ابن الدمينه :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زاد في مسراك وجداعلى وجدى (١)

أ أن هتفت ورقاء في رونق الضحى

على فنن غصن النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدى

وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأى يشقى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بنى عهد

...

وقال أبو صخر الهذلي :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليغين منها لا يروعهما الذعر

فياحيا زدنى جوى كل أيلة وياسلوة الأيام موعداك الحشر

عجيت لسمى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وما هو إلا أن أراها فجاءة فاهت لا عرف لدى ولا نكر

(١) الصبا . ربح القبول . هاجت . ثارت .

(٢) الورقاء . الحمامة التى مال سوادها إلى البياض . الرونق الضياء . الرند

نوع من الطيب والفنن الغصن الناعم الغض . الطرى .

وقال الصمة القشيري (١):

حننت إلى ربا ونفسك باعدت مزارك من ربا ، وشعبا كما معا (٢)
فاحسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصباية أسما (٣)
قفادعا نهدا ومن حل بالحي وقل لنجد عندنا أن يودعا (٤)
بنفس تلك الأرض ما أليب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا (٥)

(١) شاعر أموي بدوي مقل بليغ

خطب ابنة عمه فاشتط عليه في مهرها فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فاعطوه فاني بالأبل عمه فقال له لا أقبل هذه في مهر ابنتي فسل أياك أن يبدلها لك فسأل ذلك أباه فاني عليه فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلها فعاد كل يعبر إلى أهله وسافر الشاعر مرتحلا عن بلاده وقومه فخرت ابنة عمه حزنا شديدا ، ثم مضى إلى الشام فلما طال مقامه حن إلى أهله وبلاده ومحبوبته فنظم هذه القصيدة

والقصيد تسيل بلاغة وروعة وجزالة لفظ ونظامه معنى ومثانة تركيب وصياغة بدعية وديباجة حسنة

(٢) الحنين : شدة الشوق . ربا : اسم محبوبته . باعدت : ابتعدت ، والواو في الوضعين للحال ، الشعب الحي
يلوم نفسه في بعده عن محبوبته لأنه كان السبب في ذلك بهجرته عن بلاده وبلاده ربا وقد كان قومه وقومها مجتمعين

(٣) امر : يريد الفراق . أن الثانية بتقدير اللام
المعنى : ليس يحسن أن تنقاد أولا للحب مختارا فادا سمعك داعي الصباية
لنداءه جوعت

(٤) النجد كل ما ارتفع من تامة إلى أرض العراق
(٥) الربا : ما ارتفع من الأرض . المصطاف : مكان الصيف . المتربع :
مكان الربيع . المعنى : أفدى تلك الأرض بنفسى لطيب رباها العجيب وحسن
فصيلها صيفا وريها

وليسك عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحن نزعاً (١)
بكث عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجبل بعد الحلم أسبلنا معا
تلفت نحو الحمى حتى وجدتني وجعت من الأصغاء ليتنا وأخذنا (٢)
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي خشية أن تصدعا (٣)

وقال يزيد بن الحكم الثقفي (٤) يعظ ابنه بدرأ :

يا بدر والامثال يضر بها لذى اللب الحكيم
دم للخليل بـوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
وأعلم بان الضيف يـوماً سوف يحمد أو يـلوم
وأعلم بـبني فانه بالعالم ينتفع العليم
إن الامور دقيقتها مما يهيج له العظيم
والبني يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطـعك الحميم
والمرء يكرم للغنى ويهان للعدم العديم
وتخرب الدنيا فلا يؤس يدوم ولا نعيم

• • •

وقال سالم بن وابصة الاسدي وهو شاعر إسلامي تابعي :

- (١) البشر : جبل بالجزيرة. اعرض : ابدى عرضه وجانبه . جالت : تحركت.
بنات الشوق : نوازع الحنين . نزع : جمع نازع أى مشتاق
(٢) الليت : صفحة العنق . الأخدع عرق فيها . الأصغاء : الميل
(٣) تصدع : أى تشقق
(٤) شاعر أموي مقل بليغ

أحب الفنى ينفى الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا
 سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى ولا ما نعا خيرا ولا قاتلا هجرا
 إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
 إذا ما أنت من صاحب لك زلة فسكن أنت محتا لالزلته عنذرا
 غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
 وقال المقنع السكندى وهو شاعر أوى مقل شريف كريم :

يعاتبني في الدين قومي ونما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
 أسد به ما قد أخذوا وضيعوا تغور حقوق ما أطاقوا لهاسدا
 وإن الذى بينى وبين أبى وبين بنى عمى لمختلف جددا
 فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا بجدى بنيت لهم مجددا
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشدا
 وإن زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
 ولا أحمل الحق القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
 لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
 وإنى لعبد الضيف مادام نازلا وما شيمة لى غيرها تشبه العبد

☆ . ☆

وقال القطاى (١)

من تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا
 ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا سلبا وأفراسا حسانا (٢)

(١) شاعر اسلامى مقل كانا نصرانيا وكان حسن التشبيب بالنساء رقيقه وكان يمدح زفر بن الحرث السكلاوى ، وكان القطاى حذرا فى الشعر رقيق الحواشى كثير الامثال

(٢) قنا سلبا : أى تسلب النفوس جمع سلوب . يريد انا لانرضى الا بالدفاع عن الحرم والاغارة على الاعداء وغيرنا يرضى بالمال والدعة

وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا ^(١)
 أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا ^(٢)
 وأحيانا على بكر أختينا إذا مالم نجد إلا أاخانا

وقال حطان بن المعلى ^(٣)

أنزلى الدهر على حكمه من شاخ عال إلى خفض ^(٤)
 وغالنى الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي ^(٥)
 أبكاني الدهر ويا ربما أضحككني الدهر بما يرضى
 لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض إلى بعض ^(٦)

(١) وكن : أى الخيل . أعوزهن : تعسر عليهم . النهب : ما ينهب يقول :
 وكان أرباب الخيل منا إذا أغاروا على ناحية وتعسر عليهم النهب والغنيمة
 (٢) الضباب : أحياء من العرب . الحلول : الذين يكونون في مكان واحد .
 المعنى أنهم : لاعتيادهم الغارة لا يصبرون عنها حتى إذا أعوزهم الأبعاد عطفوا على
 الأقارب فأغاروا عليهم : وقوله : حان حانا ، أى من هلك بغزونا فقد هلك
 (٣) شاعر إسلامي .

(٤) الشاخ : العالى . الخفض : أى الخفوض

المعنى : كنت قويا فضيرنى الدهر ضعيفا وكنت مالكا لجولتى بملوكا
 (٥) غالى : أهلكنى . الوفر : المال وإضافته إلى الغنى من إضافة السبب
 إلى المسبب لأن المال سبب الغنى . والمعنى : غلبنى الدهر على كثرة المال فلم
 يبق لي سوى نفسى

(٦) بنيات : تصغير بنات . الزغب : الشعر اللين الصغير ، وكنى بهذا عن
 الضعف والصغر . رددن الخ : أى تناهين وكثرن كل واحدة جنب الأخرى .
 والمعنى : لولا بنيات لي صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب لصغرن اجتماعن
 لي في مدة يسيرة

لكن لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض^(١)
 وإنما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الأرض
 لو هبت الريح على بعضهم لا متعت عيني من الغمض^(٢)

وقال سعد بن ناشب^(٣)

سأغسل عي العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان اجالبا^(٤)،
 وأذهل عن داري وأجعل هدمها لعرضي عن باقي المذمة حاجبا^(٥)
 ويصغرفي عيني تلادي إذا انثنت يميني بادراك الذي كنت طالبا^(٦)
 فان تهدموا بالغدر داري فانها تراث كريم لا يبالي بالعواقب^(٧)

(١) المضطرب : الاضطراب والحركة. المعنى : لولا خوف من ضياعهم لكن
 لي مجال واسع في الارض وإنما لومت مكاني بسبهم

(٢) المعنى : انه لا يطمئن إلا إذا كانوا سالمين بأجمعهم

(٣) شاعر اسلامي في الدولة المروانية من بني مازن بن مالك من تميم وهذه
 القصيدة مشهورة في البلاغة وسبب نظمها أنه كان قد اصاب دما فهدم بلال بن
 أبي بردة داره بالبصرة وحرقها فقال هذه القصيدة

(٤) اغسل : ازيل. العار : كل شيء لزم به عيب
 المعنى : سأزيل العار عن نفسي باستعمال السيف في اعدائي مهما جلب على قضاء
 الله ما أراد ،

(٥) ذهول عن الشيء : شغل عنه ونسيه

المعنى : سأتناسى داري وأجعل هدمها حاجبا وواقيا لعرضي عن العار الباقي
 إذ رأيتها دار هوان

(٦) التلاد : المال القديم . اي انه يخف على قلبه لإنفاق المال القديم عند
 إدراك المطلوب

(٧) الهدم : التخريب . الغدر : عدم الوفاء . التراث : الميراث

المعنى : ان تهدموا بالغدر داري وأنا غائب فلا أبالي بذلك ولا أغضب لانها
 ملك رجل كريم لا يبالي بالعواقب

فيا لرزام رشعوا بى مقدا
إذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا (٢)

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى وهو شاعر إسلامى مقل :
ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجدلنا طيب المكان وحسنه متى فتمنينا فكنت الأمانيا
وقال آخر : وهو لبعض الحجازيين وهو عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه :
خبروها بأننى قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولأخرى جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهن للسرا سيرا
مالقبا كأنه ليس منى وعظامى كأن فيهن قترا
من حديث ننى إلى فظيع خلعت فى القلب من تظليه جمر

وقال خلف بن خليفة وهو شاعر إسلامى مقل عاصر جريرا والفرزدق يمدح :
عدلت إلى نثر العشيرة والهوى إليهم وفى تعداد مجدهم شغل
إلى هضبة من آل شيبان أشرفت لها الدررة العليا والكاهل العبل
إلى النفر البيض الذين كانهم صفائح يوم الروح أخلصها الصقل
إلى معدن العز المؤيد والندى هناك هناك الفضل والخلق الجزل
أحب بقاء القوم للناس أنهم متى يظعنوا عن مصرهم ساعة يخل
عذاب على الأفواه ما لم يذوقهم عدو وبالأفواه أسماؤهم تحلو

(١) رزام : حى من تميم . الترشيح : التربية والتأهيل . الكتابات :
الجوش المجتمعة .

(٢) . الشكيب عن الشيء : الانحرف عنه . المعنى : إذا عزم على شيء جعله
نصب عينيه ولا يفتل عنه كما أنه لا يميل إلى ذكر العواقب بل ينحرف عنها جانبا

عليهم وقار الحلم حتى كأنما
إذا استجهلوا لم يعزب الحلم عنهم
هم الجبل الأعلى لما تناكرت
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا
لنا منهم حصن . وممقل
مواعيدهم فعل إذا ما تسكوا
وليدهم من أجل هيئته كهل
وأن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل^(١)
ماوك الرجال أو تخاطرت البزل^(٢)
وإن غضبوا في موطن رخص القتل
إذا حرك الناس المخاوف والأزل
بتلك التي إن سميت وجب الفعل

وقال قطري بن الفجاءة من الحماسة والفخر وهو من رؤساء الخوارج زمن

بنى أمية وتوفي عام ٧٩ هـ

إلى كم تعاديني السيوف ولا أرى
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
ولو قرب الموت القراع لقد أنى
أغادى جلال المعلمين كأننى
وأدعو السكاة للنزال إذا القسا
ولست أرى نفسا تموت إذا دنت
إذا استلب الخوف الرجال قلوبهم
مضار بها تهدي إلى حماميا
بقاء على حال لمن ليس باقيا
لموق أن يدنو لطول قراعي^(٣)
على العسل المأذى أصبحت غاديا^(٤)
تحطم فيما بيننا من طعانيا^(٥)
من الموت حتى يبعث الله داعيا
حسنا على الموت النفوس للغوالي

(١) الجمل هنا معناه الغضب

(٢) البزل جمع بازل البالغ تسع سنين .

(٣) أنى : حان وقرب .

(٤) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم في الحروب بشارة ظاهرهم ليعرفوا إذ لا يخافون الأعداء لشجاعتهم .

(٥) السكاة : جمع كي وهو الشجاع المستتر بالسلاح .

وقال جواس بن القمطل الكلبي من شعراء العصر الأموي :

صبغت أمية بالدماء رماحنا وطوت أمية دوننا دنياها
أأمرى رب كتيبة مجهولة صيد^(١) السكاة عليكم دعواها
كنا ولالة طعناها وضربها حتى تجلت عنكم غماها
فأله يجرى لا أمية سعيها وعلا شددنا بالرماح عراها
جئتم من الحجوز البعيد نياطه والشام تنكر كهلهما وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حدق الكلاب وأظهرت سنيها

ولما عزم معاوية على جمع الناس على البيعة ليزيد ابنه من بعده أنشده مسكين

الدارمي في محفل كبير قصيدة يحثه فيها على البيعة ليزيد ومنها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومران أم ما ذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلا فائما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر أو جددود
فلا زلت أعل الناس كعبا ولا تزل وفود تساميهما اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطنان له وعمود
قدور ابن حرب كالجواني وتحثها أئاف كأمثال الزئال ركود
فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله

وقال أيضا :

نارى ونار الجسار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضرا جارا لي أجاوره ألا يكون لبابه ستر

(١) أى كاتنها صيد جمع أصيد وهو الأسد أو الرفع رأسه كبيرا.

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جبارتى الخدر

وقال قطري بن الفجاءة الخارجي

أقول لها وقد طارت شعاعا من الإبطال ويحك لن تراعى (١)
فانك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع (٢)
سبيل الموت غاية كل حى وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم ويسله المنون الى انقطاع (٣)
وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع

وقال نصر بن سيار (٤) يخاطب اليمانية والمضرية من العرب حين اتقدت نار
العداوة في خراسان والفرس لهم بمرد :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا حربا تحرق في حافاتهما الخطب
ما با لكم تلحقون الحرب بينكم كأن أهل الحجاج رأيتكم غرب
وتتركون عدوا قد أظلمكم بما تأشب (٥) لادين ولا حسب
ومن يكن سائلا عن أصل دينهم فان دينهم أن تقتل العرب

(١) شعاعاً أى متفرقة

(٢) الخنع والخنوع ، الذل والضم ، واليراع الجبان المستطار القلب .

(٣) يعتبط يمت شابا

(٤) أمير خراسان من قبل بنى أمية

(٥) تأشب : اختلط

وقال ابن الدمينه (١)

قفي يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم أفعل ما بدا لك
سلى البانة الغناء بالأبطح الذى به الماء هل حيث أطلال دارك
وهل قتت فى أطلالهن عشية مقام أخى البأساء واخترت ذلك
ول كفسكت عيناى فى الدار عبرة

فرادى كنظم اللؤلؤ المتهاك
لبنك امساكى بكفى على الحشا ورقراق عيني خشية من زيا لك
أبني أفى يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني فى شمالك
فيا بانة الوادى أجيبى متبيا أبا سقم أنشبتني فى جبالك
تعاللت كى أشجى وما بك علة تريدن قتلى قد ظفرت بذلك

وقال الأحوص (٢)

وانى لآتى البيت ما أنى أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأغضى على أشياء منكم تسوفنى وأدعى إلى ما سر كم فأجيب
وما زلت من ذكراك حتى كأننى أميم بأفناء الديار سليب
أهلك ما ألتى وفى النفس حاجة لها بين جلدى والعظام ديب
هينى امراً إما برىا ظلمته واما مسيئاً مذنباً فيتوب
لك الله انى واصل ما واصلنى ومثن بما أوليتنى ومثيب
وآخذ ما أعطيت عفوا واننى لأزور عما تكرهين هيب
فلا تتركى نفسى شعاعاً فانها من الحزن قد كادت عليك تذوب

(١) هو عبد الله بن عبيد الله من بنى عامر بن تيم الله : شاعر غزل من شعراء الدولة الاموية .

(٢) هو عبد الله بن محمد الانصارى شاعر أموى غزل رقيق ، ولقب بالأحوص لحوص فى عينيه : أى ضيق فى مؤخرتهما

∴

وقال الأخطل (١) يصف سير الصحراء :

خليلي ليس الرأي أن تذرائي بدوية يعوى بها الصديان (٢)
وأرقني من يعد ما تمت نومة وعضب جلت عنه القيون يمان (٣)
تصاحب ضيفي قفرة يعرفانها غراب وذئب دائم العسلان (٤)
إذا حضرائي عند زادي لم أكن بخيلا ولا صبا إذ تركاني
إذا ابتدرا ما تطرح الكف فاته به ذو جناح كيس اللحظان
يباعده منه الجناح وتارة يواوح بين الخطو والجلجلان

...

وقال يصف البحر .

وشارب مرنج بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار (٥)
نازحته طيب الراح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقفة الساري (٦)

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي النعماني شاعر بني أمية وأمير
شعرائهم وثالث ثلاثة كان لهم زعامة الأموي :

(٢) الدوية : الصحراء ، والصديان : مثنى صد ، أي ظبان ، ويريد بهما
الذئب والغراب .

(٣) عضب مرفوع على الابتداء ، أي ومعى عضب ، والجملة حال .

(٤) العسلان : سرعة الحركة والسير .

(٥) الحصور . البخيل الضيق ، والسوار . المعربد الوثاب من السكر .

(٦) صياح الدجاج ، ووقفة الساري : كناية عن طلوع الفجر .

صهباء قد كلفت من طول ما عنست

في مخدع بين جنات وأنهار (١)
عذراء لم يحتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عبادى بدينار (٢)
كأنما المسك نهي بين أرحلنا مما تضوع من ناجودها الجارى (٣)

وقال العرجى وهو من ولد الخليفة عثمان بن عفان ومن شعراء الغزل
إذا حرم المرء الحياء فإنه بكل قبيح كان منه جدير
له قحة في كل شيء وسره مباح وخدناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة وللمسمع منه في العظمت نفور

وقال أبو صخر الهزلى (٤) وقد تقدم بعضها :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
أفدركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منهما لا يروعهما الدهر (٥)
عجبت لسعى الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فياحبهما زدني جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعذك الحشر
ولماني لتعروني لذكراك زوعة كما انتفض العصفور بالله القطار
ولماني لآتيها أريد عتابها وأوعدها بالهجر ما برق الفجر

(١) عنست الجارية : أى تأخرت عن الزواج زمنا طويلا ، وكلفت من
السكف ، وهو شدة الحب ، وذلك كناية عن صفرة لونها .

(٢) العبادى . نسبة إلى العباد وهم قبيلة نصرانية في الحيرة تحسن تعتيق الخمر

(٣) الناجوذ . أول ما يخرج من دن الخمر .

(٤) وهو شاعر إسلامى موال لبني مروان عتصب لهم

(٥) الذعر : الخوف .

فما هو الا أن أراها لجاة فأبته لاعرف لدى ولا نكر (١)
 وأنسى الذى قد كنت فيه أتيتها كما قد تنسى لب شاربها الخمر
 ويمنعنى من بعض إنكار ظلمها إذا ظلمت يوما وإن كان لى عذر
 مخافة أنى قد علمت لئن بدا لى الهجر منها ما على هجرها صبر
 وأنى لا أدرى إذا النفس أشرفت على هجرها ما يصنعن بى الهجر
 وقال ذو الرمة أحد شعراء الغزل فى عصر بنى أمية

أرأنى إذا هومت يامى زرتنى فيا نعمتا لو أن رؤياى تصدق (٢)
 لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
 وعين كعين الرمم فيها ملاحه هى السحر أو أدهى التباسا وأعلق
 وقال ذو الرمة :

خليلى عدا حاجتى من هواكما ومن ذا يواسى النفس الا خيلها ؟
 ألما بهى قبل أن تطرح النوى بنا مطرحا أو قبل بين يزيانها
 وإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليلا فاقى نافع لى قليلها

وقال الخجل القينى (٣)

خليلى قد قست الامور ورضتها بنفى وبالفنيان كل زمان
 فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد خليا ولا ذا البث يستويان
 من الناس لإنسانان دينى عليهما مليون لو شاءا لقد قضيانى
 خليلى أما أم عمرو فبينهما وأما عن الأخرى فلا تسلاى
 بلىنا بهجران ولم أر مثلنا من الناس لإنسانين يهجران
 أشد مصافاة وأبعد من قلى وأعصى لوأش حين يكتفيان

(١) أذهل لا أعرف شيئا ولا أنكره

(٢) الألف فى فيا نعمتا منقلبة عن ياء المتكلم كما فى د يا حسرتنا ، ود يا أسفا ،

(٣) شاعر حجازى اسلامى أحد المتيمين المشهورين بالعشق .

تحدث طرفانا بما في صدورنا
فوالله ما أدري أكل ذوى الهوى
فلا تعجبا بما بي اليوم من هوى
وكنا كريمي معشر ضم بيننا
سلاه بأمر العمر من هي إذ بدا
فما زادنا بعد المدى تقض مرة
خليلي لا والله مالى بالذي
ولالى بالبين اعتلاء اذا نأت

وقال : ابن الطثرية (١) :

عقيلية أما ملاث لإزارها
تقيظ أكتاف الحى ويظلمها
أليس قليلا نظرة إن نظرتها
فياخلة النفس التى ليس دونها
ويامن كتمنا حبه لم يطع به
أما من مقام أشتكى غربة النوى
فديتك أعدائى كثير وشقتى
وكنيت إذا ماجئت جئت بعلة
فما كل يوم لى بأرضك حاجة
صحائف عندي للعتاب طويتها
فلا تحملى ذنبي وأنت ضعيفة

(١) هو يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير ، والطثرية أمه ، وهو
شاعر إسلامي ، وكان جميل الوجه حسن الشعر حلوا الشمال ، وكان يقول من ألحم
عند النساء فليشد من شعري ، وكان كثيرا ما يتحدث إلى النساء ، وقد قتله بنو
حنيفة يوم الفلج ، وكان لبي عامر على بنى حنيفة . ولاخته زينب شعر جيد ترثيه به

وقال العباس بن مرداس السلمي^(١) :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مبرير^(٢)
 ويعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير^(٣)
 فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن نكرم كرم وخير
 بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور^(٤)
 ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البراة ولا الصقور
 لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
 يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير^(٥)
 وتضربه الوليدة بالهراري فلا غير لديه ولا نكير^(٦)
 فان أك في شرارك قليلا فاني في خيارك كم كثير

وقال محمد^(٧) بن بشير :

إن الأمور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتجأ^(٨)
 لا تياسن وإن طالت مطالبة اذا استغنت بصبر أن ترى فرجا

(١) العباس بن مرداس ؛ شاعر من المخضرمين وهو من المؤلفات قلوبهم في الاسلام وكان فارسا مقداما .

(٢) المرير : القوي الشديد . من المرة وهي القوة ؛

(٣) الطير : الحسن المنظر ؛

(٤) بغاث الطير : ضعافها وما لا يصيد منها والمقلات : التي تلد واحدا ثم لاتلد بعده أو التي لا يعيش لها ولد والفعل من ذلك أقات : والنزور ، القليلة الأولاد .

(٥) الجرير . الحبل يجربه البعير .

(٦) الهراري . جمع هرواة وهي العصا الغليظة .

(٧) محمد بن بشير . من عدوان شاعر فصيح حجازي من شعراء الدولة الأموية

(٨) ارتج : أغرق والرناج . الباب الكبير يغلق وفيه باب صغير مفتوح

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فن علازلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

وقال كعب يريث أخاه أبا المغوار

تقول سليمى ما جسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طيب
فقلت نحول من خطوب تتابع على كبار والزمان يريب
لعمري لئن كانت أصابت منية أخى فالمنايا للرجال شعوب
فانى لبانيه وإلى لصادق عليه وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى لا فاحش عند رية ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفينى وكان يعينى على نائبات الدهر حين توب
هر العسل الماذى لينا وشيمة وليث إذا لاقى الرجال قطوب
كعالية الرمح الردينى لم يكن إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعايا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك يجيب
فقلت أدع أخرى وارفع الصوت ثانيا لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه بامثاله ربح الذراع أريب
وحد ثمانى أنما الموت فى القرى فكيف وهذى هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته بالم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو يمنى يدى وخلقتى أنا الغانم الجسد لان حين أموب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أنى على يومه عاق إلى حبيب
أنى دون حلو العيش حتى أمره خطوب على آثاره نكوب
فوالله لا أنساه ماذر شارق وما اهتز من فرع الأراك قضيب

وقال آخر يريث قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترجما
تحيمة من البسته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس ملكك ملك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

..

وانشد ابو محمد الليثي في يزيد بن يزيد

أحق أنه أودى يزيد	فبين أيها الناعي المشيد
أحامي الملك والاسلام أودى	فما للارض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت	دعائمه وهل شاب الوليد
أما همدت لمصرعه نزار	بلى وتقوض المجد المشيد
وجل ضريحه اذ حبل فيه	طريف المجد والمجد التليد
أأودى عصمة الباري يزيد	وسيف الله والغيث الحميد
لقد رزأت نزار يوم أودى	عميدا ما يقاس به عميد
فلو قبل الفداء فداء منا	بمجهته المسود والمسود
أبعد يزيد تختزن البواكي	دموعا أو تصان لها حدود
أما بالله لا تنفك عني	عليه بدمعها ابدأ تجود
وان تجمد دموع لثيم قوم	فليس لدمع ذي حسب جمود
وان يهلك يزيد فكل حي	فريس للمنية أو طريد
فان يك عن خلود قد دعت	مآثره فمكان لها الخلود
فما أودى أمرؤ أودى وأبقى	لوارثه مسكارم لا تبيد
ألم تعلم أخى أن المنايا	عدون به وهن له جنود
ليبك شاعر لم يبق دهر	له نشأ وقد كسد القصيد
أصيب المجد والاسلام لها	أصاهاك بالردى سهم شديد
لقد عزى ربيعة أن يوما	عليها مثل يومك لا يعود
ومثلك من قصدن له المنايا	باسمها وهن له جنود
فيا للدهر ما صنعت يدها	كأن الدهر منها مستفيد
سبق جدنا أقام به يزيد	من الوسى بسام رعود
فان أجزع لها ملكه فاني	علي النسكبات اذ أودى جليلد

وقال عتيبة المازني:

ومستنجع بات الصدى يستنجمه ^(١)
فقلت لا هلى ما بغمام مطية
فقالوا غريب طارق طوحت به
فقسمت ولم أجمم مكانى ولم تقم
وناديت شبلا فاستجاب وربما
فقام أبو ضيف كريم كأنه
إلى جذم مال قد نهكنا سواء ^(٢)
جعلناه دون الذم حتى كأنه
لما حمد أرباب المثين ولا

إلى كل صوت فهو فى الرحل جانح
وسار اضافته السكلاب النواجح
متون الفيافي والخطوب الطوارح
مع النفس علات البخيل الفواضح
ضمنه قرى عشر لمن لا نصافح
وقد جد من فرط الفكاهة مازح
واعراضنا فيه بواق ضجائح
إذا عد مال لمكثرين المنائح ^(٣)
يرى إلى بيتنا مال مع الليل رائج

ولعبد الله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٨٠ هـ

إذا كنت فى حاجة مرسلأ فأرسل حكما ولا توصه ^(٤)
وإن باب أمر عليك التوى ^(٥) فشاور ليبيأ ولا تعصه
وإن ناصح منك يوما دنا فلا تنأ عنه ولا تقصه ^(٦)

- (١) يستنجمه يستفعل من تاه يتيمه إذا ضل
- (٢) الجذم الأصل نهكنا سواء أى اثرنا فى السائمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض إذا أضربه
- (٣) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها
- (٤) الحكيم العاقل الحازم الفاضل ومن رقة الانتقاد ما يروى أن أبا الأسود الدؤلى سمع رجلا ينشد هذا البيت فقل قد أساء القول أى علم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم ما فى نفسه
- (٥) يعنى إذا صعب عليك أمر من الأمور
- (٦) فلا تبعد عنه ولا تبعده

وذا الحق لا تنقص حقه فان القطيعة في نفسه (١)
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثا إذا أنت لم تحصى (٢)
ونص الحديث إلى أهله (٣) فان الأمانة في نصه
وكم من فتي عازب لبه وقد تعجب العين من شخصه (٤)
وأخر تحسبه أنوكا ويأتيك بالامر من فسه (٥)
وقال : شقران مولى سلامان من قضاة :

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاة كلها فلست أبالي ان أدين وتغرما
أولئك قومي بارك الله فيهم على كل حال ما عفت واكرما
ثقال الجفان والحلوم رحاهم رحا الماء يكتالون كيلا عدلما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحم الا تخلما
وقال النري ويقال انها لرجل من باهلة :

وداع دعا بعد الهدو كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله
دعا بانسا شبه الجنون ومابه جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كبريم الجدد حلو شمائله
فأرزت ناري ثم أثقبت ضوءها

وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله
فلما رآني كبر الله وحده وبشر قلباً كان جماً بلاهله

-
- (١) لا تنقص حقه لا تنقصه والقطيعة الهجر والعقوق
 - (٢) إذا كنت لا تستظهره وتعرفه حق المعرفة
 - (٣) ارفع الكلام إلى المرفوع اليهم ولا تزد فيه ولا تنقص منه .
 - (٤) عازب لبه غائب عقله وتعجب العين من شخصه أى من حسن منظره
 - (٥) الأنوك الاحق والانيان بالامر من فسه معناه الانيان بالخبر اليقين
المفصول فيه فلا يقبل المعارضة

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله
 وقت الى برك هجان أعده لوجه حق نازل أنا فاعله
 بأبيض خطت نعله حيث أدركت من الارض لم تخطل على حائله
 لجال قليلا واتقاني بخيره سناما وأملاه من النى كاهله
 بقرم هجان مضعب كان لجلها طويل القرى لم يعد ان شق بازله
 نخر وظيف القرم في نصف ساقه وذلك عقال لا ينشط عاقله
 بذلك أوصاني أبى وبمئله كذلك أوصاه قديما أواله
 ولما مات معاوية بن أبى سفيان ويريد غائب صلى عليه الضحاك بن قيس
 القهرى ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحسد على تعزيتة - فدخل عليه
 عبد الله بن همام السلولي فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
 لارزه أعظم فى الأقوام قد علموا مدارزنت ولا عقبى كعقبىكا
 أصبحت راعى أهل الأرض كلهم فانت ترعاهم والله يرعاكا
 وفى معاوية الباقي لنا خلف إذا نعت فلا نسبح بمنعكا
 فافتح الخطاب الكلام

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

ألا تقنى الحياء أبا سعيد وتقصر عن ملاحى وعذلى
 فلو لا أن أصلك حين تنمى وفرعك منتمى فرعى وأصلى
 وأنى إن زميتك هضت عظمى ونالتنى إذا نالئك نبلى
 لقد أنكرتني إنكار خوف يضم حشاك عن شتمى وأكلى
 كقول المرء عمرو فى القوافى لقيس^(١) حين خالف كل عدل
 عذيرى من خليلي من مراد أريد حياته ويريد قتلى^(٢)

(١) يريد عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكشوح .

(٢) ١ / ١٤ الأمالى .

وقال الأحوص .

قالت وقلت نخرجي وصلى حبلى أمرى بوصالىكم صب :
صاحب إذا بعلى فقلت لها الغدر شيء ليس من ضربى
ثلاثان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فأجعه والجار أو صائى به ربى
عوجا كذا نذكر لغانيه بعض الحديث مطيكم صحبى
ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب
إن تقبلى تقبل ونزلكم منا بدار الود والرحب
أو تدبرى تكدر معيشتنا وتصدعى متلائم الشعب (١)
وقال القطامى يمدح زفر القيسى وكان قد أسره ثم عفا عنه :

ما للكواعب ! ودعن الحياة كما ودعنى واتخذن الشيب ميعادى (٢)
أبصارهن الى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صداد (٣)
إذ باطلى لم تقشع جاهليته عنى ، ولم يترك الخلان تقوادى (٤)
كنية الحى من ذى الغضبة احتملوا مستحقين أسيراً ماله فادى (٥)
بانوا ، وكانت حياقي في اجتماعهم وفى تفرقهم قتلى وإقصادى (٦)

(١) ٤٦ ج ١ الأمالى .

(٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى العتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى
يدعو عليهن بالموت لما هجرنه لخلول شيبه : اتخذن معطوف على ودعنى .
(٣) صداد جمع صادة : الممرضة .
(٤) الباطل : الضلال : تقشع تذهب . جاهليته . سفاهته . الخلان جمع خليل
وهو الصديق . تقوادى : قيادتى الى اللهو .
(٥) كنية الحى متعلق بودعنى : أى كما ودعنى حى كنت به كلفا ، النية : البعد
والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فواده . ذو الغضبة مكان .
(٦) بانوا : رحلوا . إقصادى : أهلاكى .

أرمى قصيدهم طرفي، وقد سلكوا
بطن المجمر فالروحاء فالوادي (١)
محددن لبرق صاب في خيم
وبالقصرية رادوه بسرواد (٢)
يخفون طوراً وأطواراً إذا طلعا
نجداً، بدالي من أجمالهم بادي (٣)
وفي الخدور غمامات برقن لنا
حتى تصيدتنا من كل مصطاد (٤)
يقتلنا بحديث ليس يعلمه
من يتقين ولا مكتومه بادي (٥)
فهن ينبذن من قول يصن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصادي (٦)

* * *

من مبلغ زفر القيسي مدحته من القطامي قولاً غير إفناد (٧)

(١) القصيد : الناحية . الطرف النظر . المجمر : أرض لفواره . الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة . الوادي : منحرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره .
(٢) محددين : ناظرين بحدة . صاب : انصب مطره . خيم : جمع خيمة . القرية : بهم القاف وفتح الراء وتشديد الياء : موضع لظى . رادوه طلبوه . الرواد : جمع رائد وهو الرسول يبعثه القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه .
(٣) طوراً : مرة . النجد . المرتفع من الأرض . بدالاً : ظهر . أجمال : جمع جبل .
(٤) الخدور جمع خدر . الهودج أو مسكن الجارية . غمامات : جمع غمامة السحابة البيضاء ، والمراد المرأة الجميلة . برقن لنا : أطمعنا . مصطاد . مصيد اسم مفعول أو مكان .
(٥) يتقين : يخفونه . باد : ظاهر

(٦) ينبذان . يرمين ويتكلمن . الغلة : حرارة العطش . الصادي : العطشان أى يقع كلاهما منا كوقع الماء من شديد العطش ، فكلاهما أحسن ما يكون وقعا
(٧) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر . وكان قد عفا عن القطامي وفك أسره لما هزم مع قومه فى إحدى الوقائع فمدحه بهذه القصيدة .
الإفناد : السكذب .

- أنى وان كان قومي ليس بينهم
مئن عليك : استبقيت معرفتى
فلن أثيبك بالنعاء مشمة
فان هجره وذك ماتمت مكارمتى
قتلت بكرا وكلبنا واشتليت بنا
لولا كتاب من عمرو تصول بها
إذ لا ترى العين إلا كل سلهبة
إذ الفوارس من قيس بشكتهم
إذ يعتريك رجال يسألون دمي
فقد نصيتهم والحرب مقبلة
- وبين قومك الاضرية الهادى (١)
وقد تعرضت مئى مقتل يادى (٢)
وان أبذل إحسانا بافساد
وان مدحت لقد أحسنت إصفادى (٣)
وقد أردت بأن يستجمع الوادى (٤)
أرديت ياخير من يندوله النادى (٥)
وسابح مثل سيد الردهة العادى (٦)
حولى شهود وما قومي بشهاد (٧)
ولو أطعتهم أبكيت عوادى (٨)
لا ، بل قدحت زنادا غير صلا (٩)

(١) الهادى : النصل .

(٢) مئن عليك : مادحك . بما استبقيت أى بابنائك على لمعرفتك . إياى .
تعرض : ظهوروا تكشف . مقتل : موضع أقتل منه
(٣) مكارمتى : مفاخرتى لك بالكرم . إصفادى : إعطائى . الصفد القيد
صفده قيده واصدده أعطاه

(٤) بكر وكلب : قبيلتان من عدنان اشتليت : تداركت وأنقذت . يستجمع
الوادى : يتم لك كل ما يسرك قبلنا :

(٥) الكتاب جمع كتيبة : القطعة من الجيش . تصول : تسطو . أرديت هلكت
يندو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادى : مجلس القوم :

(٦) سلهبة : فرس طويلة . السيد . الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العادى
الهاجم يشبه الفرس بالذئب المتدى فى السرعة .

(٧) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٨) يعتريك : يغشاك . يسألون دمي : يطلبون قتلى . عوادى جمع عائد : الزائر :

(٩) قدح الزند : حاول لإخراج النار منه . الزناد : جمع زند وهـ والعود
يقندح به النار . صلا لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجليل .

— ٤٧١ —

والصيد آل نفيل خير قومهم عند الشتاء إذا ما ضن بالزاد (١)
 المسانعون غداة الروح جارهم بالمشرقية من ماض ومناذ (٢)
 أيام قومي ، مكاني منصب لهم ولا يظنون إلا أنني رادى (٣)
 فالتأشنى لك من غبراء مظلمة حبل تضمن إصدارى وإيرادى (٤)
 ولا كردك عنى بعد ما كربت تبدى الشتاء أعدائى وحسادى (٥)
 فان قدرت على يوم جزيت به والله يجعل أقواما بهرصاد (٦)
 نفسى فداه بنى أم هم خلطوا يوم العروبة أورادا بأوراد (٧)
 بيضا صوارم كالشهبان نعسفها فى البيض من مستقيمت ومناذ (٨)

- (١) الصيد جمع أصيد : الملك أو الراحل رأسه كبيرا . آل نفيل . آل الممدوح
 ضن بالزاد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين يينخل الناس .
- (٢) المنعون : الخاءون ، الروح : الفروع . الجار : المجاور أو المستجير .
 المشرقية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى عربية تدنو من ريفه .
 الماضى : السيف المستقيم القاطع . المناذ : الماوج .
- (٣) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .
- (٤) اتناشنى : تداركنى . الغبراء : الداهية . حبل : عهد وذمة . الإصدار :
 الإرجاع عن الماء . الإبراد : إحصاره المورد والمعنى أن عهدك قام بحفظى وحراستى
- (٥) كربت : دنت . الشتاء البغض والشماته . أى ليس من الفعل ما يشبه
 ردك الشر عنى وقد كاد يشمت بى الأعداء لقرب ضياعى .
- (٦) قدرت على يوم : أى إذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا : لما
 سمع زفر هذا قال . لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .
- (٧) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أوراد : جمع ورد . الجيش أو
 الجماعة أو السيف .
- (٨) بيضا صوارم . سيوفا قاطعة . الشهبان جمع شهاب : السكوكب أو المنقض
 مته . نعسف . نضرب على غير هدى ،

— ٢٧٢ —

ثبيت قيسا على الحشاك قد نزلوا مناجى على الاضياف حشاد (١)
فى المجد والكرم العالى ذوى أمل وفى الحياة وفى الاموال زهاد
الضاربين عميراً عن يوتهم بالتل يوم عمير ظالم عادى (٢)

(١) الحشاك . نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشد :
المستند المنأهب . أى نزلت قيس علينا للحروب فوجدتنا مستعدين للقائنا وشبه
الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب .
(٢) عمير بن الحباب القيسى ، قتل يوم الدروبه ، وهو يوم لتغلب على قيس ،
ضربه عن يمينه : صده عنه .

الشعر

في العصر الأموي

تمهيد:

١ - الشعر لغة الخيال الساحرة ، وأداة التعبير الرائع ؛ وديوان العرب وجمع نثرهم ، ومآثرهم الكبيرة الخالدة

نظموه في الجاهلية أناشيد سماوية تصور المشاعر والعواطف وخواطر القلوب ، وخلجات النفوس ، يحفظون به كما يقول التبريزي : المسكارم والمناسبات ويقيدون به الأيام والمناقب ، ويخلدون به معالم الثناء ، ويبقون به مواسم الهجاء ، ويضمون به ذكر وقائعهم في أحداثهم ، ويستودعون به حفظ صنائعهم إلى أوليائهم ،

كما نظموا بعد الجاهلية حتى الآن قصائد رائعة تخطر في ثوب الخيال البديع والمعاطفة الصادقة والمعنى الجليل والحكمة الرفيعة ، فأضافوا إلى حوليات زهير واعتذاريات النابغة وحماسيات عنتره أهاجي الخطيئة وهاشميات السكيت ونقائض جرير وغزليات ابن أبي ربيعة وابن الأحنف ونخريات الأخطل وأبي نواس ونخريات الفرزدق ومراثي أبي تمام ومدايح البحري وروضيات الصنوبري وإطائف كشاجم

واتخذوه صناعة فنية عالية ، واختاروا لظلمة الأوقات المناسبة حتى قال الفرزدق : من أسلس ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكرى وأول النهار قبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفسكر ، وهدبوه كما كان زهير يهذب حولياته التي كان ينظم القصيدة منها في ستة أشهر وينقحها في ستة أشهر

٢ - ولقد لقي الشعر العربي الكثير من رعاية خلفاء بني أمية وعنايتهم وإيتائهم ، وعقدوا المجالس لأنشاده ونقده ، وسمعوا الجوارى يغنين به في مجالس السمر والور ، وأنابوا الشعراء عليه بسنى الجوائز وكريم العطاء

ولم لا ؟ وهم عرب يهزم البيان ، وتسحرهم البلاغة ويطربون للشعر ، ويطيرون
عند سماع مدحة رائعة أو ثناء محبر

وإذا كانوا قد شملوا العلم والثقافة واللغة والأدب بالرعاية والبر ، فلم لا يعنون
كذلك بالشعر وهو أداة التصوير الساحر ، والتأثير الباهر والتعبير عن كل
ما يجيش بالنفس من خواطر وآراء ومعان وأفكار ؟

ولم لا يسكرمون الشعراء ، وهم من هم عند العرب ، نباهة شأن ، وجلال مكانة
ورفعة منزلة ، وعظمة جاه ونفوذ وسلطان ؛ وهم الذى يتصرفون فى الأرواح
والقلوب والعواطف ، ويمسكون مقادير الجماهير ، ويبدون زمام البيان والبلاغة ؟
وكيف لا نجد منهم ذلك التقدير للشعر ، وهو سبيل لدعم ملكهم ، وتأيد
سلطانهم ، ووسيلة لامتلاك زمام القلوب الشائرة ، والنفوس الساخطة ؟

وستعلم من البحوث التالية مالى الشعر فى عصر بنى أمية من بر وإيثار
وتقدير وحب

مظاهر العناية بالشعر فى العصر الأموى وأسبابها :

١ - عنى الخلفاء والأمراء والولاة بالشعر عناية كبيرة :

أ - فأرسلوا وفودهم للشعراء التماساً للمدح والثناء ، حتى أن سليمان بن عبد
الملك بعث إلى ابن أبي ربيعة فأثابه ، فقال له : لم تمدحنا ، قال عمر : أنا لا أحسن
مدح الخلفاء والأمراء إنما أحسن مدح النساء ، وكان الخلفاء يبعثون للشعراء فى
المناسبات الخافلة ، يطلبون منهم إنشاء المدائح والقصائد ،

ب - واتخذ كل خليفة أو أمير لنفسه شاعراً يقر به ويؤثره ويهبه الأموال
الجزيلة والعطاء الجرم ، فكان الأخطل شاعر يزيد بن معاوية ثم شاعر مروان بن
عبد الملك الخليفة الأموى العظيم .

ولم يشذ عن ذلك إلا عمر بن عبد العزيز الذى نغم على الشعراء عيبتهم
ولهوم وجوئهم واتخاذهم الشعر أداة للمدح السكاذب والهجاء الذاحش والغزل
الصاخب لخدعهم وأوعدهم وأنذرهم وهددهم بل نفى بعضهم من جزيرة العرب .

روى (١) أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي
والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : « قد عرفت عمر والأحوص بالخبث
والشر ، فإذا أتاك كتابي هذا فاشدهما وأحملهما إلى » .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه : فاقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كلياى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالى عينيه من شئ غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمى
فإذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فتى يفلتون ، أما والله لو أهتمت
بأمر حجك لم تنظر إلى شئ غيرك ، نعم أمر بنفيه ، فقال : يا أمير المؤمنين أو خير
من ذلك ؟ أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً وأجدد توبة على يدك .
قال : أو تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبة وخلاه . ثم دعا بالأحوص فقال : هيه
الله بينى وبين قيمها يهرب منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى دهمك (٢) فلم يزل بها .
فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلّموه فى أمره ، وسألوه أن يقدمه ،
وقالوا له : قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه ، وقد أخرج إلى بلاد الشرك ،
فنطلب منك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه . فقال
لهم عمر ، من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فجأة فأهبت حتى ما أكاد أحير

قالوا : الأحوص قال فمن الذى يقول .

أدور ولولا أن أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولسكن ذا الهوى إذا لم يزل لا بد أن سيور

(١) الأعرابي ض ٦٤ ج ٩

(٢) دهمك : بلدة ضيقة حارة تجاء مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على
على أحد نفوه إليها .

— ٤٧٦ —

قالوا : الاحوص . قال فن ذا الذى يقول .

كان لبني صبير (١) غادية أو دمية زيت بها البيع
الله يبنى وبين قيما يهرب منى بها وأتبع
قالوا الاحوص ، قال . والله لا أردده ما كان لى سلطان .

فكسك هناك حتى مات عمر ، وولى الامر من بعده يزيد بن عبد الملك ،
فغنته جميلة يوماً :

كريم قریش حین ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا
فطرب يزيد وقال : ويحك ، من كريم قریش هذا ، قالت : أنت يا أمير
المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال . ومن قائل هذا الشعر فى ؟
قالت : الاحوص وهو منى .

فكتب برده وحمله إليه ، وأنفذ إليه صلات سنينة : فلما قدم إليه 'دناه وقربه
وأكرمه ، وقال له يوماً فى مجلس حافل . والله لو تمت إلينا بحق ولا صهر ولا
رحم إلا بقولك .

ولانى لأستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع
لكفالك ذلك عندنا .

ولم يزل ينادمه حتى مات

ج - وأخذ قواعلى الشعراء العطاء والأموال الجزيلة والهبات الضخمة ،
وعاش كثير من الشعراء فى ترف ونعمه وثراء

روى عن دكين الراجز قال . (٢) امشدحت عمر بن عبد العزيز وهو والى
المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة ناقة كرائم ، فكرهت أن أرمى بهن الفجاسج ، ولم

(١) صبير : سحابة بيضاء .

(٢) الأغانى ص ٢٦١ ج ٩ ، العقد الفريد ص ٢٠٢ ج ١

تطب نفسى ببيعهن . فقدمت علينا رفقة من مصر ، فسألتهن الصجبة ، فقالوا .
ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة .

فأتيته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لى : ياد كين ، إن لى نفسا
تواقة ، فان صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتنى ولك الإحسان . قلت . أشهد لى
بذلك ، قال . أشهد الله به . قلت : ومن خلقه ؟ قال . هذين الشيخين ، فأقبلت
على أحدهما فقلت . من أنت أعرفك ؟ قال . سالم بن عبيد الله بن عمر . وقلت
للآخر : من أنت ؟ قال . أبو يحيى مولى الأمير .

فخرجت إلى بلدى بهن ، فرمى الله فى أذننا بهن بالبركة حتى اعتقدت (١) منهن
الإبل والعبيد ، فأتى لبصحراء فليج (٢) إذا ناع ينمى سليمان . قلت : فن القائم بعده ؟
قال : عمر بن عبد العزيز .

فتوجهت نحوه ، فلقينى جرير منصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حرزة ، من
أين ؟ فقال : من عند من يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء فانطلقت فاذا هو فى عرصة
دار ، وقد أحاط الناس به ، فلم أخلص إليه ، فناديت .

يا عمر الخيرات والمسكارم وعمر الدسائع (٣) العظامم
لنى امرؤ من قطن بن درام طلبت دينى من أخى مسكارم
لذ تنمحي والليل غير نائم عند أبى يحيى وعند سالم
فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوى عندى شهادة عليك ،
فقال : أعرفها ، أدن ياد كين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسى لم تل شيئاً قط إلا
ناقت لما هو فوقه ، وقد نلت غاية الدنيا ، فنفسى تنوق إلى الآخرة ، والله
ما رزأت (٤) من أموال الناس شيئاً ، ولا عندى إلا ألف درهم ، فخذ نصفها .
قال دكين : فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركة منه .

(١) اعتقد الشيء ، اشتراه أو اقتناه
(٢) فليج ، اسم واد
(٣) الدسائع : العطايا
(٤) رزأت من ماله شيئاً إذا أخذ

د - وعمدوا له المجالس الخافلة لأنشاده وسماعه ، وطربوا له واهتزوا أريحية
للشعراء الذين حبروه وأنشدوه

وعفوا عن خصومهم السياسيين لقول بليغ يصدر منهم ؛ أوييت رائع تنطق
به أسننهم ، وموقف عبد الملك من السكيت مشهور

وروى أن معاوية لما ^(١) استعمل زياداً على العراق كتب إليه . أما بعد فانظر
عبد الله ^(٢) بن هاشم بن عتبة ، فشد يده إلى عنقه ، ثم أبعث به إلى

فجعله زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق ، فأدخل على معاوية ، وعنده
عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو . هل تعرف هذا ؟ قال لا اقال . هذا
الذي يقول أبوه ^(٣) يوم صفين .

إني شريت ^(٤) النفس لما اعتلا وأكثرت اللوم وما أقسلا
أعور يعني أها . ^(٥) محلا قد عالج الحياة حتى ملا .
لا بد أن يقل ^(٦) أو يقلا يتلهم بذى السكوب ^(٧) تلا

(١) المسعودي ص ٥٧ ج ٢

(٢) كانت في نفس معاوية من يوم صفين إحسن — إلى هاشم بن عتبة وولده
عبد الله بن هاشم

(٣) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة — وكان هاشم أعور — فقال .
يا هاشم ، أعورا وجبناً ؟ اركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز ، إني شريت
النفس

(٤) شريت النفس . بعثتها في سبيل الله ، لما اعتل . رماني عمار بالجين .

(٥) يعني أهله أى محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله .

(٦) يقل : يزوم

(٧) تله : صرعه ، وذو السكوب : الرمح .

لاخير عندي في كريم ولي

فقال عمرو متمثلاً :

وقد ينبت المرعى على دمن ^(١) الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
دونك يا أمير ، الضب ^(٢) الضب ا فاشخب أوداجه ^(٣) على أسباجه ،
فلا ترده إلى العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وإن له
هوى سيوديه ، ورأيا سيطنيه ، وبطانة متقويه ، وجزاء سيئة سيئة منلها .
فقال عبد الله : يا عمرو ، إن قتل فرجل أسلبه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان
هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك إلى الزال ، فقال عمرو : أما والله
لقد وقعت ، ولا أحسبك منلناً من يخالب أمير المؤمنين ا
فقال عبد الله . أما والله بآبن العاص ، إنك ، لبطر في الرخاء ، جبان عند
اللقاء ، عشوم إذا وليت هياب إذا لقيت ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك
أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يرقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ..
فقال عمرو . أما والله لقد رأيت أباك يؤمئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق ^(٤)
أمعأؤه . . . ا

فقال عبد الله : يا عمرو ، إنا قد بلونك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوباً
غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجدنا لا يسأمونك ، ولورمت المنطق في غير
أهل الشام ليجوظ ^(٥) إليه عقلك ولتاجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطرب
القعود الذي أثقله حملة ا

(١) الدمن جمع دمنه وهي ما أسود من آثار الدار .

(٢) الضب . حيوان يضرب بخداعه المثل فيقتل : أخذع من ضب

(٣) الأودج . عروق في العنق ، وشخبت أوداج القتل دماً : جرى دمها ،

والإسباج . جمع سبجة وهي من القميص بذيقتة .

(٤) تبق . تخرج ، بق النبت بقوقاً : طلع .

(٥) جحظت العين ، إذا برزت مقلمها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم

يسلس لك قياد التفكير

فقال معاوية لما عنسكا ، وأمر بأطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه ، يا معاوية ، الذي أعان علياً يوم حز الغلاصم (١)
فلم يثنى حتى جرت من دماننا بصفين أمثال البحور الخضرارم (٢)
وهذا ابنه ، والمره يشبه سنخه ويوشك أن يقرع (٣) به من نادم
فقال عبد الله ينجيه

معاوي إن المره عمراً أبت له ضغينة صدر غشها غدير ناسم
يرى لك قتلى يابن هند وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم إذا منعت منه عهد المسالم
وقد كان منا يوم صفين نمرة (٤) عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى ولا ماجرى إلا كاشفاً عالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة وإن تر قتلى تستحل عارمي
فقال معاوية

أرى العفو عن علياً قریش وسيلة إلى الله في اليوم العصيب القمطار (٥)
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم بادراك ثارى في لوى وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه وزلت به إحاي الجود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمره علينا فأدته رماح نهابر (٦)

-
- (١) الغلاصمة رأس الخلقوم
(٢) الخضرارم البحر العظيم ، وبقية الياه في يثني ، للضرورة
(٣) قرع سنه ، حرقه ندماً ؛ أى سحقه حتى سمع له صريف ، وسكن الفعل
للضرورة والسنخ ، الأصل من كل شيء
(٤) نمر القوم ، هاجرو واجتمعوا في الحرب
(٥) يوم قاطر ؛ شديد
(٦) النهابر ؛ المهالك

١ - ولما اتخذوا الشعر وسيلة لأذاعة محامدهم ومآثرهم وآرائهم، كانت لكل حزب سياسي شاعر ينطق بلسانه، ولكل فرقة أو طائفة دينية ساحر يشيد بزعيمها ويبرهن عن آرائها ومبادئها. فكان الأختل شاعر بني أمية، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين، والكهيت شاعر العاويين، وعمران بن حطان شاعر الخوارج وهكذا.

٢ - وكذلك عني به الناس فسمعه رثاؤوا به وأفتخروا كل قبيلة بشاعرها واعتزت به اعزازا كبيرا لأنه لسانها المدافع عن أحسابها والناطق بمفاخرها والذائد عنها خصومها وأعداءها، فكان الأختل شاعر تغلب، والفرزدق شاعر قریش وهكذا.

٣ - كما اتخذ منه المغنون الخانا جميلة وأصواتا رانعة وأغاني عذبة، يملؤون بها الدنيا غناء وطربا ومتعة وسرورا.

٤ - وعنى الشعراء كذلك بالشعر، فأقبلوا عليه بحودونه وينقحونه ويهذبونه ويتنافسون فيه، وينقد بعضهم البعض الآخر طلبا للسكال وحبا في التمهيد والتجويد والشواهد على ذلك كثيرة من الأدب الأموي، وهي من السكثرة بحيث تغني الإشارة إليها عن الأفاضة في ذكرها.

ولم يكونوا يقدرون للمال حسابا؛ بل لم يكونوا يحسبون أنفسهم أصحاب فضل على الشعراء، بل الشعراء هم أصحاب الفضل عليهم، روي أن عبيد الله (١) بن العباس خرج مرة من المدينة يريد معاوية في الشام، فأصابته سماء، فنظر إلى نورية (٢) عن يمينه، فقال اغلامه، مل بنا إليها فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رائدة، فقال له، أبح، انزل، حيث أدخل

(١) عبيد الله بن العباس. كان مشهورا بالجدود؛ معدودا من الأجواد؛ وهو أول من فطر جديرانه في رمضان، وأول من وضع مسوانده في الطرق توفي سنة ٨٧ هـ (٢) تصغير نار

إلى منزله ، فقال لامراته ، هيئى شاتك أقضى بها ذمام (هذا الرجل ، فقد توسمت فيه الخير ، فان يكن من مضر فهو من بنى عبد المطلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المرار (٢) ، فقالت له ، قد عرفت حال صبيتي ، وأن معيشتهم منها ، وأخاف الموت عليهم إن فقدوها . فقال . موتهم أحب إلى من اللؤم (٣) ؛ ثم قبض على الشاة ؛ فأخذ الشفرة وأنشد

قريبتي (٤) لا توقظي بنيه إن يوقظوا ينسحبوا عليه
وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه
ثم ذبحها وكشط جلدتها ، وقطعها أرباعا ، وقذفها في القدر حتى إذا استوت
ثرد (٥) في جفنة ، فعمشاهم ثم غداهم

وأراد عبید الله الرحيل ؛ فقال لغلّامه ، أرم للشيخ ما معك من نفقة ؛ فقال ؛
ذبح لك الشاة فكافئة بثمان عشرة أمثالها ؛ وهو لا يعرفك ؛ فقال ؛ ويحك ! إن
هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها ، وإن كان لا يعرفنا فأنا
أعرف نفسي ، ارم بها إليه ، فرماها إليه فكانت تسمانه ديناراً

ثم ارتحل عبید الله ، فأتى مساوية ، فقضى حاجته ، ثم أقبل راجعاً إلى المدينة
حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلّامه ، مل بنا ننظره في أى حالة هو ،
فأنهيا إليه ، فاذا برجل سرى عنده دخان عال ، ورماد كثير ، ولابل
وغنم ، وفرح بذلك ، وقال له الشيخ ، أنزل بالرحب والسعة ؛ فقال له عبید الله ،
أتعرفني ؟ فقال ؛ لا ، والله ، فمن أنت ؟ فقال أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ؛ فقام
إليه ، فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال ؛ قد قلت أبياتا ، أسمعها مني ؟ فقال
هات فأنشد ؛

(١) الذمام . الحرمة

(٢) آكل المرار . جلد امرئ القيس ، وبنو آكل المرار . هم ملوك اليمن

(٣) اللؤم . البخل (٤) القرية ذات القرابة

(٥) يقال ثرد الخبز . أى فته

توسمته (١) لما رأيت مهابة عليه وقلت؛ المرء من آل هاشم
 وإلا فمن آل المار فانهم ملوك عظام من كرام أعظم
 فقلت إلى عز بقیة أعز لأذبحها فعل أمرى غير نادم
 فعوضنى عنها غناى ولم تكن تساوى (٢) عزى غير خمس دراهم
 فقلت لأهلى فى الخلاء (٣) وصببى : أحقا أرى أم تلك أحلام نائم
 فضحك عبيد الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا أخذت منا ، يا غلام
 أعطه مثلها أو بثلث فملته معاوية فقال : لله در عبيد الله : من أى بيضة خرج
 وفى أى عش درج !

ولهذه العناية الكبيرة بالشعر والشعراء أسباب كثيرة
 ١ — فالعصبة التى أحياها بنو أمية فى هذا العصر كانت عاملا كبيرا فى
 فى رواج الشعر والعناية به ، واهتمام الخلفاء والولاة بالشعراء
 ٢ — واهتمام الرواة بالشعر ونقده جعل للشعر سوقا رائجة ، ودعا الشعراء
 إلى تهذيبه وتجويده
 ٣ — والتنافس بين الشعراء له أثر كبير فى نهضة الشعر الفنية التى بلغها فى
 العصر الأندلسى

٤ — وأثر الشعر فى الحياة الاجتماعية وأنه لسان المفاخر والمثالب جعل
 للشعر والشعراء مكانا ملبوسا فى الحياة العربية فى هذا العصر ، فكان يرفع الوضع
 ويضع الشريف ، حتى أن مدحة الشماخ لعرابة التى منها .
 رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين .
 إذا ماراة رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

(١) توسمته ؛ تفرسته
 (٢) تساوى ، بوضع الضمة على الياء للضرورة
 (٣) الخلاء . الفضاء

كانت مثلاً سائراً وأثراً باقياً ومفخرة خالدة لعراة وكانت بنو نمير من أعظم العرب مكانة وأنبهم : أنا فلما هجأهم جرير بقصيدته التي منها
 فعرض الطرف إنك من غير فلا كدبا بلغت ولا كلابا
 صار اسم القبيلة لأفرادها سمة هوان وعيب وعار
 هـ — وأخذ الشعر أداة للغناء والألحان كذلك كان له أثر كبير في

هذه العناية الضخمة

يقول جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، كان لبنى أمية رغبة شديدة فى أحياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الآداب نفوسهم شعرية حساسة ، حدث معاوية عن نفسه قال : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فلقد رأيتنى ليلة الحرير بصفين وقد أتيت بفارس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أيداهرب لشدة البلوى فما حملنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الأظفانية :

أبت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحسد بالثمن الربيع
 واقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيع
 وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمىدى أو تستريحى
 لأدفع عن مآثر صالحات واحى بعدد عن عرض صحبح
 وي زيد بن عبد الملك رد الأحوص الشاعر من منفاه ليبت شعر له غنته فيه
 جميلة المنيية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذى أقرت له بالملك كهلأ وامردا
 فطرت يزيد وقال : ويحك من كريم قريش هذا ؟ قالت : انت وقد قاله
 الأحوص وهو منى ، فكاتب برده وانفل له حللا سنية وأدناه وقربه ، وقال له
 يوما : لو لم تمت الينا بحق ولا صبر ولا رحم إلا بقولك :
 وإنى لاستحييكم ان يقودنى الى غيركم من سائر الناس مطمع
 لكفأك ذلك عندنا ،

وقد خابر عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر واجابه ذاك بمثله

وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحساسه مثلهم . فالحجاج وهو اشد هم وطأة جىء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فاخذ في قتلهم بقسوة ذلك اليوم حتى صاح به رجل « والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما احسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما اطعته » فقال له « وكيف وملك » قال « لان الله تعالى يقول . فاذا لقيتم الدين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » وقد قتلت فاثخن حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل « ثم قال « او من » فقال الحجاج « ويل لك الا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف وامن الناس .

وكان بنو امية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء ويتقدمونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يترحمون عليهم ان يصفوا شيئاً ويحسبون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك ، او يجمعونهم ليفاخروا بين ايديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثيراً وابن الرقاع وقال لهم انشدونا من نحر كم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل .

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله او يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر او الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة من دمشق الى عاملة بالبصرة ان يشخص اليه حماداً الراوية على البريد فمضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو غائب من تلك الدعوة فاذا هو يقول له « بعثت اليك لبنت سخر بيالى لم ادر من قائله »

فبدأ روعه وقال « وما هو؟ فقال :

فدعوا بالصبر يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال حماد « هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة » وانشده اياها

وكذلك كان يفعل عمهم اذا علموا بوجود شاعر او اديب بارع بعثوا في

استقدامه مما يطول بنا ذكره

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وينسبون الى
يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت على يدها مالم تنله يدي نقشاً على معصم او هت به جلدي
وربما كانت لغيره لكنه كان من اصحاب الشاعرية .

وكان لبعض خلفائهم الدعاة شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة
معاوية وعبد الملك وهشام حكم كل منهم اكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية
بالادباء وخصوصاً عبد الملك والادب لا ينمو ويوزق ويشمر الا في ظل محبيه من
الملوك او الامراء واذا تدبرت النهضة التي مر بها الادب رأيت لسلك نهضة اميراً
او ملكاً اخذ بنصرها واحيا الادب بتقديم اهله وتنشيطهم

فلا عجب اذا كان اكثر احاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر
ومن هو اشهر شعراء الجاهلية او الاسلام . وكان المشهورون من شعراء الجاهلية في
عصرهم أمراً القيس وزهيرا والناطقة يفضلونهم على سواهم ويفضلون جريراً
والفرزدق والاختل على سائر الشعراء المسلمين في ايامهم لكنهم كانوا يتناقشون
في اى هؤلاء اشعر وكثيراً ما كانوا يتخاصمون وترفع اصواتهم . وربما اهتم
الخليفة او الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في اشعر الشعراء كما فعل
الحجاج اذ بعث الى قتيبة يسأله عن ذلك وقد يعثون من الشام الى العراق لمثل
هذا السؤال .

نهضة الشعر الفنية

في عصر نبي أمية

وبعد فقد نهض الشعر نهضة فنية عظيمة في هذا العصر ، وتعددت جوانب تجويده وتهذيبه وعكف عليه الشعراء تنقيحاً وتصنيعاً ، ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ - منزلة الشعر والشاعر الضخمة في العصر الأموي التي سبق أن حدثناك عنها بالتفصيل .

٢ - التنافس بين الشعراء على الشعر والحظ عند الأمراء والخلفاء

٣ - إحياء الشعر الجاهلي (١) واتخاذهم نموذجاً فنياً عالياً ينسج على منواله الشعراء

٤ - تعدد مجالس النقد والنقاد حول الشعر والشعراء وسلامة ملكة العربية في نفوسهم ، وعناية بني أمية بالشعر ورجاله

٥ - اتخاذ الشعر أداة للثناء فقد رققه الشعراء واختاروا له الأساليب العذبة والألفاظ الرقيقة والتعابير السمحة البسطة الواضحة

وسنحدثك بتفصيل عن مظاهر هذه النهضة الفنية العظيمة التي بلغها الشعر في هذا العصر في معاني الشعر وأسلوبه وألفاظه وأخيلته . وبعد فقد طفر الشعر في هذا العصر : رجزه وقصيده في سبيل التفنن فيه والاهتمام بشأنه أو التكبس به طرفة لم يتقدم عنها إلا بعد عدة قرون ، فطالت قصائده وأرجيزه وقلت عيوبه في الوزن والقافية ، وزادت فنونه ، ودقت معانيه ، ورق أسلوبه وألفاظه في الغزل والنسيب والعتاب رقة لم تمهد من قبل

(١) ويرى أن أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها هو حماد الراوية

[٢٣. طبقات الشعراء لابن سلام]

معاني الشعر الاموى :

وتتمتاز معاني الشعر في هذا العصر بما يأتي :

١ - العمق والترتيب والدقة التي تبدر في الآثار الفنية الشعرية في

هذا العصر

وذلك ناشئ من ثقافتهم الواسعة العربية وغير العربية التي أفادوها وتأثروا بها ، وكثرة تجاربهم في الحياة وخبرتهم بها ، وتأثرهم بأدب السابقين ومعانيهم وبالفقرآن الكريم والحديث الشريف ، ولأن من الشعراء من كانوا من عناصر أجنبية كزياد الانجم وموسى شهوات وأبي العباس الاعشى الذين كانوا من عناصر فارسية وتأثروا بثقافات الفرس وعلومهم .

٢ - كثرة الحكم والأمثال في شعرهم كما في شعر معن والفرزدق وجبريل والاختل وابن أبي ربيعة وسواهم وذلك لتأثرهم بحكمة القرآن والحكم الفارسية واليونانية التي ذاعت في هذا العصر

٣ - وضوح الأفكار والمعاني وخلوها من التعقيد إلا قليلا كما نرى عند الفرزدق وبعض الشعراء

٤ - قلة المبالغة والتكلف والاغراق بما نراه في الشعر في العصر العباسي

٥ - إنسكاؤهم على معاني الشعراء الجاهليين واعتمادهم عليها وزيادتهم فيها بما اقتضته الحضارة والحياة العربية الجديدة في العصر الاموى

٦ - كثرة المعاني الجديدة في شعرهم بتأثير البيئة والعصر والتغيرات السياسية والاجتماعية الجديدة

أخيلة الشعر :

أما أخيلة الشعر في العصر الاموى فتتمتاز غالبا بما يأتي

١ - قرب الخيال من الواقع والحس والعقل في التعبير

٢ - كثرة صور الخيال البديع من التشبيه الطريف والاستعارة الجسيمة

والسكنانية الدقيقة مما هو أثر للحياة الجديدة

٣ — السحرم وروعة التأثير في الاخيلة التي ابتكرها شعراء العصر الاموى مما يمكنك معرفتها والاهتمام اليها بالإمعان في الشعر الاموى وقراءته

أسلوب الشعر الاموى :

ويمتاز أسلوب الشعر في هذا العصر بما يأتى .

١ . الحرص على الروعة والقوة وضخامة الأساليب وذلك لاتخاذ الشعر وسيلة للدعاية . السياسية

٢ — خلوه من الحوشية والغرابة النافرة والأسفاف وبقاء بلاغة الجاهلية وفصاحتها في الأسلوب .

٣ ظهور أثر القرآن والحياة الجديدة في الشعر الاموى واضحا جليا .

٤ . تمثيل الشعر للحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية تمثيلا واضحا .

٥ — تعدد مناهج الشعراء الفنية في الأسلوب بحسب بيئاتهم ونزعاتهم ، وتغايفاتهم ، فالذين عاشوا في البادية وتأثروا بالحياة فيها كان أسلوبهم قريبا من الأسلوب الجاهلى في خصائصه وميزاته كذى الرمة والرمح وسواهما ، والذين عاشوا في الحواضر والأمصار وراوا مظاهر العمران والحياة الجديدة كان على أسلوبهم طابع الخفة والعدوبة والرشاقة والسلاسة الممتعة والقوة المؤثرة .

ولا شك أن لأحياء الادب الجاهلى والقرآن وأثره الأدبى وللحياة الجديدة كثير من الأثر في تعدد مناهج الشعراء في الأسلوب .

٦ — ظهور الأراجيز وكثرتها في عصر بنى أمية فقد غنوا بها عناية جعلتها تقرب من القصاصد في أكثر خصائصها ، فبعد أن كان البدوى ينظم منها بضعة مشطورات يحدوها الإبل أو يصفها أو يصف ظييا أو ظليما أو ثور وحش نشأ في هذا العصر فحول من الرجايز طولوا الأراجيز ونحوها بها منحى القصائد ، فضمنوها اغراضها من المدح والهجاء والفخر والثناء ، وصاروا يمدون لهذه

الأغراض بالنسب وذكر الديار وآثارها والظمان وحدوجها ، ويقصدون بها الخلفاء والولاة واشتهر منهم أبو النجم العجلي والمعراج وأبنة روبة .

٧ — ظهور الجزالة واضحة في شعر العصر الأموي

والجزول من الكلام هو الذى تعرفه العاصمة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه (٢) ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ؛ ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزول منهما يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوافى التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيقة منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزول من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجبية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفهم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيقة أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمت الأطراف لو أنها تلبس أثنت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول : وأما البداوة فى الألفاظ فتلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والركة وشأنها فى الكلام وبحوثها منهم كثيرون فى تقديم ودراساتهم فالفرزدق يقول فى جرير ، ما أحوجنى مع قسوتى إلى رقة شعره ، وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى (٥) فهو يرى أن الجزالة والركة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه ، ويقول عبد الملك فى الأعشى قاتله الله ما كان أعذب بجره وأصاب صخره (٦) ويقول

- | | |
|------------------------|---------------------|
| (١) ٦٤ الصناعتين | (٢) ٦٦ المرجع |
| (٣) ٦٥ المثل السائر | (٤) ٦٨ المثل السائر |
| (٥) ١٢٧ الشعر والشعراء | |
| (٦) ٣٨ الجهرة | |

الأصمعي في شعر النابغة ، إن قامت ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت (١) وقال أبو عبيدة في شعره ، له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مستمع ذاب وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (٢)

وبحث الجرجاني في وساحته الجزالة والرقعة بتفصيل (٣) وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وببئته وعصره ولون مديشته فيهما ورأى أن الرقعة إنما تأنيك من قبل العاشق للمتيم والغزل المتالك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقعة منازلهما بحسب المعاني والآغراض والموضوعات (٤) . وقد ذكر الجاحظ في البيان الجزالة والرقعة عرضاً فراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربي وبكل قد تكلموا (٥) وذكر أن سخيف الألفاظ مشاكس لسخيف المعاني وأنه قد يحتاج إليه في بعض المواضع وربما أمتنع كثيراً .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجته إلى الجزالة (٦) ويدعو إلى ترك الوحشي والسوقي في مواضع كثيرة من بيانه (٧) وعرض لهما ابن المدبر عرضاً فقال : لا يمتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظاً جزلاً (٨) وعرض لهما أرسطو في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة في المئانة مبلغ الأمر الذي يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج تحوج إلى الكلفة المشنومة ، وذكر أنه لا ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بالألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه باللفظ رقيق (٩)

(١) ٣٨٠ / ٢ العقد

(٢) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٣) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٤) ٢٩ المرجع (٥) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٦) ٣٠ ج ١ البيان (٧) ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٧٦ ج ١ المرجع

(٨) ١١ الرسالة العذراء

(٩) راجع الفن الثامن من الخطابة في الشفاء لابن سينا مخطوط

ألفاظ الشعر .

وألفاظ الشعر في هذا العصر يظهر فيها أثر القرآن الكريم والحياة الجديدة عذوبة وفصاحة وسلامة من اللحن والخطأ والعجمة والغرابة والوحشية والابتذال فإذا ما فتشت في الشعر الأموي لا تجد ألفاظا تشبه ألفاظ امرئ القيس أو طرفه أو لبيد مثلا في الغرابة . نعم قد تجد لبعض الشعراء كالأخطل وجريز والفرزدق في موطن الفخر والهجاء أو المناقضات بدس الغرابة في الألفاظ ولم يكن لها لا تبلغ هذا المبلغ الذي بلغته في ألفاظ الشعر الجاهلي أغراض الشعر الأموي :

وأغراض الشعر الأموي كثيرة متعددة وهي لا تقتصر على أغراض شعر الجاهليين أو شعر صدر الإسلام فحسب بل إن الحياة الجديدة الاجتماعية والسياسية والأدبية قد أدت إلى خلق أغراض جديدة لم تكن ألوفة من قبل . فقد احتفظ الشعر الأموي بالفنون القديمة التي كانت في الجاهلية من المدح والهجاء والفخر والرثاء والوصف وإن كانت هذه الفنون تنهج نهجا جديدا أو كالجديد وفق ظروف البيئة والعصر والحياة ، كما أضاف الشعر الأموي إلى هذه الفنون والموضوعات أغراضا جديدة لم تكن من قبل

فقد استحدث الشعراء الأمويون الشعر السياسي والغزل العسكري والنسيب القصصي ووصف البلاد المفتوحة والسكرام في بيان العقيدة أو في الزهد وتناول الحكمة كما جاوروا الشعراء الذين سبقوهم في الفخر والرثاء والمدح والهجاء والوصف وستكلم بنفصيل على أغراض الشعر الأموي الجديدة والقديمة على السواء

١ — الشعر السياسي وهو لون جديد من الشعر نراه في عصر بني أمية وقد كانت نشأته ظاهرة طبيعية لحياة الأمويين الجديدة

كان الشعر الجاهلي يصف الخلافات القبلية . ووصف شعر صدر الإسلام ما كان حول الدعوة الجديدة من خلافات وخصومات اشتعلت نارها بين المشركين . والمسلمين

أما الشعر الأموي أو الشعر السياسي منه فيصف الخصومات السياسية بين

الأحزاب المختلفة في العصر الأموي من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج .
فكان شاعر بني أمية الأخطل وشاعر الشيعة السكيت الأسدي وشاعر الزبيريين عبد
بن قيس الرقيات وشاعر الخوارج عمران بن حطان والطرامح بن حكيم . وكان كل
واحد من هؤلاء الشعراء يشيد بحزبه ودعائه وأبطاله ويهجو خصومهم السياسيين
ويرثي من يسقط شهيدا في معركة الدفاع عن الرأي والعقيدة وتجدد ذلك واضحا في
رائية الأخطل في عبد الملك أرى في همزية عبد الله بن قيس الرقيات التي يقول منها .
حبذا الديس حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملك قریش وتشتت الأعـداء
أيها المشتهى فناء قریش بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من السبلاد قریش لا يسكن بعدهم لحي بقاء

..

نحن منا النبي الأمي والصدیق منا التقى والخلفاء
وقتل الأحزاب حمزة منسا أسد الله والسنا سناء
وعلى وجعفر ذو الجناحين هناك الوصي والشهداء
والزبير الذي أجاب رسول الله في الكرب والبلاء بلاء
والذي نهض ابن دومة مانو حتى الشياطين والسيوف ظمأ
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتا وفي الضراب غلاء
غيبوا عن مواطن مظاهرات ليس فيها إلا السوف رخاء

كما تجده في هاشميات السكيت وفي قصائد عمران وقطري .

ولهلك لا تجمل رائية الأخطل :

خف القعطين فراحوا منك أوبكروا وأزعجتهم نوى في صررفها غير
ومنها في مدح بني أمية .
حشد على الحق عيافوا الخنا أنف إذا ألت بهم مكروهة صبروا
وإن تدجست على الافاق مظلمة كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جدا ينهرون به لا جد إلا صغير بعد مختفر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يسكون لقوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا
ومن الشعر السياسي ما قاله مسكين الدارمي وقد أوعز إليه معاوية حينما
عزم على البيعة ليزيد ولكنه تهيّب ذلك لكثرة المرشحين ، وكان قد بلغ معاوية
ما كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحنظل وعبد الله بن عامر فلما اجتمعوا
عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر	ومروان أم ماذا يقول سعيد .
بنى خلفاء الله مهلاً فانما	يهوئوا الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاه ربه	فان أمسير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد	لكل أناس طائر وجدود
فلازلت أعلى الناس كمها ولا تنزل	وفود تسامها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليّاً	تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجواني وتحتها	أناف كأمثال الرئال ركود

فلما انتفى منها قال معاوية ننظر فيما قامت يامسكين واستخير الله . فلم يتسكّم
أحد بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية في رده على
كتاب لعل

أرى الشام تذكره ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبعوضاً	يرى كل ما كان من ذلك ديناً
إذا ما رمينا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا على أمان لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له	فقلنا ألا لا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خرط القتاد	وضرب وطعن يفض الشونا

وفي رد على عليه ذكر شعراً للنجاحشي أحد بني الحارث بن كعب من شعراء
أهل العراق ، منه :

دعاً يا معاوى ما ان يسكونا فقد حقق الله ما تنحدروننا
أناكم على باهل العراق ر أهل الحجاز فما تصنعوننا
وقال جواس بن القمطل السكبي :

صبغت أمية بالدماء رماحننا وطوت أمية دوننا دنياها
ألمى رب كتيبة بجولة صيد السكة عليكم دعواها
كننا ولا طعناها وضراها حتى تجلت عنكم غماها
فالله يجرى لا أمية سعيننا وعلا شدتنا بالرماح عراها
جشم من الحجز اليعيد نياطه والشام تنسكر كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حلق السكالب وأظهرت سبها

الغزل العذرى والنسيب القصصى : وأنت تعلم أن الغزل فن نجاىلى
قديم بدأ نه الشعراء قصائدهم ووصفوا فيه مشاعرهم وأكثروا منه إكثارا شديدا
ولكنه غزل كان يمدد المقصود من القصيدة ولم تكن القصيدة وقفا عليه ولا كان
نظمها من أجله فهو وإن لم يكن غزلا صناعيا إلا أنه كالصناعى فى كثير وقد
استمر هذا النوع من الغزل فى عصر صدر الإسلام والعصرى الأموى كما تبعده
فى شعر جرير والفرزدق والاختل وفى شعر كثير عزة الشاعر المشهور

أما الغزل الذى زريده والذى استحدث فى عصر بنى أمية فهو نوع جديد
مستحدث لم يكن مألوفا من قبل ، ظهر فى هذا اللون من الغزل القصصى الذى
تبعده فى شعر عمر بن أبى ربيعة وأضرابه ممن وصفوا الجمال وذكرىات الهوى
والحب والشباب فى قصائد قصصية جميلة طريفة . كما ظهر فى الغزل العذرى العفيف
البدوى الذى تبعده عند جميل صاحب بثينة وقيس العامرى صاحب ليل
وسواهما

أما الغزل القصى فقد نشأ فى مكة والمدينة بين المترفين من أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء
الغزاة الفاتحين الذين امتلات أيديهم بالأموال والنعمة وأقاموا بمكة والمدينة لأسباب

سياسية وغير سياسية ينعمون ويظربون . وكان لهم بطانة من الشعراء والمغنين والمغنيات والمضحكين ، رقصا يعجب أمثال هؤلاء من الشعر غدير الغزل الذي يطرب منه ويتغنى به . واشتهر من هؤلاء الأصوص من الانصار وعمر بن أبي ربيعة من قریش ، لكن عمر كان أصرح من الأصوص في الغزل يذكر أسماء من يشبب بهن ، ويقص قصصه معهن أكثرها مسكذوب مفتري . وله ديوان كبير كله في هذا النوع من الغزل .

وأما الغزل العذري العفيف فقد نشأ في بادية الحجاز في بني عذرة وخزاعة بين الشباب المستضعفين المؤثرين التبدى على الهجرة والجهاد غزلا شريفا نزيها عن الفحش ، وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة لكن أكثر حبه كان حمية ياثير متصنع

وقد قيل في هذا الغزل قصائد مطولة بل دواوين من الشعر لم يؤثر لها شيء لا عن الجاهلية ولا عن صدر الاسلام ، وإنما هو نوع نشأ بين شعراء أهل البدو من الاسلاميين . وأشهر هؤلاء الغزليين جميل بن معمر ، وكان يحب بثينة حبا صادقا ، والمجنون العامري صاحب ليلى وقيس بن ذريح صاحب لبنى وسواهم فالغزل العذري إذن - ربيب العصر الاموي ، غذاه ورباه وسهر على نموه وازدهاره ، قال جميل بثينة :

ولو ابصره الواشي لغرت بلابله	ولئن لأرضى من بثينة بالذي
وبالأملى المرجو قد غاب آمله	بلا ، وبأن لا أستطيع ، وبالمنى
وأخبره لا نلتقى وأوئله	وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى

ويقول جميل :

من الحب قالت ثابت ويزيد	إذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى
مع الناس قالت ذلك منك بعيد	وإن قلت ردى بعض عتلى أعش به
ولاحبا فيما يبس يد يبيد	قلا أنا مردود بما جئت طالبا

ويقول بجنون ليلي :

ألا أيها البيت الذي لا أزوره وإن حله شخص إلى حبيب
هجرتك إشفافاً وزرتك خائفاً وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعيب الأيام فيك لعلها بيوم سرود في الزمان تثوب

ويقول وقد أخذه أبوه إلى السكبة ، وقال له : تعلق بها وقل اللهم أرخني
من ليلى وحبا ، فلما تعلق بها قال :

يقر يعني قربها ويزيدني
وكم قائل قد قال تب فمصيته
فيأنفس صبرا لست والله فاعلى
ويقول قيس بن ذريح في لبنى :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها
يحجبوا عيني من داعم البكا
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى
وقال قيس لبنى :

فان تك لبنى قد اتى دون قربها
فان نسيم الجسو يجمع بيننا
وأرواحنا بالليل في الحى تلتقى
وتجتمعنا الارض القرار وفوقنا

ومن ذلك قوله أيضا

فان تسكن الدنيا بلبنى تغلبت
لقد كان فيها للامانة موضع
وللحاشم العطشان رى بريقها
كأنى لها ارجوحة بين أحبل

ومن جديد شعر قيس قوله :

وكنيت كآني حنفة وهو طائع	أنبكي على لبني وأنت تركتها
وياحبها قع بالذي أنت واقع	فياقلب صسبرا واعترافا بنبها
بلبني وبانت عنك ماأنت صانع	وياقلب خبرني اذا شطت النوى
أم أنت امرؤ ناسي الحياة فجازع	أتصبر للبين المشت مع الجوى
بران كان فيها الناس وحش بهاقع	كان بلاد الله مالم تحسن بها
ويجهمني والهم باليسل جامع	أقضى نهاري بالحديث وبالمنى
لى الليل هزتي اليك المضاجع	نهاري نهاري الناس حتى اذا بدا
كارسخت في الراحتين الاصابع	لقد رسخت في القلب منك مودة

أما شعر الغزلين القصاص : كإبن أبي ربيعة والاحوص وسواهما فهو كثير وقد خلقه الترف واللهو الذي كان عليه شباب الحجاز في مكة والمدينة .

يقول عمر بن أبي ربيعة . وقد تذكر الثريا يوما وهو نازح الدار مقيم باليمن :

هيات من أمة الوهاب منزلنا	إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أملك أجيادا فليس لنا	إلا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا يا وهب إن نزحت	نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
فلست أملك إلا أن أقول اذا	ذكرت لا يبعدك الله ياسكنى
يا وهب ان يلك قد شطت البعاد بكم	وفرق الشمل منا صرف ذا الزمن
فكم وكم من دلال قد شغفت به	منكم متى يره ذو العقل يفتن
بل ما نسيت بطن الخيف موقفها	وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب	والدمع منها على الخدين ذوسنن
بالله قولى له فى غير معتبة	ما ذا أردت بطول المسك فى يمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها	فما أخذت بترك الحج من ثمن

ويقول :

ثم قالت وسأحت بعد منع وأرتقى كفا تزين السوارا

فتناولتها فالت كغصن حركته الريح عليه فارا
وأذاقت بعد العلاج لذينا كجنى النحل شاب صرفا عقارا
ثم كانت دون اللحاف لمشغو ف معنى بها صبوب شعارا
واشتكت شدة الإزار من البهر وألقت عنها لدى الخارا
حبذا رجعها إليها يديها في يدي درعها تحمل الإزارا
ويقول :

فتأهبت لها في خفية حين مال الليل واجتن القمر
فأذاقتني لذينا خلت به ذوب نحل شيب بالماء الخضر^(١)
ومسدام عتقت في بابل مثل عين الديك أو نمر جدر^(٢)
فتعصنت لياني في نعمة مرة ألثمها غير خضر
وأفرى مر مطها عن عطف ضامر الأحشاء نعم المؤنزر
فلهورنا ليلنا حتى إذا طرب الديك وهاج المدكر
حركتني ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبدر
قم صفي النفس تفضحنى قد بدا الصبح وذا برد السمحر
ورائيته مشهورة وستأتى :

٣ — ومن الأغراض الجديدة الشعر الذى يذكرون فيه مبادئ الدين وشعر
الحسكة ووصف البلاد المفتوحة ، وذلك كثير فى الشعر الأموى

وقال حندج بن حندج المرى يصف ليل صول :
فى ليل صول تنهى العرض والطول كأنما يسله بالليل موصول
لأفارق الصبح كفى إن ظفرت به وإن بدت غرة منه وتجييل
لساهر طال فى صول تملسه كأنه جية بالسوط مقتول

(١) الخضر : البارد :

(٢) المدام : الخمر كالمدامة : وسميت كذلك لطول دوامها فى الدن ، جدر : بلدة

بين حمص وسلمية .

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السراويل
ليل تحير ما ينحط في جهة كأنه فوق متن الأرض مشكول
نجومه ركذ ليست برائلة كأنما هن في الجو القاديل
ويقول قطري :

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنوع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المذون الى انقطاع
وما للبرء بخير في حياة اذا ما عسد من سقط المتاع
ويقول مسكين الدارمي :

اصحب الاختيار وارغب فيهم
رب من صاحبه مثل الجرب
واصدق الناس إذا حصدتهم
ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضة
وسمين الجسم مهزول الحسب

ومن الشعر الدينى هذه الارجوزة الطريفة التى ذكرها صاحب الأغاني قال :
خرج الوليد بن يزيد (١) فقيل له : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لا أخطيئهم
اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال :

الحمد لله ولى الحمد
وهو الذى فى الكرب أستعين
أشهد فى الدنيا وما سواها
أحمده فى بسرنا والحمد
وهو الذى ليس له قرين
ان لا إله غيره إلها

- ٥٠١ -

ما إن له في خلقه شريك
أشهد أن الدين دين أحمد
وأنه رسول رب العرش
أرسله في خلقه نذيرا
ليظهر الله بذلك الدين
من يطع الله فقد أصاب
ثم القرآن والهدى السبيل
كأنه لما بقى لديكم
إنكم من بعد إن نزلوا
لا تتركن نعمتي فاني ناصح
من يتق الله يجد غب التقي
إن التقي أفضل شيء في العمل
خافوا الجحيم إخوتي لعلكم
قد قيل في الأمثال لو علمتم
ما يزرع الزارع يوما يحصد
فاستغفروا ربكم وتوبوا

قد خضعت للملك الملوك
فليس من خالفه بمهتد
القادر الفرد الشديد البطش
وبالكتاب واعظا بشيرا
وقد جعلنا قبل مشركينا
أو يعصه أو الرسول خابا
قد بقيا لما مضى الرسول
حتى أصبح لا يزال فيكم
عن قصده أو نهجه تضلوا
إن الطريق فاعلمن واضح
يوم الحساب صائرا إلى الهدى
أرى جماع البرية قد دخل
يوم اللقاء تعرفوا ما سرهم
فانتفخوا بذلك أن عقلم
وما يقدم من صلاح يحمد
قالوت منكم فاعلموا قريب

• • •

أما أغراض الشعر الأموي التي كانت موجودة في فنون الشعر قبل عصر بني أمية فهي :

١ - الفخر ، وهو كثير في الشعر الأموي كشعر الفرزدق وجرير والآخر .

وقد سبقت نماذج له ومنها قصيدة المقنع السكندى :

يماني في الدين قوى وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا

٢ - شعر الحماة وهو كثير جدا في هذا العصر كثرة الحروب والثورات قال قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طلوت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبرا فسا نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

٣ — الرثاء وهو كثير في الشعر الأموى ولا داعى لذكر مثله .

٤ — الوصف وقد تنوع بتنوع الحياة ومشاهدها ومناظرها في
البلاد المفتوحة :

قال الفرزدق يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطمعه من زاده :

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت لئارى . وهناً فأتانى
فلما أتى قلت ادن دونك لئننى وإياك فى زادى لمشركان
فبت أقدر الراد بينى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا وقتهم سيفى من يدى بمكان
تعش فان عاهدتى لا تخوننى تكن مثل من يا ذئب يصطحيان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نهبت تلتهمس القرى رءاك يسهم أو شبة سنان

٥ — الهجاء وقد كان الهجاء فى العصر الجاهلى صادقا غير لا ذع ولا
مفحش ، وجاء الاسلام فحرم الهجاء إلا ما كان فى المشركون .

فلما جاء عصر بنى أمية وكثرت الخلافات السياسية والدينية والأدبية اتسع
الهجاء وامتلاء بالفحش والافتداع .

وكثرت المهاجاة بين الشعراء ، وتشعبت ألوان الهجاء فن هجاء سياسى بين
شعراء الأحزاب إلى هجاء أدبى بين الفرزدق وجريز والأخطل وسواهم هجاء
بين القبائل والعصبيات العربية وبين العرب والشعوبيين ، يقول جورجى زيدان :

ولما أفضى الأمر إلى معاوية اقتضت سياسته ومصاحته أن يحدد تلك الضغائن لجهل
يغري الشعراء على الطعن بالانصار لانهم اصحاب على بن ابي طالب خصمه . وكان
يفعل ذلك تحت طي الخفاء - ومن الذي اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر
التغلبى المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانه نصراني واستعان به معاوية
على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل
على معاوية وانشده قصيده في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطينا الحق تعترف لحي الازد مشدوداً عليها العاهم
ويشتمنا عبد الارقم خسلة وما ذا الذي تجدى عليك الراقم
لما نأر دون قطع لسانه فدونك من يرعنيه منك الدراهم
ثم تخلص الى الفخر باعمال الانصار وانسابهم وختم القصيدة بالطعن على
خلافه معاوية الى ان قال :

وانى لاغضى عن امور كثيرة سترقى بها يوما اليك السلام
اصانع فيها عبد شمس وانى لتلك التي في النفس متى اكاتم
فما انت والامر الذي لست اهله ولكن ولى الحق والامر هاشم
فلما سمع معاوية تهديده اظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وامر ان
يدفع اليه لقطع لسانه . وأرشدك ان يفعل لو لم يستجر الاخطل بهزيد بن معاوية
فاجاره وارضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك
ابن مروان شاعر الدولة .

وتحولت المهاجاة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى امية
وانتشر ذلك في اطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج في
جماعة من موالى بنى هاشم في مكة وشبيب يخرج في جماعة من موالى بنى امية
فيفتخرون ثم يقتاتمون ثم يتجالدون بالسيف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية
وكان اهل مكة منقسمين بينهما في المصيبة .

على ان النهاجى السياسى جر الى النهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب
السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاطلة ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف

الاحوال وقد يكون الغرض منها المقارنة لبيان المقدرة على الهجو ثم يتنافر المتأجبان الى من يحكم بينهما . كما تهاجى جميل الشاعر المقيم وجواس بن قطنة العذرى وتنافسوا في ايها افضل أبا وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (١)

واشهر ضروب المهاجاة في العصر الأموي المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاختل وعديده من الشعراء المعاصرين . والبادئ في ذلك كله جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاختل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشتهم في اى الشعراء افضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين نسب احدهما الى جرير وسبى جريراً والآخر الى الفرزدق وسبى فرزدقياً وكثيراً ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام .

وهذه بعض نماذج للهجاء :

قال قعنب بن ضمرة :

إن يسمعوارية طاروا بها فرحا	منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به	وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلاً علينا وجبنا عن عدوهم	لبئست الخلجان الجمل والجبن
وقال عبد الرحمن بن الحكم :	

لحا الله قيساً قيس عيلان إنها	أضاعت ثغور المسلمين وولت
فشاول بقيس في الطعان ولا تكن	أخاها إذا ما المشرفة سلت
وقال مالك بن أسماء في الهجاء :	

لو كنت أحل خيراً يوم زرتكم	لم ينكر السكب أنى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفعنى	وعنبر الهند أذكىه نلى النار
فأنكر السكب ريحى حين أبصرنى	وكان يعرف ريح الرق والقار
وقال آخر :	

أقول حين أرى كعباً ولحيته	لابارك الله في بضع وستين
---------------------------	--------------------------

— ٥٥٥ —

من السنين تولوها بلا حسب ولا حياء ولا قدر ولا دين
وقال الطرماس يهجو بني تميم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر نملة يكر على صفي تميم لولت
٦ - الطرديات :

وهو وصف الصيد وأدوات صيده وقد كان موجودا قليلا في العصر الجاهلي
ثم جاء الاسلام فامتنع الشعراء عن النظم فيه ثم أحياه شعراء بني أمية ويوجد في
شعر قليل من الشعراء كالعرجي والوليد بن يزيد وعمر بن أبي ربيعة وسواهم
٧ - وصف الخمر : وأنت تعلم أن ذلك الفن وجد في العصر الجاهلي في شعر
الاعشى وعمر بن كلثوم وسواهما ، وإمام هذه الصناعة هو الاعشى ، فلما جاء
الاسلام حرم الخمر ووصفها .

وفي عهد بني أمية أحيا بعض الشعراء كالاخطل هذا الفن ونظموا فيه
يقول جويرجي زيدان :

لم يتغن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بدوا بذلك في العصر
الاموي على اثر انغماس الامويين في القصف والسكر باواخر الدولة وأول من
وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليفة السكير ، وقد ذكر الخمر في
الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجه بقوله .

وتظل تتحفنا بها قروية ابريقها برقاه ملثوم
فاذا تعاورت الاكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم
ثم اجاد في وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادما فهي عجزوز تملو على الحقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة السكرية النسب

فقد نُجِلَتْ، ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهى لدى المزج سائل الذهب
كانها فى زجاجها قبس تذكو ضياء فى عين مرتقب
وله فى وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء فى اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما
ابو نواس فانه سلخ معانى الوليد كلها وجعلها فى شعره واخذ ابو نواس ايضا من
حسين بن الضحاك وكان معاصراً له واخذ من والبه وكان استاذة .

٨ — المدح :

وهو من أغراض الشعر منذ الجاهلية الاولى إلا أنه لم يصير طريقاً للتكسب
والمسألة به إلا فى أواخرها . ولما جاء الاسلام ترخص النبي صلى الله عليه وسلم
فى استماعه والاجازة عليه تأييدا لدعوته إذ كان جل ما يمدح به خاصا بعمل الرسالة
واسكنه صلى الله عليه وسلم نهى عن المدح لمجرد الإطراء والتقريظ وفى غير تأييد
الحق ، وتورع كثير من خلفائه الراشدين عن سماع المدح الباطل ، ففسترت
صناعة التكسب بالشعر

وجاء عصر بنى أمية فترخص معاوية فى استماعه قليلا لتأييد دعوته ، وتوسع
فى ذلك بنو مروان فاستمعوا له فى حق وفى غير حق ، وأجازوا عليه الجوائز
السنية ولم يقصر عنهم كثير من ولاتهم ورؤساء الاحزاب فى زمانهم ، وتسابق
الشعراء الى أبوابهم يمدحونهم فى مبالغة .

وتكسب كثير من الشعراء بالمدح وقصدوا أبواب الخلفاء والأمراء والولاة
بالثناء ، وكان لكل خليفة أو أمير أو وال شاعر من الشعراء يمدحه ويتقرب إليه ويشيد
بمآثره إشادة بالغة ، واصبح التكسب بالشعر عادة مألوقة ، وكان أكثر الشعراء يتجه
نحو بنى أمية أصحاب الطول والسلطان . وربما مدح احدهم بنى هاشم أو آل الزبير
أو غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا
من غضبهم لان الامويين كانوا يفضون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى
الاتهام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا راينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح
فى الامويين . ومن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية او ابن الزبير وبنى أمية

وقد كان للدح جوانب سياسية كبيرة ، فشعراء الأحزاب كثيرا ما كانوا
يقفون قصائدهم على الأشادة بحق دعوتهم وبطولة دعائهم

وكانت من شعراء بني أمية : الأختل م ٩٩ هـ وجرير م ١١١ هـ
والفرزدق م ١١٠ هـ ومسكين الدارمي م ٩٠ هـ والراعي وابوالنجم م ١٣٠ هـ الراجز
ومن شعراء العلويين : النعمان بن بشير م ٦٥ هـ وأبو الاسود الدؤلي م ٦٩ هـ
والسكيت م ١٢٦ هـ وأمين بن خريم

ومن شعراء بني الزبير عبد الله بن قيس الرقيات م ٧٥ هـ
ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماس بن حكيم م ١٠٠ هـ
ومن شعراء بني المهلب زياد الأعجم م ١٠٠ هـ وحزرة بن يعض م ١٢٠ هـ وبهس الجرمي
إلى غير هؤلاء من الشعراء

وقد كان بنو أمية : يبدلون المال بدون حساب على المدح ويقربون الشعراء
الذين يمدحونهم إليهم ، ويعفون على من يكون قد فرط منه هفوة في حقهم إلى
غير ذلك من مظاهر العناية ، بل كانوا يطلبون من الشعراء المديح

روى أن الفرزدق وأنصبا كانا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان للفرزدق
أنشدني (وإنما أراد أن ينشده مدحا له) ، فأنشده :

وركب كأن الريح تطالب عندهم طائفة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا آتسوا نارا يقولون ليتهما وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب ، فقال نصيب يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في
روبي ما لعله لا يتضع عنما ، فقال هات ، فأنشده :

أقول لركب صادقين لقيتهم قفا ذات أوшал ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمروفة من أهل ودان طالب
فعاجروا فأتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أنئت عليك الخفاف

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل
جلدته ، ثم قام الفرزدق ، وهو يقول :

- ٥٠٨ -

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

٥٠

وبعد فهذا نهاية حديثنا عن أغراض الشعر الاموي وفنونه وموضوعاته والله ولي التوفيق :

التكسب بالشعر :

وبعد فأنت في غنى عن أن أذكر لك ما تعرف وما سبق أن ذكرته من أن الشعراء أخذوا في العصر الاموي يتكسبون بالشعر ، طلبا للمال أو طمعا في الجاه أو رغبة في الانتصار على الخصوم والأعداء وفتح الخلفاء وأبوابهم للشعراء ، وقربوهم منهم ، وقضوا مطالبهم ، وأغدقوا عليهم العطاء

وتبعنا لذلك أكثر الشعر من مدحهم وغالوا في الثناء عليهم ، وامتلات قصور العظماء بمجالس الشعر والثناء واتخذ كل خليفة أو أمير أو وال أو عظيم شاعرا له يمدحه ويكسوه حلل الثناء

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، وقد سبق ما يغني عن كل بيان طوائف الشعراء :

والشعراء الامويون طوائف :

١ - أما الأولى فشعراء الغزل القصصي والعذري وقد علمت رجالها وقرأت الكثير من شعرهم ومن أشهرهم جميل م ٨٠ هـ وابن أبي ربيعة م ٩٣ هـ وكانت أم أبي ربيعة نصرانية (١)

٢ - والثانية الشعراء السياسيون ومن أشهرهم جرير والفرزدق والاختل والكميت وعبد الله بن قيس الرقيات ، وكان كل من هؤلاء ينتمى إلى حزب سياسي يؤيده وينصره ويشيد بمبادئه

(١) ٢١٦ طبقات الشعراء لابن سلام

٣ — والثالثة الشعراء الهجاءون وقد علمت ما كان من أمر الهجاء في هذا العصر ، والمناقضات التي كانت بين جرير والفرزدق والاختلاف وسواهم اتجاهات الشعراء الفنية :

والشعراء الامويون أيضا ينقسمون بحسب اتجاهاتهم الفنية إلى طوائف الاولى : شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالحياة الجديدة تأثرا كبيرا ، فظلوا في نهجهم الفني على نمط الجاهليين في نظم القريض أسلوبا وألفاظا وخيالا ومعاني ومن هؤلاء ذو الرمة والرماح

سمع الفرزدق ذا الرمة ينشد فوقه عليه فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول ، قال : فما لي لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قصر بك عن غياتهم بكائك في الدمن ووصف الأبعاد والعطن

والثانية : شعراء الأمصار كسكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة من كانوا عربا خلصا . وقد تأثر هؤلاء ببيئتهم وعصرهم وبالقرآن الكريم وبالتقافات التي كانت بينهم فأتى شعرهم حضريا رائعا سلسا سهلا ومن هؤلاء أشهر الشعراء المشهورين والثالثة : الشعراء الموالى : كشبيبم ، ١٠٠ هـ وعبد بنى الحساس وكانوا من عنصر حبشى ، وكزياد الأعجم والبعيث (وأمه أصهبانية وأبى نخيسلة وموسى شهوات) وأصله من أذربيجان) وهم من أصل فارسي ، ولا شك أن عناصرهم الأجنبية كان لها أثر في شعرهم .

طبقات الشعراء الامويين

ويجعل ابن سلام الشعراء الامويين عشر طبقات :
 فالاولى : جرير والفرزدق والاختل والراعي
 والثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة :
 والثالثة : سيمع وكعب بن جعيل وعمرو بن احر وأرس بن معز ،
 والرابعة : نهم وحيد بن ثور وعمرو بن لجأ والاشهب بن رميلة :
 والخامسة : أبو زيد الطائي والعجير السلولي وابن همام السلولي ونفيع بن لقيط
 الاسدي :

والسادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب
 والسابعة : المتوكل الليث وعدي بن الرقاع وزياد الاعرج وابن مفرغ
 والثامنة : عقيل المري وبشامة المري وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش
 والتاسعة : ابو النجم والاعلم والعجاج ورؤبة وهم من الرجاز
 والعاشرة : مزاحم العقيلي وابن الطائفة والفهيف بن سليم العقيلي وابو دؤاد
 الرؤاسي .

الرواية والرواة

لم تكن العرب تدرن شعرها في الجاهلية في ديوان أو سفر وإنما كان محفوظا
 في الصدور ، تعيه جافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .
 وقد تعجب مما تقرأ عن رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ،
 ولكن لا عجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد
 الشعر العربي حتى لا يضيع .

ولقد كان الأصمعي يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشرة ألف
 أرجوزة ، وكان خلف اروي الناس للشعر واعلمهم بحيد ، وكان خلف مع روايته
 وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ويقال إن القمبيدة

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمة ما يطل
لخلف الآخر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق الشعر
القديم ويقول . ما من شاعر إلا قد حققت في شعره أبياتا لجازت عنه إلا أعشى
بسكر فاني لم أزد في شعره غير بيت (١) . ويقول المفضل : سلط على الشعر من
حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحفاظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربي الجاهلى
وغيره . حتى قال أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم ما قالت العرب إلا أقله ولو
جاءكم والفرا جاءكم علم وشعر كثير » (٢) .

وأصيب الشعر العربي مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض الرواة
لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة في تفادى الأجرأج أو سوى ذلك .
واسكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول رنهبوا على الكثير من
المختلف ، وألفوا كتباً كثيرة جمعوا فيها ما صبح من الشعر الجاهلى والآثار
الأدبية الأخرى .

وكان لكل شاعر رواية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر فن
الشعر ومذهبه في القريض .

فكان امرؤ القيس رواية أبي دؤاد الأيادى . وزهير رواية أوس بن حجر
والأعشى رواية المسبب ، كما كان الخطيب رواية زهير .

هذا وسأتى ذكر لكثير من رواية الشعر الجاهلى .

وقد اهتم الخلفاء الأمويون بأحياء الأدب الجاهلى اهتماما كبيرا وأولوا
ذلك عنايتهم

وقد عني الرواة برواية الشعر القديم ومن أشهر هؤلاء حماد الراوية م ١٥٦
وهو أول من جمع أشعار العرب وآدابها وأخبارها

وقرب الخلفاء الرواة إليهم ، واتخذوهم جلساءهم وسماهم وندمانهم ،
واستمعوا لرواياتهم وقصصهم
وكان لذلك كله أثر بعيد في إحياء الشعر الجاهلي وحفظه

رواة الشعر الجاهلي^(١)

- ١ - أبو عمرو ابن العلاء البصري م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات^(٢)
- ٢ - حماد الرواية (٧٥ - ١٥٦ هـ) ، كوفي وليس له مؤلفات^(٣)
- ٣ - الخليل بن أحمد بصري (١٠٠ - ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .
- ٤ - خلف الأحمر بصري م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطي أنه ألف كتاب الجبال وما فيها من شعر ، وله ديوان خاص ، وقيل أنه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى^(٤)
- ٥ - يونس بن حبيب البصري م ١٨٢ هـ .
- ٦ - المفضل الهبلي م ١٨٩ هـ ، كوفي وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب في كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال أنه أول من جمع أشعار الجاهليين .
- ٧ - أبو عبيدة بصري م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات في اللغة ، وبحار القرآن والنقائض .

(١) راجع بغية الوعاة - طبقات الأدباء لابن الانباري - معجم الأدباء
لياقوت - وفيات الأعيان - فوات الوفيات - الأغاني - الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست .

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

المناقضات في العصر الاموي

١ - كان لآحياء العصبية وكثرة الخلافات الدينية والسياسية والاجتماعية والادبية أثر بعيد في آحياء المعارضات في الشعر العربي في هذا العصر . وكانت المنافسة الادبية عاملاً كذلك له أثره في هذا الميدان . بدأ هذا العصر بالخلاف بين علي وهماوية وظهور الخوارج التي ظلت ثائرة ساخطة ، لا تريد حكماً ، ولا ترضى عن حاكم ، حتى استأصل شأفتها المهاب بن أبي صفرة في خلافة عبد الملك بن مروان . ثم قام ابن الزبير في مكة يدعو الى نفسه ويطلب الخلافة ، فكان له جند مناصرون . وهكذا انتشر العقد وانشقت العصا وانتفض الغول أنسكأنا : وتفرق المسلمون شيعاً ، وتبددوا أحزاباً ختلصين أو غير ختلصين ، راغبين في عرض الحياة الدنيا أو غير راغبين ، فأننا نعتقد أن النفس الانسانية في هذا الزمان هي النفس الانعمانية في كل زمان ، وأن اتجاه الناس الى الزعماء في ذلك الحين ، لم يكن كله خالصاً عن محض عقيدة أو اقتناع بمذهب وكما يقول القظامي .

والناس من يلقى خيراً قاتلون له ما يشتهي ولا هم الخطي المجهل
كان لعلي شعراء ؛ ولعمادية شعراء ، وللخوارج شعراء ، ثم للزبيريين بعد ذلك شعراء . وأشهر شعراء الشيعة السكيت ، وبرز من شعراء معاوية الأخطل وجريروان بجعل ، ومن شعراء الخوارج عمران بن حطان واشاد بآل الزبير عبيد الله ابن قيس الرقيات .

وكان الأخطل لا يعنيه من أمر الخلافة الاسلامية شيء إلا ما تدره عليه من أموال . أما شعراء الشيعة فكانوا محاصرين في غصنهم وبكاؤهم ، ولكن قلوب بعضهم كانت تضعف أمام سيطرة الآهويين ، وترجف فرقا من سيفهم المملول . فقد كانوا إذا انزلق بهم اللسان مرة أو مرتين باتوا بليلة المسوع ، واعدوا العدة للفرار . وإذا صح ما نسب إلى السكيت من رعبه من هشام بن عبد الملك ، وهربه من السجن بعد أن لبس ثياب زوجه ، وتركها خلفه

تلاقى من شياطين السجون ما تلاقى ، والتجائه الى قنبر معاوية بن هشام ، واستنقاذ
نفسه بمدح بنى أمية ؛ ثم استمعه اراه في مدحهم الى آخر أيامه ، علمنا ما يفعل الخوف
بالعقائد ، وكيف تستل الغرائز شماعة الرجال ، يفولون إنه عمل بمذهب النقية
ولكننا لانفهم كيف تستباح هذه النقية الى آخر أئنداس الحنية ؟ وقد حدث هذا
بعينه لعبيد الله بن قيس الرقيات شاعر آل الربير حين أهدر عبد الملك بن مروان
دمه ، فتثقل مخنفياً في الأسياء والقبائل ، حتى استعاض ذليلاً بعبد الله بن جعفر
فسمى للعفو عنه ، فلما ظفر بالعفو انطلق يهدر بمدح المروانيين كما بدأ أطلقت
سيلاً حبساً !

وكان الفردوق شيعياً ، ولكنه كان لا يتخذ من عقيدته حلية يعرضها على الناس
ولا يجعل من مذهبه شارة حتى يراها كل ناظر ، وله شعر كثير في
مدح بنى أمية ، والقصيدة المنسوبة إليه في مدح على بن الحسين غدير صحيحة
النسبة إليه

أما شعراء الخوارج ، فقد زهدوا في الدنيا وزخرفها ، وسخطوا على الحكم
ورجاله ، وانصرفوا الى عقيدتهم صحيحة أو فاسدة ، يغذونها بأرواحهم ويذودون
عنها بسيفهم وأستهم . وسيرة عمران بن حطان رأس شعرائهم سيرة الفوضى
المجاهد الذي باع نفسه لمذهبه
وشعر قطري بن الفجاءة يصور الفدائية والذقة بالنفس والاستماتة بالموت في
أسلوب ساذج رصين :

وشاربة خدا كريماً على فتى أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تلك موطننا له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم
٢ - وهكذا كانت حال الأحزاب ، وهكذا كانت حال شعرائها ، ولقد قيل شعر
كثير في نصرة كل حزب ، ولكنه لم يكن شعراً ملتبساً متأجباً ، حتى إنه لكثيراً
ما كان يفر من الحديث عن الحزبية الى حديث المديح والهجاء . ولم تكن

المناقضات في هذا الشعر السياسي شديدة أو كثيرة ، لتور نفوس الشعراء ، أو لأنهم كانوا مشتهين في الاقطار بين الشام والعراق والحجاز ، ولبعد الشقة بينهم وعسر الاتصال

والذي وعينه من مناقضات الشعر السياسي ما ذكره المبرد من أن معاوية أرسل إلى علي كتابا كتب في آخره أبيتنا لكعب بن جعيل هي :

أرى الشام تنكر ملك العراق وأهل العراق له كارهينا
و كلا لصاحبه مبغضا يرى كل ما كان في ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثله يقرضونا
فقالوا على إمامنا — أ فقلنا رضيينا ابن هند رضيينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خراط القتاد وضرب وطعن يقرر العيوننا
فكتب إليه على جواب رسالته ، ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جعيل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعني قوله ، قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، فقال النجاشي بحبيبه :

دعا يا معاوى ما لا يكونا فقد حقق الله ما تحذروننا
أناكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟
٣ - لا نجد كثيرا من المناقضات الروبة السياسية في هذا العهد ، ولكننا نجد نوعا آخر طريقا ، ابتكره معاوية ، وجرى الخلفاء بعده على أثره ، فقد أحيوا العصبية بعد أن أخذ الإسلام نارها ، وأرثوا العداوة بين الشعراء ، وأثاروا بينهم عاصفة من التهاجي والإقذاع ، حتى يصر فوا الناس عما أحدثوه من أحداث ، وحتى يعيشوا روح الجاهلية الأولى ، التي كان لهم فيها مجد عريق ، وشرف ورياسة ، وقد كثرت المناقضات الشعرية في هذا النوع ، وطمى سيلها ، وهي التي نسميها بالمناقضات الهجائية ولا يقصد بها إلا المبالاة في فنون الهجاء المقذع ، والتباهى بمجد الجاهلية وأحسابها وأيامها ، ونبش ما دفنه الإسلام من مثالب القبائل في عهدوها الأري .

كما يقول المرحوم الجارم بك
فقد ثارت حرب الهجاء ضروساطاحنة بين جرير والفرزدق والبعيث المجاشعي
وسبب ذلك أن ناساً من يربوع يقال لهم بنو ذهيل سرقوا إبلًا للبعيث فقتل جرير
قصيداً طويلة يهجو بها البعيث أولها :
طاف الخيال وأين منك لما ما فارجح لزورك بالسلام سلاما
فثار البعيث وعارضه بشعر مر الهجاء أوله :

أجرير أقصر لا تحن بك شقوة إن الشقى ترى له أعلاما
وكان الفرزدق في ذلك الحين ، قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى
يحفظ القرآن ، ولكن هجاء جرير للبعيث أقض مضجعه ، وأثار فيه نازعة النجدة
فكف قيوده ، وهب ينصر للبعيث بقصيدة أولها :

ألا استهزأت مني منهبة أن رأيت أسيرا يداني خطوة حلق الهجل
وتبعه البعيث بأخرى يهجو جريرا :
أهاج عليك الشوق أطلال دمنة بناصفة الجورن أو جانب الهجل
فأنبرى لها جوير بقصيدة مطلعها :
عوجى علينا واربعى ربة البعل ولا تقتليني لا يحل لكم قتلى
ورماه بأخرى أولها :

ألا حى رهبي ثم حى المطاليسا فقد كان مأنوساً فأصبح نخاليسا
ويرى الباحث في هذه المعارضات أو النقائض أنها ابتدأت ببحر الكامل ،
ثم انتقلت إلى بحر الطويل ، والتزمت فيه قافية واحدة ، حتى نقلها الفرزدق إلى
قافية أخرى ، وهو ضرب يعتمد إليه المعسّز بفنّه في المباراة للعبث بالخصم
وإنجازته وتحديه . كما يقول الجارم بك

وكان من أسباب اشتعال المهاجمة ، وتأجج المعارضة بين الفرزدق وجرير
مارواه الرواة من أن الاخطل فضل الفرزدق على جرير أمام بشر بن مروان أمير
الكوفة ، وأرسل قصيدة طويلة يمان فيها هذا التفضيل أولها :
بكر العواذل يتدنن ملامتي والعالمون فكلهم يلحسانى

وفيها يقول :

قبح الإله بنى كليب لإنهم لا يحفظون محارم الجيران
تاج الملوك ونفوسهم في دارم أيام يربوع مع الرعيان
فأسرع الفرزدق يعاضده في هجاء جرير :

يا ابن المراثة والهجوم إذا التقت أعناقهم وتمسك الخصمان
يا ابن المراثة إن تغلب وال رفعوا عنائي فوق كل عنان
فصال عليهما جرير يقول :

لمن الديار بركة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
وفيها يخاطب الأخطل :

أنسيت ويل أليك غدر مجاشع ومجر جهن ليلة السيدان ؟
ونسيت أعين والرباب وجاركم ونوار حيث تصاصل الحجلان ؟

يقول للأخطل : أنسيت غدر مجاشع ، وهي قبيلة الفرزدق ، بالزبير بن العوام
حين استجار بمجاشع بعد وقعة الجمل ، ثم يذكر بعد ذلك حادثة غريبة ، هي أن
غالباً أبا الفرزدق جاور طلبة بن قيس بالسيدان ، وكانت جعثن أخت الفرزدق
صديقة لظمية ، وكانت إذا أرادت لقاءها صفقت لها بمجمل لتجيء إليها ، فاشتبه
الفرزدق أن يلتقي بظمية ، وحدث أن شغلت أخته ليلة بأمر نفسها ، فأخذ حجلها
وحركه فجاءت ظمية كما داتها ، فارتابت بالفرزدق وصاحت ، وعادت إلى رحلها
فلما علم فتیان الحى من أهلها أسرعوا فأخرجوا جعثن من خباتها ، ثم سبوا
ليشهرها بها .

وكان من ضروب إثارة المنافسة والمعارضة بين الشعراء ، ما رواه أهل الأدب
من أن الفرزدق والأخطل وجريراً كانوا في حضرة عبد الملك بن مروان ، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، ثم قال : ليقبل كل منكم بيتاً في مدح نفسه ،
فأيكم غلب فله الكيس ، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جري وفي القطران للجري شفاء

وقال الأخطل :

فان. تلك رقى زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء
وقال جرير :

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس لهارب مني نجاء
فقال عبد الملك : لعمري إن الموت يأتي على كل شيء ، وقضى له .
ويروون أن الفرزدق قال في هذا المجلس . النوار طالق إن لم أقل شعراً لا
يستطيع ابن المراغة أن ينقذه أبداً ، ولا يجد في الزيادة عليه مذنباً ، فقال عبد
الملك : ما هو ؟ فقال .

فاني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مواوله
وما أحد يا ابن الأتاتان بوانل من الموت إن الموت لاشك نائله
فأطرق جرير ثم قال : أم حذرة طالق نائلاً إن لم أكن نقضته ورددت
عليه ، فقال عبد الملك : هات فقد والله طلق أحديكم لا محالة ، فقال .

أنا البدر يغشى نور عيلىك فالتمس بكفيلك يا ابن القين هل أنت نائله ؟
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك ، فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك :

٤ - ومعركة الهجاء التي كانت بين الفرزدق وجرير والأخطل والتي استمرت
مدة كبيرة بتأثير العصبية والخلافات السياسية والأدبية أبلغ سبب من أسباب
المعارضات في العصر الأموي .

وقد خلفت لنا هذه المعركة النقائض بين جرير والفرزدق التي جمعها أبو عبيد
المتوفى عام ٢٠٩ هـ في كتاب النقائض .

وكان لمعركة الهجاء هذه أثر في الأدب واللغة والشعر وكانت بواعثها السياسية
متشعبة وكان بعض الولاة الأمويين يذكى من حديثها ، وعلى أي حال فقد خلفت
لنا ميراثاً أدبياً ضخماً ورثناه مع ماورثناه عن العصر الأموي
وقد سميت القصائد التي تبادلها الشاعران : الهجاء (النقائض) وشاع هذا النوع

من الشعر في العصر الأيوبي شيوعا شديدا ، وقد كان معروفا من قبل ولكنه لم يكن كثيرا مطردا ، والاصل في ذلك أن يقول الشاعر قصيدة فيثنيها عليه خصمه أي يرد عليها ويأنزِم في ذلك ، التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا ، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المداخن التي قصد اليها الشاعر فيثنيها أو يفسدها بأى وجه من الوجوه ، وأول قصيدة عرض فيها الفرزدق لجرير بالهجوم باثنته التي أولها :
 ألم تراني يوم جوي بويقة بكيت فسادتي هنيئدة ماليا
 فقلت لها إن البكاء راحة به يشفى من ظن أن لاتلقيا
 ثم يمضي إلى ذكر صاحبه ، وما يحمده من حب لها ولوعة لفرأها ، حتى اذا فرغ من ذلك في أبيات قصيرة التفت الى البعيث الذي استعان به على جرير فهجاء هجاء مرا ووصفه بالضعف والجن وسوء الذنب ، ثم ينتقل الى جرير نفسه فيشتبهه ، ويصفه بالبدلة والقلة وينخر عليه بحسبه ونسبه ، ولا يطيل في هذه المرة ، فرد عليه جرير بباثنته التي أولها :

الاسي رهبا مم حى المطاليا فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا
 وفيها غزل طويل عذب رقيق ، يصلح للغناء ، ثم يعاتب أباه أو جده وأسرته الأدين لكثرة ما يسيثون اليه ويخذلونه ، مع أنه لا يلقاهم الا بالود والمروءة ، الذود عنهم ، ويفرغ بعد ذلك لأسرة الفرزدق فيبحوها لأنها أسرة صناع قيون لا شرف لهم ولا بلاء ، ويفخر بقومه قليلا وبفسه كثيرا ، ويصف خصومه بالغدر وإسلام الجار .

والهجاء بين جرير والفرزدق والاختلاف وغيرهم من الشعراء كله على هذا النحو ، فيه نظر وإشادة بفضائل الشاعر وقبيلته في الجاهلية والإسلام ، ثم فيه ذم وتشهير بالخصم وقبيلته في القديم والحديث ، وفي هذا الشعر جنائيات منكورة على الأخلاق والأعراض والدين ، ولكنه على الرغم من هذا كله من أنفع المصادر التاريخية لحياة العرب في جاهليتهم وإسلامهم ، كما أنه مرآة صادقة لأخلاق هذه اليبثات من العرب في القرن الأول للهجرة ، وبفضل هذا الشعر حفظ أكثر اللغة من الضياع وقد جمع ابو عبيدة م ٢٠٩ هـ النقائض وشرحها في كتاب كبيره ضمنه الكثير من أخبار العرب وأيامها وآثرها ومثالبها .

الغناء في العصر الأموي

كان للغناء في العصر الأموي شأن وأى شأن ، نبغ فيه كثير من المغنين كسعيد بن مسجع وسائب خاسر وجميلة ومعبد وعبد الله بن سريج وعزة الميلاء وسواهم وقد اقتبس هؤلاء كثيراً من الألحان العارسية والرومية بتأثير الاختلاط وكثرة الموالى وانتشر الغناء وذاع في الحجاز حيث الترف واللهو والأموال الكثيرة المتدفقة

وقد أكرم خلفاء بني أمية وفادة المغنين عليهم ، وأفندوا مكاناً رحيماً للمغنين في قصورهم ، واتخذوا منهم ندماء وسماراً ، وأكرمهم وأثابوهم وأجزلوا لهم المنح والمسكافات ، وكان لهم معهم مواقف ونوادر لطيفة ، ومساجلات وميامرات طريفة ، وكشب الأدب والتاريخ العربي حافلة بأخبارهم ، دكالاغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ودهاية الأرب في فنون العرب ، للنويري وده العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، وغيرها ، مما يدل بوضوح على تأصل حب الغناء في قلوبهم . فقد كان لكل خليفة وأمير ووزير وغنى جوار وقيان في قصره ، يقضى بينهن أوقات فراغه في السمر واللهو والشراب والغناء والعبث . وكان يحذقن فضلاً عن الغناء والعزف فنون الأدب من شعر ورواية وتاريخ .

ويقال إن أول من غنى من الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، خلال حكمه بالحجاز إذ غنى بسبع أغان تغزل بها جميعها بسعاد . وكان يتمتع بصوت جميل ، وصنعة محكمة ، أداء حسن ، وتلحين متقن . ومن غنائه هذا الشعر وهو لجرير ،

أما صاحبي نزر سعاداً لوشك فراقها وذرا البعادا
لعمرك إن نفع سعاد عني باصروف ونفعي عن سعادا
إلى الفساروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذي رفع العبادا
ومن غنائه فيها

علق القلب سعاداً عادت القلب فسادا

- ٥٢١ -

كلنا عـوتب فيـسا أو نهى عنـسا بممادي
وهـو مشغوف بسعدى قد عصى فيـسا وزاداً
ومن أغانيه هذا الشعر
باسعاد التي سبتي فؤادي ورقادي هي لعيني رقادي
ثم هذا الغناء

حظ عيني من سعاد أبدأ طول السهاد

ويكذب كثير من الباحثين هذه الرويات الملقولة عن عمر بن عبد العزيز .
ومن الخلفاء الأمويين الذين ولعوا بالغناء وتغزوا به ، يزيد بن عبد الملك .
فقد شغف بالمخنية حباة ذات الصوت الساحر ، وكان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه
ومن أشهر أغانيه تغزلا بحباة ، هذان البيتان ، ولحنهما ثقيف أول :

أبلغ حباة أسقى ربها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
إن سار صبحي لم أملل بذكركم أو عرسوا فهموم النفس والفكر

وقد تغنى يزيد بن عبد الملك بحباة ، بهذين البيتين عندما رآها لأول مرة
وهو نازح عن الحجاز ، فأعظم بها ولكنه لم يجرؤ على ابتلاعها خوفا من أخيه
سليمان بن عبد الملك ، أو من أخيه عمر بن عبد العزيز ، فغناها بعده ، معبد ،
و بحباة ، وغيرهما من مشاهير المغنين والمغنيات . ثم اشترى حباة ، بعد ذلك
وقضى معها زمناً يستمع بها وبصوتها الرخيم ، إلى أن كانت ذات يوم معه تقذف
حبة رمان إلى فيها فشرقت وماتت ، فحزن عليها حزناً شديداً .

وكان الوليد بن يزيد شغوا بالغناء كآبيه ، ذات صوت جميل وصنعة متقنة ،
وله مواقف فنية عديدة تدل على طريقة أهل الحجاز ، ومن أغانيه المشهورة هذان
البيتان وهما من نظمه وتلحينه

وصفراء في السكاس كالزعفران سبها التججي من عسقلان
ترك القذاة وعرض الانا ستر لها دون لمس البنان

أثر الغناء في الشعر

وللغناء في الشعر الأماوي أثر كبير :

- ١ - فقد ساعد الغناء على ذبوع الشعر وانتشاره كما ساعد على رواجه
- ٢ - وقد دفع الغناء الشعراء إلى تهذيب شعرهم حتى يصلح للغناء ويسهل حفظه وإنشاده وترديده ، ولذلك كثرت المقطعات الصغيرة والأوزان الخفيفة .
- ٣ - شاعت الرقة والسهولة والوضوح في الشعر بتأثير الغناء .
- ٤ - وقرب الغناء الشعر والشعراء إلى قصور الخلفاء والأمراء والولاة والأثرياء إلى غير ذلك من أثار الغناء في الشعر

ألوان من الغناء ومجالسه

— ١ —

وأول المغنين طويس المغنى المشهور فيما يقال :

ولما ولي أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية قعد في بهو له عظيم واصطف له الناس لحام طويس المغنى وقد خضب يديه واشتمل على دفي له وعليه ملأة مصقولة فسلم ثم قال بأبي وأمي يا أبان الحمد لله الذى أرانيك أميراً على المدينة انى نذرت لله فيك نذرا ان رأيتك أن أخضب يدي واشتمل على دفي وآتى مجلس امارتك واغنيك صوتاً قال : يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال : بأبي أنت وأمي يا ابن اخطيب أبخني قال : هات يا طويس لخسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السباطين وغنى .

ما بال أهلك يا رباب خورا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه

ويروى أن جميلة ٢٥٠ هـ خرجت حاجتة ، فخرج معها من الرجال المغنين ، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة ، وخرج معها من القيان مشيات لها ومعطيات لقسدرها ولحقها خمسون قينة ، وجه بهن موالين معها ، وأعطوهن اللققات وحملوهن على

الإبل في الهوادج والقباب وغير ذلك ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن . وتخاير من خرج معها في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف والهوادج والقباب ، فلم ير أهل المدينة مثل ذلك الجلع سفراً طيباً ، وحسناً وملاحة . ولما قاربوا مكة تلقاهم سهيل بن مسيحه وابن سريخ والغريض وابن عرز والهلاليين ، وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير ، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد الخزومي والحريبي وجماعة من الأشراف فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز ممن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ، من سميها وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعهم وحسن هيئةهم .

فلما قضت حاجتها سألتها المسكينون أو تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جسداً بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء . فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فاني خارج ، فعزم القوم كلهم على الخروج فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة .

فلما قدمت المدينة تلقاه أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء ، فدخلت بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ، ونزل أهل مكة على أقاربهم وأخوانهم أنهاها الناس سليلين . وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، فقالت لعمر بن ربيعة . إني جالسه لك ولأصحابك ، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم ، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، فأبتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر (١)

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله يلحج وأبين مخافة أن يهيج به مقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً فقال هذا الشعر

مهمات من أمة الوهاب منزلنا
وأحتل أهلك أجياداً^(٢) وليس لنا
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته
إذن رأت غير ما ظنت بصاحبها
ما أنس لأنس يوم الخيف^(٤) وقفها
وقولها للثريا وهى باكية
يا لله قولى له فى غير معتبة :
إن كنت حاولت دنيا أولعمت بها
فكلهم استحسن الغناء وضح القوم من حسن ما سمعوا . ودمعت عين عمر
حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته ؛ ثم أقيمت على ابن سريج فقالت : هات ، فاندفع
يفنى ورفع صوته بشعر عمر :

أليست بالتى قالت
أشبرى بالسلام له
وقولى فى ملاطفة
وهذا سحر ك النساء
لمولاة لها ظهرا
إذا هو نحونا نظرا
لزينب نولى عمرا
ن قد خبر ننى الخبرا

فسمع من ابن سريج فى هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله ثم
قالت اسعيد بن مسجح : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى :

قد قلت قبل البين لما خشيته
لك الخير هل من مصدر تصدوينه^(٦)
لنعقب ودا أر لتعلم ما عندي
يريح كما سهلت لى سبل الورد

(١) سيف البحر : ساحله .

(٢) أجياد : موضع بمكة .

(٣) لحج . مخلاف باليمن .

(٤) الخيف . موضع بمنى .

(٥) ذو سين . ذو طرائق .

(٦) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره

فلما شكوت الحب صدت كأنما شكوت الذى ألقى إلى حجر صلد
فاستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هات ، فغنى :
أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل (١)
ولمى أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبراك (٢) خصم أو نبالك منزل
سنة قطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فانظر أى كف تبدل
قالت جميلة : أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء .

ثم قالت : هات يا بن عجز ، فانى لم أؤخرك لحساسة بك ، ولا جهلا بالذى
يجب فى الصناعة ، ولستكنى وأيتك تحب من الأهور كلها أو سطها وأعد لها ،
لجملتك حيث تحب واسطة بين المسكين والمدنيين . فغنى .
ثم قالت للغريض : هات ، فاندفع يغنى بشعر عمرو بن شأس الأبيات وفى
آخرها .

فواندى على الشباب وواندى ندمت وبان اليوم منى بغير ذم
وإذا أخرتى حولى وإذا أنا شائع وإذا لأجيب العاذلات من الصمم
أرادت عراراً (٣) بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
قالت جميلة : أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن ، إذا أفسدت غناءك بالتعريض
والله ما وضعناك إلا موضعك ولا نقصنا من حظك إنما ذا أهنأك !
ثم أقبلت على الجماعة فقالت : يا هؤلاء ، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه
فأقبل القوم عليه ، وتلقوا له . قد أخطأت إن كنت عرضت . فقال : قد كان

-
- (١) يريد فأعقل عنه ، وعقل عنه : إذا غرم ما لزمه من دية
(٢) لم أحل : لم أتغير ، أبراك خصم : قهرك ، والشعر لمعن بن أوس وهو
شاعر ثعلب من مخضرى الجاهلية والاسلام .
(٣) هو عرار بن عمرو بن شأس وهو من أمة عمرو سوداء ، وكان بينه وبين
زوج أبيه نزاع وخصام ، فقد كانت تؤذيه وتعيره وتشتبهه ، وحاول عمرو أن
يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

ذلك ولست به قد . وقام إلى جميله فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقبلت عذرة ،
وقالت له . لا تعذ .

ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت . يا أبا جعفر مات ، فتغنى بشعر النابغة
الذي فيه .

سقى الغيث قبرا بين بصرى^(١) وجاسم علقه من الوسى جود ووايل
قالت جميله : حسن ما قلت يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع وبيح فقالت :
أحب أن تغنياني صوتاً واحداً فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

ألا يا من يلوم على التصابي أفق شيئاً لتسمع من جواني
ككـت تلومني في الحب جهلاً وما في حب مثلي من معاب
مادة غير شك هوى متواصلين على اقستراب
نـ وسـتر من منعمة كمعاب^(٢)

وغناك واحداً ، وأنما تنتما من بقية الكرم
نـ طالب .

لـ غنوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنوا

بشعر عبده العباسي :

حيث من طلل تقادم عهدده أقوى واقفر بعد أم الهيثم
كيف المزار وقد تربع أهلها بعيزتين وأهلنا بالغمسيلم^(٣)
إن كنت أزمعت الفرق فأبما زمت^(٤) ركابكم بليل مظلم
فالت : ما رأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم .

(١) بصرى وجاسم : موضعان بالشام .

(٢) ناهدة الندى .

(٣) عيزتين : موضع ، والخلم : موضع في ديار بني عباس

(٤) زم البحر : خطمه .

ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت . هات يانقش الغضار ^(١) ويحسن
اللسان ، فاندفع يغنى .

يا طول ليلى وبنت لم أنم وسأدى الهم مبطن سقمي
أن قتت يوماً على البلاط ^(٢) فأب صرت رقاشاً وليت لم أقم
فقلت جميلة . حسن والله .

ثم قالت . يا مالك هات ، فاني لم أؤخر لك لأنك في طبقة آخرهم ، ولكنني أردت
أن أختم بك يومنا تبركاً بك ، وكى يكون أول مجلسنا كآخره ، ووسطه كطرفه ،
فانك عندي ومعبداً في طريقة واحدة ومذهب واحد ، لا يدفع ذلك إلا ظالم ،
ولا ينكره إلا عاضل ^(٣) ، الحق أقول ، فن شاء فلينكر ، فسكت القوم كلهم إقراراً
لما قالت . واندفع يغنى .

عدو لمن عادت وسلم لسلامها ومن قربت سلمى أحب وقربا
هيئني امرأ إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا
أقول ... التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً ؛
ليشكك إشتمات العدو بهمجرنا وقطعتك حبل الوصل حتى تقضيا ^(٤)
قالت جميلة . ليت صوتك يا مالك قد دام لاودنا له ! وقطعت المجلس وانصرف
جماعة الناس وبقي خواصهم .
فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعاً ، فقالت لطويس . هات يا أباعد العيم
فابتداً طويس فغنى .

قد طال ليلى وعاد لي طربي من حب خود ^(٥) كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة أو مثل تمثالا صورة الذهب

(١) الغضار : الطين اللازج الاخضر وهو لقب له .

(٢) البلاط . الأرض ، وقيل الأرض المستوية الملساء .

(٣) العاضل . المنع . (٤) تقضب : تقطع

(٥) الخود . الحسنه الخلق الشابة .

صادت فؤادى بحبيد مغزلة (١) ترى رياضاً ملتفتة الشعب
 فقالت جميلة . حسن والله يا أبا عبد النعيم .
 هم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ، فاندفع فغنى .
 قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمذكر أمله
 حتى بدا لي منكم خلف فوجرت قلبي فارعوى جملة
 ليس الفتى بمخلد أبداً حياً ، وليس بفات أمله
 قالت : حسن والله يا أبا زيد . ثم قالت لهيت . إنا نملك اليوم لكبر سنك
 ورقة عظمك . قال : أجل
 ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى . هاتيا جميعاً لحناً واحداً فغنينا .
 إني تذكرت فلا تلحنى لؤلؤة مكنونة تنطق
 فقالت جميلة : أحسنهما .
 ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله . هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فانكم متفقون في
 الأضواء والألحان : فاندفعوا فغنوا .
 أشاقك من نحو العقيق بروق لوامع تخفى تارة وتشوق
 وما لي لا أهوى جوارى بربر وروحي إلى أرواحهن تنوق
 لمن جمال فائق وملاحة ودل على النساء يفوق
 وكان بربر حاضراً ، فقال . جوارى والله على ما وصفتم ، فن شاء أقر ومن
 شاء أنكر . فقالت جميلة . صدق ثم غنت جميلة بشعر الأعشى
 بانث سعاد وأمسى حبلمها انقطعا
 واستنكرتني وما كان الذى نكرت
 تقول بنى وقد قربت مرتحلا
 وكان شئ إلى شئ فغيره
 واحتلت الغور فالجدن (٢) فالفرعا
 من الحوادث إلا الشيب والصلعا
 يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
 دهر ملع على تفريق ما جمعا (٣)

(١) المغزلة . الظبية ذات الغزال

(٢) الجدان والفرع . ووضعان

(٣) ٢٠٩ / ٨ الأغاني ٤٣٠ / ٥ بلوغ الأدب

فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني ، وقطعت
الجلس ، فانصرف قوم وأقام آخرون .

فذا كان اليوم الثالث اجتمع الناس ، فضربت ستارة وأجلست الجوارى
كاهن يضربن وضربته ، فضربن على خمسين وترا ، فزلزلت الدار ، ثم غنت على
عودها ، وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر :

فان خفيت كانت لعينك قرة وإن تبد يوما لم يعمدك (١) عارها
من الحفريات البيض لم تر غلظة وفي الحسب الضخم الرفيع نجاها
فاروصة بالحزن طيبة الثرى ينج الندى جثجا (٢) وعارها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا وقد أوقدت بالمدل الرطب نارها
فدمعت أعين كثير منهم حتى بلوا ثيابهم وتنفسوا الصعداء ، وقالوا بأنفسنا أنت
يا جميلة ! ثم قالت للجوارى : اكففن فسكرن ، وقالت باعز غنى ، فغنت
بشعر لعمري :

تذكرت هذا وأعصارها (٣) ولم تقتض نفسك أوطارها
تذكرت النفس ما قد مضى وهاجت على العين عوارها (٤)
اتمنع رامة منا الهوى وترعى رامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا حسدنا على الزور زوارها
فقلت جميلة : باعز ، إنك لباقية على الدور ، فنهيتك لك حسن هذا الصوت مع
جودة هذا الغناء .

(١) لم يعمدك . لم يلحقك

(٢) الجثجا ، من أحرار الدجر له زهرة صفراء طيبة ، والعرار نبت طيب
الريح وهو النرجس البري

(٣) الأعصار . جمع عصر ، يريد الاوقات التي يفتتح معها فيها

(٤) العوار . ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .

ثم قالت للحياة وسلامة : هاتيا لحننا واحدا ، فغنتا :
 كفى حزنا أنى أغيب وتشمده وما نلتقى والقلب حران مقصد
 ومن عجب أنى اذا الليل جنفى أقوم من الشوق الشديد وأقعد
 أحسن اليكم مثل ما نحن تائق إلى الورد عطشان الفؤاد مصرد (١)
 ولى كبدى حرى يعذبها الهوى ولى جسد يبلى ولا يتجدد
 فاستحسن غناؤهما .

ثم أقبلت على خليدة فقالت لها : بنفى أنت غنى ، فغنت :
 ألا يامن يلوم على التصاى أفق شيئا لتسمع من جوابى
 بسكرت تلومنى فى الحب جهلا وما فى حب مثلى من معابى
 أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
 كريم ناك ودا فى عفاف وستر من منعمة كعاب
 فاستحسن منها ما غنت . ثم قالت لعقيلة والشماسية : هاتيا فغنتا :
 هجرت الحبيب اليوم فى غير ما اجترم وقطعت من ذى ودك الحبل فانصرم
 أطعت الوشاة السكاشمين ومن يطعم مقالة واش يقرع السن من ندم
 ثم قالت لفرعة وبليلة ولذة العيش : هاتين فغنتين ، فاندفعن بصوت واحد .
 لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بنفى سقما إلى لذن لتسقيم
 على دماء البدن إن كان حبها على النأى فى طول الزمان يريم
 تسلم ملبات فيفسين بعدها ويذكر منها العهد وهو قديم
 فأقسم ما صافيت بعدك خلة (٢) ولالك عندي فى الفؤاد قسيم
 قالت . أحسنتن وهو لعمري حسن .

وقالت لسعدة والزرقاء غنىاً فغنتا ، فاستحسن غناؤهما .
 ثم قالت للجماعة غنوا جميعاً ، فغنوا ، وانقض المجلس وعاد كل إنسان إلى
 وطنه . فارتى مجلس ولا جمع أحسن من هذا الأيام الثلاثة !

(١) التصريد سقى دون الرى .

(٢) الخلة . الخلية .

— ٥٣١ —

— ٣ —

وقال أبو عبد الله : جلست جميلة يوما ولبست برنسا (١) طويلا ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، وكان في القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلح ، قد اتخذ وفرة (٢) شعر يضعها على رأسه ، وأحبت جميلة أن ترى صلته ، فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال : دبرت على رب الكعبة ، وكشف صلته ووضع القلنسبة (٣) على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلته .

ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ومعه والغريض وابن عائشة ومالك ، وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها .

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المقازق وقع شيب مغرب (٤) والغانيات يردن غيرك صاحباً ويعدنك الهجران بعد تقرب إلى أقول مقالة بهجاء رب حقاً ، ولم يضربك مثل يحرب صاف الكريم يكن لعرضك صائناً وعن اللئيم ومثله فتسكب ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها ، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :
يمشين مشى قطا البطاسح تأردا (٥) قب (٦) البطون دواجم الأكفال

(١) البرنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أوجبة أو مطراً .

(٢) الوفرة . الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه

(٣) القلنسبة : القلنسوة : ما يلبس في الرأس .

(٤) مغرب . أبيض (٥) تأرد الشيء : توج ، وتثنى

(٦) قاب البطون : القباء الضامرة البطن .

فبين آنسة الحسديت حية ليست بفاحشة ولا مثقال (١)
وتكون ريقتها (٢) إذا نهتها كالمسك فوق سلافة الجريال (٣)
جلسست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيمهم ، وأذنت لمن كان ببابها
فدخلوا ، وانصرف المغنون وبقي عندها من بطارحها من الجوارى :

- ٤ -

وفود ابن مسجج على عبد الملك بن مروان (٤)
قال دحمان الانقر : كنت عالما لعبد الملك بن مروان بمكة ، فمضى إليه أن
رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجج (٥) أفسد فتيان قریش وأنفقوا عليه أهوالهم
فكتب إلى : أن اقض ماله وسيره ، ففعلت .
فتوجه ابن مسجج إلى الشام فصحبه رجل له جوار مغنيات في طريقه ،
فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريد الشام ، قال له : فتسكون
معي ؟ قال : نعم .
فصحبوه حتى بلغا دمشق ، فدخلوا مسجدها ، فسألا : من أخص الناس بأمر
المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قریش وبنو عمه ، فوقف ابن مسجج عليهم وسلم
ثم قال : يا فتیان هل فيكم من يضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم
إلى بعض - وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها : برق الآفق ، -
فتشافلوا به إلا فتى منهم تدمم (٦) . فقال : أنا أضيفك وقال لأصحابه : انطلقوا
أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل نجى أنت وضيفك

(١) المنفال : المتغيرة الريح لترك التطيب .

(٢) الريق : ماء الفم غدوة قبل الأكل ويؤث في الشعر

(٣) الجريال : من أسماء الخمر .

(٤) الأغاني ص ٢٨٢ ج ٣ ، وقصص العرب .

(٥) سعيد بن مسجج أحد المراءى ، مسكى أسود ، مغنى : متقدم ، كان أول

من غنى الغناء العربى بمسكة ودو الذى علم ابن سريج والغريص

(٦) تدمم . خشى الدم واللوم .

فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد إنى إلى رجل
أسود ولعل فيكم من يقدرنى (١) فأنا أجالس وأكل ناحية وقام . فاستحيوا منه
وبعشوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به كما
فعلوا فى المأكل ، وأخرجوا جاريتين جالستا على سرير قد وضع لهما ، فغنتا إلى
العشاء ، ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجه والطيفة ، وهما معها ، فجلست على
السريـر وجلسنا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسـيج . فتمثلت
هذا البيت .

فقلت أشمس أم مصاييح بيعة (٢) بدت لك خلف السجف (٣) أم أنت حالم

فغضبت الجارية ، وقالت : أياضرب هذا الأسود بى الأمانال انظروا إلى
نظرا منكراً ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غنت صوتاً . فقلت : أحسنت والله
فغضب مولاهما ، وقال ، أمثل هذا الأ. ود يقدم على جاريتى فقال لى الرجل
الذى أنزلنى عنده . قم فانصرف إلى منزلى ، فقد نقلت على القوم ، فذهبت أقوم
فتدبم القوم ، وقالوا لى بل أقم وأحسن أدبك ، فأقت وغنت . فتمت . أخطأت
والله وأسأت ، ثم اندفعت فغنت الصوت ، فوثبت الجارية وقالت لمولاهما . هذا
والله أبو عثمان سعيد بن مسـيج ، فقلت . إنى والله أنا هو ، والله لا أقيم عنديكم ،
فوثب القرشيون . فقال هذا : يكون عندى . وقال هذا : يكون عندى . وقال
هذا . بل عندى ا فقلت . والله لا أقيم إلا عند سيـدكم - يعنى الرجل الذى
أنزله منهم :

ثم سأله عما أقدمه ، فأخبرهم الخبر . فقال له صاحبه . إنى أسهر الليلة
مع أمير المؤمنين ، فهل تحسن أن تحدد ؟ قال . لا ولكنى أستعمل

(١) قدرت الشيء استقدرته وكرهته .

(٢) البيعة كنيسة النصرى

(٣) السجف بالفتح ويكسر . الستر

سخدام . قال : فان منزلي بجذاه منزل أمير المؤمنين ، فان وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح ، وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدا .

إنك يامواذ يا بن الفضل إن زلزل الأقدام لم تزلزل
عن دين موسى والكتاب المنزل تقيم أصداغ « القرون الميل
للحق حتى ينتحوا للأعدل

فقال عبد الملك للفرشي . من هذا ؟ قال . رجل حجازي قدم علي قال :
أحضره فأحضره وقال له . أحد مجدأ ، ثم قال له . هل تغني غناء الركبان ؟
قال . نعم . قال . غنه . فتغنى . فقال له . فهل تغني الغناء المتقن . قال . نعم ، قال .
غنه . فتغنى .

فاهتز عبد الملك طرباً . ثم قال له . أقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة
من أنت وملك ؟ قال له . أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن
مسجح قبض مالى عامل الحجاز ونفانى . فتبسم عبد الملك . ثم قال له . قد وضع
عذر فتبان قریش فى أن ينفقوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله ، وكتب إلى عامله
برد ماله عليه وألا يهرض له بسوء .

(١) الصدغ ما بين العين والأذن . والقرنان . جانباً الرأس ، أو الصدغ .
الميل ، ومنه لأقيمن صدغك ، أى ميلك .

- ٥٣٥ -

النقد الادبي

في العصر الاموي

- ١ -

علت ما كان من أمر النقد الادبي في العصر الجاهلي وصدر الاسلام
أما العصر الاموي فقد كان لاهياء الادب القديم والاهتمام بالشعر والشعراء
أثر بعيد في النقد الادبي في هذا العصر

وكانت مجالس النقد كثيرة متشعبة : في قصور الخلفاء والامراء والولاة ، وفي
مربد البصرة وكناسة لسكوفة ، وفي مجالس الشعراء والرواة ، وقد حفظت مصادر
الادب الكثير من أخبار النقد في هذا العصر الجاهل

وكان الخلفاء أنفسهم يفهمون الشعر وينقدونه ويهتمون بالنقد الادبي كثيرا
وبخاصة عبد الملك بن مروان .

ويقول عبد الملك بن مروان :

إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم برهط أعشى بكر وبالآوس والخزرج
وبهذيل (١)

وكان عبد الملك بن مروان عالما بالشعر ناقدًا له وتفيض بذكر أخباره في ذلك
كتب الادب ، ونقده للشعراء كثير ، كنقده لابن الرقيات (٢) وللكثير (٣)
وفي آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الادبية واشتدت
العصبية وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الادبي التي
يصدرونها على الشعر والشعراء الجاهليين والاسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب

(١) ٣/٣٨١ المقد

(٢) ١/٤٠٠ المقد

(٣) ٣/ ٤٣٨ المقد

امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابعة إذا رهب والاعشى إذا طرب^(١) واختلفوا في الجاهليين فقال الفرزدق امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير : النابعة وقال الاخطل : الاعشى ، وقال ابن مقبل : طرفه ، وقال السكيت : عمرو بن كلثوم وقال ابو عبيدة وأيده صاحب الجهرة : امرؤ القيس أم زهير والنابعة والاعشى وليبد وعمرو وطرفه^(٢) ، وكان جرير يشبه الاعشى^(٣) ؛ والفرزدق بزهير^(٤) ، والاختل بالنابعة^(٥) ، وقال الفرزدق لما سمع ابن أبي ربيعة : هذا الذي كانت الشعراء تطالبه فاخطأته وبسكت الديار^(٦) ، وورد مثل ذلك عن جرير^(٧) وقال جميل لعمر ، والله ما خاطب النساء مثل مخاطبتك أحد^(٨) ، وفضل ابن أبي عتيق عمر فقال : أشعر قریش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومن حشوه وتعطف حواشيه وأنارت معانيه^(٩) ؛ وقال ينقده ، أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك^(١٠) ، وقال نصيب : جميل لما منا وعمر اوصفنا للنساء وكثير أهلكنا على الدمن وأمدحنا للبلوك^(١١) ، وقال ، أما أصدقنا في شعره فجميل وأما أكذبنا

(١) ١١١ حلبة السكيت ، وتروى بروايات مختلفة [٥١١ خزائن الادب ، ٥٨ ج ٩ الأغاني ، ٣٨٠ و ٤١٣ ج ٣ العقد ، ١٩٣ حضارة الاسلام في دار السلام] ؛ وهذه الرواية تروى عن كثير أو نصيب [٧٨ ج ١ العمدة] ، وعن ابن أبي طرفة مع حذف امرؤ القيس وزيادة وعثرة إذا كلب [٧٨ ج ١ العمدة] وعن الاصمعي [٣٣ جهره أشعار العرب]

(٢) ٤٥ الجهرة (٣) ١٨٠ الشعر والشعراء

(٤) ١٨٦ المرجع

(٥) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ٦٤ و ٣٤ ج ١ الأغاني وراجع ١٦ ج ٤ العقد

(٧) ٤٥ ج ١ الأغاني

(٨) ٤٩ و ١٢٩ ج ١ الأغاني (٩) ٤٦ ج ١ الأغاني

(١٠) ٤٦ ج ١ المرجع (١١) ١٢٧ ج ١ الأغاني

فعمير وأما أوسدنا للنساء فكثير^(١) ، ونقد قول السميت د تكامل فيها الدل والشذب ،^(٢) كما نقد كثير عمرا والأحوص ونصيبا^(٣) ، وقال كثير في نسيب جميل ؛ هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا راوية بليل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه^(٤) ، ونقد جرير قول الأحوص د يقر بعيني ما يقر بعينها ،^(٥) وحسد الفرزدق ليلي الأخيلية على شعرها د وخرق عنه القميص الخ^(٦) ، وقال في جرير : ما أخرجني مع فسوق إلى رقة شعره وأحوجه مع عصفاه إلى صلابه شعري^(٧) ، ونقد الجعدي^(٨) ، وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وكثيرا مما يتصل به

ولكن النقد على أى حال لم يكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه كما أخطأ الفرزدق في نقد بيت جرير^(٩) .

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

فقال . ولو كان ساكنه قردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت د ما كانا ، وكان لمربد البصرة مقام كبير في حركة النقد في هذه الفترة الخافلة ، وكان مألوف الأشراف^(١٠) ، ويقول الجارود : عليكم بالمربد فإنه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر^(١١)

وابتدا القرن الثاني فازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا ، وكان أئمة اللغة

(١) ١٤١ ج ٢ المرجع (٢) ٣٣٥ ج ١ الكامل للمبرد

(٣) ٣٣٢ و ٣٢٣ ج ١ الكامل (٤) ١٦ ج ٤ العقد

(٥) ١١٣ ج ١ الأغاني (٦) ١٢١ الكشكول

(٧) ٢٧ الشعر والشعراء ، ١٠٣ ج ٤ زهر

(٨) ٤٣ طبقات الشعراء لابن سلام (٩) ١٥٥ ج ١ اليتيمة

(١٠) ٢١٠ ج ٢ العقد

(١١) ٢٢٣ ج ١ البيان والتبيين

— ٥٣٨ —

وشيوخها ينفذون الشعر عن صناعة وتقيف ويحللون نصوصه من جميع أواحيها
طبعاً وبنية وتركيباً وفناً وأزماً وقوافي، ومنهم: أبو عمرو ابن العلاء م ١٥٤،
وحامد الرواية م ١٥٦، وخلف م ١٨٢، والمفضل م ١٨٩، ويونس، وأبو
عمرو الشيباني، وأبو زيد الأنصاري م ٢٠٦، وأبو عبيدة م ٢٠٨ والأصمعي
م ٢١٦، وابن الأعرابي م ٢٢١، وكانوا جميعاً يروون اللغة والغريب والشعر
والنسب والأخبار والنبادر مع تفاوت في الميول^(١) والاتجاهات

(١) راجع ٢٢٤ ج ٣ البيان والتبيين

- ٥٣٩ -

ألوان من النقد في هذا العصر

- ١ -

وفد أعرابي من شعراء المجانين على نصر بن سيار بشعر نُزل فيه بمائة بيت
ومدحه بيتين . فقال له نصر . والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا شغلت
به نسيبك دون مدحك . ثم غدا عليه بعد ذلك بشعر يقول فيه :
هل تعرف الدار لأم العمر دع ذا وجهر مدحة في نصر
فقال له نصر : لا ذاك ولا ذاك (١)

- ٢ -

وسمع عبد الله بن عمر قول الحطيئة .
مق تأته تمشو إلى ضوء ناره تجدد خير نار عندها خير موقد
فقال ، ذاك رسول الله إعجاباً بالبيت (١)
وكان الناس يستحسنون قول الأعشى
تشب لمرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
فلما قال الحطيئة .
مق تأته تمشو إلى ضوء ناره تجدد خير نار عندها خير موقد
سقط بيت الأعشى (٣)

- ٣ -

وقال أبو عمرو بن العلاء :

(١) ٢٠٧ ج ٤ العقد الفريد

(٣) ٣٦ ج ٢ البيان

(٢) ٣٨٠ ج ٣ العقد

— ٥٤٠ —

ختم الشعر بذي الرمة وفتح بامرئ القيس^(١)

وقال الأصمعي : ختم الشعر بالرماح^(٢)

وكان ذو الرمة فصيحاً بليغاً وكان عصمه بن مالك راويته^(٣) . والرماح شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجملة ابن سلام في الطبقة السابعة وقرن به . عمر بن لجأ والقحيف العقيلي والهجير السلولي^(٤) وحديث أبو داود قال : سمعت شيخنا عالماً من غطفان يقول ان الرماح أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس ، وبنو ذبيان تزعم أن الرماح آخر الشعراء^(٥)

وأثنى أبو حاتم شعراً لفطرى وقال : هذا والله الشعر لا ما يتعلمون به من شعر المخانيث^(٦)

— ٤ —

واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفى فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :
فن يأمن الحجاج - والطير تنق عقوبته - إلا ضعيف العرائم
فقال جرير :

فن يأمن الحجاج : أما عقابه فر ، وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذي دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت شيئاً ؛ إن الطير تنق الصبي والخشبة ، ودفع الخلعة إلى جرير .

(١) ٣/٢٥٥ البيان ، ١/١٥١ البيان ايضاً .

(٢) ٣/١٩٧ المرجع .

(٣) ١٢٤ ذيل الأمل

(٤) ٢/٨٨ الأغاني

(٥) ٢/٨٦ الأغاني

(٦) ٤/١٦٢ زهر

واجتمع جرير والفرزدق في مجلس عبد الملك بن مروان فقال الفرزدق :
النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا إن لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراثة (١) أن ينقذه
أبدا ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد الملك . ما هو ؟ فقال .
فأني أما الموت الذي هو واقع بنفسك ، فأنظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يابن الاتان بوائل من الموت ، إن الموت لاشك ناله (٢)
فاطرق جرير قليلاً ثم قال . أم حزرة طالق منه ثلاثا إن لم أكن نفسته وزدت
عليه ، فقال عبد الملك . مات ، فقد والله طلق أحداً لا بحالة ، فأشده .
أنا البدر يغشى نور عينيك فالتبس بكفيك يابن القين هل أنت ناله (٣)
أنا له ريفني الموت والدهر خالد بجنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك ، فقال الفرزدق :
فما يرى أمير المؤمنين ؟ فقال : وايم الله لا تريم (٤) حتى تكتب إلى النوار
بطلاقها ، فتأني ساعة ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها وقال في ذلك :
ندمت ندامة الكسبي لما غدت منى مطلقاً نوار (٥)

(١) المراثة : لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، وهو في الأصل الاتان .

(٢) وأل يثل : التجأ إلى موضع ونجاء .

(٣) القين . الحداد والجمع قيون ، جاء في الشعر والشعراء في ترجمة الفرزدق
وكان لصعصة (جد الفرزدق) قيون منهم جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل
جرير مجاشعاً (قوم الفرزدق) قيوناً ، وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة
(والد الفرزدق) إلى جبير .

(٤) رام المكان ، ورام منه . برحه .

(٥) من أمثال العرب : أندم من الكسبي ، وهو غامدين الحرث الكسبي ،
وذلك أنه اتخذ قوساً وخمسة أسهم ، وقصد إلى مورد حمر وحشية وكن لها ،
فر به قطيع فرمى غيراً منها : فنفذ فيه السهم وجازه وأصاب الجبل وأورى

— ٥٤٢ —

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار (١)
ولو أنى ملست يى ونفسى لسكان إلى للفسدر الخيار

— ٦ —

واجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم: ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه،
فأيكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جري وفي القطران للجري شفاء
فقال الأخطل:

فان تك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء (٢)
فقال جرير:

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس هارب مني نجاء
فقال عبد الملك خذ الكيس، فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء.

— ٧ —

وأخذوا على الفرزدق قوله:

إذا ألتقت الأبطال أبصرت وجهه مضئاً، وأعناق السكاة خضوع (٣)
فقالوا: أساء القسمة وأخطأ الترتيب، وإنما كان يجب أن يقول: «أبصرت
سامياً وأعناق الملوك خضوع، أو: «أبصرت لونه مضئاً وألوان السكاة كاسفة».

== نأراً، فلأن أنه قد أخطأه، فرمى ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً، وهو في كلها يظن
خطأه فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصروعة
وأسمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه.

(١) ضاره ضرارا ومضارة: خالفه.

(٢) الزق: السقاء، والزاملة: الدابة التي يحمل عليها من الإبل وغيرها.

(٣) السكاة جمع كى كفى. وهو الشجاع المتكى في سلاحه أى المتعطى به.

— ٥٤٣ —

— ٨ —

وعابوا على الأخطل قوله في عهد الملك بن مروان .
وقد جعل الله الخسلافه منهم لا يرضى لأعدى الخوان ولا جدبهم^(١)
فقالوا . لو مدح به حرسيا^(٢) لعبد الملك لكان قد قصر به
وقال جرير يهجو الأخطل :
إن الذي حرم المسكارم تغلبا جعل الخسلافه والنبوة فينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا^(٣)
فلما بلغ عبد الملك بن مروان قول جرير قال : مازاد ابن المراغة على أن جعلني
شرطيا . أما إنه لو قال . لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتم إليهم كما قال .

— ٩ —

وعابوا على الأحوص قوله لعبد الملك
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل^(٤)
فقالوا . إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح
بالاغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لهذا

— ١٠ —

ودخل عبيد الله بن قيس الرقيات على عبد الملك بن مروان ، فأنشده قصيدة
يمدحه فيها حتى بلغ قوله :
يأتلق الساج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب^(٥)

(١) الخوان . ما يؤكل عليه الطعام .

(٢) الحرسى . واحد حرس السلطان

(٣) القطين . الخدم والأتباع .

(٤) مذق بمعنى بمذوق ، من مذقه كنصر . إذا خلطه .

(٥) أتلق البرق وتألنى . لمع .

— ٥٤٤ —

فقال له عبد الملك : يا بن قيس ، تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللد له تجلت عن وجهه الظلماء (١)
فأعطيته المدح بكشف الغمم ، وجلاء الظلم ، وأعطيتى من المدح ما لا ينخر
فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة
قال قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » : ووجه عتب عبد الملك إنما هو
من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة
والعدل والشجاعة ، إلى ما يلبق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة .

— ١١ —

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة مطلعها .
ما بال عينك منها الدمع ينسكب كما أنه من كل مفرية سرب (٢)
وكان يعين عبد الملك رمش (٣) فهى تدمع أبدا ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به
فقال . وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟ ففقهته وأمر باخراجه .

— ١٢ —

وأنشد عبد الملك قول نصيب
أهيم بد عدما حبيت فان أمت فواحننا من ذايهم بها بعدى
فقال بعض من حضر : أساء القول ، أيحزن لمن يهيم بها بعده ؟ فقال عبد الملك
الجيد أن يقول :

أهيم بدعد ما حبيت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى (١)

-
- (١) الشهاب . شعلة من نار ساطعة ، والماضى فى الأمر .
(٢) كل جمع كلية أو كلوة بضم الكاف فهما ، مفرية . مشدوقة ، من فراء
يفريه إذا شقة ، وسرب الماء كفرح . سال ، فهو سرب .
(٣) الرمش تفتل فى الشعر وحرمة فى الجفون مع ماء يسيل
(٤) الخلة . الصداقة لا خلل فيها

وقال كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرها فسكانها تمثل لي ليلى بكل سبيل
فقال بعض الناس : إن كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون

بنى عامر :

فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى ولا قطع الرحمن عن حبها حوى
فما سرى أنى خلى من الهوى ولو أن لي ما بين شرق إلى غرب
وأُنشد عدى بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التى أولها .

عرف الديار ترهما فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها (١)
وعنده كثير - وقد كان يبلغه عن عدى أنه يطعن على شعره ويقول : هذا
شعر حجازى مقرر إذا أصابه قر الشام (٢) جمد وهلك - فأُنشده إياها حتى
أتى على قوله

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها (٣)
فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بهيل ولا سناد
فاحتاج إلى أن تقومها، ثم أنشد :

أنظر المنقف فى كسـعوب قناته حتى يقيم ثقافته منأدها (٤)
فقال له كثير : لا جرم (٥) إن الأمام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن
تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها، ثم أنشد :

(١) اعتادها . أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها ، حتى عرفها ، وأبلاد
جمع بلد بالتحريك وهو الأثر .

(٢) القمر البرد . (٣) السناد عيب من عيوب الغافية .
(٤) الثقاف . ما تبدل به الرماح ، وثقف الرمح . عدله ، والكعوب جمع
كعب وهو ما بين الأنابين من القصب ، والمنأد . المعوج .
(٥) لا جرم ، قال الفراء . هى كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محالة
فجرت . على ذلك ركبت حتى تحوات إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً .

— ٤٦ —

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لى أزدادها
فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين بان
يسالك عن صفات الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك ، وما كنت قط أحق
منك الآن حيث تظن هذا بنفسك ، فضحك الوايد ومن حضر ، وقطع بعدى
ابن الرقاع حتى ما نطق .

وقال رجل كان يديم الأسفار ، سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ،
فجملت أتمثل بقول القطامي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
ومع أعرابي قد استاجرت منه مركبي ، فقال ، ما زاد قائل هذا الشعر على
أن يبط الناس عن الحزم ، فهلا قال بعد قوله هذا .

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيرا لهم لو أنهم عجولوا
والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادي .
قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهنم الحريص
وعدى نظر إلى قول جماعة الجعفي .

مستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدرك في استعجاله ما يبادر

— ١٣ —

وأخذوا على السكيت قوله يمدح الذي صلى الله عليه وسلم .
إلى السراج المنير أحمد ، لا تعبدل في رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ، ولو رفع الناس إلى العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت ، بل قصدت ولو عنفني القساثلون أو ثلبوا (٢)

(١) وروى .

وربما فات قوما جل أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجولوا
(٢) ثلبه كضربه : صرح بالعيب فيه وتنقصه .

إليك يا خير من تضمنت الـ أرض ولو عاب قول العيب (١)
لج بتفخيمك الاساس ولو أكثر فيك الضجاج والصخب (٢)

فقالوا ، من هذا الذى يقول له فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو
يعنفه أو يثلبه أو يعيبه حتى يكسر عليه فيه الضجاج والصخب ؟ وهو كله خطأ منه
وجهل بموقع المدح ، وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الاسلام لعل العذر
كان يتسع له فيه .

وقد اعتذر له ممتذر واحتج محتج بأن قال : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة بهذا الخطاب . وإنما أراد أهل بيته ، لأنه قال فيهم من الشعر ما قال ولأن
بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الإنكار على من يفرق في وصفهم
والثناء عليهم .

ويقال إن أمجى بيت قاله شاعر قول الأخطل فى بنى يربوع رهط جرير .
قوم إذا استنبج الأضياف كلهم قالوا لا مهم بولى على النار
لأنه قد جمع فيه ضرباً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النيران لئلا
يتمدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل
بالخطب ، وأخبر عن قلتها ، وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهى أقل من
بولة الشابة ، ووصفهم بامتمان أمهم وابتذالها فى مثل هذا الخذل ، يدل بذلك على
العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر فى أضعاف ذلك بيخلفهم بالمساء

(١) العيب جمع عيوب كصبور .

(٢) ضاجه مضاجعة وضجاجا بالسكسر : جادله وشاره وشاغبه ، والاسم

الضجاج بالفتح .

وقال الأصمعي : أغزل بيت قول امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسمميك في أعشار قلب مقتل^(١)
وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتا أغزل من

قول جميل بن معمر .

لكل حديث ينفن بشاشة وكل فتيل عندهن شهيد
وفضلته بهذا البيت سكينه بذت الحسين بن علي رضوان الله عليهم ، وأثابته به
دون جماعة من حضر من الشعراء^(٢) ،

وقال بعضهم . الإحوص من أغزل الناس بقوله .

إذا قلت لي مشفق بلقاءها وحجم التلاقي بيننا زاذي سقما^(٣)
وقال غيره . بل جميل بقوله .

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتا فيعسود
وقال آخر : بل جرير بقوله

فلما التقي الحيان ألقيت بالعصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتلة
والإحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة لزيادته سقما إذا التقي بالمحوب
وقال الخاقاني : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر الهذلي :

فياحبها زدني جرى كل ليسلة وبأسلوة الأيام موعذك الخشر

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعرا فلا تروهم إلا

مثل قول العجير السلولي :

(١) ذرفت العين . سال دمعها ، بسمميك . مستعار لعينها ، ويقال قلب أعشار ، وقدر
أعشار : أي مكسرة عشرة جمع عشر بالكسر وهو القطعة التي تنكسر منها ، أراد أن قلبه
كسر ثم شعب كما تشعب القدر ، وهناك معنى آخر ، وهو : أنه أراد بسممها هنا
سهمي قداح الميسر وهما المعلل والرقيب ، فلله على سببة أنصبا ، والرقيب ثلاثة ،
فاذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها وأعشار على هذا جمع عشرة
بالضم . والمقتل : المذلل غاية التذليل

(٢) انظر الخبر في الأغاني ج ١٤ ص ١٦٦ (٣) حم : قدر

- ٥٤٩ -

يبين الجسار حـين يبين عني ولم تأنس إلى كلاب جاري
وتظمن جارق من جنب بيتي ولم تستر بستر من جداري
وتأمن أن أطلع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار
كذلك هدى آبائي قديما توارته النجار عن النجار

- ١٦ -

وقال يوما في مجمع من الشعراء . يا معشر الشعراء ، تشبهونا بالأسد الأبحر
والجبل اليعر ، والملاح الأجاج ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى .

فقل للجهم بالبكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى
فـلو كنتم حيا صميا نقيتم بخلكم بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل بسودكم من كان في المال ذا وفر
هو المانع السكب النبأح ، وضيغه خميص الحشاير عى الهجوم بالحق تسرى

- ١٧ -

وكان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده .
إنا إذا مالت دواعى الهوى وأنصت السامع للقاتل
وأصطرع القوم بالبابهم نقضى بحكم عادل فاصل
لأنجعل الباطل حقا ولا نلفظ دون الحق بالباطل (١)
نخاف أن تسفه أحلامنا فتحمل الدهر مع الخامل

- ١٨ -

وكان يتمثل في الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء .
دعاني حصن للفرار فسامني مواطن أن يثني على فاشتما

(١) نلفظ : نلح ونحمد ونتشدد .

- ٥٥ -

فقلت لحسن نبح^(١) نفسك إنما يزود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتهدما
سيكفيك أطراف الأسننة فارس إذا ربيع نادى بالجوار وبالحنى
إذا المرء لم يغش المكاره أو شكت جبال الهوى بالفتى أن تجهدما^(٢)

- ١٩ -

ولما لاذت به زوجته عاتكة بذت يزيد حين خرج لحرب مصعب، تريد منه
فأبى فبككت وبكت معها جوارها، جلس وقال: قاتل الله كثيرًا، والله لكأنه يرانى
ويراك يا عاتكة حيث يقول.

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها عقد در يزنها^(٣)
نفته فلما لم تر النهى عاقه بككت فبكى بما شجاها قطينها^(٤)
ثم نهض، فسكان فى خروجه قتل مصعب

وعيب على أبى محجن الثقفى قوله فى وصف قينة^(٥)
وترفع الصوت أحياناً وتخفصه

كما بطن ذباب الروضة الفرد^(٦)

- ٢٠ -

وقال عبد الملك بن مروان: ما هجاني أحد، وأوجع من بيت هجاني به الزبير وهو
فان تصبك من الأيام جائمة لم نبك منك على دنيا ولادين
وقال بلال بن جرير: سألت أبى أى شىء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث

(١) نبح: أبعد.

(٢) تجهدم: أصله تتجهدم، أى تنقطع.

(٣) الحصان: العفيفة.

(٤) القطين: الخدم، من قطنه بمعنى خدمه.

(٥) الجارية المغنية

(٦) ذباب الروضة هو النحل

وكل كليب تخيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النمل

- ٢١ -

وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فأقبل إليه الأحوص ونصيب ، فجعلوا يتحدثون
ثم سألهما عمر عن كثير عزة فقالا : هو ههنا قريب ، فقاموا نحوه فألفوه جالسا
في خيمة له ؛ فتحدثوا مليا وأفاضوا في ذكر الشعراء ، فأقبل كثير على عمر فقال له
إنك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرني يا هذا
عن قولك .

ثم اسبطرت تشتد في أثرى تسال أهل الطواف عن عمر (١)
أترك لو وصفت بهذا مرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأساءت وقلت الهجر (٢) ؟
لنمسا توصف الحرة بالحياة والاباء والبخل والامتناع ؛ ألا قلت كما قال هذا يعني
الأحوص .

أدور ولولا أن أرى أم جعفر باياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى وإن لم يزر لأبد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ولما إلى معروفها لفقهير
فأنكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ، ودخلت الأحوص أهبة وعرفت الخيلاء
فيه ، فلما استبان كثير ذلك فيه ، قال : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك .
فان تصلى أصلك وإن تبني بهجر بعد وصلك لأبالي
أما والله لو كنت حزنا لبليت ولو كسر أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود
وأشار إلى نصيب .

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب
فأنكسر الأحوص ودخلت نصيبا زهوة ، فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته
التفت إليه وقال . وأنت يا ابن السوداء أخبرني عن قولك .

(١) اسبطرت . أسرع ، تشتد . تعدو .

(٢) الهجر : القبيح من الكلام .

أهيم بعدد ما حيت فان أمت فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى
أهمك - ونحك - من يهيم بها بعدك ؟ فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر ،
فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع ، أخبرنى عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب
• بيت تقول •

ألا ليتنا يا عمر من غير رية بعير ان نرعى في الخلاء ونعزب^(١)
كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسننا جرباء تمدى وأجرب^(٢)
إذا ما ردنا مهلا صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت (وبيت الله) أنك بكرة هجان وأنى مصعب ثم نهرب^(٣)
تكون بعيرى ذى غي فيضينا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
فقد تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمى والطرد والمسخ ، فأى مكروه
لم تمن لها ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قول القائل : «ماداة عاقل خير من مودة
أحمق ، لجعل يخلج جسده كله ، وقام القوم يضحكون .»

أما الموازنات الأدبية فقد سبق ذكر الكثير منها مما وقع بين الشعراء وفي
مجالس الخلفاء وسنأتى موازنات كثيرة بين شعراء الغزل وبين الفرزدق وجبر
والأخطل

ومن أشهر الأدباء النقاد في هذا العصر : سكين بن الحسين ، وعبد الملك بن
مروان ، ولهما مجالس كثيرة في النقد وتفضيل الشعراء
وسنقرء عبد الملك بالنأليف في كتاب مستقل سيصدر قريباً إن شاء الله

(١) نعزب : نبعد في المراعى .

(٢) العر بالفتح والضم : الجرب ، وداء يتمعط منه وبر الابل .

(٣) البكر : الناقة الفتية ، وناقة هجان : بيضاء كريهة ، والمصعب : الفحل

الذى يترك فلا يركب

- ٥٥٣ -

شعراء الحماسة

الأمويون

قمنب - حريث النبهاني - شميث - جواس - عبد الرحمن بن الحكم -
 زياد الاعم - ليلي الأخيلية - الحزين - أعشى بن أبي ربيعة - السكيت - الأخطل
 طخيم الأدي - أبو عطشاء السندی - سعد بن ناشب - قطري ابن
 الفجاء - سوار بن المضرب السعدي - زفر بن الحارث الكلابي - تابض -
 القتال الكلابي - الإحوص - الطرماس - زيادة الحارثي - حريث بن عتاب النبهاني -
 عوف القوافي الفزاري - بشير بن المغيرة - أبو صخر الهذلي - أوطاة بن سبهية -
 عقيل بن علفة المري - أبو الأبيض العبي - هذبة بن الخشرم - قوال الطائي -
 وضاح العين - الفرزدق - العدیل العجلي - محمد بن بشير - الشمردل - أوطاة بن
 سبهية - المعير السلولى - عيد الله بن الزبير - منقذ الهلالي - الأيبرد - شبيب بن
 البرصاء - عبد الله بن همام السلولى - المقنع الكندي - عبد الله بن معاوية بن
 عبد الله بن جعفر - المنوكل الليثي - يزيد بن الحكم - الصلتان العبدي - الصمة بن
 عبد الله - ابن الدمينة الخثعمي - ابن أذينة - العرجي - ابن المسور - عمر بن أبي
 ربيعة - الحارث المخزومي - كثير - نصيب - الحكم الخضرى - أبو جميل
 راوية هذبة وروى كثير جميل - عمار - زميل - منقذ الهلالي - أبو الفول
 الطهوي - مضر بن ربيعي - طريح

أوائل الكتب المؤلفة في الشعر والشعراء

ولقد عنى العلماء منذ مطلع القرن الثالث الهجرى بالتأليف في الشعر والشعراء ، وأخرجوا في ذلك الكثير من المؤلفات ، فقد ألف في الشعر والشعراء ، وطبقاتهم وفي دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفسهم المؤلفات في هذه الناحية ، ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الآن التي لم يحاول أحد معرفتها أو الإلمام بها من قبل وها هي ذى :

١ - كتاب الأربعة في أخبار الشعراء ، وكتاب صناعة الشعر لأبي هفان

المهمى م ١٩٥ هـ (١) .

٢ - كتاب الشعر والشعراء لأبي دهممة العبسى أحد من انقطع إلى

البرامكة (٢) .

٣ - كتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة م ٢٠٩ هـ (٣) .

٤ - طبقات الشعراء لأبي المنعم (٤) .

٥ - كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبي سعيد الوراق (٥) .

٦ - كتاب الشعر للأصمعي م ٢١٦ هـ (٥) ، وله كتاب معاني الشعر (١) ،

ولابن أخته عبد الرحمن كتاب معاني الشعر (٧) ، وللفضل كتاب معاني الشعر (٨) ،

وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ هـ (٩) ، وابن الأعرابي م ٢٣١ هـ (١٠) ،

والأشبنانداي م ٢٥٧ هـ (١١) ،

(١) ٢٠٧ فهرست ، ٢٨٨ / ٤ معجم الأدباء .

(٢) ٧١ فهرست . (٣) ٧٩ فهرست .

(٤) ١٥٨ فهرست . (٥) ٢٢١ الوسيط .

(٦) ٨٢ فهرست (٧) ٨٣ فهرست (٨) ١٠٢ فهرست :

(٩) ١٠٥ فهرست : (١٠) ١٠٢ فهرست .

(١١) ٨٩ و ١٢٣ فهرست :

- وكذلك ابن السكيت (١) م ٢٤٤ هـ ، وابن قتيبة [١١٥ فهرست] :
٧ - أخبار الشعراء للبدايني م ٢٢٥ هـ (٢) .
٨ - طبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين لمحمد
بن سلام الجهمي م ٢٣١ هـ (٣) :
٩ - طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي (٤) .
١٠ - كتاب طبقات الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبي حسان الزياتي
م ٢٤٣ هـ (٥) :
١١ - كتاب الشعراء وانشابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبي جعفر
محمد بن حبيب م ٢٤٤ هـ (٦) .
١٢ - طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ هـ (٧) .
١٣ - الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الخثعمي (٨) ، وهو شاعر عاصر
البحثري ، وله كتاب أدب الشعر (٩) .
١٤ - كتاب الشعراء للقياسم بن سلام (١٠) .
١٥ - عدد رسائل في أخبار الشعراء للزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ (١١) .

- (١) ١٠٨ : فهرست (٢) ٣١٦ ج ٥ : معجم الأدباء
(٣) راجع ٦٥ فهرست .
(٤) ٦٦ : فهرست ، ووالده يحيى م ٢٠٢ هـ وأستاذ المأمون .
(٥) ١٦٠ : فهرست ، ١٤٥ ج ٣ : معجم الأدباء .
(٦) ١٥٥ : فهرست ، ٤٧٦ ج ٦ : معجم الأدباء . وله كتاب معاني جرير
[١٥٩ : فهرست] (٧) ٢٢٨ : فهرست ، ١٩٧ ج ٤ : معجم الأدباء .
(٨) ١٥٩ : فهرست . (٩) ٢٤٣ : فهرست .
(١٠) ١٠٦ : فهرست .
(١١) ١٦١ : فهرست ، وميلاد الزبير عام ٢١٨ هـ .

— ٥٥٦ —

- ١٦ — عدة رسائل في الشعر والشعراء لمحمد بن إسحاق الموصلي و١،
 ١٧ — كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان^(٢)،
 ١٨ — كتاب الشعر والشعراء وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب الاغانى لعمر
 ابن شبة (١٧٢ - ٢٦٢ هـ)^(٣)
 ١٩ — كتاب الشعر والشعراء لأبي جعفر محمد بن أحمد البرقي م ٢٧٤ هـ^(٤)
 ٢٠ — كتاب الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
 (٢١٣ - ٢٧٦ هـ)^(٥)
 ٢١ — كتاب أخبار الشعراء لابن أبي خيثمة م ٢٧٩ هـ^(٦) .
 ٢٢ — كتاب الشعراء القدماء والاشعـلامية لأبي الحسن علي بن يحيى المنجم
 ٢٧٥ هـ^(٧) .
 ٢٣ — أخبار الشعراء لمحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم^(٨) وهو أخو علي
 ابن يحيى المنجم .
 ٢٤ — الجامع في الشعر وأخبارهم لأحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ)^(٩)
 ٢٥ — الشعر والشعراء لأبي حنيفة الدينوري م ٢٨٢ هـ^(١٠)
 ٢٦ — الروضة ، والكامل : وقواعد الشعر : والبلاغة ، للبرد (٢١٠ -
 ٢٨٥ هـ)^(١١)

-
- (١) ٢٠٤ فهرست . (٢) ٢١٤ فهرست .
 (٣) ١٦٣ فهرست ، ٤/١٩٤ معجم الأدباء .
 (٤) ٢/٣١ معجم الأدباء (٥) ١١٦ فهرست . (٦) ٣٢١ فهرست .
 (٧) ٢٠٥ فهرست : ٤٥٩ ج ٥ معجم الادباء ٥٩ ج ٣ وفيات .
 (٨) ٢٠٥ فهرست . (٩) ٢١٠ فهرست ١/١٥٥ معجم الادباء
 (١٠) ١١٦ فهرست ، ١٢٧ ج ٩ معجم الادباء
 (١١) ٨٨ فهرست ، وقد جمع في الروضة أشعارا للمحدثين من أبي نواس إلى
 من عاصرهم المبرد [راجع ١٢٢ المثل السائر] ، وينقد صاحب العقد اختياراته في
 هذا الكتاب [١٤١ - ٤ العقد] .

٢٧ - معاني الشعر: للبحر تريم ٢٨٤ هـ، ولثعلب م ٢٩١ هـ. ولثعلب د قواعد الشعر، أيضا (١).

٣٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين، وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبي عبد الله هارون بن علي المنجم (٢٥١ - ٢٨٨ هـ) (٢).

٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم (٣).

٣٠ - الشعر والشعراء لعلي بن مرشد (٤).

٣١ - الشعر والشعراء لمحمد بن أحمد بن الحرون، وله كتاب المطابق والتجنيس أيضا (٥).

٣٢ طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أثمار الملوك لابن المعتز م ٢٩٦ هـ (٦) وله رسالة في نقد أبي تمام (٧).

٣٣ - الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتات الورقة وكتاب من سمى من الشعراء عمرا، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراج (٢٤٣ - ٢٩٦ هـ) (٨).

(١) ١٠ و ١١ فهرست .

(٢) ٢٠٦ فهرست، ٤٨٥ معجم الشعراء، ٢٣٥ ج ٦ معجم الأدباء، ١/١٣١ وفيات . (٢) ص ١ طبقات ابن المعتز

(٤) ٧١ فهرست . (٥) ٢/٢١٢ فهرست، ٢٧٩ ج ٦ معجم الأدباء

(٦) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ ج ٣ شذرات، ٤٦٢ ج ١ وفيات .

(٧) ٣١٧ - ٣١٩ الموشح، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه أبا تمام [٢٠٤ ج ٦ معجم الأدباء]

(٨) ١٨٦ فهرست، وورد اسم كتاب الورقة في الموازنة للآمدى كثيرا

[٦١٥ و ٦١٨] وكان ابن داود من علماء الكتاب فاضلا عارفا بالأيام والأخبار

[٢٥٥ ج ٥ تاريخ بغداد، ١٨٥ فهرست]، والده صاحب الزمام في عهد الممتوكل

[٤٣ ج ١ الفرج بعد الشدة]

- ٣٤ - كتاب الباهر في أخبار شعراء مخلصي الدولتين ليحيى بن علي المنجم [٢٤١ - ٣٠٠ هـ (١)] . ولابنه أحمد ذيل عليه (٢) .
- ٣٥ - كتاب الإشرارة في أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر [٢٢٢ - ٣٠٠ هـ (٣)] .
- ٣٦ طبقات الشعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل بن الحباب البجلي م ٣٠٥ هـ (٤)
- ٣٧ - مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٢ هـ (٥) .
- ٣٨ - الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي م ٣٢٢ هـ (٦) .
- ٣٩ - كتاب صناعة الشعر الأدب لأبي زيد البلخي م ٣٢٢ هـ (٧)
- ٤٠ - الشعر والشعراء لابن السراج م ٣١٠ هـ (٨) .
- ٤١ - الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد، والشعر والشعراء (لم يتم) ، ومحاسن أشعار المحدثين لجعفر بن حمدان الموصلي (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ (٩))
- ٤٢ - أخطاء أبي تمام لأبي العباس الثقفي أحمد بن عبيد الله بن عثمان القطريلي الكتاب المعروف بالفريد ، أبان فيه أخطاء أبي تمام وما في شعره من هجين اللفظ وبعيد الاستعارة (١٠) ، ونقده الأمدى (١١) في كتاب مستقل (١٢) ألحقه بالموازنة ، وتوفي ابن عثمان عام ٣١٤ هـ (١٣)

- (١) ٢٠٦ فهرست ، ٢٨٨ ج ٧ معجم الأدباء ، ٢٠٨ ج ٣ وفيات .
- (٢) ٢٠٦ فهرست . (٣) ١٧٠ فهرست .
- (٤) ١٦٥ فهرست . (٥) ٢١٤ فهرست ، ٤٥ ج ٢ وفيات .
- (٦) ١٩٦ فهرست . والآمدى م ٣٠٩ هـ كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ وكتاب تبين غلط قدامة في نقد الشعر [٥١ ج ٣ معجم الأدباء] . (٧) ١٩٨ فهرست (٨) ٩٣ فهرست
- (٩) ٢١٣ فهرست ، ٤١٩ ج ٢ معجم الأدباء (١٠) ٦٢ الموازنة
- (١١) ٦٢ - ٦٩ من الموازنة
- (١٢) ٥٨ ج ٣ معجم الأدباء ، ١٢٥ الموازنة ، ٢٢١ فهرست .
- (٣) راجع ترجمته في ٢٤٢ - ٢٥٣ ج ٤ تاريخ بغداد

٤٣ - كتاب طبقات الشعراء بالاندلس لعثمان بن ربيعة الاندلسي ذكره
الحيدى قريبا من سنة ٣٩٠ هـ (١) .
وسوى ذلك من شتى المؤلفات في هذا الباب .

دواوين الشعراء

ولشعراء صدر الاسلام وعصر بني أمية دواوين كثيرة مطبوعة ، ومنها
دواوين طبعت عدة مرات .
وسأذكر هنا الطبقات القديمة لبعض هذه الدواوين .
فمنها ديوان للابام على بن أبي طالب وقد طبع مرارا وهو مرتب على حروف
المعجم وطبع ببولاق عام ١٢٥١ هـ
وديوان أبي محمد النقي الصبحي وشرحه لأبي هلال الحسن بن سهل وقد
طبع في مدينة ليدن سنة ١٣٠٢ للهجرة من ضمن المجموعة المسماة بالطرف العربية
وديوان مختصرات شعراء العرب وبه خمسون قصيدة وهو مطبوع
بمطبعة أبي زيد بمصر سنة ١٢٠٦ وديوان عمر بن أبي ربيعة المتوفى سنة ٩٣ .
وجميع شعراء في النسيب ولم يمدح أحدا ولذا قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا
فقال إنما أمدح النساء لا الرجال وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١١٣١ .
وديوان الفرزدق المتوفى بالبصرة سنة ١١٠ بعد أن عاش نحو مائة سنة وقد تم
طبعه بمدينة باريس سنة ١٨٧٥ للميلاد وطبع بمصر عدة طبعات . وديوان
جرير المتوفى سنة ١١١ باليمامة وقد طبع بمصر . وديوان مجنون ليلى وهو
شاعر إسلامي وقد طبع سنة ١٢٩٤ بمطبعة بولاق . وديوان ذى الرمة المتوفى
سنة ١١٧ للهجرة . وديوان العجاج وديوان ابنه روبة المتوفى سنة ١٤٥ وليس
فيهما إلا أراجيز . والمفضليات وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي المفضل الضبي
وقد طبعت بمدينة ليبسيك طنة ١٨٨٥ للميلاد :

وديوان الحماسة وهو ديوان جمع فيه أبو تمام ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على عشرة أبواب: الحماسة والمرائي والادب والنسيب والهجاء والاضافات والصفات والسين والملح ومذمة النساء وهو مطبوع مع شرحه لأبي زكريا يحيى الشهير بالخطيب التبريزي سنة ١٢٩٦ بمطبعة بولاق في سفرين وطبع عدة طبعات أخرى وطبع مختصر له مع شرح مناسب

بعض أشهر كتب الادب والارجم

- الاغاني لأبي الفرج ٣٥٦ هـ - حماسة أبي تمام ٢٣١ هـ
- شعراء النصرانية وهو قسمان كل قسم أجزاء جاهلي وأسلمى .
- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٣٥١ هـ مخطوط بمكتبة تيمور باشا
- نزهة الالباب في طبقات الأدباء للابنباري م ٥٧٧ هـ . الهلة لابن بشكو الد م ٥٧٨ هـ
- دمية القصر للباخرزي م ٤٦٧ هـ
- خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني م ٥٩٦ هـ
- تاريخ بغداد ١٤ مجلدا للخطيب البغدادي م ٤٦٢ هـ
- الالاء في شرح أمانى القالى للبكري م ٤٨٧ هـ
- قلائد العقيان لابن خاقان م ٥٣٥ هـ
- تاريخ دمشق لابن عساكر منه سبع وثلاثون مجلدا بدار الكتب مخطوطة
- معجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ . عشرون جزءا
- شرح مقامات الحريري للشريشي م ٦١٩ هـ
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي م ٦٤٦ هـ
- اللباب في معرفة الأنساب لابن الاثير م ٦٢٠ هـ صاحب السكامل في التاريخ
- تهذيب الاسماء واللغات للنوري م ٦٧٦ هـ
- خلاصة أسماء رجال الحديث للخزرجي من علماء القرن العاشر
- وفيات الأعيان لابن خلسكن م ٦٨١ هـ
- الوفاء بالوفيات للصفدي م ٧٦٤ هـ
- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباته المصري م ٧٦٨ هـ

الطبقات الكبرى للشافعية لابن السبكي م ٧٩٩ هـ
 الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني م ٨٥٢ هـ
 الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي من علماء القرن التاسع
 حياه الحيوان للدميري م ٨٠٨ هـ
 خزانة الأدب للبغدادى م ١٠٩٣ هـ تلخيص الشهاب الخفاجى م ١٠٦٩
 معاهد التنصيص للعباسى م ٩٦٠
 نفح الطيب للمقرى م بعد ١٠٤١ هـ
 شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد سنة ١٠٨٩
 خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر للمحجى م ١١١٢ هـ
 خبايا الزوايا للشهاب الخفاجى م ١٠٦٩ هـ
 سلافة العصر لابن معصوم م ١١٠٤ هـ
 طبقات الصحابة - أسد الغابة - لابن الأثير
 ومن السكتب الحديثة عن الشعراء ومختارات شعرهم :
 مختارات البارودى الشاعر الكبير

كتاب شعراء النصرانية جمعه وصححه الاب لويس شيخو اليسوعى .
 اربعة اقسام فى شعراء الجاهلية مطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٠ للميلاد . وقد
 جمع السيد توفيق البكرى كتابا جليلا فى المختار من اراجيز العرب مفسر اللغريب
 وشارحا للمعاني ومبيناً للغة - اصد طبعه سنة ١٣١٣ للهجرة : وقد صنف ايضا
 كتابا نافعا سماه محول البلاغة قال فى أوله : وهذا سفر وضمنه فى المختار من شعر
 مسمانية من محول الشعراء وأتمه البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع
 الفوائى واهو نواس الحسن بن هانىء وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة
 البحرى وابن الرومى على بن عباس وابن المعتز وأبو الطيب احمد المتنبى وأبو العلاء
 المعرى ، وقد طبعه بالمطبعة الاميرية سنة ١٣٠٣ للهجرة

الرجز في العصر الاموى

١ - كان الشعر الجاهلى قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهملل وامرى القيس كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحياه ، كالآبيات التى تؤثر عن ديد بن زيد والعنبر بن عمرو بن تميم وأعصر بن سعد والمتنوع بن ربيعة وسواهم^(١) ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثار التهذيب ، ونخل شأنه يبدء النهضة الفنية فى الشعر على يد امرى القيس وسواه

٢ - ثم جاء الأغلب العجلي ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظم وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طوّل شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفى ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بقديم جدا مع ان الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشب فيه وذكر الديار واستوقف الصحاب عليها واستوصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان فى الرجز كامرئ القيس فى الشعراء وارجوزته قد جهر الدين الاله الجهر ، نحو من مائة بيت وهى موقوفة مقيدة^(٢) ، ويؤيد ابن قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز^(٣) وهو الصحيح . وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء فى القصيدة

٣ - واشتهر بعد الأغلب من الرجز : العجاج وابنه رؤبه ، وأبو نخيلة ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ ج ٢ المزه ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء .

(٢) راجع فى ذلك كله ص ٢٠١ / ٢ المزه ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء .

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء .

ومن الرجا زين في العصر الاموي : العجاج ، ورؤبة م ١٤٥ هـ ؛ وأبو النجم
العجلى وكانت بالكوفة وراجز العجاج وأرجوزته ، الحمد لله الهموب المجول ،
أجود أرجوزة للعرب كما يقول ابن قتيبة (١) ومدح هشام بن عبد الملك ، وتوفي
عام ١٣٠ هـ

ومن الرجاز : دكين ومدح عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة
والاغلب الراجز أشهرهم وهو من المخضرمين وأول من أطال الرجز وكان
الرجل قبله يقول البيت والبتين إذا فاخر أو شاتم كما يقول ابن قتيبة (٢)

(١) ٢٣٢ الشعر والشعراء

(٢) ٢٣٥ الشعر والشعراء

— ٥٦٤ —

خاتمة

وبعد فهذا هو نهاية كتابنا الجديد ، الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ،
وسلنته به بكتاب ثان عنرانه ، أعلام الادب في عصر بني أمية ، نحل فيه حياة
وأدب جميع الشعراء والكتاب والخطباء والأدباء الأويين وأثارهم الفنية
وخصائصهم ومنزلتهم الأدبية بين أعلام الادب والشعر في هذا العصر العظيم .
وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

١١ ربيع الأول ١٣٦٩ — أول يناير ١٩٥٠

محمد عبد المنعم هفاهيم
الاستاذ في كلية اللغة العربية

تقدير ملكي كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » فتلقى من معالي كبير الامناء الخطاب الآتي :

ديوان كبير الامناء .

حضرة المحترم الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
أتشرف بإبلاغ حضرة تكتم أني رفعت إلى السدة العلية الملكية النسخة التي قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعز وتراثه في الأدب والنقد والبيان »

فتفضل أعزه الله فأولاهها حسن القبول ، وإني أتشرف بإبلاغ حضرة تكتم ذلك مع الشكر السامي .

وتفضلوا حضرة تكتم بقبول وافر الاحترام .
تحريراً في ٢١ يوليو ١٩٤٩
عبد اللطيف طامت
(إمضاء)

وإنني لأتمنى هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعني شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه ويكمله ويرعاه لمجد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه ملاذاً للثقافة والعلم والحضارة ؟

محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بكلية اللغة العربية

مطبوعات المؤلف

- ١ — شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة الحلبي ١٩٤٥ — ١٣٦ صفحة
- ٢ — رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والإجتماع نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٦ — ١٤٤ صفحة
- ٣ — قواعد الشعر لعلي بن شريح المؤلف ونشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨
- ٤ — التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ط ١٩٤٨ المطبعة الفاروقية
- ٥ — الشعر العربي أوزانه وقوافيه نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨ — ١٣٠ صفحة
- ٦ — فن الشعر: دراسات في العروض نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ — جزمان
- ٧ — فصيح لعلي بن شريح التي عليه ط ١٩٤٩ — مكتبة التوحيد بدرب الجمايز — ٤٠٠ صفحة
- ٨ — الحياة الأدبية في العصر الجاهلي نشر محمود توفيق ١٩٤٩ — ٢٧٦ صفحة
- ٩ — أعلام الشعر الجاهلي — مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ — بالاشتراك مع استاذ — ١٢٥ صفحة
- ١٠ — ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان — مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ — ٤٠٠ صفحة
- ١١ — الشعراء الجاهليون — مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ — ٢٠٠ صفحة
- ١٢ — أعلام الشباب ديوان شعر — دار الانوار ط ١٩٤٩
- ١٣ — شرح متن التلخيص — مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٤ — حكومة القاضي الجرساني في النقد الادبي ط صبيح ١٩٤٩
- ١٥ — شرح الايضاح في علوم البلاغة — ٦ أجزاء نشر مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٦ — الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام — نشر مكتبة الحسين ١٩٤٩ — ٦٠٠ صفحة
- ١٧ — مرشد البيان في البلاغة — دار الانوار ١٩٤٩
- ١٨ — توبة شاعر البطولة — دار الانوار ١٩٤٩
- ١٩ — وحي العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦
- ٢٠ — نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

تحت الطبع :

- ١ - أعلام الادب في عصر بني أمية - ٤٠٠ صفحة
- ٢ - التجديد في الشعر العربي - ٣٠٠ صفحة
- ٣ - مختارات من الادب الحديث - خمسة أجزاء
- ٤ - الشاعر الخالد ابن هاني شاعر المعز الفاطمي .
- ٥ - أعلام الادب العباسي - بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية - ٦٠٠ صفحة
- ٦ - عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب الناقد - بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد .

ابن المعتمد

وترائه في الادب والنقد والبيان
تأليف محمد عبد المنعم خفاجي

نشرت جريدة المصري كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها
هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة العربية ،
ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها عمود توفيق بالقاهرة ، في أربعة مائة صحيفة
من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول .
تناول مؤلفه فيه ابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر الاديب الكاتب والناقد
العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره في النقد والبيان
بالدراسة والتحليل والنقد .
وهو أول كتاب يؤلف وينشر في الادب العربي عن ابن المعتز وآثاره
الفنية والادبية والعلمية .
ويمتاز بدقة البحث ؛ وعمق الدراسة وتنوعها ، وتعدد ألوان التجديد في مناهج
النقد الادبي ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة .
وقد صدره مؤلفه بكلمة عن الفاروق ، وفيض رعايته وتشجيعه
وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والادبية .
ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

دراسة ونقد لكتاب :

الشعراء الجاهليون

هذا كتاب جديد حقاً، جديد في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه ، ولست أقصد بذلك أن المؤلف قد خلق موضوعه من عند نفسه أو ابتكر مادة الكتاب من خياله، فالكتاب هو عرض شيق ، ودراسات واسعة للشعراء الجاهليين ولاشهر القصائد الجاهلية . وقد كتبها المؤلف ونشرها لتكون مرجعاً من مراجع البحث الأدبي في العصر الجاهلي ، وهي مرجع حقاً ولكنها مع ذلك شيء آخر نحن أحوج إليه . لا يكاد القارئ يبدأ فيه حتى يستغرقه جماله وفنه وبهجه ، ويستأثر بعقله وقلبه جميعاً . سهولة في تأليف الألفاظ ، وتلسيق الجمل ، وقوة وبراعة في ترتيب الموضوعات وشرح المسائل ومناقشة الآراء والنظريات المختلفة، تجدها كلها مؤلفة في هذا الكتاب تأليفاً يوافق طبعك وسليقتك، ويشعرك الحاجة إلى دراسة الأدب العربي وإلى الإنتاج فيه ويورثك الرغبة الدافعة إلى قراءة الأدب والنوقوف على آثاره .

وكنيت مازلت اعتقد أن الكتاب الحقيقي بهذا الاسم والجدير بالعناية والاحتفال هو الذي يعلننا من الدرس ما يشعر قلوبنا حب الأدب ويبدئ فينا روحه ، ويحملنا على العناية بتأريخنا الأدبي وجناراة أسلافنا الأدبية والعقلية؛ وروح المؤلف وشخصيته الخفية التي يمتاز بها تضيء على الكتاب هذا اللون وتطبعه بهذا الطابع وترفعه إلى مقام الجودة بين النلة النذيلة التي تظهر بها المكتبة العربية بين حين وحين .

وهذا هو ميزة المؤلف في كل ما ينشره من البحوث والموضوعات فمهما يكن شأن الموضوع الذي يكتب فيه والفن الذي يعالجه فإن عقله المبكر وتفكيره الطبع يضفيان عليه من طابع الجودة والاثافة ما يميزه عن كل ما هناك من البحوث والموضوعات .

ولست في حاجة إلى التذليل على شيء بما أقول فإن هذا الكتاب يسرني
 أن أقدمه لقراء العربية جميعا
 لقد قرأت الكتاب فشعرت شعورا قويا بحاجة المكتبة العربية لا إليه
 وحده بل إلى دراسات الاستاذ المؤلف للعصور الأدبية كلها، والبيئات العربية المختلفة
 فالاستاذ عبد المنعم خفاجي هو في رأي خير من يناط الأمل به في درس هذه العصور
 والبيئات وآثارها الأدبية وخصائصها البيانية أسأل الله أن يطيل أجله ويبارك ثمره
 وينفع به الطلاب جميعا ؟ محمد علي هدية - مدرس

دراسة وتحليل لكتاب:

التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي

١ - هذا كتاب جديد في النقد والموازنة ، وهو بحث طريف في الأدب ، طريف في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه . ومؤلفه الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أديب معروف بعقد نظره ، وقوة ملاحظته ، ورسوخ قدمه في العلم ، وبسعة إطلاعه وبراعته الفائقة في تحليل المدحى ، وقدرته على التعبير الواضح البليغ ، وهو مع ذلك شديد الحياة جم الأدب موفور الكرامة غنى بعلمه وفضله عن المجد الكاذب والشهرة الزائفة ، وتقرأ الجلة الأولى من المقدمة فتشعر بهذه الميزات كلها تبرز بروزاً واضحاً لا غموض فيه ، أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عن الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن . وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الخيرة ، ويهدينا سواء السبيل .

٢ - وعبد الله بن المعتز خليفة أدركته حرفة الأدب منذ صغره ، وشعره صورة صادقة لنفسه ، وصورة صادقة لعصره ، وصورة صادقة للفن الخالص والأدب العالي ، وهو من مراجع الأدب والسياسة والإجتماع ، فوق أنه ثروة فنية عظيمة . والمؤلف قد جلى الناحية الفنية في شعره في كتابه : التشبيه ، وأفاض في شرحها إفاضة الباحث الموهوب .

٣ - ونحن باراء لخل آخر من لحول الشعر والأدب لم يكن كصاحبه ذا نعمة وجاه وترف ، بل عاش طول حياته على الكفاف لا يكاد يجد حاجته الضرورية ولم يكن حظه من الدهر إلا هذه الموهبة الفنية التي لا تغنى عن الفقر شيئاً ، وإن أبدعت التاريخ والفلسفة والأدب قصيداً خالداً عميقاً ، لا يزال مجالاً للبحث واختلاف الرأي ؛ إلى يومنا هذا .

— ٥٧٢ —

ذلكم هو ابن الرومي وقد أنصفه المؤلف في كتابه، وهو عندى خليق بذلك ولم يزل في حاجة إلى مزيد من الانصاف. ولا شك أن هذه الدراسة الفنية لشعر ابن الرومي جديدة كل الجودة عميقة كل العمق .

والكتاب آية من آيات المؤلف ، وطرفه نادرة من طرفه ، لا سبيل إلى الشك في عمقها وجدتها وحسن عرضها، وأنا أسأل الله له التوفيق ؛ ولطلا به حسن الإلتفاع به ؟ محمد هدية — مدرس

فهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
النثر الفني	٦٩ - ١٨٢	الكلمة الأولى	٣
نماذج	٦٩ - ٩٢	منهج الدراسة	٤
بين الزبرقان وابن الأهم	٦٩	٧ - الحياة الأدبية في صدر الإسلام	٣١٩
من حكم الرسول	٧٠	٨ - عصر صدر الإسلام	٨
تأبين أبي بكر للرسول	٧١	١٠ - الجاهليون والمختصرون	١٠
تأبين عائشة لأبيها	٧١	١٢ - الإسلام وأثره في الحياة الاجتماعية	١٢
الاحنف وعمر	٧٢	١٣ - وفي الحياة العقلية	١٣
إسلام أبي ذر	٧٣	١٤ - وفي الحياة السياسية	١٤
وفاة النبي	٧٤	١٥ - وفي الحياة الأدبية	١٥
وصف عمر وعلى	٧٦	١٦ - أثره في اللغة العربية	١٦
للحسن وللإمام على	٧٧	٢٠ - ٥٣ - القرآن الكريم	٥٣ - ٢٠
من حكم الرسول	٧٠	٢١ - نزوله	٢١
من حكم أبي بكر	٧٩	٢٣ - موضوعات السور	٢٣
من حكم عمر	٨٠	٢٤ - أسلوب القرآن	٢٤
من حكم عثمان وعلى	٨٠	٢٧ - جمع القرآن	٢٧
استمناح أعرابي لعلي	٨١	٣١ - رواية القرآن وقرائنه	٣١
بين أبي بكر وعمر وعلى	٨٢	٤٠ - أثره في اللغة والأدب	٤٠
كتاب على إلى الأشر	٩٠	٤٢ - خصائصه	٤٢
النثر وميزاته	٩٣ -	٤٤ - إعجاز القرآن	٤٤
تمهيد	٩٣	٥٤ - ٦٨ - أحاديث رسول الله	٦٨ - ٥٤
شبهة للمستشرقين	٩٦	٥٤ - البلاغة النبوية	٥٤
وصف النثر الفني	٩٨	٥٨ - جوامع كلمه (ص)	٥٨
موضوعات النثر	٩٩	٦١ - خصائص البلاغة النبوية	٦١
معانيه وأسلوبه	١٠٠	٦٢ - أثر الحديث في اللغة والأدب	٦٢
موازنة	١٠٩	٦٣ - الرسول والشعر	٦٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
نشأته	١٣٠	الخطابة	١٠٢ - ١٦٥
ألوان من حياته	١٣١	نماذج	١٠٢ - ١٢٤
نهج البلاغة	١٣٢	خطب لرسول الله	١٠٣
بلاغة على	١٣٤	الخطبة المدنية الأولى	١٠٣
بعض آثاره على	١٣٥	خطبة الوداع	١٠٤
الخطبة الشقشقية	١٣٧	خطبة أبي بكر يوم السقيفة	١٠٦
من حكمه على	١٤٠	وصية أبي بكر ليزيد	١٠٧
على والشعر	١٤٥	خطبة لعمر	١٠٩
عمر ١٦٥ - ١٤٧	١٤٧	خطب له	١١٠
حياته	١٤٧	خطبة لعثمان	١١١
بلاغته	١٤٨	خطبة أم الخير	١١١
عمر والشعر	١٥١	خطبة على بعد التحكيم	١١٥
عمر وأبو كلاب	١٥١	خطب لعلي	١١٦
عمر وأبو محجن	١٥٣	خطب لأبي بكر ولعثمان	١١٨
عمر والخطبة	١٥٥	خطبة لفاطمة الزهراء	١٢٠
عمر والشعر	١٦١	خطبة لأبي بكر بعد الردة	١٢١
آثاره لعمر	١٦١	خطبة لعلي	١٢٢
رسائله في القضاء	١٦٣	خطبة لعائشة	١٢٣
الكتابة الفنية	١٦٦	١٢٥ - ١٢٨ وصف الخطابة	
نماذج ١٧٦ - ١٦٦	١٦٦	تمهيد	١٢٥
كتب للرسول	١٦٦	أسباب رقي الخطابة	١٢٥
لأبي بكر	١٦٩	أغراضها	١٢٦
كتب لعمر	١٧١	أسلوبها وألفاظها	١٢٧
بين علي ومعاوية	١٧٤	معانيها	١٢٨
وصية أبي بكر لعمر	١٧٥	أعلام الخطباء	١٢٩
كتاب عمر إلى أبي موسى	١٧٥	١٢٩ - ١٤٦ علي بن أبي طالب	
كتاب لعلي	١٧٦	أسرته	١٢٩

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٧٧ - ١٨١	وصف الكتابة	٢٤٥ - ٢٩٧	حسان
١٧٧	تمهيد	٢٤٥	تمهيد
١٧٧	الكتابة في عصر النبوة	٢٤٥	أسرته
١٧٨	الكتابة بعد عهد النبوة	٢٤٦	نشأته
١٧٩	بواعث الكتابة	٢٤٧	حياة في الاسلام
١٧٩	تدوين الدراوين	٢٥١	شعر حسان
١٨٠	أسلوب الكتابة	٢٥١	آراء النقاد
١٨٢	التوقيعات	٢٥٥	وصف شعره
١٨٣ - ٢١٢	الشعر في صدر الاسلام	٢٥٨	أسلوب شعره
١٨٣ - ٢٠٣	نماذج	٢٥٨	معاني شعره
٢٠٤ - ٢١٢	اشهر وما طرأ عليه	٢٥٩	روائع حسان
٢٠٤	تمهيد	٢٥٩	نقد النابغة له
٢٠٤	الشعر في صدر الاسلام	٢٦١	حسان والنعمان
٢٠٨	أغراضه	٢٦١	حسان النعمان
٢١٠	معانيه وأسلوبه	٢٦١	حسان وعمره
٢١٢	ألفاظه	٢٦٥	نماذج من شعره
٢١٣ - ٣١٢	المختصر من		مع شروح ودراسات
٢١٣	ابن رباح	٢٩٨	الجمعي
٢١٧	كعب بن مالك	٣٠٤	معن بن أوس
٢١٨	كعب بن زهير	٣٠٨	مالك بن الريب
٢٢٠ - ٣٤	الخنساء	٣١٣	النقد في صدر الاسلام
٢٢٥	الخنساء لدى عائشه	٣١٨	أشهر الشعراء المختصر من
٢٢٦	الخنساء تعظم بمصاحبها	٣١٨	شعراء الحماسة المختصر من
٢٢٧	مراثي الخنساء	٣٢٠	الحياة الأدبية في العصر الأموي
٢٣٤	رأى النقاد فيها	٢٢٠	تمهيد
٢٢٤	ابو محجن	٢٢٢	سياسة الدولة الجديدة
٢٣٨	ابو ذؤيب	٢٢٧	الموالي في الدولة الأموية
٢٤٠	الخطبة	٢٢٩	انتشار اللغة

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
خطبة أبي حمزة	٤٠٠	طروء اللحن	٣٣٢
خطبة قطري	٤٠٢	وضع النحر	٣٣٢
نصيحة رجل لهشام	٤٠٤	وضع الشكل	٣٣٨
نصيحة أعرابي لسلیمان	٤٠٥	وضع النقط	٣٤٠
خطبة للحسين	٤٠٥	بدء تدوين العلوم	٣٤١
وصف الخطابة	٤٠٧	العلوم المدونة	٣٤٢
٤١٠ - ٤٢١ الكتابة الفنية		اشهر مجامع العلم والادب	٣٤٥
٤١٠ - ٤١٤ نماذج		المريد	٣٤٧
٤١٥ وصف الكتابة		عناية الخلفاء باللغة والادب	٣٥٤
٤١٧ تحول الكتابة		نماذج لعنايتهم بالادب	٣٥٥
الى صناعه فنية		تأثر الادب بالحياة الجديدة	٣٧٧
٤٢٤ - ٤٤٦ الاجوبة والمحاورات		٣٨٠ - ٤٤٦ النثر الفني	
٤٢٤ - ٤٤٥ نماذج		نماذج	٣٨٠
٤٢٤ ابو الاسود وزوجه		صفة الامام العادل	٣٨٠
٤٢٧ صمصمة ومعاوية		لطارق	٣٨٢
٤٢٩ عبد الملك وجلسائه		الاشخاف ولعمرو بن العاص	٣٨٤
٤٣١ عبد الملك ومعه		وصف النثر الفني	٣٨٥
٤٣٢ عبد الملك وسعدى		٣٨٨ - ٤٠٩ الخطابة	
٤٣٣ معاوية وعقيل		٣٨٨ - ٤٠٦ نماذج	
٤٣٣ معاوية وابن عباس		خطبة لمعاوية	٣٨٨
٤٣٥ عبد الملك وخالد		وصية لمعاوية	٣٨٩
٤٣٥ عبد الملك وابن اسيد		خطبة ابن الزبير	٣٩٠
٤٣٦ عبد الملك وأحد عماله		خطبة عبد الملك	٣٩٢
٤٣٧ عبد الملك والحجاج		خطبة عمرو بن سعيد	٣٩٣
٤٣٧ الحجاج وكعب		وصية لعبد الملك	٣٩٤
٤٣٨ هشام وابن أبى الجهم		وصية لحنبة	٣٩٥
٤٤٠ هشام وابن أذينة		خطبة زياد البترام	٣٩٥
		خطبة الحجاج بالبصرة	٣٩٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المناقضات في الشعر الأموي	٥١٣	هشام و أبو الجهم	٤٤١
الغناء في العصر الأموي	٥٢٠	أياس	٤٤٤
ألوان من الغناء وبجاليه	٥٢٢	خاتمة السكلام على المحاورات	٤٤٦
النقد الأدبي	٥٢٥	٤٤٧ - ٥١٩ الشعر الأموي	
ألوان من النقد الأدبي	٥٢٩	٤٤٧ ٤٧٢ نماذج	
شعراء الحماسة	٥٥٣	٤٧٣ ٥١٩ الشعر في العصر الأموي	
أوائل كتب الشعر	٥٥٤	٤٧٣ تمهيد	
دواوين الشعراء	٥٥٩	٤٧٤ مظاهر العناية بالشعر	
أشهر كتب الأدب	٥٦٠	٤٨٣ اسباب العناية بالشعر	
الرجز في العصر الأموي	٥٦٣	٤٨٧ نهضة الشعر الفنية	
خاتمة	٥٦٤	٤٨٨ معاني الشعر الأموي	
تقدير ماسكي كريم		٤٨٩ اسلوبه	
كتاب التشبيه		٤٩٢ أفاضله وأغراضه	
الشعراء الجاهليون		٤٩٣ الشعر السياسي	
مطبوعات		٤٩٥ الغزل العذري والقصصى	
ابن المعتز		٤٩٩ شعر الحكمة والدين	
فهرست الكتاب		٥٠١ الاغراض القديمة	
استدراك	٥٨٠	٥٠٨ التمسك بالشعر	
		٥٠٨ طوائف الشعراء	
		٥١٠ طبقات الشعراء	
		٥١٠ الرواية والرواة	
		٥١٢ رواة الشعر	

الايضاح في علوم البلاغة

للخطيب القزويني [٦٦٦-٧٣٩] هـ

كتاب الخطيب : د الايضاح ، أهم كتب البلاغة ، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوباً ، وأجملها بياناً ، وأوفاهما بحثاً ، وقد جمع فيه المؤلف كثيراً من آراء ونظريات المتقدمين في البلاغة ، وخاصة : عبد القاهر الجرجاني أمام البلاغة م ٨٧٤١ ، والسكاكي فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسي المقرر في شتى كليات اللغة والأدب في الشرق العربي

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحاً جديداً ضافياً ، في ستة أجزاء كبيرة

وقد حرص في شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدتها وأعظم عمل في هذا الكتاب فوق ذلك هو ذكر جميع المصادر والمراجع وشرح الشواهد وذكر مصادرهما وموضع الشاهد فيها ، فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات في غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودراسيها وفي آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة في البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها ، مما لم يسبق إليه أحد

وقد ظهر من الكتاب جزآن وسيظهر الجزء الثالث بعد أسبوع
أما الثلاثة الأجزاء الباقية فستظهر خلال شهر واحد إن شاء الله .

ومن الله التوفيق والعون والسداد

٧ يناير ١٩٥٠

- ٥٧٩ -

يظهر قريبا للمؤلف:

- ١ - التجديد في الشعر العربي
- ٢ - أعلام الأدب في عصر بني أمية
- ٣ - الجزء الثالث من شرح الأيضاح

نشر

مكتبة الحسين التجارية

اصحابها

محمود توفيق

الطبعة الأولى (١٩٦٤)
سنة محمد باقر فريد بالناصر

استمرار

تذكر هنا بعض أخطاء مطبعية وتترك باقيها اعتمادا على فطنة القارى وثقته

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٤	١٧	واحد	اثنين	١٤٠	١٤	يسكنفك	يسكنفك
١١	١٧	كراعة	كراع	١٤٩	١١	أبها	أبها الناس
١١	١٤	له	لله	١٥٣	١٦	أباك	أبوك
١٣	٢	متحابين	متحابين	١٥٤	١٢	مصمتا	مصمتا
١٥	١٢	اقتبسبه	اقتبسه	١٥٤	٢٢	وقاص	وقاص
٢٢	١٠	وهم	وهم	١٦٩	١٧	فان	أفان
٢٢	١١	لدى	الذى	١٧٣	١٣	أحد	أحدا
٣١	٢	التجارى	البخارى	١٧٤	١٠	اطلحة	على طلحة
٤٥	٢	شيئا	شيئا	١٧٤	١١	أهل على	أهل
٤٦	٣	قدر	قدروا	١٧١	١٠	يدا	يد
٥٣	٨	أنزل	نزل	١٧٨	١٤	إلا	إلى
٥٨	٣	السفد	السفلى	١٨١	٧	محمد	محمد
٦٠	٩	بالقواوير	بالقوارير	١٨٧	٦	علم	ظلم
٦٩	٢	نماذج	نماذج	١٨٧	١٨	فعدنا	فعدنا
٨٠	٧	مايزع	ولعثمان مايزع	١٨٩	١	إذ	إذا
١٢٩	٨	محمد	محمد	١٨٩	٦	فتردريه	فتردريه
١٣٠	٣	الهجرة	البعثة	١٩١	٣	ينسينى	ينسينى
١٣٠	٨	وأنا واحد	وأنا واحدا	١٩٥	٢١	درائه	ردائه
١٣٣	١٤	ريب	ريب فيه	٢٠٠	٢	الدناء	الرائاء
١٣٣	١٨	على	على	٢٠١	١٦	والحد	والبلد
١٣٤	١٤	الحديث	الحكيم	٢٠٧	٥	البرجى	البرجى
١٣٤	٢٠	ظهرت	ظهر	٢٠٨	٩	أسبابها	أسبابها
١٣٨	١	رثى	أرثى	٢٠٩	١٨	ذلك	وغير ذلك
١٣٩	٤	واعنى	راعى	٢١١	١	كثير	كثير
١٣٩	١٤	هذه	هذه أزهد	٢١١	١١	عرض	عن عرض

الصفحة	الكتاب	الكلمة	معناها	الصفحة	السطر	الكلمة	معناها
٢١٧	١	الاخلاف	الاخلاف	٢٩٦	٥	غيب	غيب
٢١٧	١٣	يببشته	يببشته	٣٠٠	١١	وكان	وكان
٢١٩	٩	الوصف	الوصف	٣٠١	٣	أجادوا	أجادوا
٢٢٠	١٢	وفد	وفد	٣٠٩	٤	أجادی	أجادی
٢٢٩	٨	الزمار	الزمار	٣٠٢	١٣	بمالى	بمالى
٢٢٩	١٢	كذلك	كذلك	٣٠٣	٢٠	وقال	وقال
٢٣٤	٢٢	الجنج	الجنج	٣٠٥	١٦	فيؤنيها	فيؤنيها
٢٣٥	٤	يتمدحو	يتمدحو	٣٠٩	٨	الله	الله
٢٣٥	١٣	قلت	قلت	٣٠٩	١٤	محبوك	محبوك
٢٣٨	١٦	ومثلى	ومثلى	٣٢٩	١٣	هذا	هذا
٢٤٣	٦	فاستعدى	فاستعدى	٣٣١	١٩	غير	غير
٢٤٣	١٢	هم	هم	٣٣٣	٦	اللعن	اللعن
٢٤٥	١٩	منهلا	منهلا	٣٣٣	١١	صوتا	صوتا
٢٤٧	١٠	ينسى - متصرا	ينسى - متصرا	٣٣٦	١٦	ثمته	ثمته
٢٥٤	٩	بمستبق	بمستبق	٣٣٩	٧	وأذن	وأذن
٢٥٦	٣	المشركين	المشركين	٣٤٨	١٩	البرية فى	البرية فى
٢٦٠	٦	إن	إن	٣٤٨	٢٠	ويقتاشدوا	ويقتاشدوا
٢٦٠	١٦	أكثرهم	أكثرهم	٣٤٩	١٢	الماليك	الماليك
٢٦٨	٧	قان هجاتم	قان هجاتم	٣٥٠	٢	الأمويين	الأمويين
٢٧١	١٥	ينجد	ينجد	٣٥٠	٢٠	يتهاجيان	يتهاجيان
٢٧٤	١	قولى	قولى	٣٥٢	١١	والمهاجاة	والمهاجاة
٢٧٤	٤	يهدر	يهدر	٣٥٣	٤	والنحوين	والنحوين
٢٧٦	١١	يلبس	يلبس	٣٥٤	٥	لغاتهم	لغاتهم
٢٧٨	١٠	ذراعها	ذراعها	٣٥٤	٦	ويكون	ويكون
٢٨٠	١٣	والعود	والعود	٣٥٥	٢٠	عن	عن
٢٨١	١٢	حق	حق	٣٥٣	٢١	وفيان	وفيان
٢٨٢	٢	بدشة	بدشة	٣٥٥	٢٢	فى الأدب	فى الأدب
٢٨٩	٤	وإذا	وإذا	٣٧٣	١٥	سكتوا	سكتوا

الصفحة	السطر	الكلمة	معناها	الصفحة	السطر	الكلمة	معناها
٢٧٥	١	سائل	سأل	٤٥٠	٩	أبي	بني أبي
٣٧٨	٨	الفجر	الفجر	٤٥٥	٢٠	ضرا	ضر
٣٧٨	١٣	العرب	العربي	٤٥٨	٥	إذا	إذا
٣٨٦	٩	للاحتياط	للاختلاط	٤٥٩	١٠	منها	منها
٣٨٧	٨	لأنكم	لأنكم	٤٦١	٨	بالبنين	بالبنين
٣٨٩	١١	وانظر	وانظر	٤٧٤	٩	يهزم	يهزم
٣٩٣	٩	والهو	والهو	٤٧٥	١	أبي ربيعة	أبي ربيعة
٣٩٨	١١	فاستجبوا	فاستجبوا	٤٧٦	٣	قيما	قيما
٤٠٠	١	تضيق	تضيق	٤٧٦	١٢	تمت	لم تمت
٤٠٤	١٨	بها	بها	٤٨٠	١٤	القمطار	القمطار
٤٠٦	٤	عليه	عليها	٤٨٩	١	السحرم	السحرم
٤١٠	١٢	ضائعا	ضائعا	٤٩١	٣	مسته	مسته
٤١٦	١٤	كان	كانت	٤٩٣	٣	عبد	عبيد الله
٤٢٠	١٠	لغته	فلغته	٥١٠	٢٢	بجيد	بجيده
٤٢١	٢	ثابت	ثابتة	٥٢٠	١٩	ذات	ذا
٤٢٢	١٦	بن	بن أبي وقاص	٥٢٣	١٠	أو	أن
٤٢٣	٨	أدراك	أدراك	٣٢٣	٢٠	ربيعة	أبي ربيعة
٤٢٣	٢٣	شكل	شكى	٥٢٦	١٨	الفرق	الفرق
٤٢٧	١٠	الملك	الملك بن	٥٢٧	١٤	لبنك	لبنك
٤٣٩	٨	هاتها	قال : هاتها	٥٢٩	١٦	أما	إذا
٤٤٣	٢	دنت إليها	دنت	٥٣٢	١٢	فصحبه	فصحبه
٤٤٧	١١	ذاك	أن	٥١٢	٤	الجاهلي	الجاهلي والاسلامى

٥٨٣ -

ملحق للكتاب

موازنات أدبية :

بين قصيدتين

من عيون الشعر الجاهلي

١ - أما الأولى فهي معلقة عمرو بن كلثوم (٥٠٠ - ٦٠٠ م) المشهورة :
الاهي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى نخور الاندرينا
وأما الثانية فهي بجمرة أمية بن أبي الصلت (٥٥٠ - ٦٢٤)

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزئيب إذ تجل بها قطينا

٢ - والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبله الشاعر
وملاحمها الحربية التي انتصرت فيها على أعدائها ، وهي فريدة في نوعها فهي جديدة
حقا بأن تسمى ملحمة ، وهي تصور قوى رائع لمجد القبيلة ومفاخرها وأيامها
ومنها يوم خزا ، وإشادة بنفوذها ومسكانتها وتهديد لأعدائها وتزييه للملك عمرو بن
هند حتى لا يطيع بهم الوشاة ويتحيز لبكر شقيقة تغلب ومزاحمتها في النفوذ والمجد
والسلطان ، وقد بداها الشاعر بوصف الخمر بما يعد ميزة فريدة لها ، ثم انتقل الى
موضع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
مسلانا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبار ساجدينا
وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتجل بعضها أمام الملك عمرو بن هند وهو الجزء
الذي هدد فيه أعداء تغلب وحذر الملك من الاستماع للوشاة والميل معهم على
تغلب ، ومنه :

أما هند فلا تعجل علينا وأنظرننا نخبرك اليقيننا
بأننا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حرا قد رويننا
ثم أكمل القصيدة كلها ، وأنشدها في سوق عكاظ وقد عدتها تغلب مجدا لها
وملحمة تاريخية تصور تاريخها فاعتزت بها اعتزازاً كثيراً ويقال إنها أضافت

لأهلها الكثير حتى بلغت أبياتها نحو الألف بيت حتى قال بعض البكرين فيها:
 ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 يفاخرون بها مذكان أولهم يا للرجال لشعر غير مسوم
 وأما المجهرة فقد تحدث فيها أمية عن مجد قبيلة نعيم وهي من أمهات القبائل
 العربية وصاحبة النفوذ والسيادة في الطائف، وافتخر بها وصور مكانتها ووراثتها
 لمجد الآباء والأجداد، ولم يبدأها بوصف الخز كما فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما
 يبدأ الشعراء قصائدهم فوصف في مطلعها أطلال محبته وزيّن، وعغامها
 وأحب الرياح المعصرات بها، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة نفسها من الفخر
 بمجد القبيلة وشرف الآباء فقال فيها قال:

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البنيان
 وكنا حبيبا علمت معد أقنا حيث ساروا هارينا
 وتغبرك القبائل من معد إذا عدو اسماعية أولينا
 بأننا السازلون بكل شجر وأنا الضاربون إذا لقينا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه وبجدهم ومناباتهم وما أرصده
 لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب والشبان ووراثتهم للجد
 عن كبرى نزار إلى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التي أضافها
 أمية إلى قومه. ولا ندرى شيئا عن التاريخ الأدبي للقصيدة وإن كنا نرجح أن
 الشاعر نظمها في مفاخرة من المفاخرات التي تحدث كثيرًا بين القبائل العربية وخاصة
 في العصر الجاهلي.

٣ - وتتفق القصيدتان في كثير من وجوه الشعر والشاعرية:

تتفقان في الموضوع وفي الوزن والقافية. كما تتفقان في خيالهما والمبالغة
 الواضحة فيهما.

وتتفقان فوق ذلك في هذه السهولة الواضحة الغالبة عليهما وخاصة عند ما ينتقل
 الشعاران إلى الغرض الأصلي من قصيدتهما وهو الفخر، وليست هذه السهولة
 الفنية بغريبة على الشعارين: فارتجال عمرو لقصيدته ومقام الفخر يقتضيان
 السهولة، ونشأة أمية في الطائف وحياته فيها بين الزرع والغاكة والجلو والجبل

والهواء الطلق وتنقله بين الشام واليمن ومكة والمدينة كل ذلك جعله يعيش في ظلال
قسط من الحضارة صقلت مواهبه الادبية وطيبته الغنية فظهر أثر ذلك في شعره
وضوحاً وسهولة وإسجاحاً وصفلا فنياً رائعاً .

وتتفق القصيدتان فوق ذلك في كثير من معاني الشعر وأساليبه ، ومن مظاهر
هذا التشابه هذه المعاني والآيات :

أ- قال عمرو :

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى بيننا (١)
وقال : ورثنا مجد علقمة بن سيف :

وقال :

ورثناهن (٢) عن آباء صدق ونورها إذا متنا بيننا
فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البنيينا

وتستطيع أن توازن بين البيتين الآخرين إذا علمت أن وراثته المجد في بيت
أمية أبلغ في الفخر من وراثته الخبول في بيت عمرو ، وإن كانت وراثته الخبول من
أسباب المجد لأن الخليل وركوبها واتخاذها عتادا دليل الشجاعة والبطولة وحسب
النضال ، وقول أمية : فأورثنا مآثرنا البنيينا ، أبلغ من قول عمرو : ونورها إذا
متنا البنيينا ، لأن أمية ذكروا أن أبنائهم ورثوا هذا المجد عن آباءهم سواء كان الآباء
قد ماتوا أم لا يزالون أحياء ؛ فهم قد ورثوه فعلاً ، أما عمرو فقال إن الأبناء
يرثون الخليل بعد موت الآباء فهم لم يرثوه في حياتهم فكأنهم لا يعرفون بالشجاعة
إلا بعد موت الآباء وهذا قصور في الفخر . وقال أمية : ، البنيينا ، وقال عمرو
وبنيينا ، فمثيرهم أميناً بأن عن ضررهم وقال عمرو : اصدق ، فدل على شجاعتهم
أو وضوح نسبهم وهي زيادة لانظير لها في قول أمية .

(١) أى حتى يظهر الشرف لنا .

(٢) الضمير يعود إلى الأفراس في بيت سابق .

وقد أخذ أمية لفظ ، قد علمت معه ، من قول عمرو فقال :

وكنا حينما علمت معه د أقننا حيث ساروا هاربيننا

ب - ويقول عمرو : ، وأنا المملكون إذا ابتلينا ، أى نملك أعداءنا ونبيد
إذا اخترنا بقتلهم فيقول أمية : وأنا الضاربون إذا التقينا . فتجد قول عمرو
أبلغ حيث نص على إهلاك الأعداء ولم يذكر أمية إلا الضرب وإن كان يكنى به
عن الشجاعة والأقدام والعزيمة والجد في طلب الأعداء ولكنه على أى حال لم
يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بقوله : ، المملكون ،

ج - ويقول عمر : ، وأنا المانعون لما أردنا ، ، ويروى ، الحاكون بما أردنا ،
فيقول أمية ، وأنا المانعون إذا أردنا ، .

د - ويقول عمرو :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ويروى من الجمهرة :

وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ويقول عمرو :

بفتيان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجربينا

وقد روى من الجمهرة :

وفتيانا يرون القتل مجدا وشيبا في الحروب مجربينا

ه - وتمتاز المعلقة : بتنوع أغراضها ، وبطولها ، وسهولتها وأنها ملحمة

تاريخية وتصوير لجد تغلب القومى والحربى ، وبما فيها من وصف للخمر ، وهى
على أى حال وباعتراف نقاد الأدب القديم من أشهر القصائد الجاهلية ، ولذلك
وضعوها مع المعلقات ، وقال ابن قتيبة فيها : وهى من جيد شعر العرب .

أما قتيبة أمية فقد وضعها في منزلة أدبية بعد منزلة المعلقات حيث رتبها
في المجموعات . والمجموعات سبع قصائد من الشعر الجاهلى رواها أبو زيد
الانصاري في الجمهرة وأصحهاها هم .

- أ - عبيد بن الأبرص وبجهرته مشهورة ومطلعها :
 أقفر من أهل ملحوب فالتقطيات فالذنوب
 أو : عينك دمعها سروب (١) كأن شأنهما شعيب
 وتشتهر باختلاف رزنها واضطرابه ، وهي قاصرة على الحكمة ومنها :
 والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب
 من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
 ويغلب عليها صبغة التدين وروح الإيمان :
- ب - عدى بن زيد ، ومطلع بجهرته :
 أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد
 وتشبه معلاقة طرفة في وزنها وفافيتها وروح الحكمة السارية فيها كما تتفق معها
 في بعض الأبيات ، ويغلب عليها روح التدين ، ومنها :
 فنفسك فاحفظها عن الغى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى
 عن المرء لا نسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمتقارن يقتدى
 والبيت الأخير نجده في معلاقة طرفة أيضا .
- ج - الثمر بن تولب ، ومطلع بجهرته :
 تأبد من أطلال عمرة مأسل :
 وتغلب عليها روح الحكمة ، ومنها :
 يود الفتى طول السـ لامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل
 دعانى الغواني عمهم وخلتنى لى اسم فما أدعى به وهو اول
 د - أمية بن أبى الصلت ، وبجهرته معروفة
 وهي وقف على الفخر
- هـ - بشر بن أبى خازم : وبجهرته في الفخر بقومه وبطولتهم وعزمهم ، ومطلعها
 لمن الديار غشيتها بالانعم تعدو معالمها كلون الأرقم

(١) سروب كثيرة الجريان . الشعيب : المزاولة

و — خدّاش بن زهير ، وبجهرته في الفخر بقومه أيضا ومطلعها :

أمن رسم أطلال بتوضيح كالسطر

ز عنبرة وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يعدّها البعض من المعلقات والآخرون من المجمرات وهي على أى حال في
الفخر حيث وصف فيها الثمار بطولته وشخصيته بوضوح.. وهذه القصائد السبع :
١ — من الناحية التاريخية نجد أن أصحابها لم يعيشوا في عصر واحد ، فعدى
توفى نحو عام ٥٦٥ م وعبيد عام ٥٥٥ م وأمية عام ٦٢٤ وعنبرة عام ٦١٥ م الخ
مما يؤكد لنا أنه لم تلاحظ الناحية التاريخية في ترتيبها

ب — ومن ناحية موضوع هذه القصائد نجد أن ثلاثا منها في الحكمة وأربعا
في الفخر ، مما يؤكد أنها لم ترتب بحسب موضوعاتها .

ج — فلم يبق إلا أنها رتبت بحسب جودتها الفنية ومنزلتها الأدبية ، ومن غير
شك فإن شاعرية هؤلاء الشعراء وخصائص الشاعرية في هذه القصائد تكاد تكون
في منزلة واحدة مما يبدو بوضوح للناقد الدارس .

فهذه القصائد السبع يشبه بعضها بعضها في النواحي الفنية والقيمة الأدبية
وتكاد تكون متساوية في حكم النقد الأدبي السليم ، وهي لا تحتل الذروة بين
قصائد العصر الجاهلي وإنما تلي هذه القصائد السبع الجياد المشهورة والمعلقات ،
ويليهما كثير من القصائد التي لا تبلغ منزلة المجمرات الأدبية .

د — ومن الغريب أن تخلو مجهرة أمية من هذه الصبغة الدينية التي اشتهر
بها أمية ، ويبدو أنه نطمها في أوائل عهده بالشعر وفي عصر الشباب مما يتضح من
تقليده فيها لعمر بن كلثوم ومعلقته

وقد يكون السبب الذي جعل أمية ينظم بمجهرته محتذا فيها عمرا هو إعجابه
بمعلقته وروايته لها أو تأثره بعمر وخاصة من بين الشعراء الجاهليين
ومعلقة عمرو يرى فيها الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي »
أنه لا يمكن أن تكون هي أو أكثرها جاهلية

ويذكر أن الرواة قد شكوا في بعضها وإن عمرا نفسه قد أحيط بطائفة من الأساطير ويرجع انتحال المعلمة وهي ومعلمة الحارث بن حازة .

والمعلمة نفسها خير رد على هذا الرأي فهي صورة لحياة جاهلية لاشك فيها وتمثل حياة عمرو نفسه تمام التمثيل ، والشخصية الفنية في المعلمة شبيهة تمام الشبه بالآثار الفنية القليلة التي ثبتت صحتها لعمرو بما ورد في الحماسة وسواها .

٦ - وبعد فاستطيع أخيرا أن أقول أن أمية نظم بجهرة متأثرا فيها بعمرو ومعلته ، وأنه قد عمرا تقليدا فنيا واضحا لاليس فيه ، والتقليد الفني ليس يبعد على الشعر الجاهلي ولا بغريب فيه ؛ وكما قد الشعراء المحدثون من تقدمهم من أمية الشعر العربي فقد كان الشاعر الجاهلي يقلد من سبقه من الشعراء وسنسط حديث التقليد والتجديد في الشعر الجاهلي في بحث آخر .

الطبع والصناعة

في الشعر الجاهلي

بين القدامى والمحدثين من النقاد خلاف كبير في تحديد معنى الطبع والصناعة؛ يرى الأولون أن التهذيب الفني للأسلوب هو الصناعة ، فالمصنوع هو المثقف المذهب من الشعر أما الطبع فهو خلو الأثر الأدبي من آثار التجريد والتفتيح ، ويرى الآخرون أن شعور الشاعر بنفسه حدين الطبع والصناعة ، فإذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو مصنوع متكلف ، والأديب المطبوع عندهم من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه ، وكان صاحب موهبة في نفسه وعقله لافي لسانه فقط

ورأى المحدثين المعاصرين من النقاد اصطلاح جديد في معنى الطبع والصناعة، وأرى أن الأولى في تحديد معناها أن نجتمع بين الرأيين الذين يتلاقيان ولا يتناقضان ، فالطبع هو الملائكة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفنه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لمواطنه ومشاعره دون تكلف وتعجب في الصوغ أو استجداء أترف الأسلوب والصناعة ، أما الصناعة فهي إحساس

الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترف الأداء وزخرف الأسلوب ، وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف ؛ وهيامه الفني بها ، وقصده إليها ، وتعنده لها في شعره ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من مكانه الفنية التي استبدت بها هذه النزعة ، مما يطفى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة .

ويجمع جمهور النقاد في القديم والحديث على عيب الصنعة والتصنيع .

وسموا المصنعين من الشعراء في العصر الجاهلي عبيد الشعر ، رعاها الشاعرهم ، قال الأصمعي الأديب الراوي الناقد ٢١٦ هـ : زهير والنايفة وأشباههما عبيد الشعر ، وقال : الخطيب وهو شاعر إسلامي مشهور عبد الشعر ، قال الجاحظ إمام الأدباء والنقاد ٢٥٥ هـ : عاب الأصمعي شعره حين وجده كله متغيراً مستويا لمسكان الصنعة والتسكك والقيام عليه ، وكان الأصمعي يستحسن التفاوت في الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة ، وعلى هذا الرأي يسير بعض الحديثين ، نرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه ، ويعدده النقاد الآية الناطقة على شاعرية المتنبي وعظيم مكانته في الشعر

ولقد كان الشعر العربي أثراً للفطرة والبديهة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية وكان أكثره ارتجالاً أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتي به عفواً خاطراً ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتنايع ، فتتوالى عليه الألفاظ وتأتيه الأساليب شعراً وشعوراً وسحراً وجمالاً : كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة دون تنقيف وتهذيب وتمسيح ، حتى قال الجاحظ : وكل شيء للعرب فأنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فسكرة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا وتتوالى عليه الألفاظ أثليلاً ،

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التهذيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما .

كان أوس بن حجر من أصحاب التثقيف وكان يسمى مجبرا لحسن شعره ، وتتلذذ عليه زهير ، وكان طافيل الغنوى كذلك ، وكان النمر بن تواب من أصحاب التثقيف والتهديب ، وكان أبو عمرو بن العلاء الناقد الراوية م ١٥٤ هـ يسميه السكيس لحدقه بالشعر ، والنقاد يعدون النابغة الذبياني أيضا من المصنعين ، ويقول أنصار الصنعة إن امرأ القيس أيضا كان يشقف شعره ويعيد النظر فيه فيسقط رديته ويثبت جيده ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي وكان يلوذ به في شعره ويتوكل على معانيه كثيرا ، ولكن شعر امرئ القيس ينفي عنه الصنعة والتصنيع ، وفرق بين أن يحصى عفووا في شعره بعض آثار الصناعة الفنية وأن يكون مصنعا ينحت فنه كما ينحت الفنانون تماثيلهم

وأبرز رجال هذه المدرسة على أى حال هو زهير ، قال بعض النقاد : عمل سبع قصائد في سبع سنين وكان يسميها الحوليات ، كان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتهديب ، يصنع القصيدة ثم يسكرر نظره فيها - خوفا من النقد والنقاد - بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وقيل كان ينظم القصيدة في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ، وقيل : بل كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ، وقال الجاحظ : كان زهير يسمى كبار قصائد الحوليات . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم كالخطيئة الشاعر الاسلامي وسواه

وكان هذا المذهب الفني في الشعر الجاهلي - مذهب الصنعة والتصنيع - أثر الانافس بين الشعراء وقيام الأسواق الأدبية كعكاظ وسواه بالحكومة الأدبية بينهم وكان النابغة تقام له قبة في عكاظ ويتحاكم إليه الشعراء ، كما كان أثر اللسكسب بالشعر وانتخاذه وسيلة للشراء وعكوف الشعراء المصنعين على تجويد مدائحهم ليستخرجوا بها سنى الهدايا والالطاف من مدوحهم ، وكان ارتباط الشعر الجاهلي بالغناء ورغبة بعض الشعراء في التجويد والتجديد في المعاني من أسباب نشأة هذا المذهب الفني أيضا وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نفسه وجدنا الفرق كبيرا بين آثار أصحاب الطبع والبدية كطرفة وامرئ القيس ومهلل وآثار الشعراء المصنعين والمعلقات السبع وهى من أشهر القصائد الجاهلية في البلاغة الأدبية وأحفلها

بمواهب الشعاعية والفن والخيال وخصب المملكات ، كلها من آثار الطبع الأدبي
الموهوب ، وليس فيها شيء من مظاهر الصناعة الفنية ، فمعلقة امرئ القيس أروع
صورة لحياة الشاعر وترفه ولهوه ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ملحمة تاريخية تصور
التاريخ القومي والحربي والسياسي لقبيلة الشاعر ، تغلب ، ومعلقة عنتره حديث
عذب جميل بين الحب والحرب والبطولة ، ومعلقة زهير دعوة للسلام ووصف
لأهوال الحرب . وقصودها على الناموس والبشرية ، ويكاد يكون زهير فيها أشبه شيء
بالمطبوع ، ويكاد أسلوبه فيها يبعد عن الصنعة وآثارها الفنية .

ويشتان بين معلقة زهير هذه وبين قصيدة النابغة :

كلبني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاسية بطيء الكواكب
أوقصيدة أخرى لزهير نفسه هي :

صحا القلب عن سلبى وأقصير باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله
لبعد ما بين الأثر المطبوع والآثر المصنوع ؟

